عبد الله النديم

ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية

دكتور

عبد المنعم ابراهيم الدسوقي الجميعي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ووكيل كلية التربية لشئون التعليم والطلاب

فرع جامعة القاهرة بالفيوم

المركز المصري للكتاب

الإهـــداء

الى من انبعث من غمـار عامة الشعب المصرى وكانت حياته لأمته بعثـا وطنيـا •

الى من عمـل على رفع مستوى شـعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى •

الى من كان حركة لا تهدأ وكان رجلا من رجال العمـل ورجال القـلم والقرطاس •

الى من عاش حيـاته يتأمل أفراح وطنـه ويعانى أتراحه •

الى من مات بعيدا عن الوطن بعد أن قاسى الكثير فى سبيله •

الى عبـد الله النـديم أهـدى هـذا الكتاب هدية الوفاء الى روحـه المكافحة •

يونيه ١٩٨٠

د• عبد المنعم الدسوقى الجميعى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الدكتور عبد العزيز سليمان نوار

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

ومدير مركز بحوث الشرق الأوسط

الرسائل الأكاديمية التى تناولت الثورة العرابية عديدة ومتنوعة، ومع ذلك فانها لا تزال وستظل موضوعا يتناوله الباحثون • فهى تمثل فترة تحول فى تاريخ مصر الحديث لا يمكن أن تتكون لدينا رؤية واضحة عنها الا اذا تعددت الدراسات فى هـذه الثورة •

وهـذه الدراسة تركز على واحدة من الشخصيات الرئيسية التى لعبت دورا جوهريا فى التطـورات التى سبقت الثـورة العرابيـة وأعقبتهـا •

وعبد الله النديم شخصية فذة ، متعددة المواهب بل وصل به الأمر أن أصبح مربيا لزعيم مصر الخالد مصطفى كامل ، وهـذه واحدة من النقاط التى كشف عنهـا الدكتور عبد المنعم الجميعى فى دراسته •

ودراسة الشخصيات بوجه عام أصعب من تناول فترات تاريخية وقد استطاع الدكتور عبد المنعم الجميعى أن يضع أمامنا رؤية واضحة عن عبد الله النـديم ، رؤية تعتبر اسهاما فى المكتبة التاريخية •

وتصدر هـذه الدراسة ونحن على أبواب العيـد المئوى للثورة العرابية (فبراير ١٨٨١ ــ فبراير ١٩٨١) ٠

ولا شك أن هنـاك شخصيات عديدة أخـرى من زعمـاء مصر ورجالاتها خلال تلك الفترة الدقيقة من القرن التاسع عشر تحتاج الى الدراسة أو الى اعادة النظر فيما كتب عنها ٠ وندعو أن يثابر هـذا الجيل الشاب من الباحثين والمؤرخين فى هـذا الطريق ٠

القاهرة ٢٩ يوليه ١٩٨٠

د٠ عبد العزيز نوار

مقدمة

يرجع اختيار هـذا الموضوع للأسباب الآتية :

أولا : ان دراسته بمنهج علمي لم تعالج من قبل حيث ان من تناول دراسة الثورة العرابية من المؤرخين لم يعط للنديم حقه فى الدراسة نظرا لأن الدراسات الخاصة بالثورة وبزعيمها أحمد عرابى قد طغت على دراسة شخصيات ذات أهمية كبيرة فى تطورها مثل عبد الله النديم الذى كان يمثل الثورة فى كثير من نواحيها فكان الداعية الأكبر لها وخطيبها الذى مهد لها ووقف معها فى أحلك لحظاتها .

....

ثانيا : أنه — توضيحا لصورة الثورة العرابية أكاديميا — يجدر بنا أن ندرس كافة الشخصيات التى لعبت أدوارا رئيسية فيها ، ومع أن بعض الأدباء والروائيين قد كتبوا عن هـذا الموضوع فان منهجهم يختلف عن منهج المؤرخين سواء من حيث الرجوع الى الوثائق التاريخية الأصلية أو من حيث تحليل الوقائع والأحداث التاريخية .

وتبعا لذلك فقد قسمت البحث الى أربعة أبواب ومقدمة وخاتمة والأبواب مقسمة الى أحد عشر فصلا .

وقد عنونت الباب الأول « بالنديم والثورة العرابية » وقسمته الى أربعة فصول هى :

الفصل الأول :

« الفكر الثورى فى مصر وظهور النـديم » وتحدثت فيـه عن العصر الذى ظهر فيـه النـديم مركزا على التطـورات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية التى مرت بالبلاد فى عهد الخديو اسماعيل ، والمصادر التى استقى منها النديم ثقافته ، وأثر جمال الدين الأفغانى فى التكوين الثورى للرجال الذين حملوا راية الكفاح وبدايات حيـاة النـديم السياسية حتى قبيل قيام الثورة العرابية .

الفصل الثانى :

« دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية عند نشـوب الثورة العرابية » ودرست فى هذا الفصل ظروف انضمام النديم للعسكريين والأحداث التى كان له دور فيها وخصوصا بعد حادث قصر النيـل ومظاهرة عابدين ومواقفه تجاه العرابيين بعد عابدين كما أوضحت دور النديم فى التشجيع على انشاء « جمعية الشبان بالاسكندرية » لتكون ركيزة من ركائز الثورة .

الفصل الثالث :

« النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى » وقد تناولت فيـه مذبحة الاسكندرية والاتهامات التى وجهت الى النديم بتدبيرها، وحريق الاسكندرية وملابساته ، ثم دور النديم أثناء المعـارك بين العرابيين والانجليز وكيفية مواجهته للهزيمة .

الفصل الرابع:

« عبد الله النديم فى أعقاب الثورة » وقد تحدثت فيـه عن دخول القوات الانجليزية القاهرة ، وامتلاء السجون بالثوار وانتشار روح الاستكانة والنفاق والقبض على كل قادة الثورة العرابيـة فيما عـدا النديم الذى ظل مختفيا عن أعين الحكومة ما يقرب من عشر سنوات ،

وذكرت أسماء القرى التى اختفى بهـا والرجال الذين آووه مسـتندا فى ذلك الى (وثائق مجلس الوزراء ـ نظارة الداخلية) ، وخاصـة المذكرة المقدمة من وكيل الداخلية لمجلس النظار فى هـذا الأمر كمـا تحدثت عما تعرض له النديم من محن أثناء الاختفاء والجهـاز الذى أشرف على اختفائه وطريقة تغلب النـديم على الفراغ وذلك بالكتابة والتأليف حتى القبض عليه ثم ختمت هـذا الفصل بتحليل العوامل التى ساعدت النديم على الاختفاء .

أما الباب الثانى فعنوانه « النديم وبعث الحركة الوطنية » وقد قسمته الى فصلين هما :

الفصل الخامس :

« النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » وقد تناولت فيه عفو الخديو عباس الثانى عن النـديم والسماح له بالعودة الى مصر ومزاولته مهمة الكفاح مرة أخرى حيث لم يهدأ له قلم فأصدر مجـلة « الأستاذ » كما تحدثت فيـه عن موقفه من الأزمات بين الخـديو والاحتلال ثم احساس المحتلين بخطورته ، ومطالبتهم بنفيه مرة ثانية وتخلى الخديو عنـه .

الفصل السادس :

« النديم ومصطفى كامل » وتحدثت فيه عن دروس الوطنيـة التى لقنها النديم لمصطفى كامل ثم أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى والخطابى والوطنى وأوجه الخلاف بينهما .

والباب الثالث تحت عنوان « مصر فى مفهوم النديم السياسى » وقد قسمته الى فصلين هما :

الفصل السابع :

« النديم بين الجامعة الاسلامية والقومية المصرية » وقد أبرزت فيـه مواقف النديم من الدولة العثمانية وتفضيله للوطنيـة المصرية

عن الولاء المطلق للسلطنة العثمانية وفكرته عن الجامعة الشرقية بدلاً من الجامعة الاسلامية ثم الفترة التى قضاها بمنفاه بالاستانة ولقاءه بأستاذه الأفغانى هناك ثم المبارزة الفكرية بين النديم وأبى الهدى الصيادى •

الفصل الثامن :

« فكر النديم السياسى » وقد تحدثت فيه عن فكرة القومية ومبدأ مصر للمصريين والوحدة الوطنية والديمقراطية والرأى العام وفكرة الجمهورية ، وكيف استطاع النديم نشر هذه الأفكار والآراء بين أكبر عدد ممكن من أبناء وطنه •

أما الباب الرابع فعنوانه « النديم وحركة الاصلاح الاجتماعى والثقافى » وقد قسمته الى ثلاثة فصول هى :

الفصل التاسع :

« النديم والاصلاح الاجتماعى » وقد قسمته الى أربعة أقسام تناولت القسم الأول موقف النديم من آفات المجتمع المصرى المتمثلة فى أساليب مشايخ الطرق والشعوذة والمشعوذين والاحتيال والكذب والخرافات والبدع التى تسمم بها النساء العجائز أفكار الشابات من النساء مثل الندب والصراخ خلف الميت والجلوس فوق المقابر وبدعتى (الزار) و (شحذ الشحاذ) ومضار الاسراف سواء فى الأفراح أو المآتم وعلة الطلاق والتكاسل والتواكل ثم تحذيره من الاندفاع فى تقليد الأوربيين ومحاكاتهم دون وعى وحديثه عن مضار الخمر والقمار والدعارة •

والقسم الثانى كان عن فهم النديم للعدالة الاجتماعية ومهاجمته للأغنياء الذين يستعبدون الفقراء ومطالبته بالمساواة حتى يتقدم المجتمع •

والقسم الثالث تناول فكر النـديم عن انشاء الجمعيات الخيرية لمساعدة وتعليم أبنـاء الفقراء وترجمة فكرته من النظرية الى التطبيق بانشاء « الجمعية الخيرية الاسلامية » ثم تشجيعه انشـاء الجمعيات الأخرى مثل الجمعية الخيرية القبطية وجمعيات (شبراخيت) و (ميت غمـر) و (الصنائع والفنون الخـيرية بالمنصـورة) ثم (التوفيق الخيرى) •

أما القسم الرابع فقد اشتمل على أفكار النـديم عن اصـلاح المهن والحرف وتناولت فيـه حديث النـديم عن تنظيم مهنة المحاماة وفكره عن اصلاح أحوال الصناعة والصـناع ثم حديثه عن الفـلاح وضرورة اصلاح أحواله ، وبينت أن هدف النديم من نقد مجتمعه كان الاصلاح وتهذيب الشعب وتقدم البـلاد ، وقد كان نقده لاذعا ومؤلما لم يتملق فيه أحدا بل استخدم أسلوب التبكيت لايقاظ وانهاض الهمم لأن الاصلاح لا يتأتى الا من فهم الناس لأخطائهم وتوضيح الأسباب التي تؤدى الى اصلاحها •

الفصل العاشر :

« النديم وثقافة عصره » وتحدثت فيه عن فكر النديم عن اصلاح التعليم بشقيه المدنى المتمثل فى المدارس والدينى المتمثل فى الأزهـر كما بينت دفاع النـديم عن اللغـة العربيـة وتصديه لكل من حاول المساس بهـا •

الفصل الحادى عشر :

« أساليب النديم فى العمل الوطنى » وقد درست فيه أساليب النديم فى العمل العلنى حيث الخطابة والصحافة والمسرح •

وقد أتبعت ذلك الفصل بدراسة عن وفاة النـديم فى الاستانة ووجهات النظر المختلفة فى تحديد تاريخ وفاته وحسم ذلك بعد العثور

على مكاتبة واردة من الاستانة موجودة بملف خدمة عبد الله النــديم بدار المحفوظات العمومية تحدد تاريخ وفاته •

وأخــيرا أوضحت فى خاتمــة البحث أهم ما توصلت اليــه من نتــائج •

أما عن المراجع التى اعتمدت عليها فى كتابة هــذا البحث فقــد تضمنت مجموعة من الوثائق العربيــة والأجنبية ونخص بالذكــر دار الوثائق القومية بالقلعة •

فقد اطلعت فى دار الوثائق القومية بالقلعة على محــافظ الثورة العرابية وسجلاتها ومحافظ مجلس الوزراء نظارات الداخلية والحربية والمعارف والحقانيــة ثم محافظ مجلس النظــار والجمعية العموميــة ومجلس شورى القوانين ودواوين المعية السنية عربى صــادر ووارد وديوان خديو والأوراق الخاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى ومجموعة برودلى الخاصة بمحاكمات العرابيين والموجودة فى ثلاثة مجلدات تحت عنــوان :

A. M. Broadley

The Trial Exile and Pardon of Arabi Pascha. 1882 - 1902. 3 Vols.

وهى مجمــوعة من الوثائق المنشورة وغير المنشــورة قام المستر برودلى محامى العرابيين بتجميعها وتنظيمها •

بالاضــافة الى محــافظ الأبحــاث وخصوصا المحفظة (١١٦) والموجود بها ملف ثابت باشا « الذى يمثل وجهة النظر العثمانية تجاه الثورة العرابية » •

ثم التقارير وأوراق الخديوية الموجودة بمكتبة دار الوثائق عن الثورة العرابية •

هــذا بالاضافة الى المذكــرات الشخصية التى كتبهــا بعض من عاصروا تلك الفترة أو اشتركوا فى أحداثها ولم تنشر [١] مثل مذكرات (ابراهيم الهلباوى) و (محمــد فريد) و محمــد على علوبة) و (مصطفى ياور) الى جانب وثائق الحكومة النمسوية عن المســألة المصرية .

وأفدت من وثائق (دار المحفوظات العمومية) خاصــة (وثائق الداخلية) و (غفر السواحل) و (الشياخات) وملفات خدمة وأذون ربط المعاشات الخاصــة بكل من (عبد الله النديم) و (الشيخ محمد عبــده) و (الشيخ محمــد الانبابى) شيخ الجامع الأزهر و (عثمان رفقى) و (أحمد عرابى ورفاقه) و (عمر باشــا لطفى) وهذه الملفات حافلة بالمــادة التاريخية التى تصور حياة كل منهم الوظيفية بالاضافة الى مؤهلاته وظروفه وممتلكاته عدا ملف عبد الله النديم الذى يمكن أن نسميه ملفا سياسيا وليس ملفا وظيفيا حيث أنه خاص بالمعــاش الشهرى الذى رتبته الحكومة المصرية له بعد مغادرته للبلاد واشترطت عليه ألا يكتب شيئا عن مصر لا سياسيا ولا أدبيا .

ذلك الى جانب وثائق وزارة الخارجية البريطانية .F. O المصورة من دار الوثائق العــامة بلندن .Public Record Office وكذلك الكتب الزرقاء «Blue Books» والخاصة بفترة البحث .

كما رجعنا الى مخطوطة (أحمد عرابى) المعروفة باسم (كشف الســتار عن سر الأسرار) والموجــودة بدار الــكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢ ، وغير ذلك من المراجع العديدة المطبوعة سواء العربيــة أو الافرنجية والدوريات التى صدرت فى ذلك الوقت والتى تخــدم فترة البحث ، وقــد اعتمدنا على هــذه المراجع فى ابراز وجهات النظر المختلفة وتحليلها ولم نخص وجهة نظر معينة عن أخرى .

---

(١) يستثنى من ذلك مذكرات محمد فريد التى نشرتها الهيئــة العامة للكتاب .

والجدير بالذكر أن هذا البحث مدين بالكثير من الجهود المخلصة التى قدمها أصحابها بلا حدود وأول ما يذكر فى هـذا المقـام أعضاء سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس حيث أن هـذا الموضـوع قد عرض فى السمنار أكثر من مرة ، ومن خلاصة المناقشات والأفكار التى قدمها الأساتذة والزملاء الباحثون ظهرت موضوعاتكثيرة أفادتنى فى اتمام هذا الموضوع • كما أود أن أقدم شكرى وعرفانى بالجميل لكل من مد لى يد العون والمساعدة أثناء عملى بالبحث وأخص بالذكر الدكتور سمير محمد طه مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بسوهاج الذى أعارنى الوثائق البريطانية التى أفادتنى بالكثير من جوانب البحث كما أشكر الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن أستاذ التاريخالحديث المساعد، كلية الانسانيات جامعـة الأزهـر فرع البنات والمعار حاليا لجامعة قطر، والدكتور عادل غنيم مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس والمعار حاليا لجامعة قطر ، لمـا قدماه لى من مسـاعدات علمية مخلصة وأشكر أيضا الأستاذ عبد العليم عبد الفتـاح المدرس الأول للغة العربية بدار المعلمين بالدقى ، ويوسف أمين غبريال موجه المكتبات بمديرية الجيزة التعليمية لمـا قدماه لى من مساعدات قيمـة أعانتنى فى اتمـام هـذا البحث •

أما أساتذتى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، والدكتور محمد أنيس ، والدكتور عبد العزيز سليمان نوار فقد كان لتوجيهاتهم أكبر الأثر فى توضيح ما غمض على من مسائل ، وفى تذليل الصعوبات التى اعترضتنى أثناء عملى بالبحث كما كان لآرائهم السـديدة أكبر الأثر أيضا فى اخراج هـذا البحث على هذه الصورة •

وانى لآمل أن أكون قد وفقت فى اضافة شىء جديد لخدمة البحث التاريخى ولخدمة مصرنا العزيزة •

والله ولى التوفيـق •

الباب الأول

النديم والثورة العرابية

الفصل الأول : الفكر الثورى فى مصر وظهور النديم .

الفصل الثانى : دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية عند نشوب الثورة العرابيـــة .

الفصل الثالث : النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى .

الفصل الرابع : عبد الله النديم فى أعقاب الثورة .

الفصل الأول

الفكر الثورى فى مصر وظهور النديم

- عصر النـــديم .
- نشأة النديم ومصادر ثقافته .
- أثر الأفغانى فى التكوين الثورى للنديم .
- النديم والعمل السياسى قبل قيام الثورة العرابية .

عصر النـــديم

مرت مصر بفترات من القوة وأخـــرى من الضعف ، وكانت فى الحالتين مصدرا للحياة الفكرية ولم يأت عصر اسماعيل [١] حتى كانت مصر قد خطت خطوات كبيرة فى ميدان الحضـــارة الحديثة وازدادت صلتها بأوربا خاصة بعد افتتاح قناة السويس[٢] حيث نزل اليها الكثير من الأوربيين مستغلين امكانياتها وظروف الضائقة المـــالية التى حاقت بالبلاد على أمل تكوين ثروات ضخمة من وراء القروض التى يقدمونها للحكومة ويستردونهـــا أرباحا مضـــاعفة [٣] ، وشـــاركوا فى حياتهـــا الاقتصادية والثقافية وشاركهم فى هـــذا بعض الشوام الذين تخرجوا من المدارس الأجنبية وضاقوا ذرعا اما بالحكم العثمانى ــ وخصوصا بعد مذابح ١٨٦٠ حيث أخذ النفور يزداد بينهم منه ــ واما نتيجـــة لظروفهم الاقتصادية فأسهموا فى النهضة الصحفية والأدبية فى البلاد وتصادف أن نزل الى مصر فى ذلك الوقت [٤] المصلح الدينى والزعيم

---

(١) اسماعيل باشا هو ابن اخ سعيد وابن ابراهيم .

(٢) عن الاستعدادات والدعوات التى أرسلت بهذه المناسبة . انظر :

L'Egypte : 18 Octobre 1869.

(3) Edward Dicey : The story of the Khedivate London 1902.

ولمزيد من التفاصيل انظر : جون مارلو : تاريخ النهب الاســـتعمارى ترجمة الدكتور عبد العظيم رمضان . القاهرة . الهيئة المصرية العـــامة للكتاب ١٩٧٦ ، ص ١٥٧

(٤) اقام الأفغانى فى مصر مرتين الأولى فى اواخر عام ١٨٦٩ فأقام فيها نحوا من اربعين يوما ، والثانية فى مارس ١٨٧١ وحتى سنة ١٨٧٩ . وازيد من التفاصيل عن دخول الأفغانى الى مصر أنظر :

اديب اسحق : الدرر ــ وهى منتخبات اديب اسحق (جمعها عونى اسحق) الاسكندرية . مطبعة الآداب ١٩٠٥ . الجزء الثانى ، ص ١١٧ ، وايضا جريدة المحروسة العدد ١٢٩٦ فى ١٧ أبريل ١٨٨٦ تحت عنـــوان منتخبات الصديق الطيب الذكر اديب اسحق .

السياسى جمال الدين الأفغانى ، وهو يحمل بين جنباته أفكاره للنهوض بالاسلام والمسلمين ، والوقوف فى وجه الاستعمار والمستعمرين فى وقت كانت جذوة الوطنية تتقد فى نفوس المصريين و « مستعدة عند أول دعوة لتلبية نداء الحرية والثورة » (٥) فأمدها الأفغانى بآرائه وكان مجيئه فاتحة عهد عظيم فى يقظتها ، وفى اعطاء دفعة الى قادتها وزعماء الاصلاح فيها اذ اجتهد فى نشر المبادىء الوطنية بينهم (٦) ، وأخذ يبث فى النفوس روح الشهامة والاعتزاز بالنفس ، ومحاربة روح الذل والاستكانة (٧) ، وشجعهم على الكتابة فى الصحف لأنها أقرب الى عقول العامة ، وأكثر وقعا فى نفوسهم وأشد تحريكا لشعورهم (٨) كما دفعهم الى انشاء بعض الصحف «حيث أنه لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقوم اذا لم يقم منهم أساطين تحمى وتحيى آثار تاريخ رجالها ، فتعمل عملهم وتنسج على منوالهم (٩) » .

وسرعان ما أخذت الصحف السياسية طريقها الى الظهور نتيجة لتشجيعه فأخرج يعقوب صنوع جريدة « أبو نظارة زرقا » التى تعتبر أول جريدة سياسية هزلية ظهرت فى مصر (١٠) ، وكان يحررها بالعامية

---

(٥) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة — مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٤٩ ، ص ٧٦

(٦) يوسف نعمان معلوف: خزانة الأيام فىتراجم العظام . نيويورك مطبعة جريدة الأيام ١٨٩٩ ، ص ٢٠٥

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، ج ١ ، القاهرة . النهضة المصرية — الطبعة الثانية ١٩٤٨ ، ص ١٥٩

(٨) د. محمد قاسم : جمال الدين الأفغانى . حياته وفلسفته . القاهرة — الأنجلو المصرية ، ص ٢٦

(٩) محمد باشا المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى. بيروت ، المطبعة العلمية ١٩٣١ ، ص ١٣٨

(١٠) قسطاكى الياس عطارة : تاريخ الصحف المصرية . الاسكندرية مطبعة التقدم ١٩٢٨ ، ص ٢٨٥ ، د. ابراهيم عبده : أبو نظارة ، امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر ١٨٣٩ — ١٩١٢ — القاهرة — مكتبة الآداب بالجماميز . الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ١٠ — ١٤.

ويضمنها تنديدا بسياسة الخديو اسماعيل وحاشيته كما انتقد فيهـا تصرفات الحكومة ونبه الجمهور [١١] الى حقوقه بصورة فكهة جذابة لاءمت روح العصر[١٢] فأحرزت شعبية واسعة ممـا دفع اسماعيـل الى الاحساس بخطر الصحيفة فصادرها ونفى صاحبها من مصر فذهب الى باريس وحررها من هنـاك وأرسل منها نسخا الى مصر ، كمـا شجع الأفغانى «ميخائيل عبد السيد » على انشاء صحيفة تنطق بلسان الوطنيين وتنتقد سياسة الخـديو اسماعيل صراحـة فأنشـأ جريدة « الوطن[١٣] » وكانت ذات طابع سياسى وأدبى كما عهـد الى أديب اسحق بعـد أن ارتبط به ارتباطا وثيقا بأن ينشىء «جريدة مصر[١٤]»،

---

(١١) اول ظهور هـذه الكلمة فى مصر كان فى كتابات عبد الرحمن الجبرتى عند حديثه عن الزعامة الشعبية وتولية محمد على .

انظر : عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣٢٩

(١٢) احمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى . القاهرة — مطبعة مصر ١٩٤١ ، ص ٣٢٦ ، د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤

(١٣) جريدة سياسية اسبوعية اصدرها بالقاهرة ميخائيل عبد السيد وتقلب عليها أيدى شتى .

قسطاكى الياس عطاره : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥٨

(١٤) جريدة سياسية أسبوعية صدرت اول امرها فى القـاهرة ثم انتقلت فيما بعد الى الاسكندرية .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨

وقد لاقت هـذه الصحيفة اقبالا عظيما ، وكان لها دور واضح فى شرح المبادىء الوطنية .

اديب اسحق : منتخبات اديب اسحق ، جـ ١ (المقدمة) .

والجدير بالذكر ان جمال الدين الافغانى كتب فى هـذه الجريدة بعض المقالات تحت اسم مستعار وهو « مظهرين وضاح » كما كتب فيهـا ايضا بعض المقالات باسمه الحقيقى منها « الحكومات الشرقة وأنواعها » و « روح البيـان فى الانجليز والأفغان » فصارت تلك الجريدة شيئا مذكورا .

سليم عنحورى : سحر هاروت . دمشق — المطبعة الحنفية ، الطبعة الأولى ١٨٨٥ ، ص ١٧٩ — ١٨٠

وكان ذلك عام ١٨٧٧ ، ولما وجد أن الاسكندرية كانت تسبق القاهرة فى مصادر الأخبار طلب منه أن ينتقل اليها • كما طالب منه أيضا أن يسهم مع سليم النقاش فى اصدار جريدة « التجارة » فصدرت فى عام ١٨٧٩ ولقيت رواجا شديدا حيث لفتت اليها الأنظار بروحها الجديدة(١٥) ونتيجة لتشجيعه أيضا أسس سليم وبشارة تقلا الأهرام(١٦) وسليم الحموى « الكوكب الشرقى(١٧) » كما أسس سليم عنحورى « مرآة الشرق » عام ١٨٧٩(١٨) ثم ظهرت بعد ذلك جرائد

---

(١٥) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص ٦٨ — ٦٩ ويذكر « الكسندر » أن الحرية التى منحت للصحف الوطنية . فى تلك الفترة اعطت للوطنيين الفرص المتعددة لتوضيح المظالم التى يشعرون بها ولنشر مطالبهم الوطنية .

Alexander : The Truth about Egypt. Cassell 1911 p. 13.

(١٦) صدر العدد الأول من الأهرام فى ٢١ ديسمبر ١٨٧٥ بالاسكندرية وكانت فى أول ظهورها اسبوعية ثم تحولت الى جريدة يومية وتعتبر هذه الجريدة من اقدم الصحف السياسية فى مصر .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ، وايضا قلينى فهمى : خلاصة الحوادث فى عهود الخديو اسماعيل والسلطان حسين والملك فؤاد الجزء الثانى ، القاهرة — مطبعة مصر ١٩٣٤ ، ص ٢٩

(١٧) صدر العدد الأول منها فى ٦ اغسطس ١٨٧٣ ، وكانت أول جريدة عربية تصدر بالاسكندرية ، وسليم الحموى هو أحد السوريين الذين وفدوا الى مصر .

عبد العليم القبانى : نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية ١٨٧٣ — ١٨٨٢ القاهرة — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٠

قسطاكى الياس : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥٧

(١٨) جريدة سياسية علمية أدبية ، كانت تصدر فى القاهرة يومى الأربعاء والسبت من كل اسبوع لصاحبها سليم عنحورى بك الدمشقى ومديرها ابراهيم نحاس ، ومحررها ابراهيم اللقانى .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ، جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، ج ٢ . القاهرة — مطبعة الهلال ١٩٢٢ ، ص ٧٠

(المحروســة[١٩]) و (العصر الجديد[٢٠] ثم (التنكيت والتبكيت[٢١])•

وقد كانت هذه الصحف تصور عواطف المصريين السياسية وتنادى باصلاح الادارة الحكومية وقد وقف الأفغانى وراءها يغذيها بالثورة فتأثر الصحفيون بتعاليمه وكتبوا فى صحفهم على هدى من آرائه [٢٢] فكان من أوائل العاملين على تطور الروح الوطنية فى البلاد ، ونسب اليه بحق الدور التاريخى « لأبى القومية[٢٣] » ، وقد أرتبطت هــذه الصحف بالحركة الوطنية ارتباطا تاما بحيث يصعب التأريخ للحيــاة السياسية فى ذلك الوقت دون الرجوع للصحافة •

لقد اقترنت العواطف السياسية المتأججة فى نفوس المصريين فى تلك الفترة بعاطفة دينية تهدف الى الاصــلاح الدينى وتنقية الدين مما ألم به من خرافات ، وعلى هــذا النحو تطــرق الكتاب فى عصر اسماعيل الى موضــوعات سياسية ودينيــة واجتماعية استمدوها من عواطف الشعب بحيث يمكن القول بأن القومية المصرية ظهرت فى أول أمرها على أسس دينية •

---

(١٩) جريدة سياسية تجارية كانت تصدر يوميا ما عدا يومى الخميس والأحد بالاسكندرية لصاحبها سليم نقاش •
قسطاكى الياس : نفسه ، ص ٢٥٩

(٢٠) جريدة سياسية اسبوعية صدرت بالاسكندرية •
انظر : قسطاكى الياس ، ص ٢٥٩

(٢١) « صحيفة وطنية أسبوعية ادبية هزلية » صدر العدد الأول منها فى يوم الأحد ٦ يونيو سنة ١٨٨١ — طبعت « فى مطبعة جريدتى المحروسة والعصر الجديد فى الاسكندرية » — صاحبها ومحررها عبد الله نديم •
التنكيت والتبكيت : العدد الأول — السنة الاولى فى ٦ يونيو ١٨٨١

(٢٢) عبد المنعم تليمه : الشعر السياسى فى مصر من ثورة عرابى الى الحرب الأولى • رسالة دكتوراه غير منشورة • نوقشت بقسم اللغــة العربية بجامعة القاهرة ، ص ٣٣٢

(٢٣) عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده • القاهرة النهضة المصرية ٥٥ ، ص ٢٢

لقد كانت أحوال مصر في تلك الفترة من عصر الخديو اسماعيل أبعد ما تكون عن الاستقرار لتعقد مركزها الدولى[٢٤] من ناحية ، ولاختلال وارتباك أمورها من ناحية أخرى[٢٥] حيث تفاقمت الأزمة المالية[٢٦] واتخذت شكلا سياسيا بسبب اسراف الخديو اسماعيل المتزايد وانفاقه مبالغ طائلة سواء في مشروعاته وبذخه أو لارضاء الدول الأوربية والسلطان كما تحملت الخزائن المصرية نفقات باهظة في سبيل تسوية النزاع الخاص بمشروع القناة[٢٧] ومحاولات الخديو اسماعيل ارضاء السلطان ورشوة رجاله[٢٨] مقابل فرمان تصدره تركيا

---

(٢٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه . القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٥٢ ، ص ٨ ، ويذكر ديسى انه حتى اذا لم يتواجد اسماعيل وعرابى فان مصر ما كانت تستطيع الاحتفاظ باستقلالها الى وقت غير محدود .
Dicey : op. cit., p. 515.

(٢٥) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٣٤ مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢ ، ملكية عريان: مركز مصر الاقتصادى. القاهرة — مطبعة رعمسيس ١٩٢٣ ، ص ٥ ، ٦

ويتضح من محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى أن الخديو كان يتوق الى مساعدة حكومة جلالة الملكة بأن ترسل الحكومة البريطانية وكيلا لها لفحص المالية المصرية .

Hansard's Parliamentary Debates, 3 RD Series vol. 231, 28 July 1876 p. 635.

(٢٦) العدد ١٤ فى ٣ اكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « المالية المصرية » والعدد ١٨ فى ٣١ اكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « فرنسا وانجلترا فى مصر » .

(٢٧) للتفاصيل انظر : انجلو سامارکو : الحقيقة فى مسألة قناة السويس ترجمة طه فوزى . القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٨٤ — ٨٦ ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس ١٩٥٧ ، ص ١٤٩ مقال للدكتور عبد العزيز الشناوى .

تحت عنوان : » ما تكلفته مصر فى انشاء قناة السويس « .

(٢٨) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : الخديو اسماعيل وعلاقته بالباب العالى . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٧ ، ص ١٣٠

بتعديل فرمان الوراثة (٢٩) ومنحه لقب خديو (٣٠) ليكون متميزا عن ولاة الدولة العثمانية الكثيرين(٣١) ، كما أنفق على « حفلاتِ افتتاح القنــاة مليونا وأربعمائة ألف جنيه(٣٢) » .

زد على ذلك فشل مشروعاته الاقتصــادية بعــد توقف الحرب

---

(٢٩) يذكر قلينى فهمى ان اسماعيل تودد الى تركيا « لاتقــاء شر اخيه من ابيه مصطفى فاضل وعمه عبد الحليم » ، انظر : مذكرات قلينى فهمى باشا . الجزء الثانى ، ص ٨ وعن تعديل فرمان الوراثة : انظــر : الجزء الخامس من كنز الرغائب فى منتخبــات الجوائب ، ص ٧٩ تحت عنوان « حصر حكومة مصر الجليلة فى ذرية الخديو اسماعيل بعــد أن كانت تقلد للأكبر من ذرية جده المرحوم محمد على » .

وعن المؤامرة التى دبرها البرنس حليم باشا لمعارضة مبدأ الوراثة للابن الأكبر :

Douin : Histoire Du Régne Du Khedive Ismail Société Royale De Geographie D'Egypte, Le Caire. 1933. Tome, 2. p. 89.

(٣٠) كلمة فارسية تعنى السيد أو الولى أو الحاكم وهو اللقب الذى حمله نائبو السلطان فى مصر من أسلافه وخلفائه ، وقد منحه الباب العالى ذلك اللقب لا لنفسه فحسب بل لمن يورثه من ورثتــه المبــاشرين جريدة المصرى : العدد ٤٧٩٣ فى اول ابريل ١٩٥١

(٣١) يتضح من مذكرة أرسلها الخديو اسماعيل الى نوبار باشا مدى اعتزازه بلقب الخديوية وافتخاره به حيث يقول : « ان لقب خديو مصر .. سوف لا يستعمل ، ولا يطلق على احد من وزراء الدولة العلية وموظفيها الآخرين ويبقى لفظا خاصا بمصر ومنحصرا فيها .. كما انى لا اريد ايضا لقب الباشوية واكتفى بلقب اسماعيل خديو مصر » دار لاوثائق القومية — محافظ أبحاث . محفظة ١٠٦ تراجم نوبار باشا . نمرة ٣٢ عابدين .

(٣٢) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجــلد السادس ١٩٥٧ مقال الدكتور عبد العزيز الشناوى السابق الذكر ، ص ١٥٣

ولمزيد من التفاصيل انظر :

Le Progrés Egyptien : 19 Novembre 1869.

الأهلية الأمريكية[٣٣] ، وانخفــاض أســعار القطن وما واكب ذلك من انتشار حالات الافلاس فاضطر الى أن يستدين بشروط باهظة [٣٤]، ففتح الباب على مصراعيه للأجانب وعقد قروضا فاحشــة مع البيوت المــالية الأجنبية[٣٥] مما أدى الى زيادة : التدخل الأوربى فى شئون البلاد الداخلية ، وخصوصا بعد أن وافق على تأسيس صندوق الدين والمراقبة الثنائية [٣٦] ، وعلى أن يشترك فى الوزارة التى ألفها نوبار عام ١٨٧٨ [٣٧] وزيران أوربيان انجليزى للمــالية ، وفرنسى للأشغال كما انتشرت عمليات التهريب التى يقوم بها الأجانب بصورة كبيرة [٣٨]

---

(٣٣) مليكة عريان : المرجع السابق الذكر ، ص ٦

(٣٤) احمد شفيق : حوليات مصر السياسية . القاهرة ـــ مطبعــة شفيق باشا ١٩٢٦ ، الجزء الأول ، ص ٩

وقد بلغت الديون فى اواخر عهده ٠٠٠ر٠٠٠ر٩١ جنيه تقريبا .

Dicey : op. cit., p. 71.

بينما كانت فى اواخر عهد سعيد ٠٠٠ر٢٩٣ر٣ جنيه .

للتفاصيل انظر :

Cromer : Modern Egypt vol. 1, p. 11.

(35) Farman, E. E. Egypt and its Betrayal. U. S. A. 1908.
Dicey : op. cit., p. 71.

وايضا دافيد لاندز . بنوك وباشوات ـــ ترجمة الدكتور عبــد العظيم انيس . القاهرة ـــ دار المعارف .

(٣٦) للتفاصيل انظر : محمد احمد خلف الله : عبد الله النــديم ومذكراته السياسية . القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٥٦ ، ص ٣٨

(٣٧) جريدة مصر : العدد العاشر فى ٥ سبتمبر ١٨٧٨

(٣٨) للتفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات دفتر كوبيا عموم خفر السواحل ـــ صفحات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩١ ، ٩٥ وما بعدها .

مما ساعد على خراب البلاد وفساد أحوالها [٣٩] حيث ساءت أحوال الناس خصوصا الفلاحين واشتد الظلم فى جمع الضرائب [٤٠] نتيجة للتصرف المطلق للخديو وسياسته التى تعتمد على الحكم الشخصى وتصميمه على أن يكون « أفدينا » الآمر فى أرواح وممتلكات جميع الرعايا[٤١] ، وقد تحدث الأفغانى عن أسباب سوء أحوال مصر فقال : ان ذلك يرجع الى عدم التدبر فى العواقب وعدم وجود الناصحين المخلصين فى الادارة وعدم جرأتهم . ووقوع الحكومة فى الورطات واشرافها على الهلاك .. وفرض الضرائب الجديدة على الرعية .. وعدم وجود حد لتصرفات الحكومة . كما كانت الضرائب غير مقننة ولا مقيدة بالدفاتر .. وباع الناس محصولاتهم بأبخس الأثمان .. مما أدى الى خراب البلاد وفقر العباد .. وعجز الحكومة وسقوط

---

(٣٩) دار الوثائق القومية : أوراق خاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى .

(٤٠) صور جيمس صنوعة الفلاح المصرى ببقرة سقيمة نضب لبنها، وصور الخديو اسماعيل بفرعون مصر ، ورسم وادى النيل على شكل اشجار افرعها ناشفة والفلاحين عرايا والجلد على العظم .

ابى نظارة زرقاء . العدد ٢٧ فى ١١ نوفمبر ١٨٧٩ ، محمد رشيد رضا المنار . الجزء الحادى عشر — المجلد الثامن فى ٢ اغسطس ١٩٠٥، ولمزيد من التفاصيل انظر : اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته مقال للأستاذ حسين كامل سليم بعنوان « الخديو اسماعيل وحالة مصر المالية ، ص ١٣١ ، وايضا الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال للشيخ « محمد عبده » تحت عنوان « حب الفقر او سفه الفلاح » وقد احصى « يوسف نحاس » الضرائب التى كان يدفعها الأهالى فى تلك الفترة بسبع عشرة ضريبة غير ما كانوا يودعونه للمشايخ .

انظر الفلاح : حالته الاقتصادية والاجتماعية . القاهرة — مطبعة المقتطف ١٩٢٦ ، ص ١٦

وايضا د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٦

(41) Dicey : op cit., p. 148.

أعتبارها لدى الدائنين [٤٢] وقد بلغ البؤس بالفلاحين أن كانوا ينزلون عن أطيـانهم فرارا من الضرائب المتوالية الرسمية ، وغير الرسمية •

ونتيجة لافلاس خزائن الحكومة حرم الموظفون من قبض مرتباتهم ثمانية عشر شهرا [٤٣] •

كما أحيل ألفان وخمسون ضابطا الى الاستيداع توفيرا فى النفقات مما أدى الى قيـام مظـاهرة فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ سارت الى وزارة المـالية يتقدمها البكباشى لطيف سليم تربصت بنوبار باشا وويلسون عند خروجهما من نظـارة المـالية حيث قابلهما المتظـاهرون بالاهانة والاعتداء ثم القبض عليهما وسجنهما [٤٤] فى مبنى النظـارة [٤٥] ، ولولا تدخل الخديو فى الوقت المناسب لتفاقمت الأزمة [٤٦] •

---

(٤٢) دار الوثائق القوميـة : اوراق تتعلق بالسـيد جمـال الدين الأفغـانى •

(٤٣) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ — القاهرة — مطبعة مصر • الطبعة الأولى ١٩٣٤ ، ص ٢٩

ولمزيد من التفاصيل انظر : الجوائب • السنة التاسعة عشر • فى ٢٠ مارس ١٨٧٩ تحت عنوان « عرض من الضباط ومستخدمى الجهـادية لمقـام مجلس النظار » •

(٤٤) جـورج يانج : تاريخ مصر فى عهد المماليك الى نهـاية حكم اسماعيل • ترجمة احمد على شكرى • القاهرة • المطبعة الرحمانية ١٩٣٤ ص ٥٦٩ ، الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا — المجلد الثانى ، ص ٤٦٨

(٤٥) وزارة المعارف العمومية : اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته • القاهرة — مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ ، ص ١٢٣

(٤٦) اسماعيل الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ — ١٨٧٩ المجلد الثانى • القاهرة • دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ، ص ٤٧٠

نتج عن هــذه المظاهرة سقوط الوزارة الأوربية (٤٧) ، واحساس رجال الجيش بقوتهم فى تسيير الأحداث وقد وضح ذلك فى قيام الثورة العرابيـــة فيما بعد •

لقد اقترف اسماعيل من الأخطاء ما لا يجوز أن تغتفر سيئاته(٤٨) فقد سار وراء الاسراف حتى كان المثل الكامل للتبذير مع عدم الاكتراث بالعواقب (٤٩) وذلك رغبة فى تأمين مشاريعه الخاصة بعد أن أصـــبح أكبر تاجر فى مصر دون النظر الى اقتصاد البـــلاد ومصلحة أهلها (٥٠) ومع أنه اضطر الى بيع أسهم قنـــاة السويس الى الحكومة الانجليزية

=

ويذكر النديم أن للخديو اسماعيل يدآ مباشرة فى تلك المظاهرة حتى يتخلص من الوزارة الأوربية ونوبار . د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٣٩ كما يؤكد ذلك جورج يانج . انظــر : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦٧

وعن وجهات النظر المختلفة ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر سمير محمد طه : احمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٢٤

(٤٧) الياس الأيوبى : المرجع السابق ، ص ٤٧١

(٤٨) روجه لامبلان : فى سبيل الاستقلال (مصر وانجلترا) من عهد محمد على الى عهد الملك فؤاد . ترجمة ميخائيل بشارة . القـــاهرة ـــ مطبعة رعمسيس ١٩٢٣ ، ص ٢٣ وعن وجهة النظر النظر المخالفة لذلك الرأى انظر : بيير كرابيتس : اسماعيل المفترىعليه ترجمة فؤاد صروف ـــ القاهرة ـــ دار النشر الجديث ١٩٣٧ ، ص ٢٥٨ وايضا مقال لمحمود فهمى النقراشى تحت عنوان « مصر فى عهد اسماعيل » ضمن مجموعة مقالات بعنوان « اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته » ص ٦

(49) Milner : England in Egypt. London, 1899, p. 263.

(٥٠) ز. ى. هرشلاغ : مدخل الى التاريخ الاقتصادى الحـــديث للشرق الأوسط . ترجمة مصطفى الحسينى . بيروت . دار الحقيقة ١٩٧٣ ص ١٤٦

عام ١٨٧٥[٥١] مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، وابتدع قانون المقابلة[٥٢] فقد ظلت الأزمة مستحكمة بل ازدادت شدة[٥٣] مما جعل المصريين يحسون بالخطر والتفكير فى ضرورة التخلص من الخديو الذى لا يحسن تصريف أمور البلاد ، ونتيجة للاتصال بين تنظيم الجيش[٥٤] وجمعية حلوان[٥٥] أعلن عن تأليف «حزب خفى من العظماء ، والكبراء

---

(51) Dicey : op. cit. p. 100.

ويذكر فريسنيه أن شراء انجلترا لأسهم القناة كان عملا سياسيا بحتا لأنه سيؤدى الى ابراز سيطرتها على مصر .

De Freycined : La question d'Egypte. Paris, 1904, p. 154.

واكد ذلك مصطفى كامل بقوله « تغيرت امور مصر وتغيرت سياسة الدول نحوها من عام ١٨٧٥ بشراء انجلترا من اسماعيل باشا لأسهم قناة السويس حيث ازداد نفوذ هذه الدولة فى بلادنا العزيزة وصارت منافسة لفرنسا اشد المنافسة » مصطفى كامل — المسئلة الشرقية ص ٢١٥ — القاهرة — مكتبة الآداب — الطبعة الأولى ١٨٩٨

(٥٢) هو ان تنزل الحكومة لملاك الأراضى الزراعية عن نصف الضريبة المفروضة عليهم نزولا دائما على أن يدفعوا له فى اجل معلوم ستة امثال هذه الضريبة . احمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، جـ ١ ، ص ٩

(٥٣) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ، ص ٢٩

(٥٤) جمعية سرية تكونت بين ضباط الجيش فى عام ١٨٧٦ كونها « على الروبى » بعد هزيمة الجيش فى الحرب مع الحبشة ، وكانت هذه الجمعية المحرك للمظاهرة التى حدثت امام نظارة المالية فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ للاحتجاج على احالة ٢٥٠٠ ضابط الى الاستيداع ، الياس الأيوبى : المرجع السابق الذكر . المجلد الثانى ، ص ٤٧٠

(٥٥) جمعية سرية تكونت فى ابريل عام ١٨٧٩ وضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات السياسية الرافضة لسياسة رياض باشا .

والعلمـــاء ، والنبهاء سموا أنفسهم بالحـــزب الوطنى (٥٦) ، وجعلوا

---

(٥٦) قد يؤدى تسمية تلك الهيئة السياسية بالحزب الى لبس كبير لأنه لم يكن حزبا يقابل احزابا أخرى من ابناء البـــلاد تتعارض فى المبادىء والبرامج على النحو الذى نعهده اليوم فى الأحزاب السياسية ، ولكنه فى حقيقته هيئة واحدة شاملة للحركة الوطنية فى جملتها وانما سمى بالحزب ليقابل جمـــاعة الشراكسة والترك والألبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولة العثمانيـــة ، وينفردون بولاية الحكم فى الوظائف الكبيرة ، واكثر الوظائف الصغيرة ، فالحزب الوطنى على هـــذا الاعتبـــار كان هو حزب المصريين الفلاحين او حزب الأمة المصرية .

عباس محمود العقاد : محمد عبده . القـــاهرة ــ وزارة التربيـــة والتعليم ١٩٦٣ ، ص ١٧٨ ويتضح من مذكرة كتبهـــا درويش باشـــا أن الخديو اسماعيل لم يكن مسرورا من هـــذا الحزب ولا من مؤسسه لأنه فهم من تصرفاتهم أنهم يرمون الى طرده وذريته من مصر ، ولكن الشعور المعادى له من جانب الأوربيين جعله يغض النظر عن هذا الحزب .

F. O. 407/22 Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

ويذكر عرابى ان مصر مسكونة باجناس مختلفة ، وكل جنس منهم يعتبر حزب ، كما ان اهل البلاد حزب قائم بذاته يطلق عليه لفظ فلاحين . محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى وكان من ابرز زعماء هـــذا الحزب شريف باشا ، واسماعيل راغب باشا ، وعمر لطفى باشا ، وسلطان باشا .

عبد الرحمن الرافعى : احمد عرابى الزعيم الثائر ، ص ٢٣

كما التف حوله حسن الشريعى مدير المنيـــا ، وسليمان اباظه مدير الشرقيـــة .

Landau : Parliaments and Parties in Egypt. New York. 1954 p. 87.

ويتحفظ الدكتور على الدين هلال فى اطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى على ذلك الحزب الذى يشار اليه عادة على انه اول حزب فى مصر حيث أنه كان فى حقيقة الأمر اقرب ما يكون الى جبهة وطنية ذات اهداف عامة تعكس الآمال الشعبية فى الاصـــلاح والتقـــدم وافتقـــدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى .

مركزهم فى مدينة حلوان ، ونشروا عدة منشورات أشاروا فيهـا على الحكومة بمراعاة مصلحة البلاد ، وأعلنوا وجود الحزب الوطنى وبيان واجباته ، واظهـار حقوقه ، وأن الحكومة لم تقم برغائب الأمة ثم اعترضوا على الدين الممتاز واختصاصه(٥٧) » •

وفى هـذا الجـو المشوب بالقلق والتوتر ظهـر « عبد الله بن مصباح (٥٨) » والتقطت عيناه مآسي شعبه من تدخل أجنبى فى شئونه

السياسة والحكم فى مصر . القاهرة ـ نهضة الشرق ، ص ٦٦

مع العلم أن الحزب فى المفهوم الليبرالى يعنى جمعية يتم تكوينهـا على أسس معينة ، وعن طريقـه يتم الوصـول الى الحكم بالانتخابات والوسائل الدستورية .

Maciver, R. M. The Modern state. London 1968. p. 369.

(٥٧) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ص ٩٩ — ١٠٠ أ مخطوط . دار الكتب المصرية . رقم ١٥٤٢
وقد تأسس هـذا الحزب فى سنة ١٨٧٩

Landau : op cit., p. 87.

(٥٨) لا توجد كلمة النديم فى الاسم الحقيقى له بل « عبد اللـه بن مصباح بن ابراهيم الحسنى » .

الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ، ص ٥٣٣ فى ٢٢ يناير ١٨٩٣ ، خير الدين الزركلى : الاعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ـ الطبعة الثانيـة اما عن كلمة النديم التى الصقت باسمه فهى كناية عن منادمتـه للأمراء والكبراء فى ذلك الوقت .

أبى الفتح محمود بن الحسين : ادب النديم ، ص ٣ ، ٨

فىحين يذكر الأستاذ «أحمد عطية الله » انه كما جرت عادة الناس فى ذلك الوقت باطلاق اسماء مزدوجـة على ابنائهم من الذكور فان اسـم « عبد الله نديم » هو أسم مزدوج لصاحبه .

احمد عطية الله . سلسلة الاعلام . عبد الله نديم ، ص ١٠

الداخلية الى سوء ادارة الخديو ، وشعب مستضعف يتلقى الضربات أودت به الى الفقر والفاقه .

نشأة النديم ومصادر ثقافته :

ولد عبد الله النديم بالاسكندرية فى عام ١٨٤٣(٥٩) ونشأ فى أسرة كادحة حيث لعب الفقر دوره فى حياته الأولى (٦٠) ، وتآزرت العوامل التى جعلته يشعربآلام شعبه فقد كان والده خبازا يصنع الخبز ويبيعه ويحصل من ذلك على مقدار الحاجة من العيش البسيط هو وأسرته وتربى النديم فى مسكن متواضع فىحارة ضيقة من جوارى حى الجمرك

=

ولكننا نرى ان نشأة والد عبد الله الدنيية ورغبته فى أن يكون ابنه احد شيوخ الدين ربما تتعارض مع اطلاق كلمة النديم ضمن أسماء ابنـــه حيث كانت هـــذه الكلمة تطلق على من يجالس على الشراب انظر : ديوان البارودى ، جـ ١ ، ص ٨٩

كما ان الأصل اللغوى لهذه الكلمة يعنى ذلك .

انظر : لويس معلوف : المنجد فى اللغة . بيروت . الطبعة التاسعة عشر ١٩٦٦ ، ص ٧٩٩

وعموما فانه نظرا لأن الاسم المتداول لهذه الشخصية سـواء فى الوثائق الرسمية او الكتب التاريخية او غيرها هو عبد الله النديم فاننـــا سنذكره بهذا الاسم .

(٥٩) عبد الفتاح نديم : سلالة النديم فى منتخبات السيد عبد اللــه النديم . الجزء الأول . القاهرة ــ مطبعة الجامعة ١٨٩٧ ، ص ٣

فى حين تذكر بعض المؤلفات انه ولد فى عام ١٨٤٥

انظر : نجيب توفيق : عبد الله النديم خطيب الثورة العرابيـــة . القاهرة ــ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٠ ، ص ٣٣ ، د. على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية .

اعلام العرب (٩) المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ص ١٤

(60) Landau : op. cit., p. 97.

القريب من ميناء الاسكندرية ، وأرسله والده الى كتاب الحى لتعلم مبادىء القراءة والكتابة فبرز بين أقرانه ، وظهر نبوغه حيث أعانته موهبته على سرعة الفهم والحفظ « فحفظ القرآن الكريم وأتمه قبل أن يبلغ التاسعة [٦١] » ولما كانت أحوال والده المادية ضعيفة أحجم عن ارساله الى الأزهر ، واستبدل بذلك ارساله الى الجامع الأنور[٦٢] لقربه من منزله وذلك فى عام ١٨٥٥ حيث درس « الفقه والأصول والتوحيد والمنطق والعلوم اللسانية والنحو والصرف [٦٣] » وحضر دروس أكابر الشيوخ كالشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالاسكندرية اذ ذاك ، والشيخ ابراهيم الشافعى ، والشيخ محمد العشرى الذى به انتفع وعليه تخرج [٦٤] ولكنه لم يصبر طويلا على الدراسة فى هذا

---

(٦١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣

(٦٢) انشأ هذا الجامع الشيخ ابراهيم باشا عام ١٨٢٤ ، ورتب له العلماء ، وكانت دروس العلم به لا تنقطع فهو فى الاسكندرية كما يذكر « على مبارك » مثل الأزهر بمصر .

الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . جـ ٧ . القاهرة . المطبعة الأميرية ١٣٠٥ هـ ، ص ٧١

(٦٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣ ، وايضا د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر . القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٥٧ ، ص ٣٥

(٦٤) يتضح من رسالة بعث بها النديم للشيخ محمد العشرى مدى وفائه واخلاصه له حيث قال « ربيت فاحسنت ، وغذيت فاسمنت مؤدبا ليثا ، ولنت فسودت وجدت فعودت ، مهذبا غيثا وعلمت فافهمت واشرت فالهمت ، غرض سهمك ، وقد نلت ما املت ، فيمن عليه عولت . غلامك الشهير بالنديم ، ومن صار فى البيان كالنسيم وكيف لا يكون لسانى قوس البديع ، وكلامى السهم السريع ، وانت باريه وراميه ، أم كيف لا يكون مقامى الحصن المنيع ، وقدرى العزيز الرفيع وانت معليه وبانيه فوجه جمال العلم أنت عزته ، وانسان عين الحلم لنت قوته وكتاب الفضل أنت صورته » .

الجامع حيث أحس بجفافها ، وعقم الطريقة التى تدرس (٦٥) بها فضلا عن رداءة الكتب كما وجـد فى نفسه ميلا واستعدادا لشىء لا يستطيع منه خلاصا ولا عنه انصرافا ، وهو الأدب فخـرج من الجـامع الى الشـارع أو الى الحياة الواقعية فكانت بمثابة الجامعة التى تعـلم منها كثيرا وشاهد فيهـا كثيرا (٦٦) ، واغترف منها ما يشبع مزاجه وهوايته فى الأدب فأحاط بالحياة الشعبية ، وسمع الأمثال والحكايات من شعراء الربابة ونوادر الظرفاء (٦٧) ، كما ارتاد النديم المقاهى(٦٨)

=

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٤ ٣

ويذكر الدكتور على الحديدى ان الذى اكتشف استعدادات النـديم فى قول الزجل وقدرته على نظم الشعر هو الشيخ محمد العشرى فشجعه واصطحبه معه الى ندوات الأدباء بالاسكندرية .

انظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤

(٦٥) ان الأسباب التى دفعت النديم الى الانصراف عن الدراسـة الأزهرية هى نفس الأسباب التى دفعت الشيخ محمد عبـده الى كراهية التعليم الأزهرى فى بداية حياته ، فيذكر الأستاذ « عباس محمود العقاد » ان عقم الطريقة التى تدرس بها العلوم بالأزهر وعـدم اسـتطاعة الفتى محمد عبـده مسايرتها كانا السبب فى كراهيته للتعليم والدروس .

انظر : محمد عبده ، ص ١٠٦

(٦٦) د. عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٥

(٦٧) ان شعراء العامة لم يتعذر عليهم ان ينظموا الملاحم أو يتخللوها بالقصائد الموزونة المقفاه فى القصص المطـولة مثل قصص الزير سـالم والغزوات الهلاليـة واخبار النبى ايوب عليـه السلام وحكايات البطولة والغرام فى اللهجات الدارجة ، وكلها تنظم فى بحور العروض وتلتزم فيها القافيـة ، ويقدر عليها شعراء اميون لم يدرسوا الأدب ، ولم يتعلموا وزن الشعر ، ولم يرجعـوا فى منظـوماتهم وموضوعاتهم الى غير السـليقة والسـماع .

عباس محمود العقاد : اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب .
القاهرة ـــ دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ١٠٦

(٦٨) لم تكن المقاهى فى تلك الفترة اماكن للعبث بل كانت مجتمعـا لأهل الفكر والأدب .

والمنتديات والمجالس الأدبية التى كانت تعقد فى بيوت الأثرياء ، وفى حوانت التجار المحبين للأدب ، يتطارحون الشعر ، وغير ذلك من فنون الأدب كالخطب والرسائل وكانت المحسنات البديعية من سمات الذوق الشائع لدى كتاب ذلك العصر فنزل النديم الى هذه الحلبة وفاق أقرانه وتفوق على أساتذته ، واشتهر أمره [٦٩] حيث برزت قدراته الخطابية والكتابية [٧٠] ، وذاع صيته بالاسكندرية منشدا للشعر ، ومدبجا للرسائل ، وخطيبا فى المجالس ، ولما علم والده بذلك وباهمال ابنه للدراسة وانقطاعه عنها خيره بين الانتظام فى طلب العلم أو تخليه عنه [٧١] مع رفض الانفاق عليه فاختار النديم الأمر الثانى مما اضطره الى البحث عما يسد به رمقه حيث أن مهنة الأدب آنذاك لم تكن تقيم الأود فترك الاسكندرية هائما فى قرى مصر ومدنها ، تارة يجوبها سيرا على الأقدام ، وأخرى يركب القطار .

تعلم النديم صناعة التلغراف ، ولم يكن سنه قد بلغ السابعة عشرة من عمره كى يكتسب رزقه ، وليس كما يذكر أخوه بأنه « تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الأمم فى مخابراتها [٧٢] » .

---

(٦٩) أحمد عطية الله : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤

(٧٠) الهلال : الجزء الحادى عشر — السنة الخامسة فى اول فبراير ١٨٩٧ تحت عنوان « باب اشهر الحوادث واعظم الرجال — عبد الله النديم » ص ٤٠١

(٧١) هذا الموقف قريب الشبه بموقف والد الشيخ محمد عبده من ابنه ، فلما كره محمد عبده التعليم والدرس وأراد الاشتغال بالزراعة رفض والده ذلك وصمم على تعلمه مما جعل محمد عبده يهرب الى بلده بها بعض اقاربه ولولا التقائه بالشيخ درويش خضر خال ابيه الذى حل له عقده النفسية من الأجرومية ما تغير حاله .

أحمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٧٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٤

فالظروف كانت تتطلب البحث عن مصدر للرزق ، وليس الوقوف على أسرار الأمم •

التحق النديم بمركز التلغراف ببنها ولما ظهرت كفاءته نقل الى مكتب القصر العالى الذى كانت تقيم فيه الأميرة « خوشيار خانم » والدة الخديو اسماعيل [٧٣] فعرف النديم حياة القصور ، واستطاع أن يقف على أسرار الخاصة وما بهـا من بذخ ، وقارن بين ما شاهده من هـذه الحياة ، وحياة عامة الشعب وما بها من بؤس وشقاء وفقر ممـا كان له أكبر الأثر فيما بعد على كتاباته •

استقر النديم فى تلك الفترة بالقاهرة حيث تردد على المجالس التى كان يجتمع بها رجال الفكر وعشـاق الأدب ، وهم مزيج منهم الثرى الوجيه والأزهرى المعمم والأفندى المطربش والموظف والتاجر [٧٤] وعن طريق هـذه المجالس تعرف على « أحمد وهبي الطرابيشي [٧٥] »

---

(٧٣) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٣

(٧٤) احمد عطية الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

(٧٥) كان يهوى الأدب والشعر ، وافتتح دكانا للطرابيش بشـارع عابدين تجاه جامع الكخيا بالقاهرة جعل منه منتدى للأدباء والشعراء وكان من المترددين عليه عبد الله النديم •

دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابيـة — محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ . المجموعة الوثائقية . « قضايا المتهمين — عبد الله النـديم صاحب صحيفة الطائف ومحررها » .

كما عمل محررا ثانيا بالوقائع المصرية ، ولكنه فصـل ، واستخدم بنظارة المعارف ولكنه لم يوفق •

احمد تيمور : تراجم إعيـان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر القاهرة . عبد الحميد حنفى ١٩٤٠ ، ص ١٤٤

الذى قدمه الى ست من أشــهر أدباء العصر كان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى وهم محمود سامى البارودى (٧٦) ، وعبد الـلــه باشا

---

(٧٦) ولد فى ٦ اكتوبر ١٨٣٩ ببلدة ايتاى البارود بحيرة ، وتخرج من المدرسة الحربية ايام عباس الأول ، وكان مجلسه بشارع غيط العدة بباب الخلق حافلا يؤمه أعيــان المنشئين والشعراء والمتادبون من طلبــة العلم ، وقد اتصل به النديم وجمع بينهما الشعر والادب كما جمعت بينهما الثورة العرابية فيما بعد ، ويعتبر البارودى صاحب الفضــل الأول فى تجديد اسلوب الشعر ، وانقاذه من الصــناعة والتكلف العقيم ورده الى صدق الفطرة وسلامة التمييز .

عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيــل المــاضى ص ١١ ، ١٥ وايضا د. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فى مصر ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠ القــاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٧ ، ص ٣٤

وللأمثلة انظر : ديوان البارودى . القاهرة ـ مطبعــة دار الكتب المصرية ١٩٤٠ ، وقد قال عنه النديم « انه الشــاب الذى غرس غصن القريض فاثمر .. ان جلس للانشاء جثا سحبان على ركبه ، وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه » .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢ تحت عنوان من منتخبات الرسائل الادبية . « لواء النصر فى ادباء العصر » كما قال عنــه الشيخ حسين المرصفى انه لم يقرا كتابا فى فن من فنون العربية غير انه لمــا بلغ سن التعقل وجــد فى طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع الى من له دراية فى ذلك .

انظر : الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية . الجزء الثانى . القاهرة مطبعة المدارس الملكية ١٨٧٨ ، ص ٤٧٤

فكرى (٧٧) ، والشـيخ على أبو النصـر (٧٨) ، والشـيخ أحمـد

---

(٧٧) ولد بمكة عام ١٨٣٣ وهو كاتب وشاعر . تعلم فى الأزهر ، واتقن اللغة التركية ، وعمل مترجما ، وتنقل فى الوظائف الى أن تولى نظارة المعارف قبل قيام الثورة العرابية واتهم بالاشتراك فيهـا ثم عفى عنه ، ومن اشهر مؤلفاته « ارشاد الألبـا الى محاسن أوربا » وله مدرسة اصطلح على تسميتها بالمدرسة الديوانية نهض فيها بأسـلوب الـكتابة الرسمية . توفى عام ١٨٨٩

عباس محمود العقاد : المرجع السـابق الذكر ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، وايضا . قلينى فهمى : مذكرات قلينى فهمى باشا — خلاصة الحوادث فى عهود الخديو اسماعيل والسلطان حسين والملك فؤاد . الجزء الثانى ، ص ١٩

وللأمثلة على كتاباته انظر الشيخ حسين المرصفى : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٦٧٣.

(٧٨) شاعر من اهل منفلوط : تعلم بالأزهر ، وكان يحسن النظم الفصيح والزجل له ديوان مطبوع باسم « ديوان أبى النصر » خير الدين الزركلى : الأعلام — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . الجـزء الثانى . القاهرة — المطبعة الأميرية ص ١٨١

وكان من المقربين الى الخديو اسماعيل فنال جوائزه .

جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨

كما أمر الخديو اسماعيل « بربط الفين وخمسمائة قرش شهرى الى السيد على ابو النصر كمعاش شهرى لانه من افاضـل العلمـاء » دار المحفوظـات العمومية . صورة أمر كريم صـادر للمـالية من الحضرة الخديوية رقم (١٠٢) بتاريخ ٢٤ صفر ١٢٨٨

الزرقانى (٧٩) ، ومحمد بك سعيد (٨٠) ، ومحمود صفوت (٨١) وقد نعتهم النديم بأحسن النعوت فى رسالة بعنوان « لواء النصر فى أدباء العصر (٨٢) » .

وقد جالس النديم هؤلاء الأدباء وأخذ عنهم وشاركهم فيما هم فيه يتنافسون من صنوف الأدب (٨٣) ، كما تردد على حلقات العلم بالأزهر فحضر دروس الشيخ محمد الانبابى (٨٤) ، وكبار

---

(٧٩) كاتب وأديب قال عنه النديم انه « بستان الكلام ، وعنوان الكرام .. الفاضل الذى ألفته اللغة العربية ، وعرفته المعانى الأدبية .. الأديب الذى سمعه بلبل الذوق فافصح » .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢

(٨٠) شاعر ناثر قال عنه النديم انه « الأمير الذى دعا الأدب فلباه ، وساسه حتى رباه .. الشاعر الثائر ، المجيد الماهر ، من غاص بحر الادب ، واستخرج الصدف من قاعه ، وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه وأتباعه » نفسه ، ص ٢٣

(٨١) شاعر مصرى اشتهر باسم الساعاتى لبراعته وولعه بتصليحها وان لم يحترفها ولد عام ١٨٢٥ وتوفى فى عام ١٨٨١

خير الدين الزركلى : القاموس السابق الذكر ، ص ٥١

ومن الأدباء من يعتبره طليعة النهضة الحديثة ، وخاتمة الأدباء الناشئين على الطريقة التقليدية حيث يعتبر حلقة الاتصال بين الشعراء العروضيين والشعراء المحدثين وقد نظم قصيدة مطولة فى مدح النبى عليه السلام اتى فيها على مائة وخمسين نوعا من انواع البديع .

عباس محمود العقاد : المرجع السابق الذكر ، ص ٨

(٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١ ـ ٢٣

(٨٣) عبد الله النديم : كان ويكون ، جـ ١ مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩٢ ، ص ١٠

(٨٤) الأستاذ : ص ٨٩٤ ، الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠١
والجدير بالذكر أن الشيخ محمد الانبابى أصبح شيخا للجامع الأزهر بعد ذلك .

أنظر : دار المحفوظات . ملف معاش الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر دولاب رقم ١٣ عين ١٤ محفظة ٢٩١ دوسيه ٧٦٦٨

لماء .

ـ لقد كانت اللغـة العربية هى لغة الثقافة الوحيدة التى أتقنها
ديم كما كان العنصر الأول فى تكوين ثقافته هو الثقافة الاسلامية
ع أن الكثير من الكتاب والمصلحين فى تلك الفترة أمثال جمال الدين
فغانى والشيخ محمد عبده قد درسـوا الفرنسـية فى سن متأخرة
للاستفادة من الفكر الأوربى ومناهجه العلمية ابتغـاء الدفاع عن
سلام (٨٥) والرد على اتهامات المتعصبين من علماء أوربا ومفكريها
، العالم المسلم كما ذكر الشيخ محمد عبـده لا يمكنه أن يخـدم
سلام من وجه يقتضيه حال العصر الا اذا كان متقنا للغة من لغات
لوم الأوربيـة تمكنه من الاطلاع على ما كتبه أهلها عن الاسلام
هله من مدح أو ذم وغير ذلك (٨٦) فان ظـروف النـديم وأحواله
ضطربة لم تمكناه من ذلك ، وليس بسبب ما يذكره البعض (٨٧) عن
عصبه ضد اللغات الأوربيـة لأنه هو الذى ذكر بأن الجمع بين اللغات
ربية والافرنجية من أسس العمران المدنى (٨٨) .

لقد استعاض النديم عن تعلم اللغات وتنوع الثقافات بما استمده

---

(٨٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ـ الاسـلام فى
رن التاسع عشر ترجمة د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ـ بيروت
العلم للملايين الطبعة الأولى ، ص ١٠٣

(٨٦) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمـد عبده
١ ـ القاهرة ـ مطبعة المنار ١٩٣١ ، ص ٩٢٧ تحت عنوان رأيه فى
فـة العربية واللغات الأوربية .

(٨٧) للتفاصيل انظر : الفصل العاشر من الكتاب . بخصوص دفاع
ديم عن اللغة العربية .

(٨٨) الأستاذ : العـدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٤
تحت عنوان » فصل فى الأخلاق والعادات « .

من الحياة الواقعية التى خاض فيها تجربة كبيرة ذكرها فى مقدمة كتابه « كان ويكون » فقال : انى رجل عربى الجنس حسنى النسب (٨٩) اسكندرى المولد اسلامى الدين ، أشعرى العقيدة شافعى المذهب خلوتى الطريقة .. أخذت عن العلماء الأفاضل كثيرا مما به يشتغلون من السمعيات والعقليات وجالست الأدباء وشاركتهم فيما فيه يتنافسون وخالطت الأمراء وداخلت الحكام ، وعاشرت أعيان البلاد ، وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة ، وأدركت ما هم فيه من الجهالة ومم يتألمون وماذا يرجون ، وحابيت كثيرا من متفرنجة الشرقيين وألممت بمــا انطبع فى مرآة صدورهم من أشــعة الغربيين وصاحبت جما من أفاضل الشرقيين المتعلمين فى الغرب ممن ثبتت أقدامهم فى وطنيتهم (٩٠) ، وفطروا على حب الجنس والوطن والدين وعرفت كثيرا من الغربيين (٩١) ورأيت أفكارهم عالية أو سافلة فيما يختص بالشرقيين .. واختلطت بأكابر التجار (٩٢) .. وامتزجت

---

(٨٩) جاهر النديم بأنه من الاشراف الذى ينتسبون الى أسرة الرسول عليه السلام انظر مجلة الأستاذ ، ص ٨٧ ولكن البعض انكر عليه ذلك فيذكر « ولى الدين يكن » أن « النديم انتحل لنفسه السيادة وجاراه الى تسميته باسمها جماعة من مريديه ولكن لم يكن فى طباعه ما يشبه طباع السادة » ولى الدين يكن : المعلوم والمجهول . القاهرة ــ مطبعة الشعب ١٩٠٩ ، ص ٢٧ ، ٢٨

(٩٠) من هؤلاء اديب اسحق الذى نقل افكار الثورة الفرنسية الى القارىء المصرى كما وصف له الحريات التى تتمتع بها اوربا بعد جهادها فى الحصول على ذلك .

انظر : اديب اسحق : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٤ ، ٩٨

(٩١) من ضمن هؤلاء تعرف النديم بالاسكندرية سنة ١٢٩٢ هـ على احد الفرنسيين الذى كان يتردد على الديار المصرية واستقر بمصر بعد مظاهرة عابدين ليتتبع حوادثها عن مشاهدة ويقين ، وقد اتصل به النديم اثناء اختفائه وكان مخلصا وفيا له ، كما اشترك معه فى تاليف كتاب كان ويكون ولم يذكر النديم اسمه حفاظ على ما اتفقا عليه . انظر : عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢

(٩٢) اتصل النديم بأحد أحباء الأدب من أعيان التجار بالمنصورة .

بلفيف من الأجناس المتباينة جنسا ووطنا ودينا (٩٣) ، واشتغلت بقراءة كتب الأديان على اختلافها ، والحكمة والتاريخ والأدب (٩٤) وتطلعت بمطالعة الجرائد مدة ، واستخدمت فى الحكومة المصرية زمنـا (٩٥) ، وأتجرت برهة (٩٦) ، وفلحت حينا (٩٧) وخدمت الأفكار بالتـدريس وقتا (٩٨) وبالخطابة والجرائد آونة (٩٩) ، واتخذت هذه المتاعب لهذا القصد بعناء كسانى نحول الشيخوخة (١٠٠) .

ومما سبق يتضح أن النديم ثقف نفسه ثقافة حـرة واسـعة النطـاق وغير مقيدة بمنهج دراسى أو غيره الا أن هـذه الدراسـة لم توضح له الرؤية السياسية ، والخط السياسى الذى يجب السـير فيـه ، ولم يتيسر له ذلك الا بعد اتصاله بجمال الدين الأفغانى .

اثر الأفغانى فى التكوين الثورى للنديم :

لـمـا سمع النديم بجمال الدين الأفغانى حضر مجلسه فاستهوته أفكاره الجريئة لذلك تردد على حلقته(١٠١) ، وانخرط فى سلك تلامذته،

---

(٩٣) ذلك اثناء تواجده بالاسكندرية .

(٩٤) يتضح ذلك من كتابه المسمى « كان ويكون » .

(٩٥) عمل النديم موظفا بمكتب التلغراف ببنهـا وبالقصر العـالى بجاردن سيتى .

(٩٦) افتتح النديم محلا لتجارة الخردوات بالمنصورة .

(٩٧) اشتغل النديم بالفلاحة أثناء تواجده بقرية « بدواى » دقهلية عندما كان يعلم أبناء عمدتها الشيخ « ابو سعدة » .

(٩٨) انظر الفصل العاشر من الكتاب تحت عنوان « النديم وثقـافة عصره » .

(٩٩) انظر الفصل الحادى عشر الخاص باساليب النديم فى العمل الوطنى » .

(١٠٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(١٠١) اتخذ الأفغانى حلقة فى منزله بحارة اليهود بالقاهرة ، وكان يؤمها طلبته أمثال محمد عبـده وعبد السلام المويلحى والبارودى وسعد زغلول واديب اسحق وسليم النقاش وغيرهم .

وتعلم منه أصول الدين(١٠٢) ، وحرية البحث والنقد والجرأة فى الدفاع عن الحق فتشبع بمبادىء الوطنية وتشرب منه مبادىء الحرية (١٠٣) واستطاع نشر تعاليمه والقول بقوله (١٠٤) حيث نادى بتطهير البـــلاد من ذل العبودية ، واستبداد الخديو وسيطرة الأجنبى على مقـــدرات البـــلاد .

لاحظ الأفغانى نبوغ النديم ، وقوة حجته فى المناظرة والجـــدل وسرعة بديهته ووضـــوح دليله أن خطب أو كتب (١٠٥) فأخـــذ يدربه وأعطاه من وقته واهتمامه الكثير لثقته فى أنه سيكون الخطيب المؤثر فى عواطف الجماهير ، وليس معنى ذلك أن النديم كان الفتى الأول فى نظر الأفغانى الذى كان شديد الاعجاب بشخصية الشيخ محمد عبـــده لذكائه وعلمه (١٠٦) ويذكر الأستاذ « عثمان أمين » أن ذلك أثار بعض الغيرة فى قلب النديم فقال لأستاذه ذات مرة « أيها السيد ما غفلت مرة عن اضافة لقب الصديق الى الشيخ كأنه لم يكن لك بين النـــاس صديق غيره » فتبسم جمال الدين وقال « وأنت يا عبد الله صديقى ،

---

(١٠٢) يذكر ابراهيم الهلباوى أنه قد أشيع عن الأفغانى انه ملحد ، وأن هنـــاك خوفا من تأثر الطلاب بآرائه ، ولكن اتضح انه من أكبر زعماء المسلمين فى ذلك العهد .

مذكرات تاريخ حيـــاة ابراهيم الهلباوى . القاهرة — دار الوثائق القومية ، ص ٤

(١٠٣) يوسف نعمان معلوف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠٧

(١٠٤) أديب اسحق : المرجـــع السابق الذكر ، ص ١٨ ، لوثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج نويهض . القـــاهرة — المطبعـــة السلفية ١٣٤٣ هـ ، الجـــزء الأول ، ص ٢٠٠ ، تلينى فهمى : المرجة السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٢٢

(١٠٥) أحمد أمين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٧

(١٠٦) أحمد لطفى السيد : قصة حياتى. كتاب الهلال . العدد ١٣١ فى فبراير ١٩٦٢ ، ص ٣٤

ولكن الفرق بينك وبين الشيخ محمد أنه كان صديقى على الضراء وأنت صديقى على السراء » فسكت النديم (١٠٧) .

لقد تلاءمت أفكار الأفغانى الدينية السياسية مع تكوين النديم كما أنها أوضحت له الرؤية السياسية والوطنية لذلك كان يهرع الى مجلس أستاذه (١٠٨) كلما فرغ من عمله بالقصر العالى واستمر على ذلك حتى فصل من عمله (١٠٩) فانتقل الى ميادين الحياة الفسيحة يضرب فى مناكبها مبتغيا الوسيلة لكسب عيشه (١١٠) فجاب القرى والمدن وفى أثناء تواجده بمدينة المنصورة تعرف على الشيخ أبو سعدة عمدة بدواى (١١١) فدعاه الى الاقامة فى قريته كى يعلم أولاده القراءة

---

(١٠٧) عثمان امين : محمد عبده ، ص ٢٦ ، ٢٧

(١٠٨) كان منزل الافغانى منتدى للعلماء والأدباء ، ومحط رحال الطلبة الأذكياء نهارا ، واذا جاء الليل خرج الى قهوة البوسطة بالأزبكية حيث يجلس فى صدر فئة تلتف حوله على هيئة نصف دائرة يناقشون ادق المسائل . سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٩

(١٠٩) عن اسباب فصل النديم من عمله بالقصر العالى . انظر : احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية — الطبعة الثالثة ١٩٧١ ، ص ٢٢٤

(١١٠) مجلة الكتاب : المجلد السابع فى يناير ١٩٤٩ ، ص ٨٠ مقال للدكتور جمال الدين الشيال بعنوان . اعلام النهضة الحديثة — عبد الله نديم .

(١١١) قرية قديمة من قرى الدقهلية اسمها الأصلى بدوية .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى . الجزء الأول — القسم الثانى ، ص ٢١٧ وكانت تابعة لمركز فارسكور ، وبها مسجد بمنارة ويتكسب أهلها من زراعة الأرز والقطن وبعض الحبوب .
انظر : الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ٩ ، ص ١٤ ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات .
اوراق انشاء العزب بناحية بدواى — مديرية الدقهلية — محفظة رقم ١٠ مين ٩٧ مخزن ٥ ملف ١٢

والكتابة والدين (١١٢) ، وقد استطاع النديم خلال تواجده بهذه القرية معرفة أحوال الفلاحين والظلم الواقـع على كواهلهم ثم ما لبث أن اختلف مع مضيفه وتشاحنا (١١٣) فترك القرية واتصـل بأحد محبى الأدب من أعيـان التجار بالمنصورة (١١٤) الذى افتتح له حانوتا لبيع الشردوات (١١٥) ، ولكن نفس النديم الثائرة لم تجد استعدادا للعمل بالتجارة فأهملها (١١٦) وأخـذ يرحل من بلد الى آخر حتى تعرف على شاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى فقربه اليه ، وفى صحبته تعرف النديم على أحـد رجال الحاشية الخديوية ، وهو تتونجى بك فعينه وكيلا لدائرته مما أتاح له فرصـة التردد على القـاهرة ليقابل موكله هناك (١١٧) وخلال ذلك زار مجالس أستاذه فوجد أن لهجته فى الحديث قد تغيرت (١١٨) ، فبعد أن كان يتحدث عن الاصلاح الدينى واتخاذه طريقا للاصلاح السياسى والاجتماعى أصبح يتحدث عن ضرورة التخلص من الظـلم الاجتماعى والحـكم الفـردى (١١٩) والتـدخل الأجنبى

---

(١١٢) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٤

(١١٣) المصدر نفسه .

(١١٤) أنشأها الملك الكامل ايوب سنة ١٢١٩ م عندما احتل الافرنج مدينة دميـاط وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصـاره على الصليبيين ، وفى عام ١٨٨١ أنشىء قسم المنصورة وجعلت المنصورة قاعدة له .

وتقع على الشاطىء الشرقى لفرع النيل الشرقى وهو فرع دمياط .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية القسم الثانى من الجزء الأول ، ص ٢١٥ ، ٢١٦

(١١٥) كان مكان هـذا الدكان سوق الخواجات بالمنصورة ، ويزال المكان بهذا الاسم .

(١١٦) تذكر مجلة الهلال فى عددها الصادر فى فبراير ١٨٩٧ أن تجارة النديم قد راجت بالمنصورة ، ولكن هـذا غير صحيح .

انظر : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠١

(١١٧) دكتور على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٤

(١١٨) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨١

(١١٩) جريدة مصر العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ : خطاب جمال الدين الافغانى بالاسكندرية .

والاستبداد الواقع على أعناق المصريين ، كما وجد النديم أن أحاديث أستاذه لم تعد تقتصر على الخاصة بل اقترب من العامة (١٢٠) الذين ارتادوا مجالسه يتفهمون منه سوء أحوال أمتهم ، والظلم الواقع على كواهلهم وضرورة التخلص منه وكان جمال الدين يخاطب المصريين فى لهجة فيها الكثير من المرارة التى تنطلق من محبته لمصر وحرصه على شعبها (١٢١) فهاجت خواطرهم وشغفت قلوبهم بالحرية (١٢٢) وبدأت تنتشر روح التململ من الحكومة (١٢٣) فساعد ذلك على أن يكثر حديث الناس عن الأزمة المالية وصندوق الدين والتدخل الأوربى ، والظلم والعدل ، والاستقلال والحرية والجهل والعوز مظهرين الخوف على البلاد (١٢٤) .

لقد رأى الأفغانى أن الحرية والاستقلال لا يوهبان عن طيب خاطر بل ان الأمم تحصل عليهما قوة واقتدارا (١٢٥) ، وقد مست هذه الكلمات كما مس غيرها قلب النديم ووجد فى نفسه كما وجد زملاؤه فى أنفسهم بعد تتلمذهم على أستاذهم أن الواحد منهم جدير باصلاح

---

(١٢٠) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨١

(١٢١) من اقواله للمصريين« هبوا من غفلتكم . اصحوا من سكرتكم، انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول ، عيشوا كباقى الأمم سعداء او موتوا مأجورين شهداء .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٤٧

(١٢٢) مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ، ص ١١٩

(١٢٣) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨٢

(١٢٤) يصف كرومر ذلك بقوله ان حالة الرضا والطاعة التى يتميز بها المصريون تأثرت الى حد كبير نتيجة لما دار من مناقشات حول ضرورة تغيير اوضاع البلاد .

Cromer : Modern Egypt. V. 1 pp. 150, 151.

(١٢٥) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة . القاهرة جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية ١٩٧٣ ، ص ٣١

مديرية أو مملكة (١٢٦) وأنهم رغم قــلة عددهم (١٢٧) اذا وزعوا على مديريات القطـر ومحافظـاته فسوف يصلحونها فى أقرب وقت(١٢٨) ومن هنا بدأت حياة النديم السياسية •

النديم والعمل السياسى قبل قيام الثورة العرابية :

نظرا للبطش والاستبداد وأساليب القهر التى أتبعت فى مصرخلال حكم الخديو اسماعيل خشى رجال الحركة الوطنية من بطش الخديو بهم خصوصا أن حركتهم كانت ما تزال وليــدة ومن السهل القضــاء عليها لذلك نجـد أن جمــال الدين الأفغــانى لجأ فى عام ١٨٧٨ الى المحافل المــاسونية (١٢٩) • ذات النشاط السرى والمتمتعــة بالرعاية

---

(١٢٦) مجلة المنار • الجزء الثامن ، ص ٧١٠

(١٢٧) جورج انطونيوس : يقظة العــرب ــ تعريب على حيــدر الركابى ، دمشق ــ مطبعة الترقى ١٩٤٦ ، ص ٦٦

(١٢٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٣٦

(١٢٩) المــاسون Macon كلمة فرنساوية معناها بنــاء ، فالمــاسونية بمعنى البناية وجماعة البنائين هم الأعضاء ، وكانوا لا يتركون علما من العلوم الا واتقنوه وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها . جرجى زيدان : تاريخ المــاسونية العــام • القاهرة ــ مطبعة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٣١ ، احمد عطية الله : القاموس الاســلامى ، ص ١١٠٠ والمــاسونية من مهمتها « أن تدخل فى روع الناس أنهم متساوون ، وان الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر. فورستيه : هــذه هى المــاسونية ــ ترجمة بهيج شــعبان ، دار بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢

وقد كان بمصر ثلاث محافل كبرى احــدهما تابع لانجلترا والآخــر لفرنسا والثالث لتركيا .

للتفاصيل انظر : عبد الرحمن سامى عصمت : الصهيونية والماسونية ص ٨٤ ، ويذكر الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى أن هنــاك اختلافا حول المحفل الأول الذى انتسب اليــه الافغانى .

انظر : مصر والمسألة المصرية ، ص ٨٥

والحماية الأجنبيتين (١٣٠) فاتصل بالماسونيين الايطاليين ، وتفاهم معهم على تأليف مجمع الشرق الكبير بالاسكندرية ، وقد تم له ذلك ، وبدأ المحفل نشاطه فى عام ١٨٧٨ ، ودخله تلاميذ الأفغانى بتشجيع منه فانضم اليه أديب اسحق وسليم النقاش وعبد السلام المويلحى وعبد الله النديم ولطيف باشا سليم وآخرون ولما أحس « روفائيل بورج » نائب القنصل الانجليزى بذلك حث الأفغانى وتلاميذه على الانضمام الى المحفل الماسونى الانجليزى « كوكب الشرق » التابع للمحفل الكبير بانجلترا فانضموا اليه على أمل أن يجدوا فيه مايتوقون اليه من حرية القول واتاحة تبادل الأفكار بين المثقفين (١٣١) .

وكان هذا المحفل يضم حوالى ثلاثمائة عضو من صفوة الرجال بينهم ولى العهد الأمير محمد توفيق ، وشريف باشا وبعض النواب والعلماء وضباط الجيش .

خاب ظن الأفغانى وتلاميذه فى هذا المحفل اذ أدركوا أن

=

ويؤكد ابراهيم الهلباوى ان المحفل الذى انضم اليه الأفغانى هو كوكب الشرق الانجليزى . انظر مذكرات الهلباوى ، ص ٨

فى حين يذكر « يوسف نعمان معلوف » أن الأفغانى انضم للمحفل التابع للشرق الفرنساوى .

انظر : خزانة الأيام فى تراجم العظام ، ص ٢٠٥

ولكننا نرى ان النديم انضم الى الماسونية الايطالية ثم الانجليزية وتركها الى الشرق الفرنسى .

(١٣٠) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق الذكر ص ٨٥

(131) Dr. M. Sabry : Le génése de L'esprit Nationl Égyptien, pp. 142 - 143.

ويذكر « لويس شيخو » ان الماسون الانجليز قصدوا من ضم جمال الدين الأفغانى الى جماعتهم « أن يكون كطعم لسنارتهم » .

انظر : السر المصون . بيروت — المطبعة الكاثوليكية ، ج ٢ ، ص ٤١

المبادىء الماسونية (١٣٢) لا تطبق فيه بالفعل حيث نادى بعض أعضائه بألا تزج الماسونية نفسها فى السياسة والقضايا الهامة ب يجب الانصراف عن ذلك تماما مما دفعه الىتوجيه تهمة الجبن والخمو لأعضائه والانفصال عنه وانشاء محفلوطنى تابعا للشرق الفرنساوى (١٣٣) جمع فيه طلابه ومريديه الذين بلغوا ثلاثمائة عضو من بينهم النديم وكان الهدف الأكبر منه هو رفع الظلم عن المصريين (١٣٤) .

وقد كان مكان النديم من هذا التنظيم أن يتخذ من الاسكندر التى كانت تبز القاهرة فى تلك الفترة لكثرة ما كان بها من جمعيا وطنية وصحف عربية — مكانا لنشاطه فكتب فى صحيفتى المحف (مصر) و (التجارة (١٣٥)) المقالات التى يبصر الناس عن طريق بمبادىء وآراء الأفغانى (١٣٦) ، وقد بلغ هذا المحفل درجة كبيرة م الأهمية والخطورة على مركز بريطانيا أن القنصل الانجليزى طلب م

---

(١٣٢) مبادىء الماسونية : حرية . مساواة . اخاء .
د. محمد قاسم : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

(١٣٣) محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى بيروت — المطبعة العلمية ١٩٣١ ، ص ٤١ — ٤٥

(١٣٤) حرص الأفغانى على تقسيم محفله الى عدة شعب تهدف ال اغراض محددة فهناك شعبة لرفع شأن الضباط المصريين بتحقيق المساو بينهم وبين الضباط الشراكسة ، وهناك شعبة خاصة بالحقانية وأخر للمالية وهكذا د. محمد قاسم : المرجع السابق الذكر ، ص ٤١ — ٢
منتخبات اديب اسحق ، ج ٢ ، ص ١١٩

(١٣٥) رأس تحريرهما اديب اسحق وسليم النقاش ، وكانت الأول اسبوعية والثانية يومية ، وعن اسباب قيامهما انظر مقدمة الدرر م منتخبات أديب اسحق .
وعن هاتين الشخصيتين انظر : يوسف نعمان : المرجع السابق ص ١٥٩

(١٣٦) من هذه المقالات انظر جريدة مصر العدد ٤٢ فى ١٨ أبريل ١٨٧٩ العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩
وجريدة « التجارة » فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩

الخديو التخلص من صاحبه « فأصدر أمره باخراج السيد من القطر المصرى سنة ١٨٧٩ »[١٣٧] •

أخذ النديم يتكشف التيارات الموجودة بالاسكندرية ، ولما علم بوجود جمعية سرية تهدف الى قلب حكم الخديو اسماعيل وهى : « جمعية مصر الفتاة[١٣٨] » اتصل باثنين من مؤسسيها[١٣٩] أحدهما نائب رئيس الجمعية والآخر كاتم أسرارها[١٤٠] وأثناء اجتماعه بهما تعرف على الكثيرين من أعضاء الجمعية[١٤١] •

---

(١٣٧) محمد المخزومى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩ — ٥٠

(١٣٨) يذكر لانداو ان هذا الاسم منقول عن الجمعية الوطنية الايطالية المعروفة باسم « ايطاليا الفتاة » .

Landau : op. cit., p. 101.

ومن تقرير قدمه مفتش عموم البوليس بالاسكندرية فى ١٨٧٩/١٢/٢٣ الى نظارة الداخلية يتضح تتبع البوليس لنشاط الجمعية واجراءاته لايقاف نشاطها الضار بالأمن العام .

انظر : عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى « الشرطة » ج ٢ ، ص ٤٨٥ رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٨

(١٣٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٥

(١٤٠) كان محمد امين رئيس محكمة أسيوط نائبا لرئيس الجمعية ومحمود واصف المحرر بالعدل كاتما لأسرارها اما رئيس الجمعية فلم يكن معروف الهوية .

انظر سلافة النديم ، ص ٥

Landau : op. cit., p. 102.

Delanoue : Abd Allah Nadim p. 83.

(١٤١) يذكر محمد رشيد رضا ان اغلب اعضاء هذه الجمعية كانوا من شبان اليهود ويتفق معه لانداو فى هذا ويضيف أن قادتها كانوا من المسلمين •

انظر : تاريخ الأستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٧٥

Landau : op. cit., p. 101.

ومن اللائحة التى أصدرتها هذه الجمعية تتضح أهدافها وأغراضها حيث بسطت فيها « المصائب الحائقة بالبلاد » و « الوسائل الموجبة لاصلاح أحوال الرعية » وشكت من تحمل الفلاحين للضرائب الباهظة ، وسوء العدالة ، وفساد أسلوب تحصيل الأموال ، وقصور التعليم كما طالبت بايجاد قانون ينظم الحقوق والواجبات لكل من الحاكم والمحكوم ، وايجاد قانون للانتخاب واستقلال السلطة النيابية وتوزيع السلطات ، وصيانة الحريات ، واعطاء الحرية التامة للمطبوعات والاجتماعات (١٤٢) .

كما كان من أهداف هذه الجمعية قيام حكم الشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١٤٣) ، وقد غزت المنشورات السرية لهذه الجمعية البلاد تصور سوء الحال ، وضرورة وضع حد للمظالم التى يئن منها الناس وكان أول هذه المنشورات بيانا سياسيا فى ٤ فبراير ١٨٧٩ طبع منه عشرون ألف نسخة ، وقد حاول جواسيس الخديو ورياض (١٤٤) معرفة ناشريه ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك(١٤٥)

---

(١٤٢) جمعية اتحاد مصر الفتاة : لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الأمير توفيق الأول الاسكندرية — مطبعة موريس المعروفة بالمطبعة الفرنسية ١٨٧٩ ، ص ١ — ٦٨ وعن مدى تطابق هذه الأهداف والأغراض مع اهداف وفكر النديم .

انظر : الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب .

(١٤٣) اديب اسحق : المرجع السابق الذكر ، ص ١٠٦

وقد استقى النديم من أهداف هذه الجمعية الكثير من افكاره فى كفاحه الوطنى العلنى بعد ذلك فتحدث عن الشورى والحياة النيابية وشروطها .

انظر جريدتى مصر : العدد ٤٢ فى ١٨ ابريل ١٨٧٩ ، والتنكيت والتبكيت فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١

(١٤٤) وصف النديم رياض باشا بأنه كان احد الرجال المدربين على الأعمال السياسية والادارية .

انظر : كان ويكون ، جـ ١ ، ص ٧٠

(١٤٥) الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٧٠

أحس النديم بأن العمل السرى لا يتفق مع طبيعته الشعبية (١٤٦) فأخذ يناقش أعضاء هــذه الجمعية لتحويلها من سرية الى علنيــة ، ولكنه ــ كما يذكر شقيقه ــ لم ينجح فى مقصده فانفصل عنها وتبعه الكثيرون من أعضائها (١٤٧) ، واستطاع النديم بمساعدة بعض أصدقائه انشــاء جمعية علنيــة تحت اسم « الجمعية الخيرية الاسلامية (١٤٨) » حيث زاول فيها نشاطه •

لقد كانت الجمعيات السرية التى دخلها النديم ذات قدرة وطنية محدودة وضيقة القــاعدة ومع ذلك فقد كانت هامة ولازمة للزعامات فى بداية تكوينها حيث كانت البداية لنقطة الانطلاق الى عمــل وطنى أوسع ومركزا لاثراء خبرات هــذه الزعامات ، وهــذا هو ما حدث بالنسبة للنديم اذ التجأ الى النشاط السياسى العلنى وعمل على توسيع قاعدة النضــال الوطنى بتحــويل المجتمــع كلــه الى قــوة وطنيــة ضــاربة •

كما يتضح أنه رغم دخول النديم فى العمــل الســياسى السرى خشية بطش الخديو والحكومة به ، فانه لم يكن مرتاحا لهــذا العمل كثيرا لأن طبيعته الشعبية ، وطبيعة مفهومه للحركة الوطنيــة المصرية

---

(146) Délanoue : op. cit., p. 83.

(١٤٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٥
فى حين يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة والدكتورة نفوسة زكريا أن النديم نجح فى تحويل هــذه الجمعية الى جمعية علنية فتغير اسمها الى الجمعية الخيرية الاسلامية •

انظر : قصــة الصحافة فى مصر منذ نشأتها الى منتصف القــرن العشرين ، بغداد ــ مطبعة المعارف ١٩٦٧ ، ص ٨٢ ، عبد الله النــديم بين الفصحى والعامية الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ص ٨
ولكننا نتفق مع ما ذكره شقيق النديم اذ يتضح لنــا أن هذه الجمعية بقيت لفترة قصيرة بعــد انفصال النديم عنها •

(١٤٨) عن هــذه الجمعية واهدافها انظر الفصل التاسع •

فرضت عليه ضرورة الاحتكاك بالناس ، وافهامهم ظروف وأحوال البلاد السياسية وما تمر به من محن ومخاطر الا أن احتكاكه بالعمل السرى قد أثرى تجاربه فى العمل الوطنى فاستقى الكثير من أفكار جمعية مصر الفتاة فى نضاله العلنى فيما بعد وخصوصا فى أفكار هذه الجمعية عن الديمقراطية والدستور (١٤٩) .

وبينما كان النديم ينبه الأذهان فاذا بالأخبار تعلن عن اجبار الخديو اسماعيل على التنازل عن العرش وتولية ابنه توفيق مكانه(١٥٠) فاستقبلت البلاد هذا النبأ بالابتهاج وشمل الناس السرور لحدوث مثل هذا الأمر الخطير دون وقوع اختلال أو حدوث ما يكدر صفو الأمن ولما كان الخديو توفيق قبيل اعتلائه أريكة الخديوية يتودد الى الأفغانى ويتقرب من أنصاره (١٥١) مؤكدا له كلما قابله اعتماده عليه فى تحقيق الاصلاح المنشود بقوله « انك أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد (١٥٢) » مما دفع الأفغانى الى المناداة بتوليته (١٥٣) ولكن

---

(١٤٩) انظر : الفصل الثامن .

(١٥٠) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :

Parliamentary Papers. Egypt. No. 20 (1879).

برقية من المستر لاسيل الى الماركيز ساليسبورى بتاريخ ٢٦ يونيه ١٨٧٩

جورج يارنج : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦٨ ، وايضا صحيفة ابو نظارة زرقاء العدد ١٦ بتاريخ ٨ يوليو ١٨٧٩

والجدير بالذكر ان الخديو توفيق هو ابن الخديو اسماعيل ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا وهو السادس ممن تولى الحكم وقد ولد عام ١٨٥٢

انظر : زكى مجاهد : الاعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشر بعد الهجرة ، ج ١ ، ص ٢٩

(١٥١) عبد المتعال الصعيدى : تاريخ الاصلاح فى الأزهر وصفحات من الجهاد فى الاصلاح القاهرة ــ مطبعة الاعتماد الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، ص ٣٨

(١٥٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٧٧

(١٥٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٠١

ما أن استقرت له الأمور (١٥٤) حتى نسى وعوده وغدر بأصدقائه وضاق ذرعا بالأفغانى ، حين طلب منه أن يكون حاكم عدل(١٥٥) فتخلص منه كما سجن ونفى كل من اعترضه أو حاول نقده ، ومع أن معظم الوطنيين قد تركوا ميدان الكفاح العلنى وتفرقوا خوفا من بطش رياض فقد ظلوا أوفياء مخلصين لأستاذهم معترفين بفضله وغزير علمه (١٥٦) كما أن روح الثورة التى أيقظها الأفغانى لم تنطفىء بنفيه من البلاد بل امتد أثرها وكانت الثورة العرابية احدى ثمراتها .

---

(١٥٤) يقارن الأستاذ محمود الخفيف بين تولية توفيق العرش وتولية لويس السادس عشر فيقول : « ما أشبه توفيقا بملك فرنسا لويس السادس عشر ذلك الملك المسكين الذى ورث عن اسلافه الثورة والعرش معا .. فتوفيق ايضا ورث عن سلفه العرش والثورة فلقد تجمعت عوامل الثورة العرابية فى عهد ذلك الخديو المخلوع ثم راحت تحدوها وتمهد لها اقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فرجفت الراجفة » .
أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه — الطبعة الأولى — مطبعة الرسالة ١٩٤٧ ، ص ٣١

(١٥٥) يتضح من هذا القول جراة الأفغانى وقوته فى الدفاع عن العدل . دار الوثائق : « أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى » .
خطاب بتوقيع « أحمد فهمى » أحد اعضاء الجمعية الماسونية الى الأفغانى .

(١٥٦) يتضح من الخطابات المرسلة من تلاميذ الأفغانى الى أستاذهم مدى الاخلاص والوفاء له بعد خروجه من مصر .
دار الوثائق القومية : « اوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى » .

الفصل الثاني

دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية
عند نشوب الثورة العرابيــة

- ظروف انضمام النديم للعسكريين .
- حادث قصر النيل ودور النديم فى تحويله الى حركة شعبية .
- مظاهرة عابدين ودور النديم فيها .
- النديم وجمعية الشبان بالاسكندرية .
- مواقف النديم تجاه العرابيين بعد عابدين .

لقد كان للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مرت بهـا البـلاد والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب [١] أكبر الأثر فى ظهور طبقـة من المصريين الأفذاذ فى كافة مجالات الأدب والفكر والسياسة والزعامة فعرفت مصر الكثير من الأسماء التى أضاءت الطـريق للأجيال المتلاحقة أمثال عبد الله النـديم ومحمـد عبـده والبـارودى وعـرابى ومصطفى كامل وحافظ ابراهيم وقاسم أمين وغيرهم •

لقد ظهر هؤلاء فى وقت كانت أمتهم فى أشد الحاجة اليهم فبذروا بذور النهضة والتحضير لهـا واعداد خمائرها ، وقامت على أكتافهم الحركات الوطنية والاصلاحية فكانوا الطلائع Pioneers [٢] الذين أزالوا العوائق ومهدوا الطريق للآخرين ، كما أنهم اتجهوا الى معالجة شئون بلادهم بمـا يجيش فى صدورهم من آلام وآمال وكانوا وهم

---

(١) يذكر الأستاذ احمد أمين بأنه اذا اردنا ان نجمع اسباب النهضة قلنا انهـا « اتصال الشرق بالغرب » فكما انبعثت شرارة من الشرق الى الغرب فى القرون الوسطى سببت نهضة الغرب ، رد الغرب ما اقترضه فبعث شرارة الشرق فبـدأ يقلد الغرب فى مناحى نشاطه ويتبعـه فى اتجاهاته .

انظر : فيض الخاطر . الجزء العاشر . القاهرة ـــ النهضة المصرية ١٩٥٦ ، ص ٢٦٧

(٢) اصل هـذه الكلمة فرنسى ولهـا معنيـان معنى حربى يعنى جندى مشـاه عمله السير مع الجيش او امامه لكى يمهد الطريق وينظفه من المعوقات او يزرع الألغام لتدمير أعمال العدو .

ومعنى آخـر يعنى الرواد الذين يسـيرون فى المقدمة لكى يزيلوا العوائق ويمهدوا الطريق للآخرين .

Webster's Dictionary. Springfield. Mass 1878. p. 990.

ينظرون لأنفسهم ولوطنهم وتاريخه وينظرون فى نفس الوقت الى العالم الخارجى المحيط بهم والذى سبقهم فى مدارج الحضارة [٣] فجمعوا بين ثقافتهم الشرقيـة والثقافة الغربيـة وأصبح لديهم ثروة واسعة من الثقافة الغربيـة وثروة واسعة من الثقافة العربية ، وفى أعقاب ذلك ظهر فى مصر تياران مختلفان تلاقيا أحيانا وتعاكسا أحيانا أخرى وهما دعاة القديم ودعاة الجديد [٤] .

وهكذا بدأت ثورة الأفكار فى مصر ، وتطلع النـاس الى الحرية والنظم الدستورية وقد ظهر أثر ذلك فى أواخر عصر اسماعيل ثم اتسع مداه فى أوائل عهد توفيق [٥] وخصوصا أثناء الثورة العرابية .

---

(٣) د. جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر — القاهرة — النهضة المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٠١

(٤) من عهد محمد على الى الآن والحرب مستمرة بين الاتجـاهين وهى حرب تكون هادئة احيانا وعنيفة احيانا اخرى تظهـر فى الآداب ، وتظهر فى الدين فيقوم لهـا الرأى العـام ويقعد كالثورات التى قامت على الأفغانى ومحمد عبـده ، وعلى عبد الرازق وطه حسين ، كما اخذ هذان التياران يتنازعان الشعراء والكتاب والمؤلفين ، ويتنازعان منـاهج التعليم ، وطرق التفكير وكل مظهر من مظاهر الحركة العلمية فمن الشعراء من يتخذ مثله الأعلى امرأ القيس ومنهم من يتخذ شكسبير ومن الكتاب من يتخذ ابن المقفع ومنهم من يتخذ فولتير وحتى مناهج التعليم فى مصر ظلت مضطربة بين التيارين فهى تعلم البـلاغة والنحو على نمط سيبويه وتعلم الطبيعـة والكمياء على النمط الأوربى ، ويمثل هذين التيارين الآن الجامعة الأزهرية ومثلها الأعلى الآداب والعلوم الاسلامية وان بذلت بعض المحاولات فى ادخال عناصر التجـديد ، والجامعـات المصرية ومثلها الأعلى التعليم الأوربى .

ان اهم واجب على قادة الرأى هو تنقية القديم لنعرف خيره وشره وتنقيـة الجديد لنعرف خيره وشره .. وان فعلنـا ذلك نلنا الحسنيين ، واخذنا ما فى الذخيرتين ووصلنا الى الغرض .

احمد امين : المرجع السابق الذكر ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٩ — ٢٧٢

(٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٩

ظروف انضمام النديم الى العسكريين :

بينما كان النديم يقوم بدوره فى تعبئة الشعور الوطنى كان رسل الحركة الوطنية من رجال الجيش يجوبون القرى والمدن تمهيدا لنشر دعوتهم وجذب شعور الأهالى تجاههم (٦) فتقابلوا معه ودارت بينهم وبينــه مشاورات سرية من أجل أن ينضم اليهم ، ويكون لسان حالهم ويذكر « عبد الفتاح نديم » أن العرابيين ضموا اليهم شــقيقه رغم ارادته (٧) وانه كان يتأفف سرا من وقوعه فى تلك الورطة فاذا خــلا بأحد من أخصائه أظهر له حقيقة ما يضمره (٨) « وانه قال فى غرفة نومه حيث لا ثالث بينهما ما معناه « أن البــلاد ضاعت بتهور رؤساء الجند الذين خدعونا فى مبــدأ الحادثة ، وأوهمونا أن لا خوف من العاقبــة ولا فزع (٩) » .

كما لمح عبد الله النــديم نفسه بذلك حيث قال « تظاهرت بحب العسكر(١٠) وقوله » اتسع نطاق هذه العصابة، وتعددت محافل الخطابة ومشى العقلاء بين الظلمــة بالموافقة وأظهروا لهم الصحبة والمرافقــة واذا خلوا باخوانهم زجروا ووعظوا ونبهوا وأيقظوا (١١) .

---

(٦) دار المحفوظات . محافظ الداخلية — محفظة رقم ٣٧ ملف ٨٦ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ عرضحال من مصطفى رياض ناظر الداخلية الى ناظر الجهادية بخصــوص وجود بعض ضباط الجهــادية بقــرية « تلوانه » بالمنوفيــة ، ودخولهم بين الأهالى ونشرهم بعض الأفكار .

(٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٨

(٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٨

(٩) نفسه ، جـ ١ ، ص ٨ ، ٩

(١٠) د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٥٦

(١١) نفسه ، ص ٥٧

ان ما ذكره شقيق النديم وما لمح به عبد الله النديم فى حاجة الى تفسير ، وخصوصا ان ما كتبه شقيقه كان فى عام ١٨٩٧ أى فى فترة كان قد توقف فيهــا اضطهاد الوطنيين بل وأفرج فيها الخديو عباس الثانى عن الكثير من العرابيين وعين بعضهم فى وظائف مدنية وتغيرت كلمات (هوجة عرابى) والعصابة العسكرية (الى ثورة عرابى) •

فى تصور الباحث أن تردد النديم فى الانضمام الى العسكريين أول الأمر وخشيته من تهورهم من الممكن أن يطرأ فى ذهن أى وطنى فى ذلك الوقت(١٢) وخصوصا أن النديم من تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالاصلاح ، ولكن بعد أن قابل النــديم « عرابى » واندمج مع رجاله وعرف خططهم وأفــكارهم تغيرت فكرته عنهم وأصــبح من أشــد المخلصــين لهم ولحركتهم •

لقد انضم النديم الى العــرابيين سرا بعــد أن لاقى من معاملة الحكومة له ولغيره ما يدل على تفضيلها للأجنبى (١٣) ، وبعد أن غزا التغلغل الأجنبى كل مصالح الدولة (١٤) ، ولم ينج من ذلك ســوى الجيش الذى كانت غالبيته من المصريين الذين خرجوا من الحقول من

---

(١٢) لقد كان موقف الشيخ محمد عبده فى أول أمر الثورة العرابية التنديد بزعمائها حتى وصل الأمر بعرابى ان ارسل اليــه يقول : انك اهنت الشرف العسكرى بمــا كتبته عن الجيش ورؤسائه .

محمد رشيد رضا : المنــار . الجزء الحادى عشر ــ المجلد الثامن فى ٢ اغسطس ١٩٠٥

وايضا : مصطفى عبد الرازق : محمد عبده . القاهرة ــ دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٤٥ ، ص ١٢٢

(١٣) جرجى زيدان : بنــاة النهضة العربية . القــاهرة ــ دار الهــلال ١٩٥٩ ، ص ١٥٦

(١٤) د. محمد انيس : تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو ــ القــاهرة ــ نهضة الشرق ، ص ١٠٠

وراء المحراث والساقية ، ومن مزارع القطن ومصانع السكر وأصبح يلعب دورا فى الحركة الوطنية [١٥] .

عرف النديم ما يدور بخلد العرابيين ، وسمع منهم رجالا ينادون بالاصلاح ويعملون من أجل حرية الوطن [١٦] فوقف بجانبهم وعبرت خطبه ومقالاته عما يدور بخلدهم فكانت توحى بحدوث تغييرات فى الأوضاع ومن ذلك قوله « ان لى سنوات ثلاثا أبارز الجهالة بسلاح الحث على افتتاح المدارس ، وعما قريب سننتصر على أعداء الوطن[١٧] وحينما علم رياض باشا رئيس النظار [١٨] بخبر اتصال النديم بالعرابيين ودعوته لهم كتب قرار بنفيه الى خارج الديار المصرية [١٩]، ولكن محمود سامى البارودى مندوب العسكريين السرى فى مجلس النظار [٢٠] كان يتخذ من الاجراءات الخفية ما فيه مصلحة الحزب

---

(١٥) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ القاهرة — دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ١٤٠

(16) Delanoue : op. cit., p. 87.

(١٧) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢٦ اغسطس ١٨٨١ ، ص ١٧٠

(١٨) لم تتغير تسمية النظارة الى الوزارة الا بعد اعلان الحماية، وكان عدم اللجوء الى تسمية الوزارة فى مصر راجعا الى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول ان يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

د. على الدين هلال : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(١٩) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٠) تقلد محمود سامى البارودى قبيل توليه وزارة الحربية عدة مناصب هامة مثل مدير الشرقية ثم مأمور ضبطية مصر .

انظر : المعية السنية عربى — قيد صادر الأوامر رقم ٢٠ ، ٣٢ بتاريخ ٨ يوليه ١٨٧٨

العسكرى المتحد معه [٢١] ، وينبئهم بكل ما يحاك ضدهم فى المجلس فأبلغهم بالأمر ولما عرض رياض باشا قرار نفى النديم على الخديو للتصديق عليه اعترضه على فهمى قائد حرس الخديو بقوله :« ان نديما منا معشر الجهادية وان لم يحمل سلاح العسكرية ، ولئن أخذتموه بغتة من البلاد حافظنا عليه بالأرواح والأجناد [٢٢] » فألغى الخديو القرار وفشل رياض فى نفيه ، مما شجع العسكريين على التمسك بالنديم فأسرع على فهمى الى ميت غمر حيث كان النديم ينشر أفكاره فأعلنه بالأمر ، وعن ذلك يذكر النديم « أعلننى على باشا بهذا الأمر وأنا أخطب فى ميت غمر فتظاهرت بحب العسكر والتحويل عليهم وناديت بانضمام الجموع اليهم [٢٣] » •

طلب على فهمى من النديم الدعوة للجيش علانية فاستجاب لذلك وأصبح من أخطر دعاة العسكريين حيث وضع خبرته الكبيرة فى العمل الجماهيرى لخدمتهم [٢٤] وانتقل من الاشتغال بالتربية والاصلاح الاجتماعى الى دور الصحفى والخطيب السياسى الناطق بلسان الثوار •

---

(٢١) سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٥ ، ١٦ تحت عنوان مكاتبات المعية السنية .

(٢٢) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٣) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٤) صلاح عيسى : الثورة العرابية . بيروت — المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى ١٩٧٢ ، ص ٢٦٩

قابل النديم « عرابى » فأحله منزلة قريبة من نفسه [٢٥] واتخذه مستشارا له للاستفادة بآرائه وخبراته فبذل النديم كل جهوده لمساندة الثورة وربط نفســه برباط وثيق مع العــرابيين [٢٦] فانتعشت حركة الضباط وقوى عضدها بانضمامه اليها [٢٧] حيث كان قلمــه الصحفى المؤثر [٢٨] ولسانه الفصيح المقلق أكبر عضد لهم [٢٩] فملأ صحيفته بمحامدهم ودعا الى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ، ونظم القصائد الحماسية، وندب الوطن ورثاه وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الافرنج [٣٠] « فى أسلوب قوى ولســان فصيح مقلق فأثرت خطبه ومقالاته فى النفوس [٣١] وكان لذلك أكبر الأثر فى جذب الأهالى الى حركة العسكريين » •

حادث قصر النيل ودور النديم فى تحويله الى حركة شعبية :

لــا كانت الفروق الطبقية والميل الى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش ، فالوظائف الهــامة والرتب والنياشين والمكافآت

---

(٢٥) بلغت منزلة النديم لدى عرابى ان البعض كانوا يتصلون به لكى يقوم بدور الوســاطة لهم عنــده .

انظر : محــافظ الثورة العرابيــة : محفظة رقم ١٠ دوسيه ١١٥ ملف ١٧٩ ــ تلغراف من محطة الجيش بتاريخ ١٩ اغسطس ١٨٨٢ من الشيخ العدوى الى عبد الله النديم .

(26) Gamal Mohamed Ahmed : The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism. Oxford University Press, 1960 p. 19.

(٢٧) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧

(28) Landau : op. cit., p. 86.

(٢٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابيــة والاحتلال الانجليزى ص ٥١٥

(٣٠) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧

(٣١) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣١

تعطى للشراكسة والأتراك وغيرهم [٣٢] بينما كان المصريون محرومين من هــذه المزايا [٣٣] بل وعاملهم عثمان رفقى ناظر الجهادية ـ كما يذكر عرابى وصحبه بالذل والاحتقار ، وسعى فيما يوجب لهم الحرمان والاضرار [٣٤] فحرم أغلبهم من خدمة الوطن رغم استعدادهم وأهليتهم مما أورثهم عدم الأمن والطمأنينة على أنفسهم ومستقبلهم [٣٥] كمـا كلف المصريين بأعمـال بعيدة عن مهنة الجندية [٣٦] وسن قانون للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الوطنيين من الترقى الى رتبة الضباط مما دفع

---

(٣٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق . الطبعة الأولى ١٨٩٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥

مجلة كلية الآداب جامعة القـاهرة ـ المجلد الثامن عشر ، جـ ١ ، فى مايو ١٩٥٦ مقـال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « العقـدة الشركسـية » .

(٣٣) الهلال : الجزء الثانى من السنة الخامسة فى سبتمبر ١٨٩٦ ص ٤٣ ، تحت عنوان « احمد عرابى المصرى » .

(٣٤) سن عثمان رفقى قانونا بخـروج المصريين من الجيش قبـل السن القانونى للمعاش (الروزنامة) مع كونهم شـبان وذوى مقـدرة عسكرية ، محفوظات مجلس الوزراء ـ حربية ـ محفظـة رقم ١٧ ـ مجموعة ٧٦

(٣٥) دار الوثائق القومية . اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابيـة ، صورة تقرير للمحاكم والمجالس والدواوين بتاريخ ١٧ يناير ١٨٨١ مقدم من احمد بك عرابى وعلى فهمى وعبد العال بك حشيش .

وايضا انظر :

A. M. Broadley : The Trail-Exile And Pardon of Arabi Pacha. Vol. 11.

وثيقة رقم (٤٠٤) صورة التقرير المقدم من عرابى وزميليه لرياسـة مجلس النظار .

(٣٦) محفوظات مجلس الوزراء ـ حربية ـ محفظة رقم ١٠ وثيقة تحت عنوان « جواب بشأن مشروعات القوانين العسكرية » .

الضباط (٣٧) الوطنيين الى التذمر (٣٨) فكتبوا عريضة الى رياض باشا رئيس النظار فى يناير ١٨٨١ للمطالبة بوقف الظلم والمحسوبيـة وأن يكون ناظر الجهادية مصريا (٣٩) ، ولمـا أحسـوا باهمـال مطالبهم واعتبارها من قبيل العصيان (٤٠) وقعت حادثة ٤ فبراير (٤١) ، ونجح الضباط الوطنيون فى فرض ارادتهم فعزل عثمان رفقى وتولى محمود

---

(٣٧) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٣

(38) Public Record office : F. O. 407/18 No. 38 Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive leading to the recent Military Insurrection, by F. Currie, Sep. 17, 1881.

(٣٩) يذكر اسماعيل سرهنك انه هـو الذى اقترح على الضـباط تعيين احد المصريين ناظرا للجهادية .

انظر : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ٢ ، ص ٣٧٥

(٤٠) دفتر قيد الأوامر الصادر بديوان الجهادية سنة ١٨٨١ مسلسل ٢٩٦٠٨ نمرة ١٧٧/١ بقلم عربى جهادية ، ص ٢

(٤١) عن تفاصيل هـذا الحادث انظر :

F. O. 407/18 No. 38 Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive, leading to the recent Military Insurrection by Currie Sep. 17, 1881.

ا ـ محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٢٠ دوسـيه ١٦٤ ـ استجواب محمد بك حمـدى بكباشى المستحفظين عن حادث ٤ فبراير .

ب ـ اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيـات التى ضـبطت لدى المتهمين فيهـا ـ مخطـوط بدار الوثائق القوميـة .

جـ ـ اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٦

د ـ Cromer, op. cit., vol. 1. p. 178.

سامى البارودى مكانه [٤٢] فازداد اتحاده مع العـرابيين [٤٣] وأعلن قوانين جديدة وعادلة للجيش تعد بالمساواة للجميع[٤٤] .

لقد بارك الشعب حركة الضباط وأيدها حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه فى التخلص من ربقــة الأجنبى واســتبداده [٤٥] ، وأصبح عرابى وزملاؤه فى نظرهم محل تقدير واعتزاز [٤٦] ، فوفدوا عليــه يبثون اليه شكواهم كما هطلت عليه عرائض الفلاحين من أنحــاء البلاد حيث وجدوا فيــه قائدا يستطيع أن يرفع عنهم الضرائب التى أثقلت كواهلهم وينقذ البــلاد من ظلم الأجانب [٤٧] وتطلعت اليه الطبقــة المثقفة التى تنشد الحيــاة الدستورية ففتح عرابى قلبه للجميع بقدر

---

(٤٢) الوقائع المصرية فى ٢٨ فبراير ١٨٨١ صورة أمر عال صادر لرياسة مجلس النظار بتاريخ ٦ فبراير ١٨٨١ بخصوص تعيين محمــود سامى البارودى ناظرا للحربية بجــانب بقائه بنظــارة الأوقاف . ويذكر رياض باشا أن اختيار البارودى فى هــذا المنصب كان على امل أن يحسم الموقف بحسن ادارته ويقلل من نفوذ عرابى وزملائه . دار الوثائق تقريرات عن الثورة العرابية ، جـ ١ تقرير رقم ١٤ أقوال رياض باشا .

(٤٣) دار الوثائق : تقريرات عن الثورة العرابية ، جـ ١ ، تقرير رقم ١٤ « أقوال رياض باشا » .

(٤٤) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة فى عام ١٨٨١ الأوامر العاليــة ومنشورات مجلس النظار بخصــوص تنظيم القوانين العسكرية وقانون معاشات الجهادية ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩

(٤٥) دكتور جمال الدين الشيال : قصة الاحتلال ، ص ١٣

(٤٦) يوحنا ابكاريوس : قطف الزهور فى تاريخ الدهور . بيروت ــ المطبعة الأدبية ١٩٢٢ ، ص ٢١٧ البرت فارمان مصر وكيف غدر بها ــ ترجمة عبد الفتاح عنايت . القاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتاليف ، ص ٢٨٧

(47) Tignor : Modernization and British colonial Rule in Egypt, 1882 - 1914. U. S. A. 1966 p. 17.

ما يستطيع [٤٨] ، وأصبح زعيما ترنو اليه الأنظار حيث التقت أهدافه بأهداف أبناء وطنه •

ومع أن حادث ٤ فبراير وقع من أجل هدف محدد هو معاملة أبناء الفلاحين فى الجيش من حيث قصر الترقيات على غيرهم وشعورهم بالظلم ازاء رؤسائهم من الجراكسة فقد تحول الى حركة شعبية وكان النديم وراء ذلك اذا استغل مباركة الشعب لموقف الضباط فأشار على عرابى بطبع منشوريطلب فيه من الشعب أنيفوضه فى المطالبة بحقوقه، والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد [٤٩] وكان نصه كالتالى : « ان الوزارة الرياضية قد ركبت متن الشطط وعدلت عن الصراط المستقيم ، ولم يكن مقصدها مؤديا الا الى اضمحلال البلاد وتلاشيها، بما هو جار من بيع أرض كثيرة للأجانب ووجود كثير منهم فى ادارات الحكومة ومصالحها بالرواتب الفادحة والسعى فى رفع الأحجار الطبيعية الموجودة فى بوغاز الاسكندرية • وان سكوتنا واضرابنا عن ذلك يعد من العجز والجبن والتفريط فى وطننا ومقر نشأتنا • فاعملوا يا معاشر الوطنيين أن أولادكم المنتظمين فى سلك الجهادية قد اتكلوا على البارى سبحانه وتعالى ، وعزموا على منع كل ما من شأنه الاجحاف بحقوقكم وذلك لا يتم الا بسقوط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس النواب ليحصل الوطن على الحرية المبتغاة • فالمطلوب منكم أن توقعوا على الكتابة المرسلة اليكم فى ضمن هذه النشرة • والكتابة المقصودة بها أن أكون نائبا عنكم فى كل ما يتعلق بأحوال البلاد [٥٠] » •

توقيع « أحمد عرابى »

---

(٤٨) رفعت السعيد : الأساس الاجتماعى للثورة العرابية . القاهرة — مكتبة مدبولى ١٩٦٦ ، ص ١٤٩

(٤٩) أحمد عرابى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٩

(٥٠) سليم خليل النقاش : مصر للمصريين . الاسكندرية — مطبعة المحروسة ١٨٨٤ ، الجزء الرابع ، ص ٩٠

وافق عرابى على صيغة المنشور ، وكلف النـديم بتوزيعه على الأهالى ومن تحليل المنشور يتضح أن « عرابى » طلب من الشعب أن يكون نائبا عنه فى مطلبين هما :

١ — المناداة باسقاط نظـارة رياض المستبدة •

٢ — المطالبـة بتشكيل مجلس للنـواب ليحصـل الوطن على حريتـه •

بمعنى أن ما حدث بعد ذلك فى مظـاهرة عابدين وما طالب به « عرابى » الخديو لم يكن الا من نبت الأفكار الواردة فى هذا المنشور، كما أن « عرابى » لم يقم بهذه المظـاهرة الا بعد الحصول على توكيل من الشعب فى المطالبـة بحقوقه وانه كان متمكنا من تأييد الشعب له حين قال للخديو أنا نائب هـذه الأمة (٥١) حيث وكلته الأمة بعد توقيع أبنائها على هـذا المنشور الذى وزعه النديم فى كافة أنحاء البلاد •

لقـد وزع النديم المنشور ، كما أخـذ يبث الأفكار الثورية بين مشايخ العربان وعمد البـلاد وأعيانها وعلمائها وتجارها وكافة الأهالى استجلابا لمساعدتهم (٥٢) ثم أخذ فى جمع التوقيعات منهم ، ودعاهم الى نصرة عرابى وأخـذ يعلمهم فوائد الحرية ومعانى الدستور وقيمته فى أسلوب سهل يفهمه الناس ولسان فصيح مقلق ، كما كان يصعد الى منابر المساجد ويخطب فى الناس علانية ويعلن على رءوس الأشـهاد فى البـلاد التى يطوف بهـا انضمامه الى منظمة الجيش وينادى فى

---

(٥١) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٩

(٥٢) محمد مهرى كركوكى : رحلة مصر والسودان . القـاهرة — مطبعة الهلال ١٩١٤ ، ص ٤٦٠ ويذكر احمـد شفيق أن الخـديو جاءته الأخبـار بأن العرابيين يوزعون المنشورات السرية فى انحاء البلاد كمـا أنهم يجمعون التوكيلات من الأهالى بأن يكون عرابى نائبا عنهم . انظر : مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الأول ، ص ١١٩

الناس بالاجتماع حولها حتى يتخلصوا من حياة الذل والعبودية والاستبداد .

عاد النديم الى القاهرة ومعه العرائض الكثيرة الموقع عليها من الأهالى بتوكيل عرابى فى الدفاع عن حقوقهم وتخليصهم من ربق الاستغلال الذى أثقلهم ففرح بها عرابى ، وكان لها أكبر الأثر فى تقوية العزائم مما دفع البعض الى أن يطلقوا على هذه العرائض « المحضر الوطنى [٥٣] » .

كما جاءت فى أثر النديم الوفود لمبايعة عرابى على تخليصهم من الظلم الذى ضيق عليهم حياتهم وأفسدها ، وفوضوا اليه العمل لما فيه سعادة البلاد وخلاصها من براثن الاستبداد[٥٤] حيث اعتبروه القائد المرتقب الذى سينجى البلاد من المظالم الداخلية والأخطار الخارجية فاستقبلهم عرابى فى منزله الذى كان يمتلىء بالناس كل يوم وفى مقدمتهم أنصار الحركة الوطنية ، وقد استغل النديم ذلك فى ابراز

---

(٥٣) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، القاهرة — المطبعة الأميرية ١٩٠٠ ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، والجدير بالذكر ان هذه التسمية ترجع الى عام ١٨٧٩ عندما رفض اعضاء مجلس شورى النواب الانفضاض بعد صدور الأوامر بحل المجلس واجتمع العلماء والأعيان والمواطنين والتجار واصدروا فى ١٢ ابريل ١٨٧٩ « المحضر الوطنى » يطلبون فيه من الخديو اسماعيل منح مجلس شورى النواب الحرية التامة فى تسيير كافة الأمور وتعديل طريقة الانتخاب ومطابقتها مع ما هو سائد فى البرلمانات الأوربية ، واقرار مبدأ مسئولية الوزراء امام المجلس . انظر :

محمد خليل صبحى . تاريخ الحياة النيابية فى مصر — القاهرة — مطبعة دار الكتب ١٩٣٩ ، جـ ٥ ، ص ٩٩ — ١٠٦

(٥٤) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٩٠ ، الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ١٢٠

قدراته الخطابية وهكذا تحولت الحركة العرابية من حركة عسكرية الى ثورة شعبية •

مظاهرة عابدين ودور النديم فيها :

لما عظم شأن العرابيين وخشى الخديو من خطرهم حاول تشتيت شملهم (٥٥) بابعادهم عن القاهرة فصدرت الأوامر بنقل الفرقة الثالثة المشاة التي يقودها عرابى(٥٦) والآلاى السودانى الذى يقوده عبدالعال حلمى بالسفر حالا من القاهرة الأول الى الاسكندرية (٥٧) والثانى الى دمياط فتوقف عرابى عن اطاعة الأمر (٥٨) ، واضطربت الأحوال ونتيجة لشدة الضغط من الحكومة وكثرة الدسائس واطمئنان عرابى(٥٩) الى استيقاظ مشاعر الأهالى وانابته عنهم زحف فى مظاهرة الى ميدان عابدين(٦٠) فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ متحدثا بلسان الأهالى الذين أنابوه(٦١)

---

(55) Parliamentary Papers. Inclosure in No. 21.

من الكولونيل عرابى لوزير الحربية بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٨١

(56) Parliamentary Papers. Correspondence respecting the Affairs of Egypt No. 2 .

تلغراف من مستر كوكسن الى جرانفيل فى ١٠ سبتمبر ١٨٨١

(57) F. O. 407/18. Inclosure 1 No. 47, Memorandum by A. Colvin, Sep. 10, 1881.

(58) F. O. 407/18 Inclosure in No. 49. Colonel Araby Bey to the Minister war of Sep. 9, 1881.

(٥٩) احمد عرابى : مخطوط كشف الستار ، ص ١٤٤

(٦٠) للتفاصيل انظر :

1 ـ Parliamentary Papers, Correspondence respecting Affairs of Egypt.

تلغراف من كوكسن الى جرانفيل فى ١٠ سبتمبر ١٨٨١

ب ـ F. O. 407/18 No. 47, Mr. Cookson to Earl Granville, Sep. 19, 1881 No. 233.

استنادا على التوقيعات التى جمعها له عبد الله النديم (٦٢) فوقف فى ساحة عابدين أمام الخديو (٦٣) ممثلا للأمة المصرية كلها ينطق باسمها ويعبر عن ارادتها عن طريق الجيش الذى اجتمع ليعطى بالسلاح الحرية للشعب المصرى (٦٤) فطالب بسقوط « الوزارة جالبة الغمة وفتح مجلس شورى للأمة ، ووضع حدود للحاكم والرعية وسن قانونا لمعاش الجهادية (٦٥) » ولما سأله الخديو بأن هذا ليس من اختصاص رجال العسكرية أجابه عرابى « لست أطلبه وأنا عسكرى الصفة بل أنا نائب هذه الأمة الواقفة (٦٦) » .

=

جـ — احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٤٦

د — اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٧٧

هـ — ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٢٩

و — محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر ، جـ ١ ، ص ٢١٠

= (٦١) الياس زاخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر . القاهرة — المطبعة العمومية ١٨٩٧ ، جـ ١ ، ص ١٠٩

(٦٢) انظر : المنشور الذى وزعه النديم على الأهالى وحصل على توقيعاتهم بأن يكون عرابى نائبا فى المطالبة بحقوقهم .

(63) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589. Memorandum by Dervish Pasha.

(64) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville Sep. 19, 1881 No. 233.

(٦٥) دكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٩ — ٦٠ .

ويذكر احمد لطفى السيد ان من حسنات عرابى الدستور ، فالدستور المصرى من عمله ومن صنع يده ومن آثار جرائه . قصة حياتى ، ص ١٠٣

(٦٦) د . محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، والجدير بالذكر ان عرابى قال ذلك استنادا على المنشور الذى قام النديم بتوزيعه على افراد الأمة لانابته عنهم .

لقد كان دور النديم أثناء هـذه المظاهرة خطرا حيث وكل اليـه عرابى حماية المؤخرة من أن يصيبها الضعف أو يتسرب اليها الخزلان، وقد أشار عرابى الى ذلك صراحة فى مذكراته فقال : « تحركت فينـا الحمية العربيـة ، والغيرة الوطنية فتعاهدنا على حفظ البلاد .. » وسرت بهذا الجيش ، ووقفت بساحة عابدين ، وقد اشتدت شـوكة جيش البغى وقويت معارضته هنـالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجال صديقى الأعز الهمام صاحب الغيرة والعزم القوى السيد عبد الله النديم بين الصفوف ينادى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » فكان معى ثانى اثنين فى حفظ قلوب الرجال من الزيغ والارتجاف وأخذ الكل يردد هـذه الآية الكريمة ، وكأنهم لم يسمعوها الا من فمه فى تلك الساعة[٦٧]، نجح الجيش[٦٨] فى المطالبة بحقوق الأمة حيث قبل الخديو مطـالب العرابيين [٦٩] فعـزل وزارة رياض [٧٠] وعرض على عرابى حيدر باشـا أو اسماعيل أيوب ليكون أحدهما رئيسا للوزارة ، ولكن عرابى رفض كليهما [٧١] وطلب تعيين

---

(٦٧) أحمد عرابى : مخطوط كشف الستار عن الأسرار ، ص ١٦٦

(٦٨) كان تعداد الجيش اثناء المظاهرة ١٣٫٤٩٢ رجلا والقوة الفعالة منهم لا تزيد عن ١١ الف رجل .

F. O. 407/18 No. 38. Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khadive, leading to the recent Military Insurrection by P. Currie, Sep. 17, 1881.

(69) Dicey : The Egypt of the Future. p. 17.

(70) F. O. 407/18 No. 47, Mr. Cookson to Earl Granville, Cairo, September 10, 1881. Despatch No. 233.

وانظر ايضا :

Cromer : Modern Egypt vol. 1 p. 194.

(71) F. O. 407/18. Mr. Cookson to Earl Granville September 19, 1881 No. 233.

شريف باشا(٧٢) فوافق الخديو ودعا الى تأليف وزارة وطنية جديدة(٧٣) واعلان الحياة الدستورية (٧٤) .

لقد شعر النديم بعد استجابة الخديو لمطالب العرابيين بانتصار الثورة فتدفق قلمـــه بالكتابة عن الحرية التى نالها الشعب بفضل أبنائه الفرسان وعن قوة الجند واشـــتداد حميتهم وسعيهم لمصلحة الوطن وحفظ البلاد وزيادة قوة الأمة (٧٥) وكتب عن الاتحاد وحقوق الشعب على الحكام فقال : « أوصيكم بكلمة الاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف وأحذركم من التخاذل وسماع أقوال أهل الأهواء الذين شربوا دماءنا ولم يرتوا وأكلوا لحومنا ولم يشبعوا (٧٦) » .

ولمـــا كانت الثورة فى حاجة الى ركائز شعبية للاستناد عليها فى مراحل نضالها الوطنى والمخاطر التى تعترضها فقد شجع النديم على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية بالاسكندرية لتوعية الشبان وتعبئتهم وطنيا وهى جمعية الشبان بالاسكندرية .

---

(٧٢) لقد كان لدى العرابيين ثقة كبيرة فى شريف باشا . للتفاصيل انظـــر :

F. O. 407/18 No. 49 Mr. Cookson to Earl Granville Cairo, September, 11, 1881.

(٧٣) الوقائع المصرية : العدد ١٢١١ فى ١٧ سبتمبر ١٨٨١

(74) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville, Sep. 19, No. 233.

(٧٥) التنكيت والتبكيت : العدد ١٨ فى ١٦ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٩١ تحت عنوان « سيف النصر نحو عدو مصر » .

(٧٦) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن عشر فى ١٦ أكتوبر ١٨٨١ ص ٢٩٤ ، تحت عنوان « وصية وطنية » .

النديم وجمعية الشبان بالاسكندرية :

لما كان للنديم تأثير على نفوس الأهالى بالاسكندرية فقد شجع على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية (٧٧) لتوعية الشباب وتعبئتهم وطنيا حتى يكونوا سندا للثورة وركيزة لها فتأسست جمعية الشبان بالاسكندرية (٧٨) وانتظم فى سلكها كثير من الشبان من أبناء الاسكندرية أمثال ابن البيطاش وأولاد أبوهيف وأولاد جميعى (٧٩) وأولاد الغريانى (٨٠) وغيرهم، وكان رئيس هذه الجمعية « عبد القادر الغريانى (٨١) » وكانوا يعملون محافل عمومية يدعون اليها الخاص والعام ويحضر بها عبد الله النديم ويلقى عليهم الخطب المهيجة (٨٢) وقد بلغ من أهمية هذه الجمعية أن كان محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى يحضر اجتماعاتها (٨٣) وكان من ضمن مشروعاتها انشاء بنا

---

(٧٧) يتضح من مخطوط احمد عرابى ان هذه الجمعية تأسست عقب مظاهرة عابدين .

انظر : مخطوط كشف الستار عن الأسرار ، ص ٢٢٦ وعن الجمعيات الخيرية التى كونها النديم او شارك فى تكوينها .

انظر : الفصل التاسع .

(٧٨) دار المحفوظات العمومية : محافظ الداخلية — محفظة رقم ٢٧ ملف ٨٦ عين ١٥٠ مخزن ٥٠

(٧٩) دار الوثائق القومية : محاضر جلسات قومسيون التحقيق ، ص ٢٠٢

(٨٠) دار المحفوظات : المحفظة السابقة الذكر ، ويذكر جرجى زيدان أن عبد القادر الغريانى كان تابعا لدولة فرنسا .

انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٩٢

(٨١) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات محفظة رقم ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠

(٨٢) دار المحفوظات : المحفظة السابقة الذكر .

(٨٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع ، ص ٩١

وطنى [٨٤] فرارا من استئثار الأجانب بمرافق البلاد [٨٥] .

وكان من أهم أعمال هـذه الجمعية مساندة الثورة وتأييدها فيما يحدث من مواقف [٨٦] وقد استمر نشاط هـذه الجمعية فى حماية رجال الثورة العرابية وخصوصا السيد قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية [٨٧] ولم يتوقف نشاطها الا بعد هزيمة الثورة حيث قبض على رئيسها وأعضائها ووضعوا فى السجون بتهمة اثارة الناس وبلبلة أفكارهم وتختيم المحاضر والتداخل مع العصاة [٨٨] .

---

(٨٤) للتفاصيل انظر : الفصل التاسع .

(٨٥) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٠

(٨٦) عندما استقالت نظارة شريف باشا وانتقلت مقاليد الحكم الى العسكريين بتولى محمود سامى البارودى رياسة النظار ذهب النديم الى الاسكندرية ثم عاد الى القاهرة ومعه وفد من هـذه الجمعية للتهنئة والتعبير عن فرحتهم وتأييدهم، وقد خطب النديم بهذه المناسبة خطبة شملت الأمل فى الحياة الدستورية وما يامله الوطن فى ظل الدستور . انظر : الوقائع المصرية فى ٧ فبراير ١٨٨٢

وقد اهدى اعضاء وفد جمعية الشبان للنديم ساعة وسلسلة ذهبية تقديرا لجهوده الوطنية .

انظر : سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٢٣٢

كما كان لهذه الجمعية دور هام فى التختيم على المحاضر الخاصة بعزل الخديو حيث قام اعضاء هـذه الجمعية كما تذكر محافظ الداخلية « بتهييج الأفكار والتجاهر بالعصيان وايهام العامة بلزوم الختم على المحاضر التى كان جارى تحريرها على رغبة عرابى » .

دار المحفوظات : محافظ الداخلية . المحفظة السابقة الذكر .

ولما استقالت نظارة البارودى « تألف من هذه الجمعية وفد سموه بالوفد الاسكندرانى .. وتوجهوا الى المحروسة ومعهم جملة محاضر » موقع عليها من اهالى الاسكندرية بتاييد نظارة البارودى .

دار المحفوظات : محافظ الداخلية . المحفظة السابقة الذكر .

(٨٧) دار الوثائق القومية : جلسات قومسيون التحقيق بمصر ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٨٨) دار المحفوظات العمومية : محافظ الداخلية — رقم ٣٧ ملف ٨٦ مين ١٥٠ مخزن ٥٠

مواقف النديم تجاه العرابيين بعد عابدين :

استقرت فى الفترة الأولى من نظارة شريف الدستورية التى أكدت أن تشكيل مجلس النواب هو الوسيلة الوحيدة للاصلاح [٨٩] ، وابتعد رجال الجيش عن مسرح السياسة قليلا ، وعادوا الى ثكناتهم كطلب شريف باشا وتصميمه على ذلك [٩٠] ، كما استجابوا الى طلبه بالابتعاد عن العاصمة [٩١] فخرج عبد العال حلمى بالآلاى السودانى الى دمياط فى موكب شعبى كبير [٩٢] ، وكان فى وداعه عرابى والبارودى والنديم وجمع كبير من الأهالى الذين أخذ بعضهم ينثر الورود والرياحين على رءوس العساكر ، وسقى آخرون الناس شرابا سكريا [٩٣] ، وفى وسط

---

(٨٩) الوقائع المصرية فى ١٧ ، ١٩ سبتمبر ١٨٨١

(٩٠) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابيــة ــ محفظــة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٨ شهادة محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار أمام لجنــة التحقيق فى الحوادث العرابية .

(٩١) يذكر كرومر أن شريف باشــا اراد تشتيت شمل الجيش فى جهات متعددة حتى يزيل الصفة التى اكتسبها عرابى فى مظاهرة عابدين بأنه نائب عن الأمة .

Cromer : Modern Egypt vol. 1 p. 207.

بينما يذكر محمد صبرى : أن ترحيل عرابى الى راس الوادى كان بسبب ارسال بعثة نظامى باشا الى مصر ، وحتى يتضح لهــا أن الطاعة شاملة فى الجيش . ادب وتاريخ واجتماع . القاهرة ــ مطبعة مصر ١٩٥٠ ص ٤٣٩

(٩٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ ، تحت عنوان « المحاسن التوفيقية او تاريخ مصر الفتاة او زفاف الحرية فى مصر » .

Parliamentary Papers No. 23.

تلغراف من مالت الى جرانفيل فى ٢٦ سبتمبر ١٨٨١

وايضا : الوقائع المصرية العدد ١٢٢٣ فى اول اكتوبر ١٨٨١

(٩٣) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٢

هـذا الجو المشـبع بالوطنيـة وقف النديم يلقى خطابا الى حمـاة البـلاد وفرسانها حيى فيه رجال الجيش وأشاد بشجاعتهم (٩٤) وهنأ الحزب الوطنى على فوزه (٩٥) ودعا الأمة كلها الى الاتحاد والتعاهد على حفظ الوطن واختتم خطـابه بقوله « وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادى عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان) فنادى الجميع « رضينا بالموت فى حفظ الأوطان (٩٦)» ثم سافر النديم مع الآلاى الى دمياط وهناك ألقى خطابا حماسيا فى المحتشدين مدح فيه رجال الجيش الذين أنقذوا البلاد من جو الاستبداد كمـا لقب عرابى « بمحـرر البـلاد (٩٧) » .

ولمـا تأهب عرابى للسفر بآلايه الى رأس الوادى فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ خرجت البـلاد لتودع بطلها (٩٨) وازدحمت شوارع القـاهرة بالمشاهدين تستقبله بحماس (٩٩) وكان النديم بجانبه (١٠٠) بعـد أن

---

(٩٤) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣

(٩٥) محمد مهرى كركوكى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦٣

(٩٦) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٣ ، التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ ، تحت عنوان « المحاسن التوفيقيـة او تاريخ مصر الفتـاة او زفاف الحـرية فى مصر » .

(٩٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٩٤ — ٩٥

(٩٨) العصر الجديد : العدد ٨٨ فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١ ، تحت عنوان تلغرافات خصوصية ، ويذكر شريف باشا انه لمـا صمم على خروج عرابى بآلايه الى راس الوادى اظهر عرابى استحسان اقامته قطعيا بتلك الجهة، ولكن محمود سامى البارودى ابلغه بعـد ذلك بضرورة نقـل عرابى الى القناطر الخيرية . محافظ الثورة العرابية محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٨

(99) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 208.

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : العدد ١٧ فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ تحت عنوان « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتـاة أو زفاف الحـرية في مصر » .

خطب عرابى فى المحتشدين قام النديم بناء على طلب الحاضرين وألقى خطبة قوية وضح فيهاأحوال البلاد قبل انتفاضة الجيش مبينا الارهاب والظلم واستعلاء الغرباء على أهل البــلاد حتى نهض الأحــرار من أبنائها فخلصوها من المحنة[١٠١] وأشار الى الأطماع الخارجية المتربصة بالوطن وضرورة التمسك بالحكمة والصبر واجتماع الكلمة لمواجهتها ، كما تحدث عن الحرية فقال « وليست الحرية تتبع الشهوات البهيمية والأغراض الذاتية ، وانمــا هى معرفة الحقوق والواجبات [١٠٢] » وقد بالغ النديم أثناء خطبه « فى التنكيت والتبكيت حتى أخذ بالعقول وكاد يبكى الناس [١٠٣] » .

رافق النديم قائد الثورة فى سفره الى رأس الوادى ، وكان يخطب فى الأهالى الذين يجتمعون عند كل محطة [١٠٤] ، وعندما وصل القطار الى الزقازيق ازدحمت الجماهير الكثيرة ، وأقيم احتفال بهــا تكريما لعرابى حضره حوالى ألف شخص [١٠٥] خطب فيهم عرابى ، وحينئذ طالب النــاس النــديم بأن يخطب فيهم فاســتجاب لهم ، وما أن فرغ من خطبته حتى طلبوا منه الاستزادة فعاد وخطب مناديا بالوحدة والتمسك بالحرية [١٠٦] .

---

(١٠١) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ، ص ٢٨١

(١٠٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر ، ص ٢٨٢

(١٠٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٤

لقد كان لدى النديم مقدرة لا تبارى على استخدام الأساليب المختلفة فى أثناء الخطابة، فاستخدم النكتة المزوجة بالتهكم والسخرية من الأوضاع التى تردى فيها المجتمع ، فكانت كلماته كالسياط كما استخدم اســاليب متنوعة أخرى مثل الزجل والشعر والفاظ من القــرآن الكريم واستعمل العامية فى بعض الأحيان حتى يفهمه كافة افراد الشعب .

(١٠٤) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٥

(105) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 208.

(١٠٦) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر .

ولم يكد شريف باشا يسمع بتردد الفلاحين والعربان على عرابى [١٠٧] وبأن الشرقية أصبحت مجالا لخطب النديم حتى استدعى عرابى الى القاهرة بحجة أن يكون قريبا منه فيتيسر له « اعطاؤه النصائح فى كل وقت [١٠٨] ثم وافق بعد ذلك على تعيينه وكيلا للجهادية نتيجة لاصرار البارودى [١٠٩] واستحسان باقى النظار لرأيه [١١٠] ولما أحس شريف باشا بخطورة النديم أراد الترصد له ولصحيفته وقد وضح النديم ذلك فى مقال له تحت عنوان « تقريع الأغبياء » ذكر فيه أنه قد جاء زمن القوانين التى تحمى المواطن من بطش الحاكم فقال « وقد مات زمن تحرير التذاكر السرية لابعاد زيد أو نفى عمر وجاء زمن القوانين والأحكام الحقة فقل لمن غاظه الحق وغلبه الصدق، وخاب سعيه فى املاك أخيه موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور [١١١] » وبعد أن اتضح للجميع أن النديم هو داعية الجيش

---

(١٠٧) ذكر شريف باشا ان البارودى قال له ان وجود عرابى فى راس الوادى مضر لأن الأهالى والعربان مترددون عليه لكونه من الشرقية وربما تحصل مفاسد من ذلك .

انظر : دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٧٨

وفى راى الباحث ان البارودى كان يساوم شريف باشا على حضور عرابى الى القاهرة حتى يكون قريبا من الأحداث .

(١٠٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٧٨ شهادة محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار أمام لجنة تحقيق الحوادث العرابية .

(١٠٩) حينما سئل البارودى عن انه أصر على تعيين عرابى لوكالة الجهادية لم يتردد فى القول بنعم .

انظر : محاضر جلسات قومسيون التحقيق بمصر ، ص ٩٤ محضر بتاريخ ٦ اكتوبر ١٨٨٢ مخطوط بدار الوثائق .

(١١٠) ذكر كرومر ان شريف باشا كان رئيسا اسميا للوزارة بينما كان عرابى رمزا للأقوياء فى البلاد .

(١١١) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١، ص ٢٨٧

الأول وجهاز اعلامه المتنقل [١١٢] طلب منه عرابى تغيير اسم جريدته بمـا يلاءم مع الظـروف التي يمر بهـا الوطن فأصـدر النـديم الطائف [١١٣] .

سارت الأمور بطريقة طبيعية وكادت تتمكن الحياة الدستورية من السير فى طريقها السليم لولا أن ذلك لم يوافق هوى كل من انجلترا وفرنسا فافتعلا سلسلة من الأزمات لعرقلة الأمور وبدأ تدخلهما يظهر بصورة سافرة [١١٤] ، ولمـا حاول شريف باشا مهادنة النفوذ الأجنبى بحد سلطة النواب من الاطلاع على الميزانية ثارت ثائرة معظم أعضاء المجلس [١١٥] ممـا دفع شريف الى الاستقالة وانتقال مقاليـد الأمور الى الحـزب العسكرى وأنصـاره فتألفت نظـارة محمـود سـامى

---

(١١٢) رفعت السعيد : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٢

(١١٣) للتفاصيل فى هذا الموضوع : انظر الفصل الحادى عشر .

(١١٤) حينما اجتمـع مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ طلب المراقبان المـاليان الحـد من سلطة البرلمان فى تقرير الميزانية . الوقائع المصرية فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ كما ارسلت كل من انجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة فى ٧ يناير ١٨٨٢ تأيدان فيها الخديو فى التغلب على الصعوبات التى تواجهه ثم أرسلتا مذكرة فى ٢٦ يناير من نفس السنة تؤيدآن ما طلبه المراقبان المـاليان فى عدم اقتراع المجلس على الميزانية .

John Marlowe : Anglo Egyptian Relations 1800 - 1953, London 1954 p. 126.

وأيضا المحروسة ٤ فبراير ١٨٨٢

(١١٥) كان هناك اتجاهان داخل البرلمـان دستورى معتدل وعلى راسه شريف باشا ودستورى ثورى يستند الى رجال الجيش ، ومع زيادة التدخل الأوربى فى شئون مصر ازدادت أهمية العناصر الثورية .

د. جلال يحى : مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية فى القـرن التاسع عشر ، ص ٣١٧

البارودى [١١٦] وعين فيها عرابى ناظرا للجهادية [١١٧] ، وبذلك نجح العرابيون فى السيطرة على الموقف ، وتحقيق آمال الأمة ، واضعاف مركز الخديو [١١٨] استهلت نظارة البارودى عهدها بأن جعلت من حق المجلس النظر فى الميزانية والاشراف على أحوال البلاد المالية مع تعهدها باحترام الارتباطات الدولية والالتزامات المرتبطة بالديون [١١٩] كما كونت مجلسا لرفع الاستبداد الادارى عن الشعب والمساعدة فى تجهيز القوانين واللوائح الادارية سمته مجلس شورى [١٢٠] الحكومة

---

(١١٦) تذكر سجلات الثورة العرابية ان البارودى جمع « الضباط والنواب فى قشلاق عابدين ، وطلب منهم المطالبة بتعيينه فى مجلس النظار خلفا لشريف باشا ، فذهب النواب الى الخديو ، وطلبوا تعيينه » سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ص ١٧ تحت عنوان « مكاتبات المعية السنية » .

فى حين يذكر اسماعيل سرهنك أن الخديو هو الذى وقع اختياره على البارودى حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٢٨١

انظر ايضا : الوقائع المصرية العدد ١٣٢٥ بتاريخ ٤ فبراير ١٨٨٢ بخصوص كتاب الخديو الى البارودى بتشكيل الوزارة فى ٤ فبراير ١٨٨٢

(١١٧) يذكر شريف باشا ان البارودى اغرى الجهادية بتعيين عرابى ناظرا لها . انظر : محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم (٦) تحت عنوان افادة من رئيس النظار الى قومسيون التحقيق بمصر . كما يذكر النديم بأنه لم يكن يجب أن تحال على عرابى نظارة الجهادية .

د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق ، ص ٦٣

(١١٨) يتضح ذلك من رسالة ارسلها مالت الى جرانفيل .

F. O. 407/19 No. 259 Sir E. Malet to Earl Granville, Feb. 17, 1882. Telegraphic No. 52.

(119) Blue Books. Egypt (1882) No. 22.

تلغراف من مالت الى جرانفيل بتاريخ ٦ فبراير ١٨٨٢

وايضا البرت فارمان : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٦

(١٢٠) محفوظات مجلس الوزراء — الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين محفظة رقم ٢

وازاء هــذه المواقف برز دور عبد الله النــديم فى الدفاع عن حكومة الثورة وفى اشعال القلوب بجذوة الحماس ونور الوطنية [١٢١]. والدفاع عن مجلس النواب وحقه فى الاشراف على الميزانية كما هاجم مساوىء الأوربيين فى جعل الشرق ضعيفا [١٢٢]، وندد بالتدخل الأجنبى والصحف الأجنبية التى اعتبرت الدفاع عن الحقوق عدوانا على الأجانب ، والتى صورت الأزمة بتعصب دينى من المصريين ، كما شارك النديم بخطبــه البــلاد فى بهجتها بانتصار مجلس النواب حيث قدم على العــاصمة المهنئون من أقاصى البــلاد ودانيها على اختلاف المذاهب للتهنئة [١٢٣]، ونجح فى تعبئة الرأى العــام وتنمية الوعى القــومى لدى الشعب ، واثارة مشاعر أبنائه وابراز ما يحيط بهم من ظلم داخلى وخطر خارجى بدرجة مؤثرة كما أصبحت جريدة الطائف أولى الصحف الوطنية حتى أن معظم الصحف اعتبرتها الجــريدة الرســمية [١٢٤] ، وازاء هــذا الابتهاج الوطنى أحس الكثير من الأوربيين المقيمين فى مصر بالفــزع والخوف على أنفسهم فأخذ بعضهم فى الهجرة [١٢٥] .

سارت الحركة الوطنية يحدوها الرغبــة فى التقدم ، ولمــا كان النديم يمثل الجانب المتطرف فى فكر قادة الثورة فقد اقترح أن ترسل كل المكاتبات الرسمية الى الحكومة لا الى الخديو ، وألا يكون من حق الخديو الموافقة على شىء بدون موافقة الحكومة ، ولمــا عرض الأمر على الخديو رفض قبوله وتجنبا للصــدام معه اضــطر الوزراء الى التخفيف من لهجة هذا الاجراء تحاشيا لأية متاعب ممــا أثار شعور النديم فتمرد ضدهم وطالب بخلع الخديو [١٢٦] .

---

(١٢١) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٣٣٤

(122) Tignor : op. cit., p. 153.

(١٢٣) اسكندرية : العدد ١٤٨ فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨١

(124) The Times. London. 10/3/1882.

(١٢٥) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٤

(126) Blunt : Secret History of the English occupation of Egypt. London .p. 545.

والواضح أن العرابيين كانوا يشكلون عدة اتجاهات اتجاه متطرف ويتمثل فى عبد الله النديم ومحمد عبيد وطلبه عصمت ويعقوب سامى ومحمود فهمى وعلى الروبى (١٢٧) ، واتجاه وسط يتمثل فى عرابى واتجاه معتدل يتمثل فى عبد السلام المويلحى والبارودى ، ولما كان المتطرفون يزجون بالثورة الى مواقف خطيرة (١٢٨) كان المعتدلون يحاولون تهدئة الموقف •

وفى غمرة هذا الابتهاج الوطنى تآمر بعض الجراكسة على اغتيال الزعماء الوطنيين (١٢٩) وقتل كل وطنى له منصب كبير (١٣٠) ،

---

(١٢٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٧ ، ص ١٦٧

(128) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville September 19/1881 (No. 233).

(١٢٩) عندما قام عرابى بتمصير الجيش واصدار قوانين فى صالح الوطنيين وترقية بعضهم حدث ضجر بين الجراكسة •

Parliamentary Papers. Egypt. No. 7 (1882).

تلغراف من مالت الى جرانفيل بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٨٢

وايضا :

Marlowe , op. cit., p. 120.

كما أن عرابى شكل لجنة لفرز الضباط المستودعين ففرزت نحو الستمائة اكثرهم من الأتراك والشراكسة فاصبحت الجهادية وطنية محضة •

محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦٨

(١٣٠) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٥٦ ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق ، ص ٩٦ مخطوط بدار الوثائق ، جريدة مصر العدد ١٦ فى ١٩ أبريل ١٨٨٢ تحت عنوان « مكرسيىء » •

انظر ايضا :

Cromer : op. cit., vol. 1 p. 191.

ولما كشفت المؤامرة (١٣١) أقيمت الاحتفالات والولائم بالاسكندرية تهنىء بسلامة رجال الثورة وتندد بالمتآمرين ، وقد ألقى عبد الله النديم فى هذه الاحتفالات خطبا تناولت ذم الشراكسة والتنبيه على سلامة عرابى (١٣٢) ، وبعد أن حوكم المتآمرون رفض الخديو التصديق على الأحكام الصادرة ضدهم ، مما أدى الى حدوث أزمة عنيفة بينه وبين العرابيين (١٣٣) ، هاجم النديم فيها الخديو هجوما عنيفا ولقبه بالخائن المخدوع (١٣٤) .

---

(١٣١) تدم المتآمرون ومنهم عثمان رفقى الى المحاكمة ، وصدر الحكم بنفى أربعين منهم مدى الحياة الى السودان وتجريدهم من الرتب العسكرية .

Parliamentary Papers. Egypt No. 7 (1882). p. 89 No. 112.

تلغراف من مالت الى جرانفيل فى ٢٢ ابريل ١٨٨٢.

انظر أيضا : دار المحفوظات . ملف خدمة عثمان رفقى — محفظة رقم ٢٩٥ عين ١ دولاب ١٤.

(١٣٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى وكيل عموم الاستحكامات .

(١٣٣) عن تفاصيل هذه الأزمة . انظر :

أ — دار الوثائق : وثائق الحكومة النمسوية عن المسألة المصرية ، ملخص تقرير رقم ٢٩ ب (مترجم الى العربية) .

ب — دار الوثائق : سجلات الثورة العرابية سجل رقم ٩٠ ، ص ١١ تحت عنوان مكاتبات المعية السنية .

جـ — دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ — دوسيه ١١٠

د — دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ عابدين .

هـ — دار الوثائق : محفظة رقم ١١٦ أبحاث .

و — دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية محفظة رقم ٦ تحت عنوان من قومسيون التحقيق الى رئيس مجلس النظار .

ز — دار الوثائق : محافظ مجلس النواب — محفظة رقم (١) .

(١٣٤) الطائف فى ٦ مايو ١٨٨٢

ولما توسط النواب للتوفيق بين الطرفين اشترط الخديو تعطيل الطائف لشدة ما وجهته اليه من اهانات ، ولما كان الموقف خطيرا والرأى العام فى حاجة الى تهدئة ، والأنباء تتردد بوصول السفن الحربية الانجليزية والفرنسية الى مصر أصدرت الوزارة قرارا بتعطيل الطائف والمفيد (١٣٥) فى ١٧ مايو ١٨٨٢ لمدة شهر (١٣٦) مما يوضح لنا أن العقل المنظم للثورة لم يكن عقلا ارتجاليا أو معدوم الخبرة تماما بل كان عقلا تكتيكيا فقد رفع شعار المحافظة على السلام الداخلى فى الوقت المناسب (١٣٧) والتزم النديم به كما يتضح ثقة رجال الثورة فى تأثير الطائف على الشعب •

سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لأى تدخل أجنبى (١٣٨) ، ولكن ما ان وصلت الأساطيل الحربية (١٣٩) الى الاسكندرية حتى تقدمت انجلترا وفرنسا بمذكرة مشتركة فى ٢٥/٥/١٨٨٢ يطلبان فيها

---

(١٣٥) صدرت فى اكتوبر ١٨٨١ وكان يحررها حسن الشمسى ، وقد تميزت هذه الجريدة بالمقالات المتخصصة عن الرابطة الاسلامية ، كما انها حملت على الخديو والانجليز حملة شعواء .

فيليب دى طرازى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠ — ٢١

وايضا :

Parliamentary Papers. Egypt No. 5 (1882).

(١٣٦) الوقائع المصرية فى ١٧ مايو ١٨٨٢

(١٣٧) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٨

(١٣٨) يتضح من محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى أن الخديو لم يطلب المعونة الأوربية .

Parliamentary Debates, vol. 264 p. 371.

(١٣٩) عن اعداد وتسليح سفن هذه الأساطيل . أنظر :

Parliamentary Debates vol. 269 p. 1615.

أسقاط وزارة محمود سامى البارودى وابعاد عرابى عن مصر ، وتحديد اقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف [١٤٠] .

وافق الخديو على المذكرة بينما رفضتها الأمة كلها مما دفع البارودى الى تقديم استقالته فى ٢٦/٥/١٨٨٢ احتجاجا على هذا التدخل فوافق الخديو على الاستقالة ، وتولى أمور الجيش بنفسه[١٤١] مما دفع كبار الضباط الى التذمر كما عملت محاضر وقع عليها الناس لخلع الخديو [١٤٢] .

وهاجت نفوس الشعب وعقدت الاجتماعات تأييدا للعرابيين وأرسلت جمعية الشبان بالاسكندرية وفدا الى القاهرة ومعه محاضر موقع عليهابتأييد وزارة البارودى[١٤٣]كما ظلعرابى علىاتصال بالجيش

---

(١٤٠) يذكر الخديو بأن هذه المذكرة كانت بناء على ميل ورغبة سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى بقاء وتأييد الأمن للقطر المصرى .

دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ عابدين — تلغراف من خديو مصر الى ثابت باشا .

كما وضح مصطفى كامل ذلك فى كتابه وكان من رايه ، انه يجب على عرابى باشا ان يبتعد عن مصر ويعمل براى سلطان باشا لتطمئن الخواطر وتزول أسباب التداخل الأجنبى .

انظر : مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠

(١٤١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩٨ ، ١٠٤ سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٥ تحت عنوان المعية السنية .

(١٤٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ ، سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٤ تحت عنوان « المعية السنية » .

(١٤٣) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات بحفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥ .

والوطنيين[١٤٤] موضحا لهم أن النظارة وان كانت قد استعفت لأمر سياسى فانه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى[١٤٥] .

فى غمرة هذه الأحداث برز دور النديم فتوجه الى الأزهر ، وخطب فى رجاله فأشعلهم حماسة وزادهم وطنية وايمانا بالثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو[١٤٦] ثم توجه الى الاسكندرية يخطب فى الناس متهما الخديو بالرغبة فى بيع البلاد للانجليز ، وبأنه هو الذى طلب احضار البوارج الحربية الانجليزية الى الاسكندرية لاحتلال المدينة وقتل كل مسلم وضرب مساجدها[١٤٧] فأشعل الروح الوطنية والدينية وأيقظ النفوس فوردت التلغرافات من كافة طبقات الشعب تؤيد العرابيين فى موقفهم الوطنى[١٤٨] .

---

(١٤٤) يتضح ذلك من رسالة أرسلها الخديو توفيق الى الباب العالى قال فيها أن عرابى وان كان قد استقال (لفظا) فانه لم يتخل عن القيادة بل ظل يتابع اصدار النشرات الى العساكر حيث يضمنها تعليماته ، كما أن الضباط والعساكر لا يأبون سواه ناظرا للجهادية .

ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ عابدين .

(١٤٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف ٢٢٢

(١٤٦) أثناء الثورة العرابية انقسم المشايخ فى الأزهر الى قسمين اكثرهم مع عرابى واقلهم مع الخديو ، وكانوا يسمحون للنديم أن يدخل الأزهر ، ويخطب فيهم الخطب السياسية .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٥١٠

(١٤٧) الطائف نقلا عن الترجمة الانجليزية . انظر :

Blue Books. Egypt No. 17 (1882) p. 274.

وعن وجهة النظر المخالفة لذلك انظر :

F. O. 407/22 Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

(١٤٨) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية محفظة رقم ٦ داخلية .

والتحمت طبقات الشعب فخرج العلماء والمشايخ والنواب والأعيان ومجموعة من التجار وأرباب الحرف الى الخديو مطالبين بابقاء عرابى فى نظارة الجهادية حفاظا على الأمن وتسكينا للاضطراب لأنه فى حالة عدم قبول ملتمسهم سيحصل قتل عام (١٤٩) . فاضطر الخديو تحت هذا الضغط الشعبى الى اعادة عرابى الى نظارة الجهادية والبحرية (١٥٠) .

ونتيجة لتطورات الأحداث حاول السلطان العثمانى استغلال الموقف بهدف عودة سلطانه المتدهور فى مصر (١٥١) فأرسل وفد برئاسة درويش باشا لتقصى الحقائق والتحقيق فى أمر الخلاف بين الخديو والوزارة (١٥٢) فوصلت الى الاسكندرية فى ٧ يونيه ١٨٨٢ (١٥٣) فأرسل كل من الخديو وعرابى مندوبين لاستقبالها (١٥٤) كما سافر النديم الى الاسكندرية كى يهيىء الناس لاستقبال البعثة والاحتجاج على المذكرة المشتركة وتواجد الأسطولين (١٥٥) فعلم الرجال والنساء والأطفال نشيدا يردده واحد منهم هاتفا اللايحة اللايحة فيرد عليه الباقون مرفوضة . ارموها ، ارموها (١٥٦) .

---

(١٤٩) ملف ثابت باشا : محفظة ١٦٣. ــ تلغراف من الخديو الى ثابت باشا .

(١٥٠) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٨ صورة الأمر العالى الصادر الى احمد عرابى ، الوقائع المصرية العدد ١٤٢١ فى ٣١ مايو ١٨٨٢.

(151) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 194.

(١٥٢) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم احمد عرابى ، ص ٧٨ ، محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٢

(١٥٣) الوقائع المصرية العدد ١٤٢٨ فى ٨ يونيه ١٨٨٢

(١٥٤) عن صورة استقبال الوفد العثمانى . انظر : محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٨ ملف ٢٢٠ دوسيه ٥٣/د/٦

(155) Blunt : op. cit., p. 306.

وايضا . محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٥

(156) Blunt : op. cit., p. 306.

ولما وصل درويش الى القاهرة استقبله الشعب فى الطريق بهتافات يمدحون فيها « عرابى [١٥٧] » ويقللون من شأن الخديو [١٥٨] ولما أحس النديم بميول درويش العدائية تجاه الحركة الوطنية عقد اجتماعا بالأزهر هاجم فيه البعثة التركية هجوما عنيفا مما هز مركز درويش باشا وجعل المجتمعين ينادون برحيله من البلاد ولو بالقوة [١٥٩] .

هكذا كان دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية وتطورها ، ولكن انجلترا كانت ترقب الأحداث ، وتحاول انتهاز أية فرصة للتدخل العسكرى فى مصر .

---

(١٥٧) سجلات الثورة العرابية ـ سجل ٩١ ، ص ١٩ تحت عنوان « ضبطية مصر » .

(١٥٨) يذكر ديلانو ان النديم كان مسئولا عن المظاهرات عند وصول المندوب السلطانى .

Delanoue : op. cit., p. 90.

(159) Blunt : op. cit., p. 332.

للتفاصيل انظر : الفصل السابع من الكتاب .

الفصل الثالث

النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى

- النديم ومذبحة الاسكندرية .
- النديم وحريق الاسكندرية .
- دور النديم أثناء المعارك بين العرابيين والانجليز .
- كيف واجه النديم الهزيمة ؟

النديم ومذبحة الاسكندرية :

حاول الخديو احراج مركز العرابيين ، وخصوصا بعد أن تعهد عرابى بالمحافظة على الأمن والنظام فسعى الى احداث شغب فى القاهرة ولما تعذر ذلك [1] أرسل برقية الى عمر لطفى محافظ الاسكندرية آنذاك جاء فيها « ضمن عرابى الأمن العام ، ونشر ذلك فى الصحف ، وجعل نفسه مسئولا لدى القناصل فاذا نجح فى ضمانه هذا وثقت به الدول ، وصغر شأننا أما الآن وأساطيل الدول فى مياه الاسكندرية وعقول الناس متهيجة فوقوع الخلاف بين الأوربيين وغيرهم أمر محتمل فاختر لنفسك اما خدمة عرابى فى ضمانه أو خدمتنا [2] » ويذكر « روزشتين » أنه استتبع هذه البرقية مفاوضات أخرى جرت بين ابن عم الخديو الأمير حيدر باشا الذى انتقل عدة مرات بين القاهرة والاسكندرية حاملا رسائل المتآمرين ، كما سافر عمر لطفى الى القاهرة فى ٩ يونيه ليقف بنفسه على خطة المؤامرة [3] حيث اتفق

---

(١) استدعى الخديو ابراهيم بك توفيق مدير البحيرة وطلب اليه ان يجمع مشايخ قبائل البدو ويحضرهم اليه — ففعل — وبالغ الخديو فى حسن استقبالهم واكثر لهم من المواعيد ثم أوعز الى المدير ان يأمرهم بحشد ٣٠٠٠ ثلاثة الاف بدوى وباحضارهم الى العاصمة بطريق الجيزة ليحدثوا فتنة فى البلد لعدم وجود النظام بينهم ، ولكنه تعذر على المشايخ حشد العدد المطلوب من البدو .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٣٠

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٣٠
Blunt. op. cit., pp. 312 - 313.

(٣) تيودور روز شتين : تاريخ المسألة المصرية — ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٣ ، ص ١٨٦

على احداث شغب فى الاسكندرية ليكون وسيلة الى خدش تعهد عرابى والقاء اللوم عليه فوقعت مذبحة الاسكندرية [٤] وقد ساعد ذلك على القلق والاضطراب اللذان استوليا على سكانها [٥] نتيجة لتواجد الأساطيل الأجنبية فى مياه الاسكندرية ، ونتيجة لخطب النديم الثورية المؤثرة [٦] وكثرة الشائعات [٧] مما دفع الأوربيين المقيمين بها الى توقع الشر والاستعداد للدفاع عن النفس اذا دعت الحاجة الى ذلك [٨] .

ان أصابع الاتهام تشير الى أن مدبرى هذه المذبحة هم الخديو [٩] ، وعمر لطفى محافظ الاسكندرية [١٠] المسئول عن ملاحظة

---

(٤) الوقائع المصرية العدد ١٤٣١ فى ١٢ يونيه ١٨٨٢.

(٥) محافظ الثورة العرابية : محفظة ٢٠ محضر استجواب محمد طاهر معاون أول بوليس فى ٢١ اكتوبر ١٨٨٢ .

سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٨ ، ص ٤٧٣

(٦) انظر : خطبة الانفوشى : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسيه (٢٠) محضر استجواب احمد سلامة معاون ضبطية الاسكندرية .

(٧) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى الآن القاهرة — مطبعة الهلال ١٩١١ ، ص ٢٥٤

(٨) دار الوثائق القومية :

A. M. Broadley : The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha Vol. 2.

مذكرة من عرابى الى برودلى بخصوص حادث ١١ يونيه ١٨٨٢ تحت رقم (٢٥٢) .

(٩) انظر : محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٠

Broadley : op. cit.,

مذكرة من عرابى الى برودلى تحت رقم (٢٢٥) .

تيودور روز شتين : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨٦

أشغال الضبطية والدائرة البلدية بها [١١] والسيد قنديل مأمور الضبطية [١٢] والانجليز [١٣] والعرابيين بصفة خاصة النديم أما عن

= (١٠) انظر : مذكرات محمد فريد — تاريخ مصر ابتداء من ١٨٩١ — القسم الاول — الجزء الرابع ، ص ٨٩ ، روز شتين : المرجع السابق الذكر ص ١٨٧

محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، الامام محمد عبده آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٤٠

Marlowe : op. cit., p. 135.

Broadley : How we defended Arabi p. 236.

(١١) دار المحفوظات العمومية : ملف خدمة وربط معاش عمر باشا لطفى — محفظة ٣٥٣ عين ٤ دولاب ١٦ دوسيه ١٠٠٠٤

(١٢) انظر :

Blue Books. Egypt No. 11 (1882).

تقرير من المستر هوات الى المستر هارمان .

وايضا تلغراف التنصل كالفرت الى السير جرانفيل ، محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٥٧ — شهادة محمد الأسود الأنباشى ببوليس الاسكندرية ، سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤

Marlowe : op. cit., p. 135.

سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٦١٨ — ٦٢٦

جرجس ميخائيل : الأثر — تاريخ توفيق الأول — مطبعة المصرى ١٨٩٢ ص ٣٩

محمد البارودى : المرجع السابق ، ص٢٨ ، محاضر قومسيون التحقيق بمصر — استجواب مصطفى بك النجدى من السجن — حكيم باستبالية الاسكندرية ، ص ٦٠٧

(13) John Ninet : Arabi Pacha-Egypt (1880 - 1883) Paris, 1884 p. 119.

جوليت آدم : انجلترا فى مصر — تعريب على فهمى كامل — القاهرة مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى ، ص ١٢٣ ، مصطفى كامل : « المسئلة الشرقيــة » ٢٣٥ ، د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته =

التهم الموجهة الى النديم فهى اتهامه بأنه شجع المشاغبين على المذبحة (١٤) بخطبه المؤثرة التى ألقاها واجتماعه بشبان الاسكندرية وتأثيره عليهم (١٥) بتحريضهم لهم على الفتك بالأجانب (١٦) مما دفع الأوربيين الى الاستعداد للدفاع عن أنفسهم •

ويذكر عمر لطفى فى تقريره أمام قومسيون التحقيق فى ٣ أكتوبر ١٨٨٢ أن النديم حرك أفكار « الأهالى بالخطب والدسائس التى أعقبت مقتله ١١ يونيه » مما كان له أبلغ الأثر فى أذهان العامة ، ولا سيما الشبان الذين ضمهم اليه ، وجعلهم آلة فى انجاز أغراضه فداوم على التردد عليهم حتى انقاد له الكثيرون (١٧) ورغم التنبيه عليه

=

السياسية ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، سلافة النديم ، جـ ٢ ، ص ٨٠ مقال النديم : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » ، د. سمير محمد طه : أحمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية المصرية — رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٨٠ ، وعن الرأى المخالف لذلك انظر :

محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى حيث يتضح منها أن هذه المذبحة كانت كارثة بالنسبة للانجليز .

Parliamentary Debates, vol 270 p. 1724.

سؤال من ايرل نيفر شام لوزير الخارجية .

Blue Books - Egypt. No. 11 (1882).

(14) Blue Books - Egypt. No. (1882).

برقية من جرانفيل الى مالت بتاريخ ١٧ اغسطس ١٨٨٢

(١٥) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠

(١٦) محمد البارودى : تاريخ العائلة الخديوية وتفاصيل الثورة العرابية . القاهرة — مطبعة الهلال — الطبعة الأولى ١٨٩٧ ، ص ٢٦.

(١٧) تقريرات وشهادات مقدمة الى لجنة التحقيق عن حوادث الثورة العرابية ، جـ ١ — مخطوط : دار الوثائق القومية بالقلعة تحت رقم ٣٢٧.

بمغادرة الاسكندرية وعدم العودة اليها [١٨] عاد وعمل ما عمله من الخطابة فى الجهة المعروفة باسم الأنفوشى ثم ذهب ولم نشعر به الا فى اليوم الثانى وقد أعقبت ذلك واقعة المقتلة ثم أنهى عمر لطفى تقريره باتهام النديم وغيره من العرابيين بأنهم كانوا سبب الحادثة [١٩] .

تتفق التقارير الانجليزية الخاصة بمذبحة الاسكندرية مع تقرير عمر لطفى فى أن هذا الحادث كان نتيجة لخطة مدبرة من قبل العرابيين [٢٠] كما ذكر الياس الشامى المعاون بضبطية الاسكندرية أن خطب النديم كانت تهيج الأفكار وتحرض المصريين ضد الأوربيين والأتراك ، وتحث الشبان على حمل السلاح وتعلم استعماله حتى استجاب بعضهم له ، وتوجهوا لتعلم ذلك طرف العساكر برأس التين [٢١] .

وذكر محمد تامى اليوزباشى ببوليس الاسكندرية أثناء استجوابه أن النديم كان يحضر الى الاسكندرية ، ويلقى فيها خطبا ضد الحضرة الخديوية وضد الأوربيين [٢٢] كما يذكر شاهد عيان أثناء

---

(١٨) اكد النديم ذلك بقوله ان عمر لطفى طلب منه مغادرة الاسكندرية ، ولكنه لم يهتم بكلامه .

د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٦٧

(١٩) تقرير عمر لطفى الى قومسيون التحقيق السابق الذكر .

(20) Blue Books. Egypt. 1882.

من جرانفيل الى مالت فى ١٧ اغسطس ١٨٨٢

(٢١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٨ ملف ٤٦ شهادة الياس ملحمة الشامى المعاون بالضبطية عن حادث الاسكندرية .

(٢٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ٢٠٠ استجواب اليوزباشى محمد تامى ببوليس الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيه واعمال عبد الله نديم بالاسكندرية .

استجوابه عن الحادث أن الخطب المهيجة التى كان يلقيها النديم خصوصا الخطبة الأخيرة التى ألقاها على شاطىء البحر بجهة السيالة والتى كانت قبل الحادثة بيومين كان لها أكبر الأثر فى هذه الحوادث [٢٣] ، ويتفق مع هذا القول محمد طاهر المعاون بالضبطية ويزيد عليه أن موضوع هذه الخطب كان مصر للمصريين [٢٤] .

وذكر أحمد سلامة المعاون بضبطية الاسكندرية أنه بلغه قبل الواقعة بيومين أن النديم ألقى خطبة فى جهة الأنفوشى هيج فيها الأهالى وحرضهم على قتل النصارى (يقصد الأوربيين) وحثهم على الحرب وحفظ الوطن [٢٥] .

ومن محضر استجواب السيد قنديل يتضح أن محافظ الاسكندرية نبه على النديم بمغادرة المدينة لخطورته حيث قال « عبد الله النديم كان موجودا بالمحافظة وأنا أيضا كنت حاضرا فسأل سعادة المحافظ عبد الله النديم قائلا له هل أتيت لتهيج البلد بخطبك فأجابه عبد الله النديم لم يحضر لذلك وحتى بحنجرته مرض وأنه مسافر يومها فالمحافظ أكد عليه بالسفر [٢٦] » .

كما يتضح من محضر استجواب يعقوب سامى أنه قبل حصول

---

(٢٣) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسيه ١٣ — محضر استجواب ابراهيم بك الناضورى ومعلوماته عن حادثة ١١ يونيه بالاسكندرية .

(٢٤) محافظ الثورة العرابيــة — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٣ محضر استجواب محمد طاهر معاون بضبطية الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيه ١٨٨٢ واشتراك السيد قنديل وعبد الله نديم فيها .

(٢٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسيه ٢٠ — محضر استجواب أحمد سلامة معاون بضبطية الاسكندرية .

(٢٦) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ تحت عنوان « قضية السيد قنديل » .

وأقعة ١١ يونيو « توجه النديم وهيج الأفكار ضد الأوربيين وكذلك حسن موسى العقاد أحضر نبابيت وبعد ذلك حصلت الواقعة (٢٧) » وأكد أحد كبـار الضباط فى محضر استجوابه أن عبد الله النديم أخبره قبل الحادث بيوم أنه سيحدث بالاسكندرية أمر خطير ، وهـذه هى نص رواية الضابط « أنى قبل حصول المذبحة بيوم واحد قابلت عبد الله النـديم فى وقت الصـباح بمصر فسـألته فى اى وقت حضرت من اسكندرية فقال حضرت منها ليلة أمس لأشغال مهمة وأنى متوجه اليها فى هـذا اليوم بعد الظهر لأن الاسكندرية سيحصل فيها بكرة حركة جسيمة جـدا ، وفى ثانى يوم حصلت تلك المذبحة فتحقق لى بذلك أن (عرابى) كان له دخل فى هـذه الحركة الفظيعة (٢٨) » .

وذكر قائمقام المستحفظـين فى محضر استجوابه أن النديم كان يحرض الشـبان ويتكلم فى الديانات ، ويلقى الخطب ، وأن سـعادة المحافظ نبـه عليه بالخروج من الاسكندرية (٢٩) ويتضح من رسـالة أرسلها القس صابونجى الى بلنت أن شخصية النديم السريعة الاثارة كان يمكنها اشعال النـار فى أى وقت لحرب دينية (٣٠) .

كما ذكر جون مارلو أن مذبحة الاسكندرية كانت النتيجة التلقائية للدعاية المضادة للأوربيين والمسيحيين التى روجها الوطنيون والعلماء(٣١)

---

(٢٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٣ ـ محضر استجواب يعقوب سامى .

(٢٨) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة ١٩ دوسيه ١٣٢ ـ محضر استجواب على حلمى بك (اركان حرب) .

(٢٩) دار الوثائق : محاضر جلسات قومسيون التحقيـق بمصر ـ استجواب على داود قائمقـام المستحفظين عن واقعـة ١١ يونيـه ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠

(30) Blunt : op. cit., p. 545.

(31) Marlowe : op. cit., p. 135.

وعندما سئل عرابى أثناء محاكمته عن صلته بالنديم ، وعن مدى معرفته بسفره الى الاسكندرية قبيل المذبحة وتنبيه المحافظ عليه بالخروج منها وعدم استطاعته ذلك لصلته بالعرابيين لم ينكر عرابى هذا بل قال بأنه ليس مسئولا عن النديم ولا عن تصرفاته (٣٢) ورغم أن هذه الشهادات والتقارير تؤكد أن للنديم يدا فى أحداث مقتلة ١١ يونيه فان هنــاك شهادات آخرى تذكر أن النديم ليس له يد فى هذه المذبحة فيذكر بلنت أن خطب النديم فى ذلك الوقت كانت تحض الناس على الهدوء ، وانه كان يشرح لهم عدم التورط فى أى اشتباك مع الأوربيين حتى لا تعطى الفرصة للأسطول الانجليزى بالتدخل وضرب المدينة (٣٣) ويذكر محمد حندق صاغقول مستحفظين الاسكندرية فى محضر استجوابه أن النديم لم يشجع الأهــالى ضــد الأوربيين بل كان يطلب منهم الاتحــاد ، وألا يعتدوا على أحد(٣٤) كما يذكر أحمد رفعت « رئيس قلم المطبوعات فى محضر استجوابه أنه « لمــا ألقى شاب يسمى مصطفى ماهر مقالة فيها أقوال شنيعة ضد الأوربيين أشار له عبد الله النديم اشــارة عدم استحسان (٣٥) » .

والجدير بالذكر أن النديم لم يكن موجــودا بالاسكندرية وقت الحادث بل كان بالقاهرة (٣٦) ، علما بأن هــذه المذبحة قــد أحزنت « عرابى » ورفاقه (٣٧) لأن عدم استتباب الأمن قد أساء اليهم ، وقلل

---

(٣٢) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ دوسيه ٥٣/١ محضر استجواب احمد عرابى .

(33) Blunt : op. cit., p. 505.

(٣٤) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٤ ملف ٣٠٦ ـ محضر استجواب محمد حندق .

(٣٥) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ، ص ١٦٦

(36) Blunt : op. cit., p. 505.

(٣٧) البرت فارمان : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٩٦

من عطف الدول الأوربية على حركتهم ومع أننا نضع فى الحسبان أن شهادات وتقارير الشهود كانت بعد هزيمة العرابيين وخروجهم من ساحة المعارك ، وأن المغلوب كثيرا ما تلصق به التهم جزافا [٣٨] فنحن نرى أن طبيعة النديم الثورية ولهجته الخطابية التى تستثير الشعور دون حيطة او تبصر [٣٩] وكراهيته للأجانب كان لها أكبر الأثر فى اثارة الأهالى الذين تشبعوا بكراهية الأجنبى المستغل لأرزاقهم وأقواتهم فكتموا غيظهم فى أنفسهم حتى حدثت الفرقعة ، وكان دويها واضحا يوم ١١ يونيه ١٨٨٢ مما أتاح الفرصة للانجليز فاتخذوا من هذه الأحداث ذريعة للتدخل المباشر [٤٠] بحجة عجز العرابيين عن حماية أرواح الأجانب [٤١] فضرب الأسطول الانجليزى طوابى الاسكندرية فى ١١ يوليه ١٨٨٢ [٤٢] وبذلت القوات المصرية جهدها [٤٣] فى مواجهة قذائفه واشترك أهالى الاسكندرية فى نقل الذخائر الى المدافعين ، ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق استمرار الصمود والمحافظة على الطوابى [٤٤] .

---

(٣٨) تحدث النديم عن ذلك فقال : أى شهادات مزورة مقدمة من اناس صورتهم صورة الأمراء والوجهاء ، وحقيقتهم حقيقة سفلة اغبياء ويعلم الله انهم ينسبون الى ما لم يخطر ببالى .
عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٣٩) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ، ص ١٤٦

(40) Parliamentary Debates vol 270 p. 818.
سؤال من مستر بوكر لوكيل وزارة الخارجية .

(41) Dicey ; The Egypt of the Future p. 171.

(٤٢) الوقائع المصرية فى ١٣ يوليو ١٨٨٢ ، وعن عدد السفن التى اشتركت فى الضرب . انظر اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٩٧

(٤٣) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠

(٤٤) عن أماكن الطوابى واسمائها . انظر : اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ص ٣٩٧

النديم وحريق الاسكندرية :

نزلت القوات الانجليزية الى الاسكندرية فانحاز الخديو لها (٤٥) وسارع هو وشيعته الضئيلة بتهنئتها (٤٦) ، ولما علم النديم بهذه الأخبار وكان وقتئذ بالقاهرة أسرع الى الاسكندرية حيث وجد التخريب والتدمير والفزع منتشرا بين اهاليها ، وفى أثناء تجواله قابل محمود سامى البارودى فاخذا يتدبران الأمر (٤٧) ثم اتجها معا الى عرابى حيث استقر رأى الجميع على الانسحاب من الاسكندرية الى منطقة كفر الدوار (٤٨) حيث أن الاسكندرية لم تعد تصلح كمنطقة دفاعية بعد تحطيم حصونها ولكن هل يترك العرابيون الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية الغازيه أم يعرقلوا دخول هذه القوات فتحرق المدينة وتنهب حتى يجد الانجليز الصعوبات عند احتلالهم لها ، هذا هو السؤال الذى سنحاول الاجابة عليه استنادا على ما ذكره شهود العيان .

---

(٤٥) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠

(٤٦) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، ص ٢٦ مخطوط بدار الوثائق القومية .

(٤٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠١ ــ ملف استجواب « عبد الشافى الوردانى » معاون الأوقاف والذى كان مرافقا للبارودى فى الاسكندرية ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق : محضر استجواب محمود صادق معاون الأوقاف ، ص ١٤٣

مخطوط بدار الوثائق : ويذكر البارودى انه فى اثناء مروره بعد الضرب تقابل مع عبد الله النديم وساله عن جهة قصده فأجابه انه يمر مثله ، فاستفهم منه عن محل لقضاء الليلة فيه فقال انه اذا وجد اباه بالمنزل يمكننا قضاء الليلة هناك .

سليم النقاش : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧١

(٤٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ٩

يذكر بلنت وسليم النقاش أن العرابيين حرقوا الأسكندرية وفقاً لتكتيك عسكرى سليم بالا يستفيد العدو من البلد الذى يدخله كما فعل الروس فى موسكو أثناء الغزو النابليونى حتى لا يجد العدو مأوى ولا مئونة ولا ذخيرة لرجاله ، وحتى يستطيع عرابى التقهقر لاتخاذ اماكن استراتيجية للقتال (٤٩) ويؤكد ذلك ما ذكره « أحمد رفعت » فى محضر استجوابه بأن عرابى ذكر أنه « اذا تداخل أحد لازم نموت لآخرنا ، ونفنى كل شىء (٥٠) .

ويتهم حسين باشا الدرملى النديم بأنه كان من المشجعين على حرق الاسكندرية ونهبها حتى لا يجد الانجليز شيئا عند احتلالهم لها فقال : « حضر النديم الى الداخلية بعد الضرب ... وأخبرنى بكيفية الضرب على الطوابى والحرق والنهب وتفوه بالفاظ تهور كثيرة جدا لا أتذكرها وانما أتذكر قوله أنه بالنظر لما أجراه الانجليز من تخريب الطوابى أحرقنا البلد ونهبتها العساكر كى لا يجدوا شيئا عند طلوعهم (٥١) » .

ويؤكد (أحمد سلامه) اتهام (حسين باشا الدرملى) للنديم فيذكر أنه رأى النديم بعد الحادث فى محطة سيدى جابر راكبا صهريج الوابور وفى يده طبنجة ، وسمعه يقول أنه قتل بها ثلاثة أشخاص وان حرق البلد تم بواسطة غاز أحضر بمعرفتهم وصب على الحوانيت والمنازل حتى يتم حرق البلد بسرعة (٥٢) .

---

(49) Blunt : op. cit., p. 372.

وسليم خليل النقاش : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٧٢ ـ ٧٦

(٥٠) محاضر جلسات قومسيون التحقيق ـ محضر استجواب احمد رفعت ، ص ١٣٨ ، مخطوط بدار الوثائق .

(٥١) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٠ دوسيه ١٢٥ ـ محضر استجواب حسين باشا الدرملى وكيل نظارة الداخلية .

(٥٢) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٨ دوسيه ٢٠ ـ محضر استجواب احمد سلامة معاون ضبطية الاسكندرية .

ويؤيد حسين واصف هذا الكلام فيقول أنه كان راكبا وابور السكة الحديد القادم من الاسكندرية للقاهرة وكان به عبد الله النديم وانه سأله عن حالة الاسكندرية فأجابه بقوله (اننا أوقدنا فيها النار بعد السلب والنهب) ولما سأله عن حالة الطوابى قال له أنها هدمت ولكننا مستعدون للمقاومة فى البر لأن الانجليز لم يكن لديهم قدرة على المحاربة فى غير البحر ، فمع أنه ضعيف فقد قتل ثلاثة من الأوربيين بالطبنجة التى معه ، وأخرج من جيبه طبنجة (٥٣) .

ومما سبق نتضح وجهة النظر التى ترى أن للعرابيين يدا فى حريق الاسكندرية وخصوصا وأن سليمان سامى كان قد شرع فعلا فى ذلك وبدأه فى جهة المنشية (٥٤) ، وأحضر جملة غازات (٥٥) وقال للضباط لابد من حرق البلد (٥٦) ، وانه لم يتركها قبل حرقها ، وقد وقع ذلك فعلا (٥٧) .

---

(٥٣) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٨ دوسيه ٦٩ ــ محضر استجواب حسن واصف التاجر بالاسكندرية ومعلوماته عن الحريق ، وما سمعه من عبد الله النديم .

(٥٤) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٠ ــ شهادة القائمقام محمد شكرى بك ، استجواب اليوزباشى محمد الزناتى ــ دوسيه ١٧٢ بنفس المحفظة ، وايضا محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٧٨

(٥٥) يذكر مصطفى بك صبحى وهو أحد شهود العيان فى محضر استجوابه انه رأى العساكر يحملون صفائح بها غاز بالقرب من قنصلاتو فرنسا وبشارع المنشية ، وان آلاى سليمان سامى كان مشتركا فى الحريق بضباطه وعساكره .

محاضر جلسات قومسيون التحقيق استجواب مصطفى بك صبحى ، ص ١٨٢ ــ مخطوط بدار الوثائق .

(٥٦) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٢٠ ملف ١٦٩ ــ محضر استجواب اليوزباشى محمد رضا .

(٥٧) الياس زاخورة : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٩

ويذكر القائمقام محمد شكرى أن ما فعله سليمان سامى كان بالاتفاق مع عرابى ، ويؤكد قوله بأن عرابى لم يصدر منه أى تأنيب لسليمان سامى بل أنه أشركه معه فى الاستعدادات بكفر الدوار ولم يحاكمه (٥٨) ويذكر شاهد عيان أن عساكر آلاى مصطفى عبد الرحيم وسليمان داود كسروا أبواب الحوانيت والمخازن، ونهبوا مافيها وأوقدوا النيران فى الأماكن والأبنية المفتخرة كما دخل أيضا عربان البحيرة والبرابرة والعبيد ، وسلبوا الحوانيت والمخازن وأشعلوا فيها النيران (٥٩) .

والجدير بالذكر أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى قد نبه الحكومة البريطانية الى النتيجة المترتبة على ضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية بقوله انه فى حالة يأس الجيش المصرى فقد تدمر كل الممتلكات من كل نوع وصنف (٦٠) .

أما عن وجهة النظر التى تحاول تبرئة العرابيين عن تهمة حرق الاسكندرية فتتضح من قول الشيخ محمد عبده أن الأجانب كان لهم دور كبير فيما حدث بقصد المبالغة فى التعويضات كما أن العربان الذين كانوا على اتصال بالخديو وخصوصا أولاد على قد اشتركوا فى الحريق (٦١) .

---

(٥٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٠ شهادة القائمقام محمد شكرى .

(٥٩) محمود فهمى : البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر . القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق — الطبعة الأولى جـ ١ ، ص ٢٢٣

(60) Parliementary Debates vol 273 p. 1876.

(٦١) الامام محمد عبده : آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٤٣

ومع ذلك فانه يتضح لنـا أنه كان هناك أكثر من يد دبرت هذا الحريق فلم يكن العرابيون وحدهم أو الأجانب والعربان وحدهم بل انهم جميعا كانت لهم يد فى ذلك فطبيعة النديم الثورية كانت تأبى أن تترك الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية ، وتدخلها آمنة كما أن ظروف العرابيين العسكرية وخططهم الدفاعية ربما كانت تقتضى ذلك ، فاشتعلت الحرائق فى المدينة ونهبت المحـلات (٦٢) كما أطلق العرابيون سراح جميع المسجونين (٦٣) وفى وسط هـذا الجـو تدخل الأجانب والعربان للاشتراك فى الحـريق سـواء للمبالغـة فى التعويضات أو لمجرد النهب .

دور النديم أثناء المعارك بين العرابيين والانجليز :

لمـا أخذ عرابى فى اعداد خطوطه الدفاعية فى كفر الدوار طلب منه الخديو وقف كل التجهيزات الحربيـة والحضور اليه فى قصر رأس التين (٦٤) والغاء الادارة العسكرية واعادة الادارة المدنية(٦٥) فاستشار

---

(٦٢) يذكر احد شهود العيان انه رأى عساكر كثيرين خارجين من البلد ومعهم منهوبات .

دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩٤ استجواب الأونباشى سلام احمـد بيوليس الاسكندرية ، ويؤكد محمـد شكرى باشا ذلك فى محضر استجوابه فيذكر أن العسـاكر كانوا يبيعون البضائع المنهوبة علنا بسوق كفر الدوار دون أن يتعرض لهم احد من أمراء العسكرية لضبطهم ، ولا لجمع البضاعة وتسليمها للمديرية .

محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩

(٦٣) روجه لامبلان : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٩

(٦٤) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة ٤١ وثيقة رقم ١٣٢١ بعنوان « صورة امر كريم الى عرابى باشا » .

(٦٥) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة ٤١ تلغراف تحت عنوان : « من هيئة النظار الى احمد عرابى » ، محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠ ـ تلغراف من عرابى الى السلطان عن طريق بسعيم بك بخصوص انحياز الخديو للانجليز .

النديم فى الأمر فنصحه بعدم التوجه الى الخديو برأس التين [٦٦] فرفض عرابى طلب الخديو واستمر فى استعداداته [٦٧] وأخذ النديم فى تعبئة الشعور الوطنى فنظم أسلوب الدعاية للمعركة وضاعف جهده وتحمل المسئولية كاملة فكان قديرا على اللعب بعواطف الناس واشباع تطلعاتهم .

ونتيجة لتطورات الأحداث واتضاح موقف الخديو المؤيد للانجليز [٦٨] دعا عرابى الى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف الشعب لعرض الموقف عليهم فاجتمع « عدد عظيم[٦٩] من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها، وفيهم رؤساء الملل الاسلامية والمسيحية والاسرائيلية (يقصد اليهودية) للمشاورة فى أمر الحرب [٧٠] » وانعقدت أولى جلسات الجمعية فى مساء ٨٢/٧/١٧ واتخذت قراراتها بالاجماع وكان أهمها الاستمرار فى قتال الانجليز ومطالبة الخديو ومن معه من الوزراء بالعودة الى القاهرة ولما علم الخديو بذلك أصدر أمرا بعزل

---

(٦٦) محمود فهمى : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٦٧) اصدر العرابيون امرا الى المديرين بسرعة ارسال كافة العساكر التى تطلبها الجهادية نظرا لكون الحكومة المصرية محاطة بمراكب الأعداء .

دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء ــ حربية ــ محفظة رقم ١٠ حربية ــ بتاريخ ٥ يوليو ١٨٨٢ .

(٦٨) اصدر الخديو امر بأن المراكب الحربية الموجودة بالاسكندرية حضرت بوجه سلمى ، كما طلب من المديرين عدم ارسال العساكر الذين صار طلبهم بمعرفة الجهادية .

محفوظات مجلس الوزراء ــ حربية ــ محفظة رقم ٧

(٦٩) بلغ عدد الذين لبوا دعوة عرابى حوالى مائة .

F. O. 407/21, Inclosure in No. 762, Memorandum from Information supplied by Omar Pacha Loutfi by G. H. Portal, «Tanjore», at Alexandrea, July 1882.

(٧٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٩ .

عرابى من منصبه واعلان عصيانه (٧١) فعقدت الجمعية اجتماعها الثانى فى ١٨٨٢/٧/٢٢ وبرز دور النديم فى هـذا الاجتماع حيث « شـنع بالخديو وطالب بالوقوف مع رجال الجهادية (٧٢) » وفى هذا الاجتماع استطاع العرابيون تختيم الحاضرين (٧٣) على توقيف أوامر الخـديو وما يصـدر من نظـاره الموجودين معه بالاسكندرية وعدم تنفيـذها حيث أن الخـديو خرج على قواعد الشرع والقانون (٧٤) . وأرسـل العرابيون الى المديريات ودواوين الحكومة منشـور باعلان انضـمام الخديو الى الانجليز وخلع طاعته لأنه باع البـلاد لألد أعدائها (٧٥)، والاستعداد للقتـال و « عـدم تسـليم البـلاد لأحـد وفهـا ذو روح يتنفس (٧٦) » .

---

(٧١) عن صورة الأمر العالى باعلان عصيان عرابى .

انظر : محافظ الثورة العرابيـة ـــ محفظة رقم ٤١ تحت عنوان : « اوراق تتعلق بالجيش المصرى والثورة العرابيـة » وثيقة رقم ١٣٢٣ بعنوان « صورة اوامر علية الى سائر الميرالات بخصوص الأمر العـالى الى عرابى باشا » .

(٧٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٩ دوسيه ٨٣ تقرير مقدم من رستم بك وسيم وكيل الدائرة البلدية بمصر ، ومحفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٧ ـــ استجواب محمد افندى العباسى قاضى رشيد .

(٧٣) يذكر أحد شهود العيان أن العرابيين استخدموا القوة والارادة القهرية فى عمليات التختيم .

انظر : محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٦١ ، تقرير محمد توفيق باشا .

(٧٤) محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ٤١ وثيقة تحت عنوان صـورة القـرار المعطى من الأمـة المصرية بديوان الداخليـة فى ٢٩ يوليو ١٨٨٢

(٧٥) الوقائع المصرية فى ٢٥ يوليو ١٨٨٢

(٧٦) مذكرات مصطفى ياور ـــ سجل رقم ١٢ منشور باعلان انضمام الخديو للانجليز بتوقيع احمد عرابى ناظر الجهادية والبحرية .

كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياه عن الخديو وأعوانه بالاسكندرية (٧٧) .

وفى غمرة هذه الاستعدادات للحرب توجه النديم الى الأزهر مشعلا حماسة لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه لأعداء الوطن ثم أخذ يجوب مدن البلاد وقراها احفز همم الناس على مواجهة أعداء الوطن والدين ، فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم واشتعلت قلوبهم بالحماس للوطن والدين وتزاحموا على اعانة الجيش بما يلزمه (٧٨) وكان النديم ينشر أخبار التبرعات فى صحيفته (٧٩) ، كما تحمست الأمة المصرية على اختلاف مشاربها لقتال الانجليز الطامعين فى

---

(٧٧) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى باشا وكيل عموم الاستحكامات .

ويذكر دايسى انه بقيام عرابى بقطع امدادات المياه عن الاسكندرية قررت الحكومة البريطانية التدخل لاخماد هذا التمرد .

Dicey : The story of the Khedivate p. 293.

(٧٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٨ ملف ٢٢٢ ، ومحفظة رقم ٩ دوسيه ٨٦ تحت عنوان الثورة العرابية وقضايا المتهمين .

ويذكر عرابى فى مخطوطه انه عندما قامت الحرب لم يكن فى خزائن الحكومة درهم ولا دينار لان المراقب الانجليزى (كولفن) اخذ الأموال الموجودة فى خزينة المالية وانزالها فى الدونتمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام .

كشف الستار ، ص ٣٣٤ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢

(٧٩) الطائف : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليو ١٨٨٢

البـلاد [٨٠] فانضم الرجـال الى معسـكرات التـدريب [٨١] تاركين عائلاتهم ومحلاتهم وأشـغال مزروعاتهم [٨٢] وهـرع الشـيوخ الى المساجد يدعون الله أن ينصر « عرابى » حامى البـلاد ، وتحت وطأة هـذا الحماس الشعبى رأى عرابى تشكيل حرس من الأهالى يجـرى تعليمهم على السـلاح لحماية العاصمة والأقاليم عنـد خروج الجيش الى مناطق القتـال [٨٣] ، ولكن لم يتم ذلك لاعتراض بعض أعضـاء المجلس العرفى [٨٤] .

وقد قامت « الطائف » بدورها فى الدعاية للعرابيين تعادى من

---

(٨٠) الوقائع المصرية : العدد ١٤٧٢ فى اغسطس ١٨٨٢
احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٣٥

(٨١) فى اماكن متعددة من محافظ الثورة العرابية يتضـح اقبـال الأهالى على التطوع فى الجندية وفيما يلى امثلة على ذلك :

محفظة رقم ٣ دوسيه ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣
محفظة رقم ٤ دوسيه ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١
محفظة رقم ٥ دوسيه ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣
محفظة رقم ٩ دوسيه ٥٩
محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠٩ ، ٢٢٠
محفظة رقم ٢١ دوسيه ٥
محفظة رقم ٢٢ دوسيه ٢٧

وايضا : الحوادث اليومية والوقائع الحربية فى الثورة العرابية — مخطوط من ٦ اجزاء بدار الوثائق القومية .

(٨٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٨ دوسيه ٤٧ — محضر استجواب أحمد عبد الجواد .

(٨٣) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢١ دوسيه ٦ تحت عنوان « قرارات المجلس العرفى المكون من وكلاء النظارات وكبار الضباط » .

(٨٤) نفس الوثيقة .

يعاديهم وتشجع من يواليهم [٨٥] ، كما لقبت « عرابى » بحامى البلاد المصرية والمدافع عن الاسلام ، وتردد بين الناس هتاف « الله ينصرك يا عرابى [٨٦] » .

وقد حاول النـديم فى دعايته للحرب تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة فذكـر أن الحـرب بين المصريين والغـزاة وليست بين المسلمين والمسيحيين حتى يقطع على الانجليز طريق اتخاذ الدين وسيلة للتفرقة بين أبناء الوطن ، وساعد على ذلك أن بطريرك الأقباط أعلن أن الانجليز خرجوا على تعاليم المسيحية السمحة التى تدعو الى السلام ، ومن ثم أصبح الانجليز فى نظـر المصريين كفرة خارجين عن دينهم فوق أنهم غزاة مغتصبون [٨٧] .

وبعد أن عبأ النديم الشعور الوطنى داخل البلاد لحق بعرابى فى مقر قيـادة الجيش بمعسكر « كنج عثمان [٨٨] » حيث كان الجيش يتأهب لقتال الانجليز فعمل مستشارا سياسيا له وتحمل عبء الدعاية كاملا .

ولـما لم يتمكن الانجليز من اقتحام استحكامات العرابيين فى كفر الدوار وجهوا قواتهم الى قنال السويس [٨٩] مما اضطر العرابيين الى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية [٩٠] .

---

(٨٥) انظر : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليو ١٨٨٢

(٨٦) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، الجزء الخامس ص ١٣٥

(٨٧) دكتور على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٤

(٨٨) قرية تابعة لمركز كفر الدوار وتنسب الى منشئها كنج عثمان بك ناظر المدرسة البحرية فى عهد محمد على .
القاموس الجغرافى — القسم الثانى — الجزء الثانى ، ص ٣٢٨

(٨٩) محافظ الثورة العرابية — محفظة ٤١ تلغراف من سلطان باشا الى الخديو بتاريخ ٨ سبتمبر ١٨٨٢

(٩٠) محافظ الثورة العرابية — محفظة ٢١ دوسيه ٢٥

انتقل النـديم مع عرابى الى الجبهـة الشرقية فى التـل الكبير يكتب أخبار الحرب فى صحيفته ، ويهاجم الخـديو والاحتلال ، وينشر الدعايات المليئـة بالمبالغات ضـد الانجليز مستثيرا همم الجنود [٩١] ومحمسا لهم •

والجدير بالذكر أن النديم لم يكن وحده فى ميدان الدعاية للثورة وشحذ همم المقاتلين فمن تلغراف أرسله سلطان باشا يتضح أنه كان بجيش عرابى أحد مشايخ الطرق يدعى « أحمد عبد الجـواد » كانت مهمته الدعاء وحث العساكر على المحاربة [٩٢] كما يتضـح من محافظ الداخليـة أن عائلة أبو ستيت كانت تتجول فى البـلاد لجمع المتطوعين والدعاية للثورة [٩٣] ، ومع أن النديم لم يكن وحده فى ميدان الدعاية للعرابيين فانه كان أبرز هؤلاء الدعاة وأصلبهم جميعا •

وقد استطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل وسياسيا أيضـا اذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين تركيا ونتيجـة لجهود اللـورد دفـرين سفيرها فى الاسـتانة الضغط على السلطان [٩٤] حتى أصـدر منشورا بعصـيان عرابى مما قلب ميزان

---

(٩١) الطائف فى ١٨٨٢/٩/١

(٩٢) محافظ الثورة العرابية ــ محفظـة رقم ٤١ ــ تلغـراف من سلطان باشـا بالاسماعيلية الى الخديو توفيق بالاسكندرية بتـاريخ ١٢ ديسمبر ١٨٨٢

(٩٣) محافظ مجلس الوزراء ــ الداخلية ــ محفظة رقم ٦ وثيقـة تحت عنوان افادة واردة من الداخلية الى قومسيون التحقيق تحت رقم ١٥٩

(٩٤) محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٢

الحماس الشعبى وأضـاع التأييد الاسـلامى والعربى للثورة [٩٥] ، وكان له أسوأ الأثر فى النفوس •

وعندما علم عرابى بالمنشور استشار عبد الله النديم فيما يجب أن يفعله فأشار عليه ـ كما يذكر سليم النقاش ـ نشره فى الطائف مع الرد عليـه والاستمرار فى الدفاع عن البلاد حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم [٩٦] لأن توزيع المنشور سرا سيكون رد فعله أسـوأ ممـا لو نشر فى الصحف ورد عليـه ؛ ولكن عرابى لم يستحسن ذلك خشية تحول القلوب عنه [٩٧] بينما يذكر اسماعيل سرهنك « أنه لمـا قرأ عرابى نشرة الباب العـالى فى جريدة الجوائب [٩٨] نمرة ١١٠٥

---

(٩٥) شن جمال الدين الأفغانى اول هجوما له على الدولة العثمانية بعد اصدار فرمانها الخاص باتهام عرابى بالعصيان فقال : « على الدولة العثمانية أن تتذكر انه لولا فرمانها بعصيان عرابى لمـا سهل للانجليز أن يدخلوا أرض مصر » •

جمال الدين الأفغانى : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ٣٦٥

ويتضح من مذكرة كتبها درويش باشا أن انتصار عرابى معناه الحاق الضرر الشديد بسلطة الدولة العثمانية لأنه فى مثل هذه الظروف يمكن أن تنفصل بلاد العراق والحجاز والشام عن الدولة •

F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٩٦) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٥ ، ص ٢٤٨

(٩٧) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٩٩

(٩٨) كانت تصدر فى الاستانة باللغة العربية ، وقد اهتمت بالدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاستعمارية ، وصاحبها هو احمد فارس الشدياق وهو لبنانى الأصل ولد عام ١٨٠٤ وتوفى عام ١٨٨٧ بالاسـتانة •

وقد اختار ابنه بعض مقالاته بالجوائب ووضعها فى سـبع مجلدات تحت عنوان « كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب » •

انظر : خير الدين الزركلى ـ الاعلام ، ج ١ ـ الطبعة الثانيـة ، ص ١٨٤

اسـتدرة فى يوم الثلاثاء ٢٩ شوال ١٢٩٩ (١٥ سبتمبر ١٨٨١) بعصيانه وقع اليأس فى قلبه لأن حجته الكبرى كانت بدعوى أنه قائم بالمدافعة عن حقوق الدولة العلية فى مصر فتشاور مع صديقه الحميم عبد الله النديم وأقرا على اخفاء ذلك عن الجند (٩٩) » .

وفى رواية أخرى « لنه جمـع مجلسـا وتلا عليهم تلك النشرة فارتأى أكثرهم وجوب الاستمرار فى الدفاع ، وذهب آخرون الى أن التسليم أسلم ورجح رأى الأولين (١٠٠) » .

واذا أخذنا بمـا قاله سليم النقاش فان ما توقعه النديم قـد تحقق اذ تمكن جواسيس الخديو وأتباعه وعلى رأسهم محمد سلطان باشـا من توزيع المنشور (١٠١) اذ تمكن بعض العربان من التسلل الى معسكرات العرابيين وتوزيع المنشـور على الضـباط والجنـود الذين أصبوا بصدمة عنيفة بعد الاطلاع عليه فخـارت قواهم ويئسوا من النصر (١٠٢) وضعفت حميتهم الدينية .

وما أن بلغ عرابى وصـول المنشـور الى أيدى قواته حتى رأى الأخذ برأى النديم الخاص بضرورة طبع المنشور والتعليق عليه (١٠٣) ولكن الوقت كان قد فات ، وتحولت معظم القلب عنه .

---

(٩٩) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦
ويتفق معه فى هـذه الرواية جرجى زيدان :
أنظر : تاريخ مصر الحديث ، ص ٣١٢

(١٠٠) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦

(١٠١) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٠٩

(١٠٢) محمد مهرى : المرجع السابق ، ص ٤٨٤
سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٥ ، ص ٢٤٨

(١٠٣) المصدر نفسه :

كيف واجه النديم الهزيمة ؟

في التل الكبير كانت المعركة الفاصلة التي فوجيء بها المصريون حيث لم يكن متوقعا في حساباتهم الهجوم الانجليزي (١٠٤) الذي استمر حوالي عشرين دقيقة (١٠٥) تحطمت خلالها متاريس العرابيين وتشتت شملهم (١٠٦) فركب عرابي فرسا تاركا ميدان القتال وتبعه عبد الله النديم ، وقد حاول فرسان الانجليز تتبعهما والقبض عليهما (١٠٧) فما استطاعوا (١٠٨) .

وعن هذا يذكر النديم « ولم أطرد جوادي مع عرابي باشا جبانة ولا فرارا من الأعداء الخانة ، وانما أردنا جمع العساكر في بلبيس وخواصيها واحضار عساكر العباسية لتعسكر فيها ونقطع سكة حديد الزقازيق ونكسر قناطر الشرقاوية ليعظم على العدو الضيق فأدركنا على الروبي في الطريق وقال لا ينبغي أن نقاتل بهذا الفريق نتوجه الى مصر ونشاور أهل البلاد لننظر ما عندهم من الاستعداد (١٠٩) » .

ولما وصلوا الى أبو حماد (١١٠) ركبوا قطارا كان في طريقه الى القاهرة ، وأمر « عرابي » السائق بالاسراع في المسير فلما توقف فزع

---

(104) Ninet : op. cit., pp. 258 - 259.

(١٠٥) عن تفاصيل المعارك . انظر : الرافعي : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٣٢ — ٤٤٠

(106) Milner : op. cit., p. 12.

(١٠٧) محمد البارودي : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

(١٠٨) محمد مهري : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٢

(١٠٩) دكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٩

(١١٠) من القرى القديمة بمركز ابو حماد شرقية وترجع هذه التسمية نسبة الى الشيخ احمد ابو حماد صاحب المقام القائم بها .
احمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ج ١ ، ص ٦٥

عليه بالسيف فخاف [١١١] ، وأسرع حتى وصل الى القاهرة[١١٢] فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ فذهب عرابى والنديم الى قصر النيل حيث مقر وزارة الحربية[١١٣] وكان المجلس العرفى مجتمعا فأنبأهم عرابى بخبر الهزيمة ، وبعد أن استعرضوا الأمور استقر الأمر على المقاومة[١١٤] ، وترتيب نقط عسكرية أمام العباسية لمنع الانجليز من دخول المدينة ، وخطب النديم يستنهض الهمم [١١٥] للدفاع عن العاصمة ثم توجه عرابى والنديم وبعض الحاضرين من كبار الضباط وغيرهم الى العباسية لاجراء ترتيب النقط العسكرية[١١٦] فوجدوا أن الاستعدادات والذخيرة لا تكفى للمقاومة [١١٧] ، وأن شبح الهزيمة كان باديا على الضباط والجنود[١١٨] فعادوا الى المجلس العرفى ، وعرضوا عليه الموقف فتقرر الكف عن القتال والتسليم ، وتحرير عريضة الى الخديو يلتمسون فيها العفو والاعتذار عما حدث منهم ، وطلب أعضاء المجلس من النديم ، صياغة هذه العريضة فكتبها بأسلوب ملىء بالطعن والتنديد بفعال الانجليز وقص فيها ما وقع من البداية الى النهاية [١١٩] فذكر

---

(١١١) محمد البارودى : المرجع السابق ، ص ٤٠

(١١٢) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، ص ٣١٢

(١١٣) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(١١٤) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٤٠٢ — ٤٠٣

(١١٥) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣١

(١١٦) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٨ دوسيه (٨) ملف ابراهيم باشا خليل ، تقريرات وشهادات مقدمة من كبار الموظفين ، ج ٢ تقرير رقم ٥٩ خاص بأقوال ابراهيم خليل باشا . مخطوط بدار الوثائق .

(١١٧) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٤٠٣

(١١٨) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤١٠

(١١٩) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٣٣٢

أن ما قام به عرابى كان دفاعا عن الوطن والعرض والدين وأنه كان « ملزوما من طرف الأمة بأكملها على الدفاع [١٢٠] » وطالب الخديو بالرجوع الى العاصمة و « مخابرة القومندان الانجليزى بالكف عن القتال وعدم مهاجمة مدينة القاهرة [١٢١] » ولم يلق النديم الذنب على عرابى أو أحد من زملائه [١٢٢] .

ولما تلا النديم هذه العريضة على الحاضرين لم تعجبهم[١٢٣] للهجتها الشديدة فأملى بطرس غالى عضو المجلس صيغة أخرى قدم فيها الاعتراف بالذنب ووصف حركة عرابى بالعصيان والتمس العفو لعرابى ولزملائه قائلا على لسان عرابى « أنى مقر بالخطأ [١٢٤] » ومتوسم فى أعتابكم العفو عنى وعن اخوانى فان عفوتم فالفضل لكم وهذه شيمتكم وكرمكم .. وان عاملتمونا بعملنا فالعذر لجلالتكم والذنب علينا [١٢٥]

---

(١٢٠) دار الوثائق القومية : اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين « علما بأن نص صيغة الالتماس نشرناه فى ملاحق الكتاب . ملحق رقم (١) .

(١٢١) المصدر نفسه .

(١٢٢) المصدر نفسه .

(١٢٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٢

(١٢٤) دار الوثائق : أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين — صورة عريضة وقع عليها احمد عرابى وارسلت الى الخديو فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢

علما بأن نص العريضة نشرناه فى ملاحق الكتاب . ملحق رقم (٢) .

(١٢٥) المصدر نفسه .

وقد وقع عرابى وأعضاء المجلس العرفى على هـذه الصيغة رغم اعتراض النديم (١٢٦) وسلمت الى رءوف باشا مع من تعين معه من الذوات والأعيان (١٢٧) ، وتوجهوا بقطار الى الاسكندرية فى ١٤/٩/٨٢ ثارت نفس النديم لصيغة هـذا الالتماس وخشى مغبة وصم الثورة بالعصيان ، ورأى أن الخطر الأكبر على روح المقاومة هو أن يعترف القائد بالخطأ ووضح ذلك لعرابى بقوله « كيف تكون عاصيا ، وقد قدت الأمة تطلب الحرية ، ولم تكن وسيلتك فى ذلك حتى النهاية الا ما يقره القانون الانسانى والشرف العسكرى » فاستحسن عرابى ما قاله النديم وعادت الثقة الى نفسه وأرسل تلغرافا الى الوفد المسافر لتوصيل التماس العفو بالخطأ الى الخديو يأمره بالتوقف فى كفر الدوار وانتظار النديم (١٢٨) .

أعاد النديم صياغة العريضة ، ومحا منها عبارات الاعتراف بالعصيان وذكر أن « المحاربات التى وقعت ما كانت الا باتفاقات وأوامر سعادة أفندينا الخديو والنظار والمجلس المنعقد برأس التين (١٢٩) » ، وسافر بقطار خاص الى كفر الدوار وسلم العريضة

---

(١٢٦) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٣٣ .

(١٢٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٩٦ — محضر استجواب محمد مرعشلى باشا : باشمهندس الاستحكامات .

(١٢٨) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٥ ، ص ٢٥٢ ، ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٣٣

(١٢٩) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسية (٨) — محضر استجواب ابراهيم باشا خليل .

للجنة (١٣٠) قبل توجهها الى الاسكندرية (١٣١) ثم عاد الى القاهرة فوصلها فى فجر ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ حيث وجد أن عرابى وبعض زملائه قد سلموا أنفسهم للانجليز ، وأن الانجليز وأتباع الخديو استطاعوا السيطرة على زمام الأمور فأعد عدته للاختفاء عن أعين السلطة (١٣٢).

---

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٥) تلغراف من يعقوب سامى بكفر الدوار الى الجنرال وود بالاسكندرية تحت رقم ٤٠٣٢/٦٩ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢.

(١٣١) ذكر عبد الرحمن الرافعى انه لما وصل النديم الى كفر الدوار علم ان الخديو رفض قبول العريضة الأولى وأمر بالقبض على كل من على الروبى ويعقوب سامى وايداعهما السجن فعاد ادراجه واختفى عن الانظار .

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٤٤٢

كما ذكر الدكتور على الحديدى ان النديم ذهب الى كفر الدوار ، ولكنه لم يجد الوفد حيث وصل التلغراف بعد أن اتجه بهم القطار الى الاسكندرية .

عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤١

(١٣٢) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨

الفصل الرابع

عبد الله النديم فى أعقاب الثورة

ـ أحوال البلاد بعد هزيمة العرابيين •

ـ هدف النديم من الاختفاء •

ـ دور الجهاز المشرف على اختفاء النديم فى نجاح الاختفاء •

ـ النديم وتأليف كتاب « كان ويكون » فى المخبأ •

ـ تخبط أجهزة الحكومة فى تحرياتها عن النديم •

ـ تنقل النديم بين القرى والكفور •

ـ الوشاية بالنديم والقبض عليه •

ـ العوامل التى ساعدت على نجاح النديم فى الاختفاء •

أحوال البلاد بعد هزيمة العرابيين :

دخلت القوات الانجليزية القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ بدون مقاومة تذكر يصحبها سلطان باشا الذى ركبته روح التشفى فى العرابيين فأمر بالقاء القبض عليهم ووضعهم فى أضيق السجون وأصعبها (١) كما امتلأت السجون (٢) بمن ناصر الثورة من العلماء والمديرين وعمد البلاد والأعيان والتجار وغيرهم حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ثلاثون ألفا من المصريين (٣) ، وكثرت شكاوى المسجونين من

---

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

(٢) ادى ازدحام السجون بالأشخاص المقبوض عليهم ان نظارة الداخلية ارسلت تشكو الى مجلس النظار من هذا الازدحام وتحذر من المساوىء التى يمكن ان تترتب على ذلك .

محفوظات مجلس الوزراء ــ نظارة الداخلية ــ محفظة رقم ٢٢ ، « مذكرة الداخلية بشأن تخصيص محل لسجن الأشخاص المحكوم عليهم نهائيا بالليمان وغير ممكن ارسالهم الى ليمان الاسكندرية » .

كما يتضح من دواوين المعية السنية انه تم الحاق « بعض ارباب الجنايات فى الثورة العرابية بسجون السودان » .

معية سنية عربى ــ مجموعة ٤٢ صادر الافادات للأقاليم ــ سجل رقم ٥٣٦٧ ٤ بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٨٨٣ .

(٣) احمد عرابى : مخطوط كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٤٠٣ .

عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٤٤٥ .

فى حين يذكر محمود باشا فهمى ان عدد المسجونين كان ٢٩ الفا .

انظر : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر ج ١، ص ٢٢٢ بينما يذكر اسماعيل سرهنك ان العدد ٢٩٫٠٠٠

انظر : حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

طول مدة سجنهم دون محاكمة [٤] كما كثرت الوشـــايات ، وسنحت الظروف لأصحاب الأغراض والغــايات أن يشوا بخصومهم [٥] فمن كانت له خصومة مالية أو عائلية كان يسعى للايقــاع بخصمه ويتهمه بمناصرة الثــورة [٦] فيقبض عليــه ويرســل تحت الحفــظ مقيــدا بالحديد [٧] ، كما تنكر لقواد الحركة الوطنية أكثر من كان يناصرهم[٨] و « انقلبت الناس بانقلاب الأحوال [٩] » وانتشرت فى البــلاد روح الاستكانة والنفاق ، وأنكر البعض دورهم فى الثورة وقذف كل منهم بالمسئولية على من سواه [١٠] .

---

(٤) سجلات الثورة العرابية ــ سجل رقم ١٠٧ مسلســل عمومى ٤١٢٢ صفحة ٢٣ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٨٨٢

انظر ايضا : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبــده : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ١٩٠

(٥) لضرب الأمثلة على ذلك يمكن الرجوع الى دار المحفوظات . محافظ الداخلية ارقام ٤٤ ، ٤٥ ملف ١٠١ عين ٧٩ وملف ١٠٣ عين ١٦٠

(٦) أحمد امين : زعماء الأصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٢٧

(٧) محفوظات مجلس الوزراء ــ نظارة الداخلية ــ محفظة رقم ٦٢ خطاب بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٨٨٢ مرسل من رئيس قومســيون التحقيق بطنطا الى رئيس مجلس النظار .

(٨) ذكر النديم فى خطاب له الى عرابى بالمنفى أن النفاق كثر بين الناس بعد دخول الانجليز مصر .

دكتور محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته الســياسية ص ٨٥ الرسالة الأولى من النديم الى عرابى بالمنفى .

بل وصل الأمر بالبعض الى اعتبار ان ما حدث للبلاد من هزيمة كان باتفاق بين انجلترا وعرابى حتى يمكنها احتلال البلاد .
La Bourse Egyptienne : 12 Juin 1900.

(٩) عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ١٣

(١٠) محمد عمارة : الأعمال الكاملة للامام محمد عبده . بيروت ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢ ، ص ٦٥.

وبعد أن وضعت الحكومة يدها على معظم زعماء الثورة أصدر الخديو أمرا عاليا فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢ (١١) بتشكيل قومسيون « لتحقيق اقامة الدعوى على كل من ارتكب جريمة العصيان والتعدى على السلطة الخديوية سواء أكان مرتكبو هذه الجرائم مدنيين أم من زمرة العسكريين (١٢) » وصدرت الأوامر بتقديم عرابى وزملائه الى المحاكمة (١٣) وأحيطوا برقابة البوليس (١٤) وكثفت الحكومة جهودها للقبض على الذين فروا الى الخارج أو الذين لم يتيسر لها القبض عليهم فى الداخل وتم لها ذلك (١٥) ، ولم يخرج عن هذه القاعدة

---

(١١) الوقائع المصرية : العدد ١٤٩٠ فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢

(١٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٦ دوسيه رقم ١ ملف ٨٢ « الأمر العالى بتشكيل قومسيون التحقيق » ، سليم خليل النقاش : مصر للمصريين ، ج ٦ ، ص ٩ ، فليب جلاد : قاموس الادارة والقضا — الاسكندرية — المطبعة التجارية — المجلد الثالث ، ص ٢٦٧

(١٣) عن محاكمة عرابى وزملائه انظر :

Broodly : How we defended Arabi and his friends.

وعن المعاملة التي عومل بها فى السجن . انظر : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف رقم ٢١٢ . خطاب من عرابى الى برودلى .

(١٤) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٢ ملف (١) خطاب من رياض باشا الى اسماعيل أيوب رئيس لجنة التحقيق .

(١٥) قبض على سليمان سامى داود ، وحسن موسى العقاد بعد فرارهما الى كريت على ظهر احدى السفن بعد ان طلبت الحكومة المصرية تسليمهما وتم لها ذلك حيث ارسلت اربعة من رجال البوليس للقبض عليهما واحضارهما الى مصر .

ديوان المعية السنية عربى — صادر بالتلغرافات .

المجموعة (٣٩) ص ٤١ ، عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

سوى عبد الله النديم [١٦] الذى حاولت الحكومة الترصد به والقبض عليه بكافة الوسائل [١٧] بل وأعلنت عن مكافأة كبيرة قدرها ألف جنيه [١٨] لمن يقبض عليه حيا أو ميتا ، وهددت باعدام من يؤويه هو وشيخ الحارة [١٩] أو « التمن [٢٠] » الذى يتبع له [٢١] . وأصدر

---

(١٦) يذكر اسماعيل سرهنك : أن محمد عبيد كان ضمن الفارين من المحاكمة ولكن يتضح انه استشهد فى معركة التل الكبير .
حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤١١

(١٧) احكم رجال السلطة الرقابة على والد النديم ووالدته واخيه وتتبع رجالها تحركاتهم حتى يصلوا اليه عن طريقهم ، كما كانت الخطابات الواردة الى البوستة تفرز بمعرفة أعوان الحكومة فى محاولة للوصول الى مكانه ولكن دون جدوى .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ تحت عنوان قضايا المتهمين — عبد الله النديم صاحب صحيفة الطائف ومحررها .

Delanoue (Gilbert) op. cit., p. 94.

(١٩) شيخ الحارة فى التنظيم الادارى المصرى كان يطلق على شخص يعاون السلطات فى اتصالاتها بأهل الحى نظرا لانه وثيق الصلة بهم ، وكان اختيار هذا الشخص يتم بواسطة لجنة من الأعيان مع ممثلين للشرطة ، وقد الغى هذا النظام بعد عام ١٩٦٠ على أثر استحداث البطاقات الشخصية والعائلية ويقابل شيخ الحارة فى البنادر والقرى شيخ البلد أو شيخ الناحية .
أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى . المجلد الرابع — مايو ١٩٧٦ ، النهضة المصرية ، ص ٢٠٠

(٢٠) قسمت القاهرة فى عهد محمد على الى ثمانية اقسام ، واطلق على كل قسم « التمن » اى القسم .
دكتور أحمد عزت عبد الكريم : اثناء مناقشة رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة عين شمس تحت عنوان « البوليس المصرى » فى ١٩٧٨/٢/٢٢

(٢١) ارسل مصطفى رياض ناظر الداخلية بلاغا الى مأمور ضبطية مصر يطلب فيه ابلاغ « كافة الأهالى ومشايخ الحوارى والاتمان والعمد والتجار والأعيان بالمحروسة بانه اذا ظهر فيما بعد أن (النديم) كان

سلطان باشا أمرا عاليا باتخـاذ كافة الاجراءات اللازمة للقبض عليه وحبسه (٢٢) كما أصـدر الجنرال Wood القائد الانجليزى أوامره بالبحث عن النديم بكل دقة وضبطه وتسليمه (٢٣) .

ويرجع هذا الاهتمام الكبير بالقبض على النديم الى مدى خطورة كتاباته وخطبه الملتهبة (٢٤) فهو الذى أقلق الأفكار (٢٥) ونعت الخديو بأقذع النعوت ، وشن عليه أقسى الحملات وتشهد على ذلك كتاباته فى « الطائف (٢٦) » كما أنه الثورى الخطير الذى كان يخشاه الانجليز ، ومع ذلك فقد انفرد النديم بمصـير لم يشترك فيـه أحد غيره وهو الاختفـاء عن أعين السـلطة ، لأن الذى تعود التنقـل والحـركة

= مختفيا عنـد احد باى محل او سبق مروره منه او اقام عنـده ، ولم يخبر عنه الحكومة فلا يكون جزاء هـذا الشخص وشيخ حارته او شيخ الثمن الذى هو به الا الاعدام » .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٠ دوسيه ١٢٣ ملف ٢٨٥ رقم ١٩٥٩ بخصوص البحث عن عبد الله النديم وحسن موسى العقـاد وسليمان سامى .

(٢٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٤١) بعنوان « اوراق تتعلق بالجيش المصرى والثورة العرابية » وثيقة بعنوان « امر عال لسعادة سلطان باشا » .

(٢٣) دار الوثائق القومية : معية سنية عربى — صادر تلغرافات عابدين مجموعة ٢٧ دفتر ٤٣ تلغراف ٥٥٧ بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٨٨٢ ، ص ٢٥ ، محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٥ تلغرافات .
تلغراف بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ تحت رقم ٤٠٣٧/٦٩ .

(24) Tignor (Robert) op. cit., p. 153.

(٢٥) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد النديم .

(٢٦) انظر : الأعداد ٤١ ، ٤٢ فى ٤/٢٩ ، ١٨٨٢/٥/٦

الخاطفة (٢٧) لا يمكنه أن يطيق السجن الطويل والمصير المحفوف بالموت فأعد عدته للاختفاء (٢٨) .

هدف النديم من الاختفاء :

اختفى النديم على أمل التوجه الى الحامية المصرية فى دمياط(٢٩) وهى التى رفض قائدها عبد العال حلمى التسليم للانجليز فى أول الأمر أو السفر الى بلاد الشام ومنها الى أوربا لمواصلة الجهاد (٣٠) ، وكان نجاحه فى الاختفاء دليلا على مهارته وذكائه فبعد أن عاد من كفر الدوار الى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ (٣١) ذهب الى داره بجهة العشماوى ليلا (٣٢) وفى الصباح أخذ ما خف حمله وخرج مع والده وخادمه وركبوا عجلة (٣٣) متجهين الى بولاق ، وهناك ودعه أبوه حيث

---

(٢٧) احمد بهاء الدين : ايام لها تاريخ . القاهرة — روز اليوسف العدد الثالث لعام ١٩٥٤ ، ص ٢٧

(٢٨) يذكر احمد امين أن النديم عندما اعد نفسه للاختفاء فاذا به « مص ملح وذاب » انظر : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٥

(٢٩) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ مذكرة لمجلس النظار بخصوص القبض على النديم .

(٣٠) عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

(٣١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٥) تلغرافات .
تلغراف رقم ٤٠٣٢/٦٩ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ من « يعقوب سامى بكفر الدوار الى جناب الجنرال وود بالاسكندرية » .

(٣٢) أحمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢

(٣٣) أحمد تيمور : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٨ ، أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢
والجدير بالذكر أن الدراجة الحديثة لم يبدأ انتاجها الا فى عام ١٨٨٥ انظـر :

Encyclopaedia Britannica 1947 Volume, 3 p. 544.

لذلك فنحن نستبعد أن يكون النديم ركب عجلة بمعنى دراجة :
اولا : لأنها لم تكن قد اخترعت حتى ذلك الوقت .

ركب النديم وخادمه الى القناطر الخيرية [٣٤] قاصدا دار أحد أصدقائه فأقام بها عشرة أيام تمكن خلالها من تغيير زيه الأفرنجى [٣٥] بثوب من الصوف الأحمر الخشن[٣٦] الذى يلبسه مشايخ الطرق الصوفية[٣٧] ويعرف باسم « الزعبوط » وتعمم بعمامة حمـراء [٣٨] وغطى عينيـه

=

وثانيا : لأن المصدر الذى اخذنا عنه هـذه المعلومة وهو « احمـد تيمور » حجة فى اللغة العربية وكان من الأولى به أن يقول دراجة بدلا من عجلة اذا كان قصده ذلك .

وثالثا : لأن النديم ووالده وخادمه ركبوا معا ، وهذا مالا تتحمـله الدراجة لذلك فنحن نستبعد أن يكون النديم ركب دراجة كما نستبعد ان يكون قصد الأستاذ تيمور بكلمة عجلة الدراجة .

ويذكر الدكتور على الحـديدى أن النـديم ووالده وخادمه ركبـوا « عربية حنطور » أنظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٥

(٣٤) المقطم : العـدد ٧٨٨ فى ٩ أكتوبر ١٨٩١ مقـال بعنوان : « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » فى حين يذكر الدكتـور على الحديدى أن النديم كر راجعا هو وخادمه الى دار صديق له يسمى مصطفى ببولاق . عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٥

(٣٥) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(٣٦) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢

(٣٧) قد يطرأ على الذهن سؤال وهو لماذا اختار النديم زى الطرق الصوفيـة ؟

ان اختيار النديم لهذا الزى يرجع الى أن لرجال الطرق الصـوفية فى نفوس الناس منزلة رفيعة فيبالغون فى احترامهم والتمـاس البركة برؤيتهم او التقرب منهم واكرام وفادتهم مما يجعله فى مأمن من شر الجوع، ويسـهل عليـه التنقل فى سهولة من مكان لآخر كعادة رجال الصوفية دون ان يشك احد فى أمره .

(٣٨) العمامة فى مصر شال خفيف يلف على الطربوش بعد تكويره وهى انواع منها البيضـاء والسوداء والخضراء والحمراء ، فالبيضاء هى اللبس العادى للمصريين فى ذلك الوقت والخضراء للأشراف من نسـل على ، والسوداء لباس الأقباط والصوفية السعديين ، والحمراء لبـاس بعض الصوفية من الطرق البيومية .

بغطاء وأمسك بيده عكازا طويلا [٣٩] وأطال لحيته وأخفى شاربه [٤٠] فصار لا يعرفه حتى أقرب الناس اليه ثم سار بخادمه ليلا الى الساحل فوجدا سفينة شراعية مقلعة الى بنها فركباها ، وتظاهر النديم بأنه من مشايخ الطرق الصوفية [٤١] فلم يلحظه أحـد بل استضافه ملاحـو السفينة تبركا به ، ولمـا اقتربت السفينة من بنها أغلق الكوبرى [٤٢] فأحس النديم بأن رجال البوليس سيفتشون السفينة فأخذ فى ذكر الله والتمتمة على حبات المسبحة وزاد فى تنكره فلم يشك أحـد فى أمره ، وبعد انصراف رجال البوليس انتقل النديم الى سفينة أخرى كانت فى طريقها الى دمياط لكى ينضم الى عبد العال حلمى ولكنه علم أن حاميتها سلمت للانجليز[٤٣] بعد أن أرسل الخديو انذارا لقائدها[٤٤] يطلب منه التسليم فاضطر الى تغيير خطته وألهمه وعيه الى أن يمضى الى وسط جموع الفلاحين لحمايته من عيون الخديو والانجليز [٤٥] فقصد ميت

= أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ٢٨٨

(٣٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(٤٠) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٢

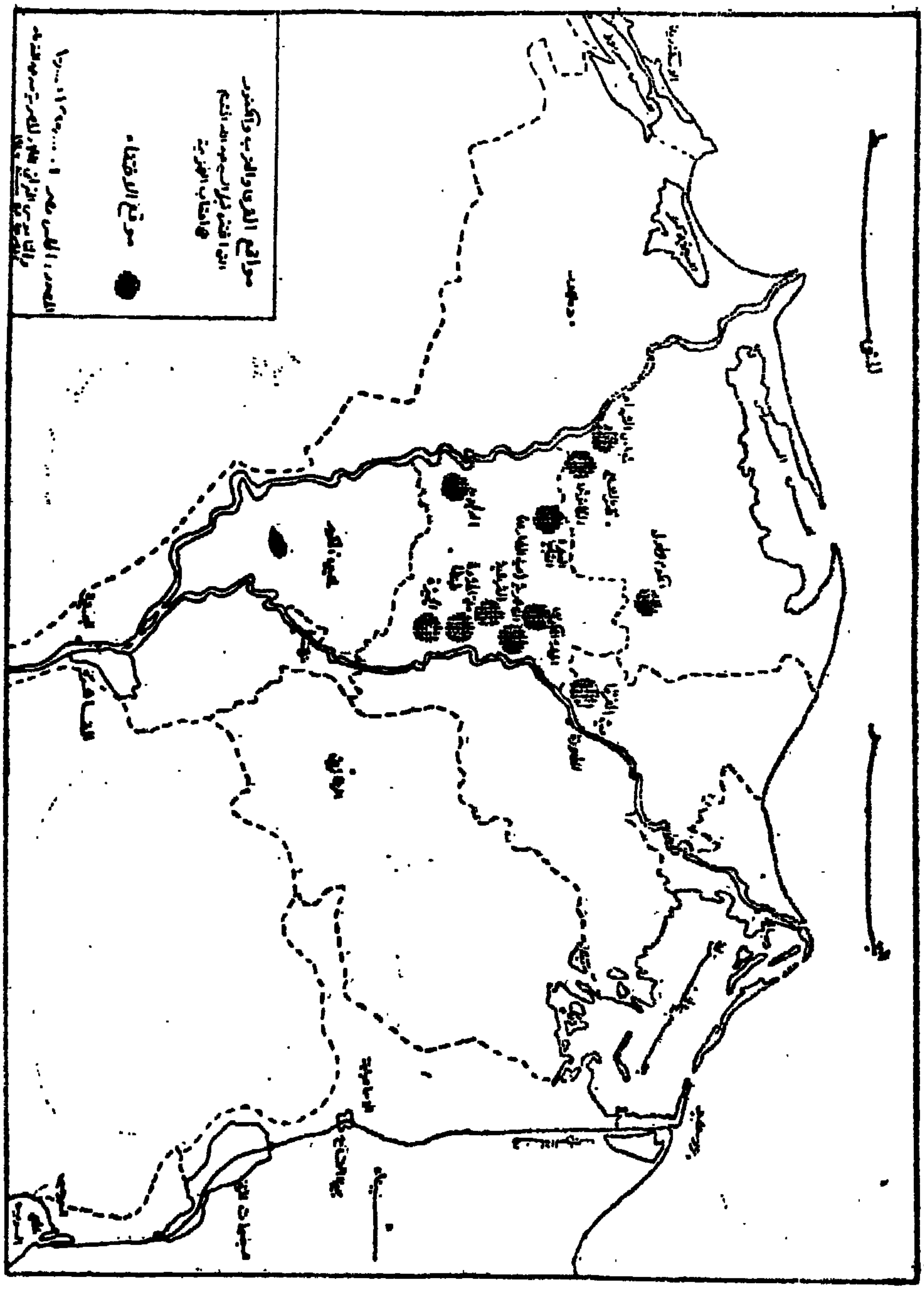
(٤١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠

(٤٢) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ أكتوبر ١٨٩١ مقـال بعنـوان : « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » .

(٤٣) محفوظات مجلس الوزراء ـ نظارة الداخلية ـ محفظة ٢٢ ـ مذكرة من نظارة الداخلية الى مجلس النظار بشـأن عبد اللـه النـديم والمسئولين معه ، المقطم : العدد ٧٨٦ فى ٧ أكتوبر ١٨٩١

(٤٤) أرسل الخديو الى عبد العال حلمى تلغرافا بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ يبلغه فيه بهزيمة عرابى ، ويطلب منه سرعة التسليم .
محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠٢
« أمر عال من الخديو الى أمير اللواء عبد العال باشا بدمياط » .

(٤٥) يتضح أن الانجليز فى سبيل تأمين انفسهم كقوة محتلة اهملوا جانب حفـظ الأمن العـام فى الريف المصرى واكتفوا بقـوة شـكلية هـزيلة .
عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى ، جـ ٢ ، ـ رسالة ماجستير غير منشورة . نوقشت بآداب عين شمس عام ١٩٧٨ ، ص ٣٨٧



غمر (٤٦) ثم استأنف المسير منها بحرا الى ميت النصارى (٤٧) ، وفي الصباح ركب مركبا الى المنصورة ومكث مع خادمه في مسجد الموافي بها ثلاثة أيام (٤٨) استضافه فيها الأهالي تبركا به ثم سافر وخادمه الى (منية الغرقى) (٤٩) اسمها الحالي « ميت الغرقا » قاصدا صديقا أزهريا له اسمه الشيخ سعيد (٥٠) فكتم سره وأكرم وفادته ، وله

---

(٤٦) المقطم : العدد ٧٨٨ في ٩ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان « عبد الله النديم وأسفاره في القطر المصرى » .

(٤٧) قرية قديمة اسمها الأصلي منية النصارى وكانت تابعة لمركز المحلة الكبرى ولما أنشىء مركز سمنود عام ١٩٣٥ ألحقت به لقربه منه .

محمد رمزى : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ولمزيد من التفاصيل انظر : أوراق انشاء وهدم العزب بمديرية الدقهلية ـ محفظة رقم ١٠ عين ٩٧ مخزن ٥ ملف ٩ وأيضا دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٦ ، ص ٨٢

(٤٨) المقطم : العدد ٧٨٨ في ١٨٩١/١٠/٩ تحت عنوان « عبد الله النديم وأسفاره في القطر المصرى » .

(٤٩) قرية قديمة تقع في منعطف ذى انحناء من الشاطىء الواقع على فرع النيل الشرقي وسميت بهذا الاسم لأن بها دوامه من تيار الماء الذى يمر بها فكل جثة تمر مع التيار من جثث الناس والحيوانات الغرقى تبقى دائرة مع التيار الى أن يخرجها الناس ، ولهذا السبب اشتهرت البلدة باسم منية الغرقى وأصبح هذا الاسم علما عليها من العهد العثماني .

محمد رمزى : القاموس الجغرافي ، جـ ٢ ، ص ٩٢

وكانت في فترة اختفاء النديم تابعة لمأمورية بشبيش بمركز المحلة غربية . انظر : دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧

علما بأنها تابعة الآن لمركز طلخا بمديرية الدقهلية .

(٥٠) أوضحت الكتب التي تحدثت عن النديم أنه لم يذكر أسماء من آووه في الاختفاء حتى لا تضطهدهم الحكومة وتتهمهم بالعصيان .

انظر على سبيل المثال دكتور على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٧

يضع النديم فى حسبانه البقاء عنده طويلا حيث كان عازما على السفر الى بلاد الشام ومنها الى أوربا .

وكان بالقرية وقتئذ أحد مشايخ الطرق الصوفية المشهورين وهو الشيخ « شحاته القصبى [٥١] » وكان النديم من مريديه فأرسل اليه يخبره بمكانه — وكان لهذا الشيخ أتباع كثيرون يأمرهم فيطيعون ويدعوهم فيستجيبون [٥٢] — ولما علم الشيخ بعزم النديم على اللجوء الى بلاد الشام طلب منه التستر وعدم الخروج من البلاد « حتى يقضى الله تعالى بالفرج [٥٣] » . وقد كان الشيخ محقا فيما قاله فقد قبض على كل من فر من زعماء الثورة الى الخارج [٥٤] .

دور الجهاز المشرف على اختفاء النديم فى نجاح الاختفاء :

أشرف الشيخ شحاته القصبى والشيخ سعيد الأزهرى على تدبير أماكن لابعاد النديم عن عيون الحكومة كما اختارا بعض الأشخاص

فى حين تثبت وثائق الداخلية ان النديم ذكر اسماء كثيرين ممن آووه انظر : محافظ مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ — محضر استجواب عبد الله النديم ومذكرة مجلس النظار بخصوص القبض عليه . علما بأن النديم وان كان قد ذكر اسماء من آووه فانه ذكر ايضا ان هؤلاء لم يكونوا يعرفون انه النديم المختفى عن اعين الحكومة .

(٥١) وصف النديم هذا الشيخ بقوله « هو استاذنا الكامل المولى الفاضل الورع التقى السيد شحاته القصبى ، وهو شيخ من الصالحين المنقطعين الى الله تعالى ، ولكنه يأكل من كسبه ويتيم فى بيته ولا يطلب من الناس شيئا ولا يأخذ عوائد من مريديه كما يفعل اشياخ الطرق بل بيته مفتوح للصادر والوارد وكرمه زائد وفضله مشهور » .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٥٢) د. محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومكراته السياسية ص ١٥

(٥٣) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

(٥٤) المصدر نفسه .

موضع الثقة لمساعدة النديم فى محنته وابلاغه بتحركات رجال السلطه ضـــده أولا بأول ، كما اتفق الشيخ سعيد الأزهرى مع النديم على وضع رموز للمراسلة بينهما حتى لا يعرف مكانه أحد لو عثر على شىء من المكاتبات بينهما (٥٥) .

ظل النديم مختفيا فى بيت صديقه الأزهرى حوالى شـــهر (٥٦) اضطربت خلالها أعصاب خادمه الذى ضاق ذرعا بالاختفاء ، وأخـــذ يبكى طالبا العودة الى أهله ، ولمـــا خشى النديم من افتضاح أمره دبر له حيلة تدل على سعة الأفق فاشترى الجريدة الرسمية وأخذ يتفحص فيها باهتمام وكان الخادم أميا ـــ ثم أظهر الجزع والتأسف وضرب كفا بكف (٥٧) وقال « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ولما استفسر منه الخادم عما قرأ قال : « ان الحكومة قد جعلت لمن يرشـــد الى ألف جنيه ولمن أتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم وأخذ يبـــالغ فى التنكر زيادة عن سيده (٥٨) ، كما غير النديم اسم الخادم من حسين الى صالح حتى يكتمل تنكره (٥٩) .

شعر النديم بقسوة الاختفاء وزاد من وحشـــته المـــكان المظلم الرطب الذى اختفى فيه فلم يعرف الليل من النهار ، ولم يتمكن من الكتابة أو القراءة الا على ضوء مصباح صغير من الغاز الكثير الدخان (٦٠)

---

(٥٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٧

وظلت هـــذه المكاتبات ترسل اسبوعيا للنديم يكتب فيهـــا خلاصـــة الأخبار وما يحدث فى البلاد .

المرجع نفسه ، ص ٢٢٧

(٥٦) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ ، احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٩

(٥٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٠

(٥٨) المرجع نفسه .

(٥٩) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٠

(٦٠) المرجع نفسه .

ومع ذلك فكر فى التأليف حتى يشغل وقته ، ولكن صديقه المتستر عليه نصحه بتأجيل ذلك حتى تتحسن الأحوال بقوله : « يمنعك من الكتابة الآن ظلمة القاعة واشتغال فكرك بهذه المزعجات الحاصلة .. ولو صفت الأوقات وانصرفت عنك المكدرات للزمك أن تكتب تاريخا عاما بصورة فذلكة تاريخية [٦١] » فانصرف النديم عن الكتابة وأخذ فى تعليم خادمه « القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم [٦٢] » وقد نجح فى ذلك [٦٣] .

ولما تطاير خبر مكان اختفاء النديم الى الحكومة أرسل له الشيخ شحاته القصبى خطابا مع الشيخ محمد الهمشرى عمدة « العتوة القبلية [٦٤] » وكان أحد مريديه يقول له فيه : « قم معه ولا تبرح من عنده حتى يأتيك اذنى ولى ثقة عظيمة لتقواه وحسن صلاحه وقوة يقينه ولطف سيرته [٦٥] »

فخرج النديم مع الهمشرى الى بلدته [٦٦] ، ولم تمض بضع ساعات على مغادرته للمخبأ حتى اقتحمت الشرطة الدار وفتشته ولكن النديم كان قد سبقهم [٦٧] .

نزل النديم ضيفا على الشيخ الهمشرى . وأقام فى داره ثلاث

---

(٦١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٦

(٦٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(٦٣) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٥٦

(٦٤) كانت قرية تابعة لمركز كفر الشيخ غربيـة ، واستمر منصب العمودية بها فى أسرة الهمشرى مدة طويلة .

دار المحفوظات : دفتر أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ١ ، رقم ٢٧٠٨ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٣٣٥ ، جـ ٢ رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧

(٦٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٤٧

(٦٦) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم .

(٦٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

سنوات ونيفا (٦٨) فأكرمه وآواه ولم يبلغ أحداً من أفراد أسرته به سوى زوجته وعن ذلك قال النديم « وكان معى فى البيت نحو أربعين نفسا لا يعلم واحد منهم من أنا بل غاية علمهم أنى رجل شريف من « جروان (٦٩) » اسمى الشيخ يوسف المدنى وقد حضرت عند صاحب البيت لأعلمه بعض العلوم الشرعية ولا أخرج من القاعة لكونى صوفيا وأكره الاجتماع بالناس (٧٠) .

النديم وتأليف كتاب « كان ويكون » فى المخبأ :

وفى منزل الهمشرى أحس النديم بالفراغ والوحدة وانتابته الوساوس والأوهام ، ولما بلغ الشيخ القصبى ذلك أرسل له رسالة يقول فيها « دع عنك هذه الوساوس والأوهام » وأشغل وقتك بما ينفعك ولا ينفعك الآن الا الالتجاء الى الله تعالى فانك فى حالة لا ينفعك فيها صديق ولا صاحب ولا يقرب منك أخ ولا خليل ، وليس بعد هذه الشدة شدة (٧١) فاستبشر النديم برسالة الشيخ وفكر فى شغل وقته بالتأليف والكتابة ووجد فى صديقه الشيخ سعيد الأزهرى معينا على امداده بالكتب والمراجع وما يحتاج اليه (٧٢) ، كما أخذ يصنع الحبر من هباب الفرن ، وبدأ يفكر فى خطة للكتابة واستقر رأيه

---

(٦٨) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

وبالرجوع الى مختار الصحاح اتضح ان النيف يقال على ما زاد على العقد (العقد يساوى عشر سنوات) فيقال عشر ونيف ، وسبعون ونيف وثمانون ونيف حتى يبلغ العقد الذى يليه . انظر : مختار الصحاح القاهرة المطبعة الأميرية الطبعة العاشرة ١٩٦٤ ، ص ٦٨٧

(٦٩) قرية بمركز منوف كان اسمها قديما ججروان وهى من أعمال المنوفية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٢١٦

(٧٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٨

(٧١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٧٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢١٩

على كتابة مؤلف بعنوان « كان ويكون » وبعد أن كتب المقدمة تذكر صديقا فرنسيا [٧٣] كان قد عرفه من قبل بالاسكندرية ويمتلك ضيعة قريبة من مخبأه ففكر فى الكتابة اليه لعله يجد عنده ما يساعد على ما شرع فيه [٧٤] ولما علم بذلك الشيخ الهمشرى فزع وحاول أن يثنى النديم عن عزمه ولكن النديم طمأنه بقوله « لا تخشى شيئا فانى واثق بذمته وعلو همته [٧٥] » وبعد تردد الشيخ الهمشرى نحو ساعتين حمل رسالة النديم [٧٦] الى الفرنسى فقرأها ثم أعطاها لزوجته فقرأتها ثم أعادتها اليه فمزقها زيادة فى الحذر ثم حضر متخفيا الى مكان النديم الذى أخبره بنيته على الكتابة والتأليف وطلب منه المساعدة واحضار بعض الكتب التاريخية للاستعانة بها ، ثم تناقشا فى خطة الكتابة وانتهيا بأن توضع على هيئة أسئلة وأجوبة فى المشكلات الدينية والخلافات السياسية بين الشرق والغرب على أن يقدم الفرنسى الأسئلة ويجيب النديم عليها وبعد ذلك يقوم النديم « بسرد تاريخ مصر سردا مرسلا [٧٧] » .

---

(٧٣) يذكر النديم انه تعرف عليه بالاسكندرية عام ١٨٧٥ حيث كان يتردد على الديار المصرية والاقطار العربيــة فى كل ســنة ثم يعود الى فرنسا ، وبعد مظاهرة عابدين اقام بمصر حيث تتبع الحوادث بها لاشتغاله بمسائل الشرق ، والجدير بالذكر ان النديم لم يذكر اسمه بل رمز اليــه بالحرف (غ) بمعنى انه من الغربيين ، وذكر انه يجيــد اللغتين العربيــة والتركية .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢ ، ١٦

كما ذكر النديم ان صديقه الفرنسى طلب منه الا يبوح باسمه الا فى آخر الكتاب .

الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٥٦

ولما كان الكتاب لم يكتمل طبعه فان اسم الفرنسى لا يزال مجهولا لدينا .

(٧٤) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢

(٧٥) المرجع نفسه .

(٧٦) عن نص الرسالة : انظر كان ويكون ، جـ ١ ، ص ١٣ علما بأنها منشورة فى ملاحق الرسالة لأهميتها .

(٧٧) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٦

أخذ الفرنسى يزور النـديم على فترات متقاربة ، وكان يحضر زوجته أحيانا معه لتشترك فى المناقشة وتسهم بآرائها فيها كما كان يحضر هذه المناقشة أحيانا « سعيد الأزهرى (٧٨) » صديق النـديم وكانت تطول المناقشة أحيانا ويسهم كل منهم بآرائه فيها ، وعنـدما تنتهى المقابلة يخلو النديم الى نفسـه ويسجل ما دار من حديث ثم يعرضه بعد ذلك عليهم قبل الخوض فى غيره (٧٩) .

تخبط أجهزة الحكومة فى تحرياتها عن النديم :

وبينما كان النديم مشغولا فى كتابه كانت الحـكومة ترصـد له « الجواسيس والعيـون فى عامة البـلاد المصرية من أسـوان الى الاسكندرية الى السويس الى دمياط الى العريش (٨٠) للبحث عنـه وبدأت السلطات تتخبط فى تحرياتها فى حين أكدت بعض أجهزتها أنه مختف داخل المحروسة وأنهم سيستمرون فى تحرياتهم عنه حتى يتمكنوا من الوقوف على الجهة المختفى فيها والقبض عليه ، وطالبوا شـيوخ الحارات بالقاهرة ببذل الهمة فى البحث عنه (٨١) . كان النديم يتنقل خارج القـاهرة بين القرى والعزب ، وكلما شددت الحكومة فى البحث عنه والقبض عليه كان ينشر الشائعات عن هروبه خارج البلاد واعتمد على صديقه الفرنسى لنشر اشاعة هروبه على احدى البواخر الايطالية

---

(٧٨) اشار النديم اليه بحرفى « سع » وهما كما يذكر نصف اسمه كما اشار الى زوجة الفرنسى بالرمز « سر » اى الست .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ٢١٩
وقد ذكر النديم فى محضر استجوابه بالداخلية فيما بعد ان اسم صديقـه الأزهرى هو سعيد .

محافظ مجلس الوزراء ــ نظارة الداخلية ــ محفظة ٢٢ ــ محضر استجواب النديم .

(٧٩) عبد الله النديم : المرجع السـابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٥

(٨٠) المرجع نفسه ، ص ١٧

(٨١) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٠ ملف ٢٨٥

الى « ليفورنو » من أعمال ايطاليا حيث نزل ضيفا على أحد الباشوات هناك ثم انتقل منها الى فرنسا ونشرت صحيفة « روضة الاسكندرية » هـذا الخبر (٨٢) وصدقه الناس وخف بحث الحكومة عنه فى الداخـل وانتقل الى ايطاليا وفرنســا بل بلغ الحنق ببعض كبـار الحكام أن بعث مندوبا خاصا الى « ليفورنو » ليقتله فذهب وعاد بخفى حنين ولم يقطع الا رأس مال مرسليه (٨٣) . كما أرسلت الحكومة بعض عيونها الى بلاد الشـام للبحث عنه خشية أن يكون قد فر الى هنـاك ، وعن الشائعات التى انتشرت عن اختفاء النديم يذكر « سليم النقاش » : « تعددت الأقوال فى مقره والجهة التى لجأ اليها فمن قائل أنه لجأ الى البلاد الايتاليانية ، ومن قائل أنه فر الى طرابلس الغرب وتوغل فيها ، ومن زاعم أنه أتى الى السودان وتعلق بأذيال المهدى وصار له خـلا ونديما .. وقال آخـرون غير ذلك ، ويرجـح بعض الرواة أن قدمه مستقرة فى طرابلس الغرب ، وقال قوم أنه ساع فى السفر الى جزيرة سيلان للاجتماع بعرابى ورفاقه ، والحقيقة فيما نعلم أنه أتى باريس فى الأيام الأخيرة ، ونشر فيها مقـالة أتى فيهـا على ذكر الحـرب العرابية (٨٤) » .

ثم انتقل البحث عن النديم داخل البلاد مرة أخرى حيث انتشر خبر تواجده بدمياط (٨٥) ثم أشيع بعد ذلك أنه فى داخل القاهرة ولم

---

(٨٢) روضة الاسكندرية : العـدد ٣٤ فى أول فبراير ١٨٨٣ تحت عنوان « حوادث محلية » .

(٨٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٠

(٨٤) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٦ ، ص ١٩

(٨٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٥ تلغرافات — تلغراف بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ من مدير الدقهلية الى رياض باشا يؤكد فيـه وجود النديم بدمياط .

يبرحها (٨٦) وبعد أن عجزت الحكومة فى القبض على النديم أصــدرت عليه حكما غيابيا بالنفى المؤبد وابعاده عن الأقطار المصرية (٨٧) ، ولكى تبرر فشلها فى القبض عليه نسجت حوله الشـــائعات بأنه مات حتى ينساه الناس فخرجت شائعة بأن النديم قبض عليه وقتــل خنقا فى دمنهور (٨٨) ، وأخرى بأنه انتحر يائسا (٨٩) .

أما الوطنيون فقد نسجوا حوله القصص البطولية فمنهم من قال أنه أستشهد فى معركة التل الكبير ، ومنهم من ذكر أنه ركب مع العرب وخرج الى الصحراء ، ومنها سافر الى المغرب الأقصى ومنهم من قال أنه تحت حماية أحد القناصل الأجانب (٩٠) ، وأغرب من ذلك ما ذكره النديم نفسه حول هــذه الشائعات فقال « ان رجلا دخل المضــيفة (يقصد مضيفة الهمشرى) وقعد مع صديقنا وكانت مزدحمة بالضيوف ثم قال ان عبد الله نديم عند السلطان الآن فقيل له من أين أتاك فقال انه توجه من دمياط الى الشام بمراكب البرتقال ثم سافر من يافا الى

---

(٨٦) اكد جميع مشايخ الحارات بالقاهرة ووقعوا بأختامهم أن النديم داخل القاهرة ولن يبرحها .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٠ ملف ٢٨٥

(٨٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة ٤١ وثيقــة رقم ١٣٣٨ تحت عنوان « بيــان الأشخاص الصادر فى حقهم دكريتات بتجريدهم ونفيهم لمدد معلومة » وايضا مجموعة الأوامر والانعامات العاليــة الصادرة فى سنة ١٨٨٢ ، ص ١١ تحت عنوان « أمر عال بالحكم على كل من : محمد عبيد وعبد الله النديم وعبد القادر الغرياني بالابعاد من الاقطــار المصرية وملحقاتهــا » .

(٨٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٩

(٨٩) أحمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ١٨

(٩٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٥٦

اسلامبول (٩١) فلما صار فيها صعد على مأذنة بالقرب من سراى السلطان بين العصر والمغرب ونادى بالآذان فلما سمعه السلطان استحضره وسأله عن هذا الآذان فقال له انما أذنت ليسمع مولانا السلطان ويدعونى اليه أنا عبدكم عبد الله النديم المصرى فقام السلطان واحتضنه وقال له الحمد لله على سلامتك يا ابنى ما أصل حكايتكم ، وكيف انكسرت العساكر المصرية فقص عليه الخبر من طقطق لسلامه عليكم ففرح السلطان به وأكرمه وأمر أن يخدموه فى خدمة عظيمة فلم يقبل الخدمة ، وقال أحب أن يبعث السلطان معى عساكر لمصر ومراكب ليخلص لنا البلاد من أيدى الانكليز (٩٢) ، كما ذكر شائعة أخرى فقال « جاءنا رجل آخر فقال انهم ضبطوا عبد الله نديم فى بيت رياض باشا (٩٣) » .

ولما اشتد ضغط الحكومة للقبض على النديم طلب منه الفرنسى الخروج من البلاد الى فرنسا ، ولكن النديم أعتذر له بقوله « أولى لى أن أقيم فى بلادى منتظرا تفريج كربى ولا يخفاك أن كل شىء له غاية ينتهى اليها وأمرى لا بد أن ينتهى باحدى الغايتين السلامة وهى المرجوة أو العطب (٩٤) » .

---

(٩١) كان لعاصمة الدولة العثمانية ثمانية أسماء هى : بيزانتين والقسطنطينية وفروق واستنبول واسلامبول ودار السعادة ودار الخلافة والاستانة .

وكلمة اسلامبول لفظة تركية مركبة من لفظين (اسلام) و (بول) ومعناها مكان الاسلام .

الهلال : الجزء الرابع من السنة ٤٤ فى فبراير ١٩٣٦ ، ص ٤٨٣ تحت عنوان « اسماء الاستانة » .

(٩٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٥٦ — ٥٧

(٩٣) المرجع نفسه ، ص ٥٧

(٩٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤٩

ظل الفرنسى على وفائه للنديم دائم العناية به يتفقد شئونه ويسأله فى نهاية كل اجتماع بينهما هل له حاجـة يقضيها ؟ فاذا أدلى اليـه برغباته أسرع فى تنفيذها فكان رسوله الى طنطا والقاهرة يحضر له ما يطلبه من كتب وملابس وتبـغ ويأتيـه بأخبـار أسرته من حين الى حين [٩٥] .

استقر النديم فى مخبئه بالعتوة القبلية حوالى عام مات بعـده الشيخ محمد الهمشرى ففقد النديم بموته الأمان على نفسه ، كمـا أحس الجهاز المشرف على اختفاء النديم بالخطر فأخذوا يرقبون الأمور بنفوس قلقة [٩٦] ، ووكلوا الى الشيخ سعيد الأزهرى مهمة الذهاب الى النديم وتحرى الموقف منه قبل أن تكتشف الحكومة أمره [٩٧] ، ولمـا لم يكن يعلم بأمر النديم فى « العتوة القبلية » سوى زوجة الشـيخ الهمشرى فقد استدعت أكبر أبنائها الذى لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره وأخبرته « أن ضيفهم المختفى عندهم هو عبد الله النديم طريد الحكومة [٩٨] » الذى جعلت لمن يرشدها عليه ألف جنيه وسـألته : « هل يطمع فى الجعل ويسلمه أم يكون كأبيه فى حفظ الجار وحمـاية الذمار [٩٩] » ؟ فوعدها بأن يكون كأبيه فى حفظه بقوله : « سأحافظ عليه محافظتى على عرضى ، ولن يصل اليه أحد بسوء ما دمت حيـا فقالت له والدته الكريمة بارك الله فيك من شهم حازم [١٠٠] » .

هكذا حسمت زوجة الهمشرى موقف للنديم تجـاه ابنها الأكبر وكانت مثالا لشهامة ونبل المرأة المصرية فى المحنة وشد أزر المظلوم كما

---

(٩٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ٢٠٨ — ٢١٠

(٩٦) دكتور على الحديدى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤

(٩٧) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٢٤

(٩٨) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

(٩٩) المرجع نفسه .

(١٠٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

كانت مثالا طيبا فى المروءة والشهامة والاقدام استمر النديم فى ضيافة أسرة الهمشرى نحوا من أربع سنوات ضيفا كريما [١٠١] وسره فى أمان وكتمان حيث يتضح ذلك من قول النديم لصديقه الأزهرى « الأمر على ما تعهد من الكتمان والتحرز من افشائه اذ لا يعلم الحقيقة الا صاحب البيت ووالدته وقد أخبروا الشيخ خليلا لثقتهم به [١٠٢]» .

تنقل النديم بين القرى والكفور :

ولما تسرب خبر النديم الى بعض أقارب أسرة الهمشرى وشوا به مما اضطر النديم الى الفرار ليلا من القرية ، ولم يكد يبتعد عنها حتى وصل البوليس اليها واقتحم المخبأ الذى كان به النديم فلم يجد له أثرا .

تردد النديم على كثير من القرى والكفور يصحبه السيد المغازى أحد الوطنيين من أفراد الجهاز المشرف على اختفائه [١٠٣] ، وكان لا يذهب الى مكان الا ويظهر باسم جديد وبشكل جديد فهو مرة شيخ من مشايخ الطرق الصوفية ، ومرة عالم يمنى اسمه يوسف اليمنى ومرة ثالثة اسمه الشيخ محمد الفيومى ورابعة عالم مغربى اسمه : « سى الحاج على المغربى » وخامسة بفلان اليمنى وسادسة بفلان النجدى وسابعة بأنه حكيم ماهر حاضر من جهة الهند ومعه شهادات

---

(١٠١) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ — محضر التحقيق مع النديم ، وايضا : سلافة النديم ، جـ ١ ، ص ١١

(١٠٢) كان الشيخ خليل ماذونا لقرية العتوة القبلية وقد عرفته اسرة الهمشرى بالنديم حتى يسرى عنه بعد وفاة عائلها ، وقد كتم سر النديم وازال عنه بعض الوحشة .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٢٤

(١٠٣) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من الداخلية الى مجلس النظار بشأن اختفاء عبد الله النديم .

بقدرته على الطب النظرى (١٠٤) (طب العيون) حتى بلغ عدد الأسماء التى انتحلها تسعة(١٠٥) ثم هو فى كل مرة يغير شكله ، مرة يبخر لحيته بالكبريت حتى تبيض وتظهر عليه الشيخوخة فاذا جاء الليل غسلها (١٠٦) ، ومرة يصبغها بالحناء فيصبح لونها أحمر ، ومرة يتركها كما هى ثم يقصرها ويطولها حسب الظروف مستغلا فى ذلك خبرته القديمة بالتمثيل وعن ذلك يذكر « درت فى البلاد متنكرا أدخل كل بلد بلباس مخصوص ، وأتكلم فى كل قرية بلسان يوافق دعواى التى أدعيها من قولى أنا مغربى أو يمنى أو مدنى أو فيومى أو شرقاوى أو نجدى وأصلح لحيتى اصلاحا يوافق الدعوى أيضا فأطيلها فى مكان عند دعوى المشيخة ، وأقصرها فى آخر عند دعوى السياحة مثلا وأبيضها فى بلد وأحمرها فى قرية وأسودها فى عزبة (١٠٧) » .

ويذكر ولى الدين يكن أن النديم كان « يحترف الحرف ويتنقل فى الأزياء والأشكال فيوما هو واعظ ويوما هو ماجن ويوما هو عالم ويوما هو خليع (١٠٨) » .

مضى النديم يتنقل بين قرى الغربية حوالى ثلاثة شهور حتى

---

(١٠٤) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهات — محفظة رقم ١٢ — ملف نظارة الداخلية نمرة ١ وثيقة رقم ٣٥

(١٠٥) الأستاذ : العدد الاول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ مقال بعنوان مقدمه مدح ومعرفة جميل ، ص ٩

(١٠٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص١١

(١٠٧) الأستاذ : العدد الاول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ مقال بعنوان مقدمه مدح ومعرفة جميل ، ص ٧

(١٠٨) المعلوم والمجهول ، جـ ١ ، ص ٢٨

استقر بقرية الكوم الطويل (١٠٩) حوالى سنتين (١١٠) على أنه عالم من الحجاز يدعى الشيخ يوسف المدنى ، وقام بتدريس الفقه والتوحيد والنحو بمسجد القرية (١١١) كما كان يخطب الجمعة فى أهاليها .

ويذكر أحمد سمير (١١٢) أن النديم أخبر بعد ذلك أن مصطفى باشا صبحى مدير الغربية عندما زار الكوم الطويل قابله « وتكلما طويلا فقال له لولا علمى بأن النديم قد مات وانقضت أيامه لقلت أنك هذا الرجل بعينه ، ولكن جل من لا شبيه له ! (١١٣) » .

---

(١٠٩) تابعة للغربية ، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت واقعة خلف كوم طويل الشكل ناتج عن خراب قرية تسمى دمقش .

وكانت تابعة لمركز كفر الشيخ ، ولما أنشىء مركز بيلا فى سنة ١٩٣٨ ألحقت به لقربها منه .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٣٦

(١١٠) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم .

(١١١) المنظم : العدد ٧٨٨ فى ٩/١٠/١٨٩١ مقال بعنوان : « عبد الله النديم وأسفاره فى القطر المصرى » .

ويذكر على مبارك : أنه كان بهذه القرية زاوية للصلاة .

« الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » جـ ١٥ ، ص ١٤

(١١٢) كان صديقا للنديم وملازما له وعمل معه مدرسا للغة العربية بالجمعية الخيرية الاسلامية ، كما عمل معه صحفيا بجريدة الطائف وهو من عداد المهتمين بجمع آثار النديم بعد وفاته كما كتب مقدمة لمنتخباته المعروفة بسلافة النديم .

(١١٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ١١

لقد كان لانتشار الجواسيس فى كل مكان(١١٤) لمعرفة مكان النديم سببا فى عدم استقراره فجاءه خبر من الجهاز المشرف على اختفـائه بضرورة الخروج من « الكوم الطويل » فقابل النديم عمـدة القـرية وكشف له عن نفسه بأنه النديم طريد الحكومة ثم طلب منه حمارين يتنقل بهما هو وخادمه (١١٥) ففعل وذهب النـديم الى المحلة الكبرى وتستر هنـاك عشرين يوما متخفيا داخل وكالة (١١٦) ، ثم سـار الى

---

(١١٤) حاولت الحكومة تتبع اخبار النديم والترصد لأقاربه فى كل مكان لاخبارهم عن مكانه فقبضت على شخص من الاسكندرية يدعى محمد بركات قال انه صهر النديم فى محاولة منها لمعرفة مكان اختفائه ولكنه رفض الادلاء لهم بشىء وتجاهل معرفة مكانه .

محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ مكاتبات خاصة بالبحث عن عبد الله النديم صاحب جريدة الطائف ومحررها .

كما عثرت الحكومة على جواب فى البوستة مرسل من شخص يسمى حسن سليمان الى احمد عوام لتوصيله الى عبد اللـه نديم ، فاستدعت الحكومة الأشخاص المحرر الخطاب باسمهم وقبضت عليهم للاسترشـاد منهم عن مكان النديم .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٤١ تلغراف لناظر الداخلية ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢

(١١٥) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبـد اللـه النـديم بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١١٦) المقطم : العـدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » وايضا محفوظات مجلس الوزراء .

نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

قرية « كفر الدبونس (١١٧) » حيث مكث بها ثلاثة شهور (١١٨) ثم قصد سنهور (١١٩) حيث أقام بطرف سيد أحمد أفندى عبد الخالق وأقام عنده مدة (١٢٠) ثم ذهب الى العجوزين (١٢١) وبعدها نزل الى

---

(١١٧) قرية قديمة بمديرية الغربية اسمها الأصلى منية دبوس . وكانت تابعة لمركز شربين . (تابعة حاليا لمديرية الدقهلية — مركز شربين) .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . القسم الثانى . الجزء الثانى ، ص ٧٩

(١١٨) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١ .

(١١٩) تابعة لمديرية الغربية — مركز دسوق وهى من القرى القديمة ولا زالت تعرف الى اليوم باسم سنهور المدينة لشهرتها القديمة بين المدن المصرية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . القسم الثانى . الجزء الثانى ص ٤٧

(١٢٠) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١٢١) كانت تابعة لمديرية الغربية مركز دسوق .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ص ٤٥ ، بينما يتضح من دفتر أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية ج ٢ أنها تابعة لمركز المندرة غربية وأن عمدتها فى تلك الفترة كان يسمى على عبده داود .

دار المحفوظات : دفتر رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٠٧ ص ٢٤٥

القرشية (١٢٢) حيث أقام ضيفا لدى أحمد بك المنشاوى (١٢٣) بمنزله فى عزبة ملكه ومكث بها بين خمسة وستة شهور (١٢٤) متنكرا فى زى يمنى ومطلقا على نفسه اسم الشيخ على اليمنى .

وقد وصف النديم تنكره فى القرشية بقوله : « أدعيت أنى عالم يمنى متمكن من العلوم ، وكنت منكرا هيئتى وصوتى ولهجة كلامى بحيث يعز على والدى معرفتى بتلك الحالة ، وكنت أجتمع بالناس فى المجالس وعلى الطعام من غير مبالاة لعلمى أنهم لا يهتدون لمعرفتى بهذه الصورة (١٢٥) » .

ولما كان مجلس المنشاوى مجلس أدب وعلم فقد تصدر النديم مكانة كبيرة فيه ، وأخذت شهرته فى الانتشار حتى وصلت الى

---

(١٢٢) كانت قرية تابعة لمديرية الغربية . ويذكر على مبارك : انها قريبة من محطة السكة الحديد الواصلة الى زفتى ، وانها تابعة لمركز الجعفرية .

الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ ١٤ ، ص ٩٧

(١٢٣) كان احمد المنشاوى من أعيان الغربية ، ومن مؤيدى الثورة العرابية ، وقد حوكم بتهمة الانتماء الى العرابيين ولكن الأوربيين لجأوا الى حمايته لأنه كان قد آواهم فى قرية القرشية اثناء الفتنة التى دبرها ابراهيم باشا ادهم خلال الحرب ، وقد برىء المنشاوى من التهم الموجهة اليه غير انه ظل يؤيد انصار الحركة الوطنية سرا . المنار : الجزء السابع ، ص ٨٣٣ — ٨٣٥

(١٢٤) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ — تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

القاهرة ولما كان رياض باشا قد قرأ مثلا يمنيا (١٢٦) من قبل وصعب عليه تفسيره أرسل سعد زغلول ـ وكان يعمل فى ذلك الوقت محررا بالوقائع المصرية ـ الى القرشية ليفسر له الشيخ اليمنى المثل فكتب له النديم الجواب (١٢٧) .

استمر النديم ضيفا على أسرة المنشاوى حوالى خمسة شهور رحل بعدها بحجة السفر الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج (١٢٨) ثم رجع متخفيا فى زى مغربى وأطلق على نفسه « سى الحاج على المغربى » ونزل ضيفا على صديقه الأديب (محمد التميمى) وظل عنده شهرا انتقل بعده الى قرية «الدلجمون (١٢٩)» وظل بها أسبوعا ولما أحس بانكشاف أمره وعزم الحكومة القبض عليه (١٣٠) خرج الى قرية

---

(١٢٦) المثل هو : « بعلة الورشان ياكل رطب المشان » .

الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ ـ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٢٧) جواب النديم ان الورشان بفتح الواو والراء والشين طائر والمشان بضم الميم وفتح الشين بمعنى أطيب الرطب ، والمثل يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شىء آخر .

اما سبب المثل ان قوما استحفظوا عبدا لهم رطب نخلهم فكان ياكله فاذا عوتب يقول أكله الورشان .

الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٠ ـ ٧١

(١٢٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ ـ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٢٩) قرية تابعة للغربية مركز كفر الزيات واسمها الأصلى دلجمون .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ١٢١

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٤١ ـ تلغراف من سلطان باشا تحت رقم ١١٣٣ نصه الآتى : « اما عبد الله نديم فقد قيل اخيرا انه بناحية الدلجمون طرف احد المشايخ فحررنا لوكيل المديرية بقيامه بنفسه وضبطه وارساله لضبطية مصر » .

« البكتوش (١٣١) » حيث أقام عند عمدتها (ابراهيم حرفوش) أحينا وأحيانا أخرى (ينتقل الى دار جاره أحمد جودة وكان رجلا قوى البنان لا يبالى بظلام الليل .. فصار يصحب النديم اذا أراد الانتقال من بلد الى بلد فى الليل الحالك ويتجشم معه أضيق المسالك (١٣٢)) كما كان ينتقل أيضا الى دار الحاج اسماعيل الكردى حيث مكث عنده شهر تقريبا (١٣٣) انتقل بعده الى شباس الشهداء (١٣٤) وأقام بمنزل محمد معبد الحلاق الذى لقى عنده المروءة والكرم (١٣٥) ولما زاره صديقه الشاعر والأديب « محمد شكرى » بشباس الشهداء

---

(١٣١) قرية قديمة اسمها الأصلى البقتوش من اعمال الغربية .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٤٤
وهى تابعة لقسم بسيون واستمرت العمودية فيها لأسرة حرفوش مدة طويلة .
سجل اسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية ، ج ١ ، رقم ٢٧٠٨ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٢٨٩

(١٣٢) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢١

(١٣٣) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية ـ محفظة ٢٢ ـ مذكرة من وكيل الداخلية الى مجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه .

(١٣٤) قرية من اعمال الغربية مركز دسوق .
القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، ويقول عنها على مبارك : انها بقسم سمنود غربى المحلة الكبرى واغلب ابنيتها بالطوب الأحمر ، وبها مسجدان قديمان احدهما بمئذنة واربع زوايا للصلاة .
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ١٢ ، ص ١١٥
وكان تعداد هذه القرية ٢٦٠٧ نفرا وزمامها ٤٠٧١ فدانا .
دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية ، ج ٢ رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٤١٤

(١٣٥) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١

أخذه معـــه الى دسوق مدعيا أنه ابن عمه أتاه زائرا من الحجاز ومكث عنـــده حوالى ستة شهور عاش خلالها فى حيرة وقلق (١٣٦) ولمـــا أحس بانكشاف أمره ومعرفة الحكومة بمكانه (١٣٧) انتقـــل الى « شـــباس الشهداء » ولكنه لم يمكث بها طويلا حيث عاد الى دسوق ومكث بهـــا ستة أشهر أخرى (١٣٨) خرج بعدها الى البكاتوش ولحقت به زوجته بينما أقام خادمه وزوجته بالجميزة (١٣٩) .

لقد قاسى النديم الويلات فى فترة الاختفاء حيث مرت به لحظات تعاسة وشقاء كانت تثور لها نفسه وتتوتر منها أعصابه أحيانا . فمثلا كان يجـــد نفسه حبيسا فى حجرة مظلمة قذرة يفصل فى منازعات بين زوجته وزوجة خادمه على زاد بسيط أو تقسو عليـــه زوجته وتسىء معاملته (١٤٠) الى حد أن تلطمه على فمه ، ومع ذلك كان يترضاها كارها ويصالحها حتى لا يتركها ترشد عنه ، ويزيد من همه ما يقرأه فى الصحف

---

(١٣٦) عبـــد الرحمن شـــكرى : ديوان عبـــد الرحمن شـــكرى ، الاسكندرية — منشاة المعارف ١٩٦٠ ، ص ٢

(١٣٧) لمـــا علمت الحكومة بتواجد النديم بدسوق أحاطها رجالهـــا بالخفر وهاجمـــوها وفتشوها تفتيشـــا دقيقـــا ، ولكن كان النديم قـــد خرج منهـــا .

محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ خطاب من مدير الغربية الى معاون اول البوليس .

(١٣٨) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٣

(١٣٩) قرية من قرى الغربية تابعة لمركز السنطة وقريبة من قرية القرشـــية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٤

ولمزيد من التفاصيل عن هـــذه القرية وعمدتها الشيخ ابو العـــزم البسيونى . انظر : دفتر قيد اسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربيـــة ، جـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧

(١٤٠) احمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٦

أن سلطان باشا وبعض الأعيان يقدمون الهدايا والنياشين لقواد جيش الاحتلال فتثور نفسه ويبكى وأحيانا كان يشعر بالخطر يهدده فيشتد فى الاستخفاء حتى أنه ظل بقاعة مظلمة يرشح المـاء من أرضها لقربها من ترعة لمـدة تسعة أشهر لأن الشرطة كانت فى مكان قريب منه تجد فى البحث عنه أو أن تجيئه الأنباء أن والده ووالدته وشقيقه فى حالة من الضنك الشديد لتضييق الحكومة عليهم (١٤١) أو لأنهم مشردون فى البلاد تتعقبهم السلطات (١٤٢) ويلازمهم البوليس السرى فى كل مكان للاستدلال على مكانه . ويقبض عليهم أكثر من مرة ، وتعمـل معهم التحقيقات لمعرفة مسـتقره (١٤٣) فلا يسعفهم أحـد بل ينفر كل من يلوذون اليه أو أن كتبه ومؤلفاته التى أنفق فيها تسعة عشر عاما سقطت فى النيل أثناء هجرة أهالى الاسكندرية بعد ضربها (١٤٤) ولكن انهماك

---

(١٤١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر . جـ ١ ، ص ٢١٠

(١٤٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ — اوراق بخصوص عمل تحريات عن تنقلات اسرة النديم .

(١٤٣) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ خطاب من وكيل ضبطية مصر الى مدير الغربية بخصوص تعقب والد ووالدة النديم والقبض عليهما للتحقيق .

(١٤٤) عندما ضربت الاسكندرية ، وهاجر منها اهلهـا وضـع والد النديم كتب ابنـه فى ثلاثة صناديق كبار ، وشحن بهـا عربة من عربات السكة الحديد فلما وصلت الى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاما هائلا فاضطر عمال السكة الحـديد الى القـاء هـذه الصناديق مع باقى أمتعة الركاب فى النيل حتى يركب الناس مكانها .

انظر عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٩

والجدير بالذكر أن معظم مؤلفات النديم فقدت اما غرقت فى النيـل كما ذكرنا او سرقت كما حدث عندما غافله خادمه اثناء مقامه بالمنصـورة وسرق بعض متاع البيت ومنها الكتب وهرب أو اغتصبت حيث كان النديم اذا سود شيئا جاء اليـه من يستعيره منه ثم لا يرده اليه وقد فعل معه ذلك جماعة من القـاهرة والاسكندرية والمنصورة .

النديم فى الكتابة وقراءته للكتب التى كان يحضرها له صديقه الشيخ سعيد الأزهرى (١٤٥) واحساسه بحب الناس له والوقوف بجانبه كان كل ذلك يخفف من آلامه ، ويبعث فى نفسه القدرة على تحمل محنة الاختفاء .

لقد أتاحت فترة الاختفاء للنديم من الفراغ ما مكنه من الاشتغال بالقراءة والدراسة والتأليف وقد عبر عن ذلك فى خطاب له أرسله لصديقه الأزهرى قال فيه « التزمت صرف أوقاتى فى كتابة ما عساه أن يكون نافعا لاخوانى ولم يصرفنى سوء الأخبار عما تعهده فى من حب الخدمة العامة (١٤٦) » .

لقد أتم النديم فى فترة الاختفاء عشرين مؤلفا ويتضح ذلك من قوله : « وقد تم لى الآن عشرون مؤلفابين صغير وكبير فانظر الى آثار رحمة الله اللطيف الخبير ، كيف جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة والمنة (١٤٧) » طلبت زوجة النديم زيارة زوجة خادمه بالجميزة فسمح لها ، وهناك تشاحنت الزوجتان فهرول الخادم مسرعا الى البكاتوش لابلاغ النديم (١٤٨) الذى خشى انكشاف أمره فأسرع الى الجميزة

انظر : عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٥

كما ان بعض مؤلفات النديم قد حرقت كما حدث فى بلدة بدواى (دقهلية) عندما حرق بعض المتآمرين من انصار عمدة البلدة بيت النديم بما فيه من كتب بعد فراره منه ، ومع ذلك فان ما تبقى من مؤلفاته يكفى للحكم عليه .

(١٤٥) كانت هذه الكتب عبارة عن « تفسير ابى السعود للقرآن العظيم وقاموس الفيروزابادى والوافى وجغرافية المرحوم رفاعة » .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٠٧

(١٤٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٠٥

(١٤٧) الأستاذ : العدد الرابع عشر فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٣

(١٤٨) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٦

متنكرا تحت اسم الشيخ ابراهيم الشهاوى ليصلح بينهما (١٤٩) فعرفه السيد أبو العزم البسيونى عمدة ناحيـة الجمـيزة كما عرفـه على أبو سليمان شيخ خفرائها (١٥٠) ولكنهما لم يخـبرا أحـدا بحقيقـة أمره (١٥١) ، وبقى النـديم هناك شهرين طاب له خلالهما المقام والتف حوله العمدة والشيخ عبد الغنى العالم بالبلدة (١٥٢) وبعض الأهـالى لتلقى العلم منه ليـلا والاستماع الى وعظه ومسامراته (١٥٣) .

الوشاية بالنديم والقبض عليـه :

وفى أثناء تواجد النديم بالجميزة اشتبه فيـه رجلان أحـدهما يسمى حسن الفرارجى الجهادى وكان قبـل أن يحال الى المعاش من عساكر البوليس السرى الذين اشتركوا فى البحث عن النديم والآخر يسمى سيد أحمد الهيتمى (١٥٤) .

وقـد ذكر حسن الفرارجى لجريدة المقطم كيفية اشـتباهه فى النـديم فقال : « انه كان ذات يوم فى بستان له بضواحى الجميزة فلقى رجـلا يقرأ بعض الكتب ، وقد جلس مأذون القرية الى جانبه وجلس رجل آخـر بعيدا عنهما وكان هـذا الرجل خادم نديم ، فلما رأى عبد الله نديم حسنا المشار اليه مقبلا غطى وجهـه بطرف ثوبه

---

(١٤٩) أحمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٣

(١٥٠) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤ ص ١ وثيقة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(١٥١) محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه .

(١٥٢) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤

(١٥٣) أحمد تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٣ — ٢٤

(١٥٤) ديوان المعيـة عربى . المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤ ، ص ١ ، وثيقة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

فاشتبه فيـــه [١٥٥] » وأخذ يراقبه ويتردد عليه ووطد صلته به حتى أن النديم أرسله مرة الى الكوم الطويل لقضاء بعض حاجياته [١٥٦] ولمـــا تأكد الرجلان أن الموجود بالجميزة ما هو الا شخصية هامة هاربة من الحكومة [١٥٧] تقدما الى المعية السنية بعرضـــحال ذكـــرا فيـــه شكوكهما [١٥٨]» ولدى الاستفهام منهما شفاها عنه وصفاه بأنه متوسط القامة بعيون واسعة قمحى اللون بشنب أصفر ودقن كوسه (★) مقيم بناحية الجميزة بمركز السنطة بطرف رمضان الجحش وأن المشايخ على أبو سليمان وسيد على البسيونى هما المتستران عليـــه ، وقيـــل أن أحمد المنشاوى جارى الصرف عليه [١٥٩] » فأفهمتهما الداخليـــة أن هنـــاك رجلين تود الاهتداء اليهما وهما محمد عبيد وعبد الله النـــديم فذكر حسن الفرارجى لرجال الداخلية أنه يعرف محمد عبيد حق المعرفة وأكد بأن الرجل المختفى هو عبد الله النـــديم [١٦٠] ، فزودته الداخلية

---

(١٥٥) المقطم : العـــدد ٧٨٥ فى ٦ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم » .

(١٥٦) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهـــات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخلية — وثيقة رقم ٣٥ بتاريخ ١٩ إكتوبر ١٨٩١

(١٥٧) بعد حوادث الثورة العرابية اصدر الخديو توفيق امرا بأنه يجوز لأى شخص القبض على أى شخص آخر هارب من المحاكمة .

دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية . محفظة رقم ٥

(١٥٨) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى — المجموعة رقم ٣٦ سجل رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(★) تعنى ذقن مخروطية او ظاهرة .

(١٥٩) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى . المجموعة ٣٦ — رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ ستبمبر ١٨٩١

(١٦٠) المقطم : العـــدد ٧٨٥ فى ٦ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم » .

هو وزميله بصورة النـديم (١٦١) وصفاته وأوصافه (١٦٢) فعادا الى الجميزة وأخذا يدققان النظر فيـه فوجدا أن أوصافه مطابقة للصورة التى معهما (١٦٣) وليس كما ذكرا لامعية السنية من قبل (١٦٤) فهـرعا الى القاهرة وقدما طلبـا الى المسئولين بالقصر ذكرا فيـه أن أوصاف الرجل الموجود بالجميزة مشابهة لمواصفات الداخلية فبعد تحققهما منه وجداه رجلا قصير القامة أسمر اللون رفيع الوجه قائمـا بمنزل على العاملى بجوار مقام الشيخ عيسى (١٦٥)، وأكدا معلوماتهما واكتشافهما، كما ورد للداخلية أيضا خطاب وتلغراف من رجل يدعى محمد عشماوى يذكر أنه يعرف مكان النديم ويحتفظ بحقه فى المكافأة (١٦٦)، ولـما وصل

---

(١٦١) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

(١٦٢) كان يوجد بقلم السوابق الذى صدر به امر عال فى نوفمبر ١٨٩٠ صحيفة للهاربين من المحكوم عليهم مشتملة على :

١ — اسم المحكوم عليه ولقبه وشهرته ويكتب ذلك بالثلث .

٢ — اسم والده ولقبـه .

٣ — عمره ومحل ولادته واقامته .

٤ — صـفته .

٥ — حالته الشخصية (كونه عانسا او متزوجا او عزبا) .

٦ — أوصافه الجسمية والعلامات المميزة له .

٧ — بيان المحكمة التى حكمت عليه وتاريخ الحـكم ونوع العقوبة ومقدارها ونوع الجناية او الجنحة وتاريخ ارتكابها ومحل وقوعها .

٨ — بيان كون الحكم حضوريا او غيابيا .

دار الوثائق — محفوظات مجلس الوزراء — محفظة رقم ٧ حقانية — الأمر العالى الخاص بانشاء قلم السوابق .

(١٦٣) المقطم : العـدد ٧٨٥ فى ٦ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد الله النديم » .

(١٦٤) نعتقد ان هـذا قد حدث لكون النديم دائم التغيير والتبديل فى شكله وملابسه حتى لا يعرفه احد .

(١٦٥) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(١٦٦) ديوان خديو . وثائق عربية الى جهات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخلية . قلم عرضحالات مسلسل ٢٥٩

الخبر الى الخديو اهتم بالأمر وأمر بتكليف مدير الغربية بالتحرى عن هـذا الموضوع ومعرفة الحقيقة (١٦٧) وعلى أثر ذاك صدرت الأوامر الى محمـد أفندى فريد وكيل حكمدار البوليس بالقبض على النديم فتنكر بملابس ملكية ، وتظاهر أنه من تجار الأقطان ، ودفعا للشبهات لم يجتمع بأحد من رجال الحكومة فى المركز بل أرسـل تعليماته الى معاون بوليس السنطة أن يعد قوة عسكرية من المشاة والفرسان فامتثل المعاون للأمر دون أن يعلم القصد من ذلك(١٦٨) ثم طوق القرية بالجنود وأمر الخيالة أن ينتشروا فى الناحية خوفا من فرار النديم ولما « أزف وقت صلاة العشاء .. دعا اليه عمدة الناحية سرا ثم بث العساكر وأمرهم أن يحاصروا المساجد ويمنعوا من بها من الخروج .. و..نا وكيل الحكمدار حتى وقف بالقرب من باب المنزل الذى قيل أن الرجل مختبىء فيـه ومعه عمدة الناحية ثم أمر العمدة أن ينادى باسم الشيخ ابراهيم حيث كان النديم مختفيا تحت هـذا الاسم فامتثل العمدة وكرر النداء فأجابته امرأته من الداخل أن الشيخ فى الجامع (١٦٩) » وكان النـديم فى البيت فأراد أن يأخذ حيطته حيث صعد الى سطح المنزل للاختباء ، ولكن اثنين من رجال الضبطية كانا يقفان على رابية عاليـة لمراقبـة ما يجرى على سطح المنزل فلما لمحا به حركة غير عادية أبلغا رئيسهما الذى أمر بحشو البنادق وحمل السلاح (١٧٠) ثم أحاط رجال البوليس بالدار وأخذوا يطرقون الباب طرقا عنيفـا ، ولما أيقن النـديم أنه مأخوذ لا محالة فتح لهم الباب وواجههم بكل جلد (١٧١) فلم يعرفه قائد

---

(١٦٧) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ص ٤٨٧

(١٦٨) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٦٩) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٧٠) المقطم : العدد ٨٧٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١

(١٧١) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

القوة حيث كان مرتديا زى الدراويش وعلى رأسه عمامة خضراء مكورة ومطلقا لحيته (١٧٢) فسأله عن اسمه فقال له « سبحان الله أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله النديم (١٧٣) فقبض عليه ثم قبض على خادمه وكان ذلك فى ليلة السبت ٣ أكتوبر ١٨٩١ (١٧٤) ، ومن حسن حظ النديم أن رجال البوليس لم يلحظوا كتبه وأوراقه (١٧٥) .

أرسل النديم وتابعه الى « السنطة (١٧٦) » فى حالة من التكتم الشديد حتى لا يعرف الناس خبر ظهوره خشية الفتنة (١٧٧) ، وعومل معاملة طيبة ويتضح ذلك من قوله : « وعندما دلت الحكومة على لم تبعث رجلا فظا للقبض على بل بعثت رجلا مهذبا هو محمد أفندى فريد وكيل حكمدارية الغربية اذ ذاك فاشتد فى أول الأمر وأراد أن يكتفنى

---

(١٧٢) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ص ٤٨٧

(١٧٣) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

(١٧٤) دار الوثائق : معية سنية عربى . صادر تلغرافات عابدين مجموعة ٢٧ دفتر ٦١ تلغراف رقم ١٠٩٠ من ريس ديوان خديو الى سعادة وكيل الداخلية بمصر فى ٤ اكتوبر ١٨٩١ وأيضا محفوظات مجلس الوزراء نظارة الداخلية — محفظة رقم ٢٢ — مذكرة من الداخلية الى مجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه .

علما بأن عبد الفتاح نديم ذكر ان القبض على شقيقه كان فى نوفمبر ١٨٩٥

انظر : سلافة النديم ، ص ١٢

(١٧٥) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

والجدير بالذكر انه صدر أمر عالى فى ١٧ فبراير ١٨٩٠ بشأن مصادرة الأشياء التى يصير ضبطها فى وقائع الجنايات والجنح والمخالفات بمعرفة الهيئة القضائية .

أنظر محفوظات مجلس الوزراء . الحقانية محفظة ٨ / د / ١ مجموعة ١٣٦ حقانيـة .

(١٧٦) احدى مراكز الغربية وبها محطة للسكة الحديد ، واسمها المصرى القديم سدمنت .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . الجزء الثانى . القسم الثانى ص ٩

(١٧٧) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ص ٤٨٧

فلما ذكرته بأنى مذنب سياسى لا مجرم جنائى انصاع لأفكارى وتلطف بى وتساهل معى [١٧٨] » .

بدأ التحقيق مع النديم وخادمه كل منهما على انفـراد وابتـدأ بالخادم الذى أقر بكل شىء خشية الضرب والتهـديد فشرح باسهاب أسماء الجهات التى اختبأ فيهـا وأسماء من تستروا على سيده [١٧٩] وكيفية حصولهما على المئونة والمـال [١٨٠] ثم استجوب النديم فذكر أنه لم يكن له محل اقامة مخصوص وأدلى بأسماء من آووه [١٨١] مع أنه أنكر أنهم يعرفون حقيقته [١٨٢] فقد قبض عليهم البوليس وأودعوا

---

(١٧٨) الأستاذ : العـدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٧ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٧٩) الأستاذ : العـدد السابق الذكر ، ص ٨
أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

(١٨٠) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٨١) يثبت ذلك المذكرة المقدمة من نظارة الداخلية الى مجلس النظار بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

انظر : محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ . كما يؤكد ذلك كل من عبد الفتاح نديم فى سلافة النديم ، ص ١٢ ، المقطم : فى العدد ٧٨٤ بتاريخ ٥ اكتوبر ١٨٩١ بينما يذكر أحمد تيمور : ان النديم انكر الادلاء باسماء من آووه بقوله « وسألوه عمن اختفى عنـدهم فلم يقـر بأحـد » .

انظر : تراجم اعيان ، ص ٢٥

(١٨٢) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ٨ تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

لقد انكر النـديم فى محضر التحقيق ان المنشـاوى كان على علم بشخصيته حين نزل ضيفا عليه .

انظر : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضـبطه فى ١٢ اكتوبر ١٨٩١ كما اكد ذلك على صفحات مجلة « الأستاذ » بقوله :

السجن (١٨٣).

نقل النديم الى طنطا للتحقيق معه فى النيـابة وكان قاسم أمين رئيسالنيابة طنطافأحسنمعاملته(١٨٤) واعتنى بأمره، فأمربأنينظف مكانه بالسجن(١٨٥)، ولا يمنعه أحد منشربالقهوة والدخانكما أرسل له أحد

=

« اذا كان منشاوى باشا يعلم شانى وانى نديم لأخفانى عن اعين النـاس خوفا على مظهره وشرفه ان يمس اذا قبض على عنده » .

الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٩

ولكننا نعتقد ان النديم قد فعل ذلك حفاظا على سمعة من اكرموه فى محنته وان المنشاوى كان يعرف حقيقته ، ودليلنا على ذلك ان البكباشى « محمد فوده » وهو من الوطنيين كان يزور النديم بعلم المنشاوى كما حضر هو والمنشاوى عقد زواج النديم بالعزبة التى كان مختبئا فيها بل احضرا له ملابس .

محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩٣

أما عن قول النديم بأن المنشاوى لو كان يعلم شأنه لأخفاه عن اعين الناس فكلنا نعلم مدى اتقان النديم لفن الاختفاء .

(١٨٣) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى . مجمـوعة ٣٦ سجل ٤٥٣٨٠ ، ص ٢ بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٩١ ، المقطم : العدد السابق الذكـر .

(١٨٤) احمد خاكى : قاسم امين . القاهرة — لجنة دائرة المعـارف الاسلامية — اعلام الاسلام ، ص ٩ وايضا :

قاسم أمين ١٨٦٣ — ١٩٠٨ . القاهرة . دار المعـارف ١٩٦٥ ، ص ٣٤

(١٨٥) عن السجن الذى احتجز فيه النديم بطنطا .

انظر : دار المحفوظات . محافظ الداخلية . القسم الافرنكى عين ٨٤ مخزن ٢٧ تحت عنوان : تقرير عن حالة سجون الغربية بتوقيع قاسم امين رئيس نيابة طنطا .

الأشخاص للتأكد من حسن معاملته [١٨٦] وعندما استدعاه للاستجواب قال له « أنت حر فى كلامك فقل ما شئت [١٨٧] » . احتجزت نيابة طنطا النديم حتى تم الاتصال بالمسئولين فأخطرت المعية السنية ونظارة الداخلية بالقبض عليه [١٨٨] كما اتصل قاسم أمين بالنائب العمومى بخصوص النديم فجاءه الرد بأن المسألة ادارية لا تخص المحاكم [١٨٩] .

والجدير بالذكر أن الواشيين بالنديم كتبا الى المعية السنية يطلبان المكافأة ، ولكنها كانت موقوتة بعام واحد ، ولما كان قد مضى على اختفاء النديم أكثر من تسعة أعوام فانه لم يتيسر لهما صرفها مما دفع المعية السنية الى صرف مكافأة لهما من مصاريف البوليس السرية [١٩٠] .

لقد أحدث خبر القبض على النديم دويا شديدا فى الأوساط الحكومية والشعبية فتحدث الناس عنه ، وذكروا ماضيه الوطنى وكثرت الظنون واختلفت الآراء فى شأنه [١٩١] وأخذ الغضب يشتد فى النفوس من الرجلين اللذين بلغا عنه حتى أنهما أرسلا الى المعية السنية يقولان أنه بالنسبة لكونهما أخبرا عن النديم أصبحا غير آمنين على مالهما

---

(١٨٦) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٩ ، ١٠

(١٨٧) نفسه .

(١٨٨) المقطم : العدد ٧٨٤ فى ٥ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٨٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ١٠

(١٩٠) دار الوثائق . ديوان المعية السنية عربى . مجموعة رقم ٣٦ سجل رقم ٤٥٣٨٠ صفحة ٢ بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٩١

(١٩١) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٤ ، تحت عنوان « شكر النعم » .

وحياتهما ويلتمسان التأمين عليهما (١٩٢) .

اجتمع مجلس النظار ووالى اجتماعاته للنظر فى أمر النديم بعد مدة اختفائه الطويلة ، وفى الخطة الواجب اتخاذها (١٩٣) وتداولوا فيما ينبغى تقريره فرأت نظارة الداخلية ابعاده الى جهة « بيزا » أو ما يماثلها (١٩٤) كما عرض كتشنر باشا على المجلس ابعاد النديم الى جهة « سواكن » فاستصوب الخديو رأيه (١٩٥) ، ولكن تغير هذا الرأى فى الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩١ حيث قرر المجلس « عملاً بالأمر العالى الرقيم أول يناير ١٨٨٣ القاضى بتبعيد عبد الله النديم من الأقطار المصرية تقوم نظارة الداخلية بتبعيد المذكور لاحدى مدن بر الشام ، وعند نزوله فى الوابور يعطى له خمسون جنيها على سبيل المساعدة (١٩٦) » واطلاق سراح الذين ساعدوه فى

---

(١٩٢) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربية الى جهات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخلية رقم (١) وثيقة رقم ٢٥ بتاريخ ١٨٩١/١٠/١٩

وايضا ديوان المعية السنية عربى المجموعة ٣٦ سجل رقم ٤٥٣٨٠ ص ٣ بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(١٩٤) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٢٢ مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بتاريخ ١٢ اكتوبر سنة ١٨٩١

(١٩٥) دار الوثائق : معية سنية عربى . صادر تلغرافات عابدين — مجموعة رقم ٢٧ دفتر ٦١ تلغراف رقم ١٠٩٣ بتاريخ ٦ أكتوبر ١٨٩١ . تلغراف من رئيس ديوان خديو الى سعادة وكيل الداخلية بمصر ، وايضا المقطم : العدد ٧٨٦ فى ٧ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٦) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٢٢ — « مذكرة الداخلية بشأن عبد الله النديم والمسئولين معه » بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، الوقائع المصرية : العدد ١١٨ فى ١٩ اكتوبر ١٨٩١ ، وايضا عبد الفتاح نديم : سلافة النديم ج ١ ص ١٢ فى حين يذكر الدكتور على الحديدى أن النديم منح مائة وخمسون جنيها . انظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ص ٣٠٠

الاختفاء (١٩٧) ، وجاءت الأوامر الى مدير الغربية بارسال النديم الى الاسكندرية حتى ينقل منها الى بر الشام .

نزل النديم فى قطار السكة الحديد يخفره جماعة من الجند ومعاونو المديرية ومنع رجال السلطة الناس من رؤيته(١٩٨) ولما وصل الى الاسكندرية وضع فى سجن الضبطية (١٩٩) حتى وصلت السفينة « وابور الرحمانية (٢٠٠) » احدى بواخر الشركة الخديوية المسافرة الى يافا (٢٠١) حيث نقلته الى محل نفيه ، وقد ودعه أقرباؤه ومحبوه كما ودعه عثمان باشا عرفى محافظ الاسكندرية (٢٠٢) .

أبحر النديم الى يافا فوصلها فى ١٥/١٠/١٨٩١ (٢٠٣) حيث استقبله أهلها كما استضافه « السيد على أفندى أبو المواهب

---

(١٩٧) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية . محفظة رقم ٢٢ « مذكرة الداخلية بشأن عبد الله النديم والمسئولين معه » بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، وايضا : المقطم : العدد ٧٩١ فى ١٣ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٨) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(١٩٩) المقطم : العدد ٧٩٢ فى ١٥ أكتوبر ١٨٩١

(٢٠٠) الوقائع المصرية : العدد ١١٨ فى ١٩ أكتوبر ١٨٩١

(٢٠١) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(٢٠٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٢

وقد ذكر النديم فى مجلة « الأستاذ » بعد ذلك أن عثمان عرفى حاول استدراجه لمعرفة أن الذين آووه كانوا يعرفون حقيقته ، ولكنه احس بغرضه وفوت عليه مطلبه .

انظر : الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ : ص ٨ ، تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢٠٣) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول من تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ كراسة رقم ١٤

مفتيها (٢٠٤) » لمدة شهر ثم اتخذ النديم لنفسه دارا أصبحت مقرا للأدباء والعلماء وشغل نفسه هناك بالتأليف فكتب عن طائفة السامرة (٢٠٥) كتابا سماه « التذكرة العامرة بأحوال السامرة » تحدث فيه عن دينهم وتاريخهم (٢٠٦) كما ألف كتابا بعنوان « النحلة فى الرحلة (٢٠٧) » رثى فيه الخديو توفيق لموافقته على الاكتفاء بنفيه كما ذكر فيه فضلاء الشام وأمراءها (٢٠٨) .

العوامل التى ساعدت النديم على الاختفاء :

انه لمن النادر أن يتحمل انسان ما تحمله النديم من محن ومتاعب ومصاعب أثناء فترة الاختفاء دون أن تضعف نفسه أو يستسلم ولكن نفسه القوية وعزمه المتين وثقته بالله تعالى كانت تفوق كل الصعاب .

وفيما يلى نذكر العوامل التى ساعدته على تحمل محنة الاختفاء :

١ — الايمان بالله والثقة فى قدرته :

عندما شددت الحكومة فى البحث عن النديم وملأت صحفها

---

(٢٠٤) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

(٢٠٥) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٥٩

(٢٠٦) شعب من شعوب الفرس يقال لهم السامرية استوطنوا مدينة نابلس ولهم كتبهم الدينية ومعتقداتهم الخاصة بهم الخطط التوفيقية ، ج ١ ص ٩٣

(٢٠٧) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٤ ، ٥ تحت عنوان « شكر النعم » .

(٢٠٨) نفسه ، ص ٥

بالمفتريات عليه وعلى زملائه من الثوار [٢٠٩] قال « أما ثقتى بالله تعالى فانها أكبر وأعظم من خطوبى وكروبى .. وانه لا يقع الا ما يريده الله تعالى وأن العبيد لا يمكنهم أن يحدثوا فى الكون ذرة أو يغيروا شيئا من مراد الله تعالى [٢١٠] » .

مما يوضح ايمانه بالله والثقة فى أنه لن يصيبه الا ما أراد الله له .

٢ ــ قدرته الفائقة على التنكر :

كان لدى النديم مقدرة فائقة على اجادة فن التنكر اذ كان يجوب البلاد متكرا هيئته ولهجة كلامه منتحلا شخصيات مختلفة [٢١١] وأعمال متنوعة بحيث كان يصعب على أحد حتى أقرب الناس اليه معرفته [٢١٢] ويعلل البعض معرفة النديم للهجات العربية المختلفة أنها ترجع الى أنه نشأ وهو صغير فى منزل يجاور سوق المنشية بالاسكندرية ، وفى هذا السوق كانت حوانيت الشوام والمغاربة والحجازيين [٢١٣] .

---

(٢٠٩) يذكر برودلى أن محتويات الجرائد العربية كانت مليئة بالمفتريات على العرابيين .

Broadley : How we defended Arabi p. 113.

كما ذكر الخواجة الفرنسى للنديم أنه قرأ فى الجرائد العربية اخبار غريبة ورسائل هجو ضده .

كان ويكون ، جـ ١ ص ٢١٠

ولا يخفى علينا ان اهم الجرائد الموالية للاحتلال والتى هاجمت الثوار بأسلوب عنيف هى جريدة المقطم حال الاحتلال .

(٢١٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٥

(211) Afaf Lutfi-al Sayyid : Egypt and Cromer p. 156.

(٢١٢) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ٩ تحت العنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢١٣) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٠

٢ ـ الذكاء والحذر الشديد :

ذكاء النديم وحذره الشديد وتوقعاته للمخاطر فكانت اتصالاته مع أصدقائه يتبع فيها السرية والحذر الكاملين (٢١٤) ، وكانت مراسلاته لهم تكتب برموز سرية (٢١٥) كما أكد النديم على أصدقائه وأهله بعدم زيارته فى مخبئه حتى لا تقتفى الحكومة أثرهم وتعرف مكانه ويتضح ذلك من رسالة له الى صديقه الأزهري حيث قال فيها « اذا حدثتك نفسك بالحضور عندى فراجعها وقر مكانك فانك ربما أتبعت بمن يقف على هنتهى سفرك فقد علمت من كتاب بعض اخوانى أن الحكومة هاجمت بيتك وفتشته فلا ينبغى أن تخاطر بنفسك فتضرها وتضرنى معك (٢١٦) كما كان النديم يضغط على عواطفه فرغم اشتياقه لرؤية والديه فقد رفض حضورهما بالقرب منه فعندهما سأله الخواجة الفرنسى أن يحضرهما الى أبعاديته ليريحهما من المتاعب التى يتعرضان لها طلب منه النديم العدول عن ذلك حتى لا يتتبع جواسيس الحكومة أثرهما ويعرفون مكانه (٢١٧) وقد كان النديم على حق فى هذا فقد كانت السلطات تتبع والده ووالدته وأخاه فى تنقلاتهم وهجموا أكثر من مرة على الأماكن التى ترددوا عليها للوصول اليه (٢١٨) .

---

(٢١٤) يتضح ذلك من قول النديم انه عندما كلف الخواجة الفرنسى بالذهاب الى صديقه الأزهرى فعل وعاد يقول له « قابلته فى خلوة مخصوصة واعطيته الجواب » .

انظر : كان ويكون ، جـ ١ ص ٢٠٨

(٢١٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٧

(٢١٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٦

(٢١٧) نفسه ، جـ ١ ص ٥٥ ، ٢١٠

(٢١٨) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ بخصوص تتبع السلطات لأسرة النديم .

ومن الأمثلة على حذر النديم أيضـا أنه عندما طلب الخواجـة الفرنسى منه أن يحضر زوجته معه للاشتراك فى مناقشاتهما وافق النديم على ذلك بشرط أن تتخفى فى ثياب بلدية بقوله « ان كان عندها ثوب وبرقع فبها والا أعطيناك من هنا ثيابا وطنية وبرقعا لتتستر بها فان مجيئها بثيابها الأفرنجية مع عدم سابقة لذلك يوجب توجه الأنظـار اليها وأعمال الأفكار فى الباعث على التردد (٢١٩) » .

كما يتضح حذره أيضا عندما طلب منه الخواجـة الفرنسى أن يشترى له قفطانين رجاه النديم أن تكون أكمامهما طويلة كأكمام الفقراء فربما يضطر « للمشى أو للقعود مع الناس فيرون لبس فقيه أو عالم » كما طلب منه شراء لباسين لأن ألبسته فى صورة البنطلون ولها أربطة فى الرجلين والفقهاء لا يلبسـون مثلها فيكون ذلك محـل الانتقاد والفـكر فى حقيقتى (٢٢٠) .

٤ ـ شغل وقت الفراغ فى التأليف :

شغل النديم أوقات فراغه فى التأليف مما أبعـده عن التفكير فى الهموم فألف عشرين كتابا ؛ كما كتب الرسائل المطولة لأصدقائه (٢٢١).

٥ ـ وفاء الشعب المصرى ومروءته :

لقد مكن أبناء الشعب النديم من الاختفاء وأشرفوا على تنقلاته

---

(٢١٩) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ؛ ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢٢٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ؛ ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢٢١) عن هـذه الرسائل أنظر : رسائله الى عرابى التى نشرها الدكتور محمد أحمد خلف الله ضمن كتابه عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٨٥ ـ ٩٥

ومســـاعدته وهؤلاء كثيرون [٢٢٢] وان كان أبرزهم الشيخ « شحاته القصبى » والشيخ « محمد الهمشرى وزوجته » والشيخ « ســعيد الأزهــرى » والشــاعر والأديب « محمد شــكرى » و « ابراهيم حرفوش » عمدة البكاتوش و « أحمد المنشــاوى باشا » و « محمد معبــد الحلاق » والشيخ « خليل » مأذون العتوة القبلية وقد ثبت من دراسة هــذا الفصل دور كل منهم فى الوقوف بجانب النديم ومساعدته فى محنته .

٦ ـ وفاء الخواجة الفرنسى وزوجته للنديم :

كتم الخواجة الفرنسى وزوجته سر النديم ، وكانا يحضران اليه بالمخبأ فى سرية تامة حتى لا يكتشف أحد أمرهما كما كان الخــواجة الفرنسى يحضر للنديم ما يحتــاج اليــه من لوازم ويخبره بمجريات الأمور فى البــلاد وما تكتبه الجرائد عن العرابيين كما أطلق الشائعات عن فرار النديم الى الخارج حتى تتوقف الســلطات فى البحث عنــه بالداخــل .

٧ ـ ايمان الفلاحين بعدالة الثورة :

لقد آمن أبناء الريف أن ما قام به عرابى كان اجابة لمطــالبهم العادلة وأنه لم يهزم الا نتيجة الخيانة وقد عبروا عن ذلك بقولهم :

---

(٢٢٢) يتضح من المذكرة التى قدمها وكيــل الداخليــة الى مجلس النظار ان هناك الكثيرين من ابناء الشعب ساعدوا النديم اثناء الاختفــاء بقوله : « وكان احمد ابو سعيد والشــيخ على المغــازى يمدونه بالمئونة والبك الشاذلى من شبرانتى والسيد بك النجار من ناحية سلامون واحمد بك المنشاوى كانوا يرسلون له المئونة والمصاريف والسيد على شيخ ناحية الجميزة كان يكرمه » .

محفوظات مجلس الوزراء ـ نظارة الداخلية ـ محفظة رقم ٤٢ .

« الولس هزم عرابى [٢٢٣] » وقد صور « سليم النقاش » أثر الهزيمة فى نفوس أهل الريف بقوله : « وكانت تلوح فى الواقع ملامح الأسف على وجوه كثيرين من أهل الريف [٢٢٤] » هذا الى جانب ما هو معروف عن مروءة أهل الريف عند الشدة وشهامتهم فى مساعدة المظلوم وايواء الضعيف فمع أن كل من تستروا على النديم لم يكن بينهم وبينه نسب ولا قرابة ولم يدخل بلادهم قبل الاختفاء لأى غرض من الأغراض [٢٢٥] فقد ساعدوه على الاختفاء رغم تهديدات الحكومة باعدام من يؤويه أو يخفيه أو ينقله من جهة الى أخرى [٢٢٦] ، ولم تغـرهم المـكافأة الكبيرة التى رصدتها الحكومة وهى ألف جنيـه [٢٢٧] مع أن معظمهم فقـراء .

وقد وصف النديم شهامة هؤلاء بقوله : « وجدت من رجال الهمم من يحفظون العهود والذمم ويقابلون الشدائد بالعزائم ، ولا ترجف قلوبهم للعظائم [٢٢٨] » وقد ذكر لهؤلاء جميلهم على صفحات مجـلة الأسـتاذ [٢٢٩] .

---

(٢٢٣) الولس بمعنى الخيانة ، ولا يزال يستعمل هـذا التعبـير بين ابناء القرى حتى اليوم . ويذكر الأستاذ محمود الخفيف ان هذه الكلمة حلت فى أفواه المصريين وأسفاه محل الكلمة السالفـة « اللـه ينصرك يا عرابى » ولا يزال الناس فى القرى حتى يومنا هذا كلما استفظع احدهم الغش أو الخيانة واراد ان يعبر عن سوء عواقبهما قال فى الم « الولس كسر عرابى » .

انظر : أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه ، ص ٤٤١

(٢٢٤) مصر للمصريين ، جـ ٦ ص ٥

(٢٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ٧ تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢٢٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٨

(٢٢٧) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٩

(٢٢٨) الأستاذ : العدد ١٤ فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٣١٨ — ٣١٩

(٢٢٩) العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ٧ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

٨ ـ الأمل فى الثورة ضد الاحتلال :

أمل النديم أن تنتفض البلاد مرة أخرى ضد الاحتلال ويقود زمامها رجالها ، ويقفوا فى مواجهة الظلم والطغيان ويتضح ذلك من خطاباته الى عرابى بسيلان (٢٣٠) حيث كان يخبره فيها بما حدث للبلاد فى ظل الاحتلال ويبث فيها آماله الكبيرة فى انتفاضة الشعب مرة أخرى •

تنقل النديم بين القرى والكفور والابتعاد عن المدن :

استطاع النديم التنقل بين القرى والكفور بذكاء والابتعاد عن اللجوء الى المدن (٢٣١) وذلك لدرايته أن قوات البوليس فى الريف محدودة وأن السلطة مركزة فى المدن حيث يوجد فى الريف الاستقرار كما أن المشاكل الداخلية بين أهل الريف تحل على « المصطبة » دون اللجوء الى البوليس •

هكذا قضى النديم أيامه ولياليه أثناء فترة الاختفاء التى زادت عن تسع سنوات ، وهكذا كان الشعب المصرى أصيلا مع رجاله فى أثناء الشدائد •

---

(٢٣٠) هذه الرسائل عددها خمسة مرفقة ضمن كتاب عبد الله النديم ومذكراته السياسية للدكتور محمد احمد خلف الله صفحات ٨٥ — ٩٥

(٢٣١) يستثنى من ذلك مدينة المحلة الكبرى — التى تستر النديم فيها داخل وكالة لمدة عشرين يوما — فقد كانت مدينة نائمة بذاتها فى ذلك الوقت .

انظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى السابق الذكر القسم الثانى — الجزء الثانى . مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة ص ١٦ — ١٨

الباب الثانى

النديم وبعث الحركة الوطنية

الفصل الخامس : عبد الله النـــديم بين الخديو عباس الثانى وسلطات الاحتـــلال •

الفصل السادس : النـــديم ومصطفى كامل •

الفصل الخامس

عبد الله النـــديم بين الخديو عباس الثانى وسلطات الاحتلال

- الخديو عباس الثانى والعفو عن النديم .
- استئناف النـــديم للجهـــاد .
- موقف النديم من أزمات الخديو مع الاحتلال .
- احساس سلطات الاحتلال بخطورة النديم .
- مطالبة الاحتلال بنفى النديم وتخلى الخديو عنه .

الخديو عباس الثانى والعفو عن النديم :

خرج الشعب بعد هزيمة العرابيين فاترا مستسلما قلقا ، واستغل البعض ذلك القلق العام لارضاء مصالحهم ، واختفت فكرة الواجب(١) وكادت هزيمة التل الكبير تقضى على الروح الوطنية ، بل وخيل للبعض أن الحركة ماتت بسجن زعمائها (٢) حيث أحس الشعب المصرى بنوع من الذهول عقب الثورة وأخذ يلتمس زعماءه فوجدهم بين أسير يعانى آلام السجن أو النفى وبين هائم على وجه الأرض (٣) ، ومع أنه قد ظهرت فى أواخر عصر توفيق بشائر بعث وطنى (٤) فان مصر لم تكن بعد قد استردت أنفاسها وباعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية (٥) بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر ، فقد فرح المصريون بالخديو الجديد لأنهم كانوا يبغضون والده (٦) فأقبلوا عليه

---

(١) جريدة المصرى : العدد ٤٨٢٧ فى ١٩٥١/٥/٦ تحت عنوان : « مذكرات الخديو عباس الثانى » .

(2) Jacob Landau : op. cit., p. 104.

(٣) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . المجلد العشرون ـ الجزء الأول فى مايو ١٩٥٨ مقال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية او العصر الذهبى لصحافة المقال فى مصر ، ص ٤

(٤) فى أعقاب الثورة العرابية وجدت فى مصر جمعية سرية باسم جمعية الانتقام كان هدفها اخراج الانجليز من مصر والانتقام من اذنابهم . ديوان عربى خديو رقم (١٧) بعنوان الافادة الواردة من ٢ ينـاير الى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ . دفتر جزء (١) ص ٨٤

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر :

الوقائع المصرية : فى ٨ ، ٩ ، ١٠ يناير ١٨٩٢

Blue Books. Egypt. 1892 - 1893, No. 1.

من سير بارنج الى ماركيز ساليبورى .

(٦) محمـد على علوبة : ذكريات اجتماعيـة وسياسية ، ص ٩ ، مخطوط دار الوثائق القومية بالقلعة .

وأبدوا استعدادهم لوضع يدهم فى يده [٧] ، وتوسموا فيه خيرا بعد أن وجدوه مستاء من سيطرة الانجليز على كل مرافق البلاد الحيوية دونه [٨] واعتزامه وضع حد لهـذه الحالة حتى لا يكون دمية فى يد الانجليز ، ورسم لنفسه طريق مقاومة السيطرة البريطانية فى أوائل حكمه [٩] بقصد أن تكون له يد فى ادارة الحكومة [١٠] مما سبب متاعب مزعجة للحكومة البريطانية [١١] فتقرب من الشعب حيث كان يستقبل طوائفه كل شهر [١٢] واتصل بالعلماء والأعيان وطاف بالأقاليم وانتقد سياسة والده فى الاستسلام للانجليز وعاب على رجال المعية ضعفهم [١٣] ولم يدع فرصة للتقرب من الشعب الا واقتنصها فأصدر عفوه عن عدد كبير من مسجونى الثورة العرابية [١٤] وأمر بالحاقهم بوظائف مدنية فى نظارتى الداخلية والمالية [١٥] وبفروع النظارات

---

(٧) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة : المقال السابق الذكر ، ص ٤

(٨) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة ـــ النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ، ص ٣٢١ ، جوليت آدم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤١

(٩) لمزيد من التفاصيل عن مقاومة الخديو عباس الثانى للسيطرة البريطانية يمكن الرجوع الى رسالة الباحث للماجستير بعنوان « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » رسالة غير منشورة بمكتبة جامعة القاهرة .

(١٠) روجه لامبلان : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٢

(11) Traill : Lord Cromer. London 1897 p. 281.

(١٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الأول ، ص ٢٦

(١٣) نفسه ، ص ١٦ ـــ ١٨

(١٤) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهات ـــ محفظة رقم ١٦ عن عام ١٨٩٢ ـــ مذكرات محمد فريد القسم الأول ـــ الجزء الثالث ـــ كراسة رقم ١٦ ص ٣ علما بانه لم يكن بين هؤلاء أحد من المنفيين بسيلان .
Parliamentary Debates vol. 5, 1892 p. 441.

(١٥) ديوان خديو : المكاتبات الرسمية الواردة بقلم العرضحالات دفتر رقم ١٨ ص ٤٠ ، ٤٦ بتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٩٣ ، ديوان المعية السنية عربى . مجموعة ٣٦ سنجل ٤٥٣٨٥ ص ١ بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ « بند السردارية » .

والمــأموريات [١٦] وأعاد اليهم نياشينهم [١٧] كما أصــدر عفوه عن عبد الله النــديم [١٨] وأباح له العودة الى مصر فوصــلها فى ٩ مايو ١٨٩٢ [١٩] ، أخذ النديم يتردد بين القاهرة والاسكندرية أكثر من شهر ثم استقر بالقاهرة [٢٠] ، فوجد أن تغييرا كبيرا قد حل بالبــلاد [٢١] حيث وطــد الانجليز أركان حكمهم ، وتغلغلوا فى جميع مرافق البلاد الحيوية وكأن الأمر قــد استتب لهم تماما ، كما وجد أن الشعب الذى تركه وهو يتأجج وطنية قد خيمت عليه روح الهزيمة والاستسلام[٢٢] وانتشرت بين أفراده موجة الانحلال الخلقى .

---

(١٦) ديوان المعية السنية عربى — نفس المجموعة السابقة والسجل ص ٣٢ مكاتبة الى الداخلية بتاريخ ١١ سبتمبر ١٨٩٣ ، ديوان خديو عربى دفتر رقم ١٨ ص ٢٠ ، ٥٩ بتاريخ ١٦ مارس ، ١٨ مايو ١٨٩٣ وايضــا محفوظات مجلس الوزراء — نظــارة الحربيــة — قلم سردارية الجيش المصرى بتاريخ ١٥ يناير ١٨٩٣

(١٧) ديوان معية ســنية عربى — صــادر افادات وتحريرات — مجموعة ٤٢ مسلسل ١٣٤ بتاريخ اول ديسمبر ١٨٩٢ ، مذكرات محمــد فريد — القسم الأول — الجزء الثالث ، كراسة رقم ١٦ ، ص ٣

وايضــا مجلة الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(١٨) صدر العفو عن النديم فى ٣ فبراير ١٨٩٢ . انظر : الوقائع المصرية فى ٣ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان « عفو كريم صادر للداخلية » .

(١٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٥١٧

Robert L. Tignor : op. cit. p. 153.

(٢٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢ — الهلال المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(٢١) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٧ محاورة تحت عنوان « تحية بلدى » .

(٢٢) خير ما عبر عن هذه الحالة حافظ ابراهيم :
فى كتابه ليالى سطيح . القاهرة . دار الهلال العدد ١٠٠
وديوان حافظ ابراهيم . القاهرة . دار الكتب المصرية ١٩٣٧
ويذكر الخديو عباس الثانى فى مذكراته أنه حين تولى الحكم لم يجد فى مصر هيئات منظمة كافية لعمل وطنى حقيقى .
جريدة المصرى : العدد ٤٨٢٨ فى مايو ١٩٥١

استئناف النديم للجهاد :

ومع أن أحوال النديم الصحية قد تضعضعت حيث ضعفت صحته من آثار الجهود التى بذلها والارهاق النفسي والجسمي الذى تعرض له أثناء الاختفاء والنفى ، ومع أنه كان باستطاعته أن يكتفى بما قدم من تضحيات فى سبيل مصر وأن يجنح الى مصانعة الاحتلال [٢٣] فينال بهذا احدى الوظائف الكبرى فى نظارة المعارف أو غيرها ويخلد الى الراحة والرخاء فانه لم يحد عن مبادئه ولم يتنكر لها بل ظل مخلصا وفيا وأبت عليه وطنيته الا أن يستأنف الجهاد وقد عبر عن ذلك بقوله : « ودينى الذى فطرت عليه ، ومذهبى الذى أميل اليه هو تحرير العباد واصلاح البلاد [٢٤] » .

أخذ النديم يدرس أحوال البلاد ليعرف ما طرأ عليها أثناء غيابه [٢٥] وحاول اعادة الثقة الى الشعب الذى اجتمعت عليه الأحداث لتغير من نفسيته حيث انتشرت روح الجبن والنفاق والنفعية وكان سبيله الى ذلك الخديو عباس الثانى اذ وجد فيه أميرا شابا طموحا وثاب العزيمة فعقد عليه الأمل فى تنشيط حركة المقاومة ضد الاحتلال ،

---

(٢٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١٧

(٢٤) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٤ من رسالة للنديم الى عرابى بسيلان .

(٢٥) أحمد امين : زعماء الاصلاح ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥

ويوضح النديم ذلك فى محاورة بينه وبين شخص من اولاد البلد بالعامية حيث يقول : « يا حبيبى انا كنت مستخبى عشر سنين وطلعت رايت الدنيا تغيرت والأحوال بقت جنس تانى فسيبنى شوية ايام لما اشوف الخبر ايه والدنيا جرى فيها ايه » .

الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٧ تحت عنوان « تحية بلدى » .

وطالب كافة المصريين بمؤازرته [٣٦] ووصفه « بالهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الساعى فى منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية [٣٧] » ولما كانت الظروف قاسية بالنسبة للنديم والشرط الذى صحب العفو عنه هو ألا يعمل فى السياسة لذلك فهو لا يستطيع الطواف بالبلاد أو أن يعتلى المنابر ويخطب فى المساجد والمجالس كما كان يفعل من قبل ولم يكن أمامه من سبيل للوصول الى الشعب الا عن طريق الصحافة ، ولكن كيف ذلك وتاريخه حافل بالتوتر مع الانجليز الجاثمين على صدر البلاد ؟

استطاع شقيقه عبد الفتاح نديم الحصول على تصريح من نظارة الداخلية باصدار مجلة تحت اسم « الأستاذ » ثم وكل عبد الله النديم فى تحريرها وترتيب وسائلها [٣٨] ، وقد نالت هذه المجلة من الشهرة والانتشار ما لم تنله سواها من الجرائد الوطنية منذ أعوام حيث لقيت اقبالا عظيما من الجمهور دل على عظيم مكانة صاحبها فى النفوس [٣٩] كما كانت شديدة التأثير فى أفكار أبناء الأمة على اختلاف نحلهم حتى بلغ عدد ما يطبع منها ثلاثة آلاف نسخة [٤٠] فقد « أقبل

(٣٦) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٥ تحت عنوان « نصيحة مخلص فى خدمة وطنه واخوانه » .

(٣٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٧٤

(٣٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ . مقدمة العدد ص ٢ ، ٣ علما بانها مجلة اسبوعية كانت تصدر فى الثلاثاء من كل اسبوع .

(٣٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٥١٧ — ٥١٨ .

(٤٠) يذكر ديلانو ان الاهرام كانت الجريدة الأولى من ناحية التوزيع ثم تليها الأستاذ فالمؤيد فالمقطم .

Delanoüe : op. cit., p. 96.

عليها المشتركون من كافة البلدان حتى الأميون ، وكل يستعذب عباراتها ويتلذذ بسماعها (٣١) » حتى بلغ عددهم فى القاهرة وحدها ٨٦٠ (ثمانمائة وستون) مشتركا وفى خارجها ١٧٨٠ (ألف وسبعمائة وثمانون) مشتركا (٣٢) .

موقف النديم من أزمات الخديو مع الاحتلال :

وفى تلك الفترة أخذ الجفاء يزداد بين كل من الخديو عباس الثانى واللورد كرومر وأخذت الحكومة البريطانية تلوح للخديو بضرورة اتباع سياسة والده اذا أراد الاحتفاظ بعرشه (٣٣) ، ولكنه لم يستمع الى ذلك بل زاد من تقربه الى الشعب وأيد الحركات المناوئة للاحتلال مما دفع عبد الله النديم الى الذود عنه وجمع الناس حوله(٣٤) ومطالبتهم بالخضوع له والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم ولما أقال الخديو رئيس النظار مصطفى فهمى صنيعة الانجليز وموضع ثقتهم (٣٥) حدثت أزمة بين الخديو والانجليز يمكن أن نسميها بأزمة الانقلاب الوزارى(٣٦)

=

وذكرت التايمز ان الأستاذ كانت اوسع الجرائد الوطنية انتشارا فقالت :

The paper is stated to have the largest Egyptian circulation amongst the native newspapers. The Times. London. 19 Mars 1893.

(٣١) محمد حسنى العامرى : نزهة الألباب فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب . القاهرة — مطبعة الهلال بالفجالة ١٣١٤ هـ. ص ١٧٩

(٣٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١٨

(33) The Parliamentary Debates. for session 1893 vol. XIII p. 115.

(٣٤) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٣٩ — ٤٠

(35) Traill. Lord Cromer. p. 282.
Parliamentary Debates. for session 1893. p. 78.

(٣٦) عن تفاصيل هذه الأزمة انظر : رسالة الباحث للماجستير تحت عنوان « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ص ٢٢

وكشف النديم النقاب عن كراهيته للاحتلال (٣٧) فقام يستنهض الهمم وعلت لهجته فى اثارة العواطف القومية ضد الاحتلال (٣٨) والمفى على عؤازرة الخديو (٣٩) وبدا ذلك واضحا فى مقاله الطويل شديد اللهجة الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » حيث دعا فيه الى الالتفاف حول الخديو فقال « صرنا بين يدى خديو يريد أن نجارى الانجليز فى الأعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ويجب أن .. نقبض على أزمة أمورنا ونحفظ عرشه المصرى للمصريين » كما رد على افتراءات الأوربيين فى التقليل من شأن الشرقيين لتبرير أسباب احتلالهم لمصر كذلك حث النديم من خلال هذا المقال الشرقيين الى العمل من أجل مقاومة الاستغلال الأوربى مبينا لهم أسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق كما كتب مقالا تحت عنوان : « الحقوق المقدسة » بين فيه حق الخديو فى تعيين الوزراء وانتقد التهديدات الانجليزية للخديو بالعزل (٤٠) كما نازل الجرائد المعارضة للخديو فى قوة ووضوح (٤١) وكانت له مواقف عنيفة مع أصحاب المقطم الذين مكنوا للانجليز من مصر فكان فى خصومته لهم لينا فى قسوة وهينا فى عنف (٤٢) واستمر على هذه النغمة فى الأعداد التالية من الأستاذ فكتب مقالا بعنوان « هذه يدى فى يد من أضعها » طالب فيه أبناء وطنه بالوقوف بجانب الخديو ووضع أيديهم فى يده ، وذكر أن الذى

---

(37) Landau : op. cit., p. 104.

(38) Tignor : op. cit., p. 153.

(٣٩) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ،
Delanoue : op. cit., p. 95.

(٤٠) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤٥

(٤١) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٨

(٤٢) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

يضع يده فى يد الأجنبى خير له أن يقطعها من وضعها على هذا المنوال[٤٣] كما طالب بتجنب تقليد الأوربيين والمحافظة على حقــوق الوطن دون التعرض لحقــوق الأجانب المقيمين فى مصر أو النزلاء منهم فقــال : « اننا فى حاجة لهجر باب الأجنبى وملازمة أبواب حكامنا الوطنيين مع المحافظة على حقوق المستوطنين والمجتازين [٤٤] » .

ثم اتهم أصحاب المقطم بأنهم الأجراء الذين يسيئون الى أمتهم باستحسانهم الاعتراف بسلطة الانجليز فقال « والأجراء التزموا فى جريدتهم اليومية تنفير الأمة وتحسين الاعتراف بسلطة الغير والتلويح بما يشف عن سوء مقاصدهم فى الجانب الخديو ثم خرجــوا خروج البغاة .. فهم أعداء المسند الخديو الجليل وان كانوا لا يضرونه بشىء فلان نباح الكلاب لا يؤذى القمر فى مداره [٤٥] » .

وهكذا كانت مقالات النديم صدى لمــا يحــدث من أزمات بين الخديو والمعتمد البريطانى وصدى أيضا لمــا يعانيه الشعب فأثبت أنه يحمل بين جنبيه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشــل ، وهكذا استطاع عن طريق صحيفته الأستاذ أن يشــعل نار الوطنيــة

---

(٤٣) الأستاذ : العــدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ — ٦٩٨

(٤٤) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

والجدير بالذكر ان المستوطن هو الأجنبى الذى جاء الى مصر ثم اقام فيها وجعلها وطنا له .

اما المجتاز فهو الذى يحضر للعمل أو للتجارة ثم يعود من حيث اتى بعد ان يحقق المهمة التى جاء من اجلها .

وقد كتب « سليم حمــوى » مقالا عن هؤلاء موضحا ان المستوطن والمجتاز من الاجانب ولا يجوز اعتبار اى منهما وطنيا .

جريدة اسكندرية : فى ١٨ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مصر » .

(٤٥) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية » .

المصرية من جديد [٤٦] فخرجت المظاهرات لأول مرة بعد الاحتلال تؤيد موقف الخديو ، وتهتف ضد الاحتلال [٤٧] فيخرج الشباب وفى مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق وعلى رأسهم مصطفى كامل يقتحمون ادارة جريدة المقطم ويحرقونها لانحيازها ضد الوطن والخديو واظهارها روح العداء ضد « الوطنية المصرية وروح النهضة الأهلية التى انتشرت بين طبقات الأمة [٤٨] » مما دفع السلطات الانجليزية الى التهديد بالتدخل بحجة المحافظة على الأمن العام [٤٩] كما هرع الناس الى سراى عابدين يهنئون الخديو على ثباته فى موقفه من الأزمة [٥٠] .

ومع أن النديم أشعل نار الوطنية المصرية خلال الأزمة ودفع أبناء وطنه الى الوقوف بجانب الخديو ومساندة موقفه فى المحافظة على حقوقه فقد نادى بأهمية اتباع الهدوء حتى لا تتخذ انجلترا من ذلك فرصة لاتهام المصريين بالتعصب الدينى فقال : « أقدم خالص النصيحة لاخوانى المصريين على اختلاف أديانهم أن يفكروا فى العواقب وأن يبعدوا عن كل ما يكدر صفو الراحة وأن يعاملوا الأوربيين المعاملة الحسنة ، وبهذه المعاملة يظهر لنا الفرق بين التمسك بالدين والتعصب [٥١] » .

---

(٤٦) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، ص ١٠٤

(٤٧) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٥٧ — ٧٦

(٤٨) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، ج ٢ ، ص ١٤٥ — ١٤٦

(٤٩) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٥٥ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الأمن العام » .

(٥٠) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٢ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٥١) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون في ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

توطدت أواصر الصلة بين الخديو والنديم فى أعقاب الأزمة الوزارية (٥٢) ولما أحس أتباع كرومر بصلة النديم بالقصر بدأت المغريات تلتف حوله فسعوا اليه يمنونه بالمنصب والجاه والراحة نظير مسالمته للاحتلال ولكن النديم اعتبر طريق الكفاح أمانة فى عنقه ، ونتيجة لتطورات الأحداث قامت انجلترا بزيادة أعداد قواتها مصر (٥٣) كما قام كرومر بمحاولات للتقرب من الشعب وذلك باقامة الاحتفالات والتبسط معهم فى الحديث وايهامهم بأن الخديه سيعود الى دكتاتورية آبائه لو انفرد بالأمر ، وأن الانجليز لا يبغون سوى مصلحة الشعب (٥٤) .

احساس سلطات الاحتلال بخطورة النديم :

أحست سلطات الاحتلال باهتزاز موقفها بعد الأزمة الوزارية التى ثبت منها أن الشعب يشد أزر الخديو ، ويشاركه شعوره فى أن يثبت أن لمصر خديويا جديرا بلقبه (٥٥) كما أثبت التناقض الواضح بين أقوال وأفعال الاحتلال ازاء الخديو اذ أن انجلترا كانت تسوغ احتلال مصر بدعوى المحافظة على حقوقه ، ثم هاهى تحرمه من سلطته فى اختيار وزرائه ، ووقفت الصحف الوطنية (٥٦) بقيادة النديم تساند

---

(٥٢) لم يكن اكثر اعضاء الاسرة الخديوية راضين عن تقريب الخديو من النديم لأنهم يعتبرونه عدوا لأسرتهم وجنسهم ، وهذا ما دفع الخديو الى اختيار احد تلاميذ النديم وهو مصطفى كامل .

ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣٠

مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ فى ٢١ اغسطس ١٩٥٧ . مقال للأستاذ عباس العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

(53) The Parliamentary Debates. for session 1893 vol. XIII p. 2 - 3.

(٥٤) الاستاذ : العدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ — ٦٩٩ تحت عنوان « هذه يدى .. من اضعها » .

(55) Le Bosphore Egptian 21 Janvier 1893.

(٥٦) الوطن والمؤيد والأستاذ والأهرام .

موقف الخديو وتهاجم الصحف المأجورة وعلى رأسها المقطم (٥٧)، وترد المقطم مطالبة باغلاق « الأستاذ » وتتهم صاحبها بأنه يهيىء لثورة مثل الثورة العرابية (٥٨) ، وتخرج الشائعات عن نفى النديم وهروبه من مصر ؛ ويكذبها النديم على صفحات جريدته (٥٩) ويواجه التحدى وتستمر المعركة الصحفية بينهما فيكتب النديم مقالا تحت عنوان « انما يقبل النصيحة من وفق » اتهم فيه المقطم ببذر بذور الشقاق والفتنة وأنهم سبب مصائب الشرق بقوله : « ما ضر الشرق وفرق جمعه الا أمثال هؤلاء (٦٠) » ثم تبع ذلك بمقالة أخرى عنوانها « لم اختلفت كلمتنا اذا اتحدت وجهتنا » ؟ حمل فيه على الصحف التى تديرها أقلام شرقية ومع ذلك لا تخدم سوى الاحتلال فقال « العجب من شرقى يخدم غربيا يسلب حقوق اخوانه واضاعة شرف أوطانه والحط من ملوكه وأمرائه (٦١) » ثم طالب بتوحيد وجهات الشرقيين لأنه ما أضر الشرقيين الا اختلاف الوجهة فقال « أنا أخوك فلم أنكرتنى؟ ما الشام ومصر الا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر أبناؤهما ، وانحاز السوريون الى جانب بعيد عن المصريين ، وان ساكنوهم فى مصر ؟ ألم يكن من الأجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها ؟ أبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه

---

(٥٧) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٢١ — ٩٢٥ مقالات تحت عنوان « أعداء السلطان » و « أعداء الحضرة الخديوية » و « أعداء المصريين » .

(٥٨) المقطم : العدد ١٢٧٤ فى ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « مهيج الفتن » .

(٥٩) الأستاذ : العدد التاسع فى ١٨ أكتوبر ١٨٩٢ ، ص ٢١٤ ، تحت عنوان « تكذيب فرية » .

(٦٠) الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢

(٦١) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٣٩٠

ووطنــه بل وجنسه ودينــه أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خــدمة الأجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب [٦٢] » .

كما كشف عن أصحاب المقطم وتاريخ حياتهم فقال « كيف يرجى الصدق والاخلاص ممن خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم، وكانت بلادهم أولى بالخــدمة ، وأقرب الحوادث منــا وجود أحــد الأجراء خطيبا في محفل من محافل بيروت .. يحرض فيه الناس على نبذ الطــاعة السلطانية والانحياز للغير [٦٣] » .

وترد المقطم على النــديم بشن حملات عنيفة عليــه لايهــام السلطات بخطورته كما طالبت باغلاق مجلته وابعــاده عن مصر [٦٤] وأيدتها في ذلك التايمز واتهمت النــديم باثارة النعرة الدينية ضــد أوربا [٦٥] واستمرت الحمــلات بين الأســتاذ والمقطم حتى خشيت سلطات الاحتلال من أثرها [٦٦] .

ويمكن القول أن مقالات النــديم على صفحات الأستاذ فيما بين أغسطس ١٨٩٢ ويونيو ١٨٩٣ كانت تحدد المعارضة الصحفية القــوية

---

(٦٢) الأستاذ : العــدد الثاني والعشرون في ١٧ ينــاير ١٨٩٣ ، ص ٥٣٠ مقال تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .
وأيضا : سلافة النديم ، ج ٢ ، ص ٨١

(٦٣) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون في ٢٣ مايو ١٨٩٣

(٦٤) المقطم : العــدد ١٢٧٤ في ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « مهيج الفتن » .

(٦٥) دار الوثائق القومية : محفظة ١٥٣ مقالات عن مصر في المجلات والجرائد الأجنبية .

The Times 31/3/1893.

(٦٦) خطب احد الناس الجمعة بالزقازيق وبيــده مجلة الأســتاذ للاستشهاد بها فتقدم للتحقيق .
انظر : الأستاذ : العــدد الرابع والثلاثون في ١٤ أبريل ١٨٩٣ ، تحت عنوان « الاتجاه الى الأستاذ » .

ضـد الاحتلال [٦٧] حيث هزت الشعب بلهجتها القوية الشبيهة بلهجة العروة الوثقى [٦٨] ، والجدير بالذكر أن سلطات الاحتلال كانت قد تغاضت عن تنفيذ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ [٦٩] حيث اقتضت سياسة انجلترا فى ذلك اطلاق حرية المطبوعات[٧٠] طالمـا أن هـذا لا يؤثر على تواجدها بمصر وان كانت قد ذكرت محـررى الصحف بأنها لم تتعرض للمناقشـات العـامة عن طريق الصـحافة بشرط الابتعاد عن الانتقادات العنيفة واستخدام اللهجات المعتدلة[٧١]

---

(67) Landau : op. cit., p. 104.

(٦٨) صحيفة اسبوعية اصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ظهر العدد الأول منها فى ١٣ مارس ١٨٨٤ ، ونظراً لخطورة تداول هـذه الجريدة بين الأهالى بالنسبة للسلطات فقد منعت دخولها القطر المصرى بمقتضى المـادة السابعة عشر من قانون المطبوعات .

انظر : دار الوثائق القومية . محفوظات مجلس الوزراء ـ نظـارة الداخلية محفظة رقم ١٢ داخلية ـ مذكرة رقم ١٣٤٦

والجدير بالذكر ان هـذه الجريدة احتجبت عن الظهور بعد صـدور العدد الثامن عشر فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٤

انظر : العروة الوثقى : والثورة التحريرية الكبرى . القاهرة ـ دار العرب للبستانى ـ الطبعة الأولى ١٩٥٧ ، ص ٤

(٦٩) عن نص هـذا القانون وتعديلاته والمناقشات التى دارت اثناء اصداره . انظر : دار الوثائق القومية ـ محافظ مجلس النظار ـ محضر جلسة الخميس ٢٧ أكتوبر ١٨٨١ بخصوص قانون المطبوعات ، والجدير بالذكر أن هـذا القانون تعرض لكثير من النقد والهجوم فقد وصفه أديب اسحق فى جريدة التجارة بقوله : « ان قانون المطبوعات الحالى يشبه أن يكون جلادا واقفا على رؤوس الجرائد بسيف الالغاء او التعطيل » كمـا هاجمه يعقوب صنوع بقوله « ان الذين وضعوه جعلوا من مقتضاه التجسس على الجرائد الحرة وعاملوها كالمطابع السرية فصاروا يتوجسون منهـا الشر » . انظر : ابو نظارة زرقاء فى ٢٦ فبراير ١٨٨٢

(٧٠) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر الجزء الأول ، ص ٢٩٣

(٧١) دار المحفوظات العمومية ـ مجموعة بالفرنسية تضم الوثائق الرسمية الصادرة من الحكومة المصرية عام ١٨٨٢ تحت عنوان :

Recueil De Tous Documents officiels Du Gouvernment Egyption Année 1881 - 1882.

ولكن عندما أفلت زمام الموقف منهـا اضطرت الى الرجوع اليه (٧٢) فكان سيفا مسلطا على رقاب الكتاب وحرية الفكـر لأنه متى « أصبحت حيـاة الصحافة المصرية فى أيدى من تنتقد أعمالهم وتشهر بعيوبهم فقدت وظيفتها أو معظمها (٧٣) » .

مطالبة سلطات الاحتلال بنفى النديم وتخلى الخديو عنه :

لقد أحس كرومر بخطورة النـديم لمكانته بين الناس (٧٤)، وقوة تأثير مقالاته بالأستاذ فرأى أهمية اسكات هـذا القلم لأنه اذ استمر حدثت ثورة فى البـلاد (٧٥) فطلب من رياض باشـا رئيس النظـار ارسال انذار الى جريدة الأستاذ بالغلق اذا لم تكف عن التحدث فى السـياسة (٧٦) فصدر الانذار التالى عن نظارة الداخلية : « قد اطلعت النظـارة على المقالة المندرجة فى جريدة الأستاذ الصادرة بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ (٧٧) وقد وجدتها فى غاية الشدة ومن شأنها أن تجرح

---

(٧٢) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — الداخلية — محفظة رقم ٢ بخصوص تنفيذ قانون المطبوعات الصادرة فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١
والجدير بالذكر انه عندما رات انجلترا أن الصحافة تلعب دورا خطيرا فى التأثير على اذهان الناس وضعت قانونا بعد ذلك باحالة تهم الصحافة الى محكمة الجنايات بعد ان كانت من اختصاص محكمة الجنح .

(٧٣) المؤيد : فى ٢٤ مارس ١٩٠٩ تحت عنـوان « تقييـد حرية المطبوعات المصرية » .

(٧٤) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ٢٦

(٧٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٨ — ٣٠

(٧٦) اشارت جريدة التايمز الانجليزية الى ذلك بقولها :

Riaz Pasha at the request of her Majesty agent, had administered a warning to the Native journal on account of its continued abuse of English Meacures. This newspaper is conducted by Abdallah Nadem, one of the most violent and seditious of the orators. Who exites the Arabs in 1882.

The Times. London. 19 Mars 1893.

(٧٧) يقصد مقاله « هذه يدى فى يد من اضعها » المنشورة بالعدد التاسع والعشرين من الأستاذ : ص ٦٩٥ — ٦٩٩

الاحساسات الملية لدولة بريطانيا العظمى وحيث أن حكومة الحضرة الخديوية لا تسمح بنشر مقالات من شأنها جرح احساسات أخذى الدول المتحابة ، فلزم اصدار هذا الانذار الى جريدة الأستاذ [٧٨] .

ولما كان النديم متيقنا من مساندة الخديو له لم يهتم بالانذار بل اشتدت المعركة بينه وبين المقطم فكتب مقالا تحت عنوان : « بمن أقتدى اذا اختلفت الآراء ؟ » طالب فيه مواطنيه بضرورة الاقتداء بالمخلصين للبلاد العاملين على رفعتها والانصات الى ما يقولون وهاجم أصحاب المقطم مما جعلهم يشددون حملتهم ويتهمونه بأنه يحض على الثورة واثارة روح التعصب الدينى ، وبث الشقاق بين عنصرى الأمة [٧٩] كما وصفوه « بالخائن المنافق الذى جعل دأبه التعرض للسياسة والدين وابقاء الشقاق بين المتحابين من المسلمين والمسيحيين [٨٠] وحذروا ولاة الأمور من كتاباته التى تدعو الى « مجزرة ثانية مثل مجزرة الاسكندرية التى كان هو أول المحرضين عليها [٨١] كما اتهموه بأنه يعد « لثورة أخرى كالثورة العرابية [٨٢] » ونصحوا الحكومة الانجليزية باسكاته ، وقد أيدت جريدة التايمز أقوالهم وشددت على اتهام النديم باثارة التعصب الدينى [٨٣] .

---

(٧٨) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار والنظارات ص ١١٩ — نظارة الداخلية فى مارس ١٨٩٣

(٧٩) المقطم : العدد ١٢٧١ فى ٢٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « المراسلات » .

(٨٠) المقطم : العدد ١٢٧٢ فى ٢٢ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « المراسلات » .

(٨١) المقطم : العدد ١٢٧١ فى ٢٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « المراسلات » .

(٨٢) المقطم : العدد ١٢٧٤ فى ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « موبيج الفتن » .

83) The Times. London. 19 Mars 1893.

Delanoue : op. cit., p. 95.

لقد كان السلاح الذى توجهه انجلترا وعملاؤها الى صدور الوطنيين هو اتهامهم بالتعصب الدينى (٨٤) وعن ذلك يذكر « مصطفى كامل » كانت انجلترا تهول دائما على أوربا بأن المسلمين متعصبون فى الدين كلما اقتضت ذلك حاجتها فانها أذاعت فى كل أوربا بأن المصريين متحفزون للقيام بالثورة ضد المسيحيين وأن سلامة الأوربيين فى مصر متعلقة بدوام الاحتلال الانجليزى، وهى وشاية سافلة ينفيها تاريخ مصر ويدحضها ما اشتهر عن المصريين من التساهل والاعتدال واكرام الغرباء والنزلاء (٨٥) . كما يذكر محمد رشيد رضا أنه قرأ أعدادا من الأستاذ فوجد أن النديم كان يحترس كل الاحتراس من الوقوع فى هذه التهمة (٨٦) .

وقد رد النديم على الذين يتهمونه بالتعصب الدينى بمقال عنوانه « هذا عندكم فما مقابله عندنا » فند فيه هذه الافتراءات بقوله : « كثيرا ما ترمينا جرائد انجلترا بالتعصب الدينى تشويشا لأذهان أهلها ، وترويجا لأفكار سياسييها التى تبعث المطامع ، ولو تأملنا حال المسلمين ، وقابلنا بين سكوتهم وعدم تعرضهم لدين غيرهم لرأينا أمرا يذهل العاقل ، ويحير الأفكار بهذه الدعوى الباطلة (٨٧) ، كما

---

(٨٤) عن ذلك ذكر جمال الدين الأفغانى : « لقد خدعنا الاستعمار فسمى قوميتنا تعصبا وحقنا عدوانا وتحررنا بغضا للأجنبى وتنضل فوسم ديننا بالجمود والتأخر » .

انظر : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده . العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ٩ .

(٨٥) مصطفى كامل : « المسئلة الشرقية » ص ٢٦٦ — ٢٦٧

(٨٦) المنار : السنة الثانية . العدد ٢٢ فى ١٢ اغسطس ١٨٩٩ ، ص ٣٤٠ ، وعن هذه الأعداد انظر على سبيل المثال العدد الثالث والعشرين فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ص ٥٤٠ — ٥٤٥ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٨٧) الأستاذ : العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ ابريل ١٨٩٣ ، ص ٨١٢ .

وضح بأن هـذه الادعاءات قائمة على غير أساس لأن « كل مسلم ممنوع من التعصب بقوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » .

واذا قابل المخالفين له هش وبش وقال « لكم دينكم ولى دين » ومع ذلك فقد أرسل رياض باشا الانذار الثانى الى « الأستاذ » يطلب فيـه عدم التعرض للأمور السياسية (٨٨) والالتزام بالأغراض الأدبية والعلمية وهـذا نصه : « ان جريدة الأستاذ مع كونها علمية تهذيبية فكاهية قـد اعتادت منذ زمن أن تنشر بعض فصول ومقالات سياسية خارجة عن موضوعها فلذلك وجب انذارها هـذه المرة حتى لا تعـود ثانيا الى نشر شىء فيما يتعلق بالأمور السياسية (٨٩) » .

ونتيجة لمـا أحدثته مقالات النـديم بدأت رياح الغضب تهب على الاحتلال فى أحاديث الناس وقد استغل أصحاب المقطم مخـاوف سلطات الاحتلال من أن يكون وراء النديم تجمع فأوعزوا الى كرومر بأن للنديم « أشياعا يأتمرون بأمره ، ويسيرون تحت علمه كما ذكروه بأنه خطيب الثورة العرابية الذى أثار خواطر النـاس وهيج أفكارهم وأنه لو ترك ستحدث ثورة أخرى » ولمـا كان كرومر يعتقد أن الحركة الوطنية فى مصر لم تخمد تماما وأنهـا ما زالت باقية وان كان صوتها

= والجدير بالذكر أنه تزايد نشـاط المبشرين فى مصر فى تلك الفترة فوزعت نشرات ضد الدين الاسلامى فى القاهرة والمدن الكبرى منها نشرة بعنوان « ايهما المسيح أم محمد » ارسلوها الى شيخ الأزهر وعلماء البلاد كما وصـل الأمر ببعضهم الى التبشير فى أحد المساجد بطنطا .

للتفاصيل انظر : اللواء : فى ٢٣ ، ٢٤ ابريل ١٩٠٠ ، المؤيد : فى ٣٠ ابريل ١٩٠٠ .

(٨٨) المقطم العـدد ١٢٧٩ فى ٣٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنـوان : « فصل الخطاب » .

(٨٩) د ار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصـادرة من مجلس النظار ومن النظارات (مايو ١٨٩٣) نظارة الداخلية — تحت عنوان انذار لجريدة الأستاذ ، ص ٢٣٢

خافتا لدرجة كبيرة (٩٠) فقد طلب من الخديو نفى النديم خارج البلاد خشية اثارته لروح التعصب الدينى (٩١) ، ولما علم أصحاب المقطم بالخبر نشروه فى صحيفتهم (٩٢) فرد النديم عليهم بأن قولهم مجرد شائعة كاذبة وافتراء (٩٣) .

ولما ماطل الخديو فى اجابة طلب كرومر تشجع النديم وكتب مقالا تحت عنوان « صبر جميل » ذكر فيه بأنه من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية فقال « اننا من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية وحياطة الحكومة المصرية لا ننطق بكلمة ، ولا نتحرك حركة الا وهو أعلم بها (٩٤) كما كذب ما تردد عن ابعاده من الوطن واغلاق الأستاذ وهاجم أصحاب المقطم وسماهم بالأجراء كما هاجم الانجليز الذين يعتمدون عليهم (٩٥) مما أثار ثائرة أصحاب المقطم وازدياد تشديد حملتهم على النديم فاتهموه باثارة الأفكار مما أدى الى مذبحة الاسكندرية وبأنه يدعو الى ثورة عرابية ثانية كما أثاروا كرومر عليه حتى أوعز للداخلية باصدار آخر انذار لمجلة الأستاذ بالغلق اذا تعرضت للحديث عن السياسة ، كما نشرت المقطم أن المعتمد البريطانى يصر على اغلاق مجلة « الأستاذ » ونفى صاحبها اذا خالف الانذار (٩٦) ومع أن النديم فوت عليهم الفرصة فخرجت جريدته فى عدديها الصادرين فى ٣٠/٥ ، ٦/٦/١٨٩٣

---

(90) Cromer : Abbas II Preface p. XV.

(٩١) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٧

(٩٢) المقطم : فى ٢٢ مايو ١٨٩٣

(٩٣) الأستاذ : العدد الأربعون فى ٣٠ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٧٥ .

(٩٤) الأستاذ : العدد السابع والثلاثون فى ٩ مايو ١٨٩٣ ، ص ٨٨٩

(٩٥) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون فى ٢٦ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٠٦ — ٩١٧ تحت عنوان « الحمد لله وحده » .

(٩٦) المقطم : فى ٣١ مايو ١٨٩٣

خالية من الأحاديث السياسية فان الأمور لم تستقر حيث استمرت جريدة التايمز اللندنية تطالب باسكات قلم النديم لخطورته (٩٧) مما عجل بطلب كرومر بضرورة الاصرار على نفيه متخذا من دعته فى مساوىء الاحتلال وانتقاداته المستمرة للاجراءات الانجليزية أساسا لذلك (٩٨) فأذعن الخديو للأمر ولم يستطع أن يحمى النديم فكتب أمرا بنفيه (٩٩) خشية أن يقبض عليه « بواسطة عساكر الاحتلال وخوفا من حصول ما يكدر الراحة العمومية (١٠٠) » .

ودع النديم قراءه بمقال تحت عنوان « تحية وسلام » قال فيه أن هدفه من انشاء مجلة الأستاذ كان تقديم النصح والارشاد للشرقيين عموما والمصريين خصوصا ثم تحدث عن المؤامرات التى حيكت ضده ، وضد الوطن بعد أن صارت « الأستاذ » فى مقدمة الجرائد المرشدة الى طرق الاصلاح والنجاح ، ولم يوضح أنه سينفى خارج مصر بل زعم أنه أصيب بضعف فى صحته (١٠١) ، وأن الأطباء أشاروا عليه بتغيير الهواء خارج القطر المصرى (١٠٢) ، وشكر الصحف الوطنية التى ساندته فى مواقفه كما شكر الشعب الذى استيقظت وطنيته رغم كل المعوقات ، وتحدث عن عزائم الرجال وأهمية تحديها للمصاعب والمحن فقال : « وما خلقت الرجال الا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب ، والعاقل يتلذذ بما يراه فى فصول تاريخه من

---

(97) The Times. London. 29/5/1893.

(98) Tignor : op. cit., p. 153.

(99) The Times. London. 19 Mars 1893.

(١٠٠) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد : القسم الأول — الجزء الثالث — كراسة رقم ١٦ ، ص ١٧

(١٠١) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيه ١٨٩٣ ، ص ١٠٢٨ — ١٠٣٠

(١٠٢) مذكرات محمد فريد : تاريخ مصر من ابتداء ١٨٩١ — كراسة ١٦ ، ص ١٦ ، الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٥٢٥

العظم والجلالة [١٠٣] » وقد اتخذ النديم من « يافا » مقرا لنفيه للمرة الثانية ، ورتبت له الحكومة المصرية معاشا شهريا قدره خمس وعشرون جنيها [١٠٤] ابتداء من ١٥ يونيو ١٨٩٣ [١٠٥] تصرف له طالما يبقى مقيما خارج عن البلاد المصرية ، وما دام لا يشتغل بشيء ولا يحرر شيئا لا سياسيا ولا أدبيا عنها ، وأن يصرف اليه أيضا مبلغ أربعمائة جنيه مصرى لمساعدته على تسديد ديونه وعلى مصاريف السفر [١٠٦].

---

(١٠٣) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيه ١٨٩٣ ، ص ١٠٣٠ تحت عنوان « تحية وسلام » .

(١٠٤) الجنيه المصرى : هو وحدة العملة فى مصر بمقتضى ديكريتو صادر فى ١٨٣٩ وآخر فى ١٨٨٥ فقسم الجنيه مائة قرش على أن يكون الجنيه ونصف الجنيه من الذهب والعشرون قرشا والعشرة والخمسة من الفضة وبعد أن انشىء البنك الأهلى فى ٢٥ يونيه ١٨٩٨ منحته الحكومة امتياز اصدار البنكنوت الورق ، الموسوعة الميسرة ، ص ٦٥٢

وقد دخل الجنيه مصر على يد الانجليز ، واصله من غينيا الأفريقية المشهورة بالذهب وكان قيمته ٢١ شلن استرلينى .

Webster's Dictionary. p. 596.

(١٠٥) دار المحفوظات العمومية : ملف معاش عبد الله النديم دولاب ٢٩ عين (١) محفظة ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠.

قرار مجلس النظار بتاريخ ١٥ يونيه ١٨٩٣ والمكاتبات مع نظارة المالية بهذا الخصوص .

(١٠٦) دار الوثائق القومية — محافظ مجلس النظار جلسة الخميس ١٥ يونيه ١٨٩٣ بخصوص مسألة « عبد الله النديم » .

ويذكر محمد فريد : ان النديم اشترط أن تدفع له الحكومة الأربعمائة جنيه بصفة ترضية .

دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد : القسم الاول — الجزء الثالث — الكراسة رقم ١٦ ، ص ١٧

الفصل السادس

النديم ومصطفى كامل

- دروس الوطنية التى أخذها مصطفى كامل من النديم •
- أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحاف •
- أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الخطابى •
- أثر النديم فى أنشطة مصطفى كامل الوطنية الأخرى •
- أوجه الاختلاف بين مصطفى كامل والنديم •

١ ـــ دروس الوطنية التى أخذها مصطفى كامل من النديم :

اختلف النديم عن زعماء الثورة العرابية فى أنه ثابر على الكفاح[١] بعد الهزيمة حيث تحمل بعــد عودته من منفاه عام ١٨٩٢ مهمة ايقاظ الشعور الوطنى واستنهاض الهمم وبث روح المقاومة بين فئات الشعب ضــد الاحتلال ، ولمــا كان الجيل الذى عاصر الثورة العرابية قد أثرت فيــه روح الهزيمة ، وأضعف الاحتلال من معنوياته فقد وضع أمله فى الجيل الجديد من الشبان وخصوصا طلبة الحقوق فجذب اليه منهم من وجــد فيــه مثلا لجهارة الرأى وفصــاحة القول ومنهم مصطفى كامل[٢] الذى ما ان سمع بظهوره حتى خف للقائه وقدم نفسه اليــه وكان حينذاك طالبا فتتلمذ عليــه ونشأ فى مدرسته[٣] واقتبس بعض أساليبه « واطلع على دخائل الحوادث المــاضية[٤] » ، فعرف منــه أسباب حوادث الثورة العرابية على حقيقتها ومواقع الخطأ التى تورط فيها العرابيون كما أستطاع بفضل صحبة أستاذه الثائر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى البلاد[٥] وكيف شوه رجال الاحتلال مبادىء

(١) عندما نقارن بين موقف كلا من النديم ومحمد عبده فى ذلك نجد أن محمد عبــده تخلف عن الكفاح السياسى بل ولعن كل ما هو متصــل بالسياسة .

(٢) محمد كامل الفقى : الأزهر واثره فى النهضة الأدبية الحديثة . القاهرة . المطبعة المنيرية ١٩٥٦ ، جـ ٢ ص ٢٥ ومن هؤلاء الشبان أيضا احمد فتحى زغلول ، ومصطفى ماهر .

(٣) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر ـــ ترجمة عبــاس محمود . القاهرة ـــ ١٩٣٥ ، ص ٢١٣ ، د. عبد اللطيف حمــزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ـــ الجزء الخامس . مصطفى كامل صاحب اللواء ص ٤٥ .

(٤) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، جـ ١ ص ٢٩٥

(٥) مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ فى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

العرابيين وخططهم ، كما تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا وهى :

١ — ألا يستعمل الجيش مطلقا في حركته بل يجعل جل اعتماده على الرأى العام الذى يمكن تنميته بالتربية الوطنية والأخلاقية للشعب حتى يتكون منه قوة تكون ركيزة للحركة الوطنية (٦) .

٢ — ألا يعادى الخديو حتى لا تنقسم الأمة كما حدث بين العرابيين والخديو توفيق ويضطر الخديو لكى ينقذ عرشه الانضمام للقوى الأجنبية ضد الوطنيين (٧) فيفسد حركة الدعوة الى الاستقلال ويستفيد الانجليز من ذلك ويحققوا أغراضهم الاستعمارية باستمرار احتلالهم للبلاد .

٣ — ألا ييئس مطلقا من طريق الكفاح الشاق والطويل مهما طالت المقاومة لأن اليأس طريق الهزيمة الأكيد (٨) .

٤ — ألا يطمئن الى الانجليز بل يحذر من خداعهم ودسائسهم التى كان لها دخل كبير فى اخفاق الثورة ووقوع الاحتلال (٩) .

ونحن نلاحظ من تتبع خط مصطفى كامل الوطنى أنه سار على هدى تعليمات أستاذه فبالنسبة للبند الأول الذى تعلمه منه وهو عدم الاعتماد على الجيش بل اللجوء الى قوة الرأى العام نرى أن

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٨

(٧) نفسه ، عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٥

(٨) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨
وايضا :
Afaf Lutfi al Sayyid : Egypt and Cromer p. 156.

(٩) عبد الرحمن الرافعي : مصطفي كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٨

مصطفى كامل رفض أن يكون للجيش أى دخل فى حركته السياسية بل كان يدعو الى الكفاح السلمي ويتضح ذلك عندما قدم عريضته المشهورة الى البرلمان الفرنسى (١٠) أن بلغ حماس رجال الجيش المصرى بسواكن ذروته فكتب واحد وثلاثون منهم رسالة الى مصطفى كامل فى ٢٤ يونيه ١٨٩٥ قالوا فيها : « ان الذين يخاطبونك يجدون أنفسهم أمام وطنيتك النادرة وتفانيك فى حب مصر المقدسة صغارا لأن قلمك الحق أمضى من سيوفنا وحججك القوية أفعل من رصاصنا.. فاقبل شكرنا وأعلم أن أرواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة (١١) » .

ومن رد مصطفى كامل على هذه الرسالة يتضح رفضه أن يكون للجيش أى دخل فى الحركة السياسية حتى لا يضر ذلك بدعوته فقد قال : « من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا .. وانى لا أود أن يدخل الضباط فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لأن هذا يضر بالمسألة المصرية ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم (١٢) » .

لقد حاول مصطفى كامل تكوين رأى عام بين أبناء وطنه يكون ركيزة له فى مقاومة الاحتلال بدلا من الاعتماد على الجيش ، وكان سبيله الى ذلك :

١ — انشاء المدارس الأهلية (١٣) لتربية النشء التربية الوطنية الصحيحة لأن الجهل هو العدو الأول للتقدم واستقلال البلاد ، وأنه

---

(١٠) عن ذلك الموضوع انظر :
على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، ج ٣ ص ٩٤

(١١) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ ص ٩٦

(١٢) نفسه ، ص ٩٧

(١٣) للتفاصيل انظر : الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٥٣ — ١٦٠

« لا سبيل لأمة من الأمم أن تنال المجد والعز والرفاهية بغير تربيه أبنائها وتهذيب نفوسهم وارشادهم الى واجباتهم نحو الأمة والوطن والدين (١٤) » .

٢ — النضال بالقلم تارة واللسان تارة أخرى حتى تستعيد الجماهير ثقتها فى نفسها .

٣ — ضرورة الاتحاد بين كافة القوى فى مصر للمناداة بالجلاء والاستقلال .

وبالنسبة للبند الثانى وهو التعاون مع الخديو فقد سار مصطفى كامل على نصائح أستاذه النديم بالبعد عن الشقاق وعبر عن ذلك بقوله « ان الشقاق سبب ضياع الأمم ، وسبب دمارها فلولا الشقاق بين الحزب العرابى والجراكسة ما وجدت الحوادث العرابية، ولولا الشقاق بين الحزب العرابى وتوفيق باشا ما كبرت الحوادث وتجسمت وتدخلت انجلترا فى الأمر .. وبالجملة لولا ذلك الشقاق المشئوم ما احتل الانجليز مصرنا العزيزة (١٥) » .

وكان من أولى ثمرات ارتباط مصطفى كامل بالخديو أن استنبط فكرة الاحتفال بعيد جلوس الخديو « وحرض رفاقه التلاميذ على ذلك فاحتفلوا به فى الأزبكية فى ٨ يناير ١٨٩٣ (١٦) » .

---

(١٤) اللواء : العدد الثالث فى ٤ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التربية والتعليم » .

(١٥) مصطفى كامل : المسئلة الشرقية ، ص ٢٥٨
وعن مطالبة مصطفى كامل بالبعد عن الشقاق انظر ايضا : اللواء . العدد السادس فى ٨ يناير ١٩٠٠

(١٦) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٤ ، وللتفاصيل انظر : الأستاذ : العدد الحادى والعشرون فى ١٠ يناير ١٨٩٣ ، س ٤٨٣ تحت =

كما وقف مصطفى كامل بجانب الخديو أثناء الأزمة الوزارية ودافع عن حقه فى تعيين وزرائه وتمسكه بحقوقه الشرعية فقال « لقد ادعت انجلترا قبل الاحتلال الانجليزى وبعده أن جل أمانيها تقوية السلطة الخديوية ودك أركانها .. وقد ظهرت أعمال الانجليز فى مصر ونواياهم ظهور الشمس فى رابعة النهار فى عهد سمو الخديو الحالى (عباس حلمى باشا الثانى) حيث جاء مطالبا بحقوقه الشرعية متمسكا بحقوق أمته فعارضته أنجلترا (١٧) » ثم نادى كافة أبناء الوطن بالوقوف بجانب الخديو ضد الأطماع الأجنبية فقال ان « مصالح الأمة المصرية صارت اليوم متفقة مع مصالح الخديو ، وصارت آمال الأمة وأمانيها متفقة مع آمال سمو الخديو وأمانيه فيستحيل على بنى مصر أن يبتعدوا عن سمو العزيز (عباس حلمى باشا) لحظة واحدة (١٨) .

ولما وقفت جريدة المقطم بجانب الاحتلال أثناء الأزمة الوزارية وهاجمت الخديو قام مصطفى كامل على رأس طلاب مدرسة الحقوق بمظاهرة وطنية فى العشرين من يناير ١٨٩٣ هاجموا أثنائها ادارة جريدة المقطم (١٩) وأظهروا فى هتافاتهم العدائية نحوها ما يكنون من

=
عنوان « عيد الجلوس الخديو » واللواء : العدد الثانى فى ٣ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « عيد الجلوس الخديو » فى حين يذكر قلينى فهمى باشا انه صاحب هذه الفكرة هو وعبد القادر حلمى وزير الداخلية فى ذلك الوقت حيث يقول « لقد قر الرأى بيننا على أن نقيم حفلة باهرة احتفاء بعيد جلوس الخديو ... واقمنا الاحتفال فى حديقة الأزبكية » .

مذكرات قلينى فهمى باشا — على هامش التاريخ المصرى الحديث . القاهرة — مطبعة حليم ، ص ٣٠

(١٧) مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٦٤

(١٨) مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٦٥

(١٩) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ١٤٥

بغض لهذه الصحيفة التى تعادى المصريين فى شعورهم ووطنيتهم (٢٠) ونتيجة لمساندة صحيفة لوبوسفور اجبسيان Le Bosphore Egyptien لموقف الخديو تألف وفد من الشبان الذين هاجموا المقطم ذهب الى مكاتب الجريدة الفرنسية ليعلنوا عن شكرهم لسلوكها الطيب أثناء الأزمة الوزارية (٢١) .

من هـذا يتضح مدى الحماس الوطنى تجاه موقف الخديو من الأزمة وعاطفة الشبان الحماسية واندفاعها فى مهاجمة الصحيفة التى أظهرت العداء تجاه الحركة الوطنية المصرية ثم شكر الصحيفة التى كان سلوكها مرضيا أثناء الأزمة .

هكذا وقف مصطفى كامل بجانب الخديو وشجعه على ذلك بمواقف الخديو تجاه الحركة الوطنية فى ذلك الوقت (٢٢) ، وبالنسبة للبند الثالث وهو عدم اليأس والاستمرار فى طريق الكفاح وضرورة اعادة الثقة الى الشعب الذى أثرت الهزيمة فى نفسيته وتسربت على أثرها اليأس فى نفوس الكثيرين فقد دعا مصطفى كامل الى محاربة اليأس والثقة فى الأمة وسار على هدى حكمة أستاذه « اذا ألقيت السلاح تعبا فأنت المقتول (٢٣) » فقال مخاطبا مواطنيه « عجبا وألف مرة

---

(٢٠) د. محمود نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية من سنة ١٨٨٢ حتى ١٩٠٤ ، القاهرة ، مطبعة التحرير ، الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ١٢٥ .

(21) Le Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893.

(٢٢) ليس معنى ذلك ان مصطفى كامل كان ذيلا للخديوية ، فقد اختلف مع الخديو حينما احس أن المصلحة الوطنية تقتضى ذلك ، واعترى العلاقات بينهما الفتور بعد ذلك ثم المقاطعة بسبب عدم ثبات الخديو على خط وطنى واضح .

للتفاصيل أنظر : رسالة الباحث للماجستير تحت عنوان « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ص ٦٦

(٢٣) سلافة النديم : الجزء الثانى ، ص ١٠٣ تحت عنوان « بعض كلمات من كلامه أرسلها أمثالا » .

عجبـــا ! كيف تسىء الظن بنفسها أمة تغلبت على الأيام والحوادث .. كيف يقول بعض أبناء هــذه الأمة عنهــا : أنهــا ماتت وزالت آثارها وأصبحت نسيا منسيا [٢٤] » .

لقد دعا مصطفى كامل الى عدم اليأس والى ضرورة اعتماد الأمة على جهود أبنائها والثقة في أنفسهم وكانت صرخته « لا معنى للحيــاة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة [٢٥] » خير مثال على دعوته ، وكانت حملته ضـــد الاحتلال تستخدم عدة وسائل منها : « ألا يأس مطلقـــا [٢٦] » .

لقد رسم مصطفى كامل لنفسه خطة المقاومة المستمرة للاحتلال وهى مقاومة لا ضعف فيهــا ولا هوادة ولا تراجع [٢٧] وظل ثابتا فى جهــاده حتى بعد أن جنح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه وخصوصا بعـــد حادثة فاشودة [٢٨] التى كانت بمثابة ضربة للحركة الوطنية وعاملا من عوامل بعث اليأس فى نفوس الوطنيين

---

(٢٤) من خطبة مصطفى كامل فى الاحتفال بمدرسة مصطفى كامل فى ٢٧ فبراير ١٩٠٢

انظر : عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٧ تحت عنوان « محاربة اليأس والثقة فى الأمة » .

(٢٥) اللواء : العدد الثانى فى ٣ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « كيف يحيا الوطن العزيز » .

(٢٦) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية — بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال الى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ — ١٩٣٦ — القاهرة . النهضة المصرية ١٩٥٢ ، ج ١ ص ٢٧ ، ولكن من مجموعة الرسائل التى نشرها الأستاذ عبد العزيز حافظ دنيــا : فى عام ١٩٦٩ تحت عنوان « رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازى » يتضح أن عوامل اليأس كانت تعترى أحيــانا مصطفى كامل ، انظر : رسائل تاريخية ، ص ٥٨

(٢٧) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨ تحت عنوان « اتصاله بعبد الله النديم » .

(٢٨) نفسه : ص ١٢٥ — ١٢٦

ولكن مصطفى كامل كان رده على ذلك هو مضاعفة الجهاد والكفاح كلما زادت المصاعب والعقبات وعندما وقعت انجلترا مع فرنسا الاتفـــاق الودى فى ٨ أبريل ١٩٠٤ لم يتزعزع يقين مصطفى كامل فى الجهـــاد فبرهن على أن وطنيته ثابتة وأن الأحداث لا تزيدها الا صلابة (٢٩) •

وأما عن البند الرابع وهو الحذر من ألاعيب الانجليز وخداعهم فلعل أدق وصف لذلك ما ذكره « الأستاذ محمد شفيق غربال » بقوله كانت حملة مصطفى كامل تستخدم ثلاث وسائل :

١ ــ لا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز أو كلام ماجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع •

٢ ــ لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولى ، بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانيه التى يكرهها الانجليز ، ويكفى كرههم لها تمسككم بها •

٣ ــ لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعـــل من بعضـــكم أعـــداء للبعض الآخـــر (٣٠) •

لقد تعلم مصطفى كامل من أستاذه دهاء السياســـة الانجليزية ومهارتها وأن الانجليز لا يهمهم غير مصالحهم وقد عبر عن ذلك بقوله « الانجليز يعملون لخـــدمة انجـــلترا بالذات ، فهم يريدون أن تكون سياسة بلادهم سياسة لين ومهارة بدلا من أن تكون سـياسه شـــدة وصـــلابة (٣١) » •

---

(٢٩) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧١ ــ ١٧٨

(٣٠) محمد شفيق غربال : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧

(٣١) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩٢

هكذا كانت أخطاء الثورة العرابية التى وعاها مصطفى كامل من النـديم درسا له جنبه مواضع الاخفاق فى جهاده لأن « الزعامة الحقة هى التى تستفيد من تجارب المـاضى وتعتبر بمصائب الوطن فتقيـه مواطن الزلل وتسلك بالأمة سبيل الحكمة والرشاد (٣٢) » وهكذا كان النديم أستاذا مباشرا لمصطفى كامل فى ميدان السياسة المصرية (٣٣) حيث كانت نصائحه وتوجيهاته خير هاد له حتى أصبح يقدر لكل خطوة موضعها وليس من شك فى أن النديم غرس فى مصطفى كامل آراءه(٣٤) وكان همزة الوصل بين جيل الثورة العرابية والجيل الجديد الذى تسلم الراية بعد اخفاقها .

أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى :

لقد شرح النديم لمصطفى كامل وزملائه أهمية الصحافة ودورها فى تنوير الرأى العـام وشجعهم على الكتابة فيها ، ولمـا أنشأ مصطفى كامل مجلة المدرسة (٣٥) رحب بها ونوه عنها فى مجلة الأستاذ بقوله : « لا يمضى يوم الا ونرى ونسمع خبرا سارا ومشروعا نافعا نحـدثه الناشئة المصرية (٣٦) » كما لقب محررها « بالمهذب مصطفى أفنـدى كامل (٣٧) » .

---

(٣٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨

(٣٣) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦

(٣٤) تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٣

(٣٥) صدر العدد الأول منها فى ١٨ فبراير ١٨٩٣ وهى مجلة شهرية تصدر فى الأول من كل شهر عربى الا شهرى محرم وصفر ، وكانت تطبع فى مطبعته المحروسة ، وساعده على ذلك عبد الله النديم .

(٣٦) الأستاذ : العدد الثامن والعشرون فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ ، ص ٦٦٦ تحت عنوان « تقريظ » .

(٣٧) نفسـه .

لقد كانت جريدة « الأستاذ » التى كان يحررها النديم فى ذلك الوقت هى الأستاذ لمصطفى كامل حيث تعلم منها الاتجاه والنغمة وان اختلفا من حيث الثقافة والأسلوب بحكم الزمن والأحداث والظروف (٣٨) وفيما يلى يتضح ذلك :

كتب مصطفى كامل فى العدد الأول من مجلة المدرسة أنه أنشأ هذه الجريدة « لتكون مركزا لجمع دور فرائد الأستاذ (٣٩) » وقوله هذا يدل على مدى اعتماده على مجلة النديم « الأستاذ » من حيث الاتجاه والتقليد ويثبت ذلك كتاباته فى أعداد مجلته ففى العدد الأول والثانى والثالث اتبع مصطفى كامل أسلوب كتابه المحاورات للوصول الى هدفه وهو أسلوب كان يتبعه النديم فى مجلته فكتب فى العددين الأول والثانى « محاورة بين الأستاذ والتلميذ (٤٠) » وفى العدد الثالث « محاورة بين صديقين (٤١) » فى حين نرى للنديم محاورات عديدة فى « الأستاذ » بينه وبين واحد من أولاد البلد أو واحدة من بنات البلد أو بين مجموعتين مختلفتين بهدف التهذيب وترقية المدارك واظهار العيوب ووصف طرق الاصلاح منها محاورة تحت اسم « تحية بلدى (٤٢) » وأخرى بعنوان « حنفى ونديم (٤٣) » كما اتبع مصطفى

---

(٣٨) احمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٦٤

(٣٩) مجلة المدرسة : العدد الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣

ويذكر الأستاذ « فتحى رضوان » انه لما أخرج عبد الله النديم جريدته « الأستاذ » وتداولتها الأيدى ، وقراها مصطفى كامل سعى الى صاحب « الأستاذ » فاتخذه استاذا .

فتحى رضوان : مصطفى كامل ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ، ص ١١٦

(٤٠) مجلة المدرسة : عددى ١٨ فبراير ، ١٩٠٠ مارس ١٨٩٣ .

(٤١) أنظر : عدد ١٨ أبريل ١٨٩٣

(٤٢) عبارة عن محاورة بين نديم وشخص يسمى حبيب عن فضل اللغة العربية وأهميتها .

أنظر الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٦ — ٢١

(٤٣) أصر النديم فى هذه المحاورة على تعليم حنفى وهو الرجل الأمى اللغة العربية الفصحى .

انظر الأستاذ : العدد الثامن والعشرون فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ ، ص ٦٦٢ — ٦٦٥

كامل منهج النديم الاجتماعى فكما كتب النديم عن أهمية تعليم أبناء الشعب وضرورة تعميم التعليم (٤٤) كتب أيضا مصطفى كامل عن أهمية تعميم التعليم بقوله « ان تعميم التعليم من أهم الأسباب الداعية لنمو العمران (٤٥) » .

كما ذكر أنه من أسباب وسائل القوة والنجاح للأمم فقيال : « مهما بحثنا فى تواريخ الأمم ونظرنا فى آثار الانسان لا نجد أمة عظيمة قامت على الأرض وتوافرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم (٤٦) » وكما دافع النديم فى « الأستاذ » عن سياسة الحجاب وضرورة اتباعه لأنه من قواعد الشرع والأدب (٤٧) دافع عنه أيضا مصطفى كامل بقوله : « ان قواعد الشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب على النساء فليس لهن أن يستخدمن بالمصالح كالرجال وانما يكفى أنهن يدبرن شئون المنزل ويهذبن أولادهن (٤٨) » كما عارض حركة تحرير المرأة التى قادها قاسم أمين وكان لكتاب « تحرير المرأة » الذى صدر عام ١٨٩٩ (٤٩) خصما لدودا ولصاحبه وكما دافع النديم

---

(٤٤) انظر : الفصل العاشر .

(٤٥) الأهرام : فى ٢٠ ابريل ١٨٩٣ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « المعلمون والتعليم فى مصر » .

(٤٦) الأهرام : فى ٢٤ فبراير ١٨٩٣ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « المدينة وتعميم التعليم » .
كما يتضح اهتمام مصطفى كامل بالتعليم مما كتبه على صفحات اللواء تحت عنوان « التربية والتعليم » انظر : على سبيل المثال الأعداد التاسع فى ١١ يناير ١٩٠٠ والحادى عشر فى ١٤ يناير ، والثالث عشر فى ١٦ يناير ١٩٠٠

(٤٧) انظر : الفصل التاسع .

(٤٨) مجلة المدرسة : العدد الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « محاورة بين الأستاذ والتلميذ » .

(٤٩) تناول قاسم أمين فى هذا الكتاب فى الكتاب الذى تبعه بعد ذلك بعامين تحت عنوان « المرأة الجديدة » الدفاع عن حرية المرأة وسفورها وحقها فى المساواة بالرجل .

عن الفلاح ووصفه بالذكاء والنباهة حينما تتاح له الفرصة دافع عنه مصطفى كامل أيضا فقال : « كنت مجتمعا مع بعض اخوانى نتحدث في مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات يظهر عليه أنه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهة وبينما نحن بالمجلس ، وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام ذلك الشاب وشرع فى حلها ولم يلبث أن نطق بجملته الأولى حتى أسكته أكبرنا بقوله : « أسكت أيها الفلاح أأنت مثلنا متمدن أما تحمد الله على وجودك معنا » فبهت الشاب وسكت (٥٠) » .

وقد حلل مصطفى كامل ذلك موضحا أنه لا فرق بين الفلاح وغيره من أبناء الوطن فالجميع مصريون فقال : « لا فرق بين الفلاح والاسكندرى والدمنهورى والمنياوى والأسيوطى فالجميع مصريون (٥١) كما ذكر أن « أعظم الأساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الأمراء من بلاد الفلاحين (٥٢) » .

وكما طالب النديم بمساعدة الفلاح وشد أزره (٥٣) طالب بذلك أيضا مصطفى كامل حيث قال : « يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة أهلية أن تبذل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته (٥٤) » .

وكما انتقد النديم التهمة التى يلصقها الأوربيون بالمصريين كلما أحسوا بالخطر على مصالحهم وهى التعصب الدينى (٥٥) انتقد

---

(٥٠) المدرسة الجزء الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣

(٥١) نفسه .

(٥٢) نفسه .

(٥٣) انظر الفصل التاسع .

(٥٤) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٦ ص ٢٠٨

(٥٥) انظر الفصل الخامس من الرسالة تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

مصطفى كامل ووصفه بالبهتان الكبير والاختلاق المقوت فقـــال :
، الفـــلاح المصرى لم يكن متعصبا الا لثلاثة أشياء من اعتدى على
ها فكأنه اعتدى على نفسه وهى امرأته وزراعته وماشيته •• أما
قال عن الفلاح المصرى المسلم من أنه متعصب تعصبا دينيا فهـــو
ن كبير واختـــلاق ممقوت لأن الأقبـــاط وهم المصريون المسيحيون
ـون مع المسلمين فى قرية واحدة حتى تكاد تكون عيشتهم واحدة ،
سمعنا مرة أن مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحى بسبب
لفته له فى الدين (٥٦) كما رد على ما يشاع فى بعض الكتابات عن
ويره كمجرد داعية للجامعة الاسلامية فقال مؤكدا أنه لا يوجـــد
ض بين الجامعة الاسلامية والوحدة الوطنية « اننـــا لا نبخس
امعة الجنسية حقها ، ولا نأبى الاتحاد الأكيد مع اخواننا الأقباط ،
نا نادينا بأعلى صوت أن المسلمين والأقباط فى مصر أمة واحدة بل
لة واحدة ، وقلنا أن الدم الذى يجرى فى عروق أغلب مسلمى مصر
نفسه الدم الذى يجرى فى عروق الأقباط وان أول واجب نحـــو
طن هو الاتحاد التام بين أبنائه (٥٧) » •

وكما دافع النديم عن اللغة العربيـــة ودعا الى ضرورة المحافظة
بها واتقانها لأنها اللغـــة التى نزل بها القرآن الكريم(٥٨) دعا مصطفى
مل الى ذلك بقوله : « يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك
شريفة التى أنزل بها القرآن (٥٩) » كما كتب عن أهمية اللغة بقوله :
اللغـــة أكبر جوامع الأمة وأشـــد روابطها وأحكمها شدا وعصبا ،

---

(٥٦) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٦ ص ٢١٠
(٥٧) اللواء فى ٩ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « المنبر العام » •
(٥٨) انظر الفصل العاشر •
(٥٩) المدرسة : الجزء الثانى فى ١٩ مارس ١٨٩٣

بها تتولد فى النفس الغضبية الجنسية وتتوقد فى القلوب الحمية الدينية [٦٠] » .

وكما تحدث النديم فى شهر رمضان عن آداب الصوم وأحكامه [٦١] سار أيضا مصطفى كامل على منواله فتحدث عن أحكام الشريعة والصيام [٦٢] .

وكما تحدث النديم عن أهمية الصناعة ، وضرورة اهتمام أولى الأمر بها [٦٣] تحدث أيضا مصطفى كامل عن ذلك حيث قال « كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم ومجريات الأحوال فى البلاد يعلم أن الصناعة والزراعة والتجارة هى أهم عناصر التقدم وأول أبواب السعادة ، وأن كل أمة قطعت سبيل الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر [٦٤] .

وكما نادى النديم بعدم تقليد الأوربيين تقليدا أعمى [٦٥] فقد ذكر مصطفى كامل أيضا أننا لا نريد أن نكون قردة نقلد أوربا فى كل شىء وانما نريد أولا أن نبقى مصريين وأن نوجه قوانا لا لهدم مدنيتنا وانما لتقويتها وتحسينها ، كما نشرت اللواء مقالا تحت عنوان « التقليد » وضحت فيه أن لكل أمة أخلاقا وعادات يجب

---

(٦٠) اللواء العدد الثامن والعشرون فى ٣ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « اللغة والأمة » .

(٦١) عمل النديم ملحقا خاصا بمجلة الأستاذ فى شهر رمضان تحت عنوان « آداب رمضان » .

(٦٢) المدرسة : الجزء الثانى فى ١٩ مارس ١٨٩٣ تحت عنوان « أحكام الشريعة والصيام » ، وايضا اللواء العدد الأول فى ٢ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « شهر رمضان » .

(٦٣) انظر : الفصل التاسع .

(٦٤) المدرسة : الجزء السابع فى ربيع ثانى ١٣١١

(٦٥) انظر : الفصل التاسع .

التمسك بها حتى نحتفظ بتراثنا وحضارتنا [٦٦] وكما انتقد النديم الخرافات المسيطرة على أفكار أبناء وطنه والجهل المعشش على عقولهم وحاول تنبيههم الى خطورة ذلك [٦٧] فعل ذلك أيضا مصطفى كامل فكتب على صفحات اللواء عن أسباب تأخر المصريين فقال : « لا بأس اذا من أن نبحث على صفحات اللواء عن أسباب تأخر المصريين لنستدركها وهى كثيرة [٦٨] » كما أوضح ما يترتب على هذه الخرافات من سوء أحوال البلاد وعدم مسايرتها للنهضة الحديثة فقال : « ان النهضة المصرية الحديثة تجعلنا نرتاب فى أن السواد الأعظم من المصريين أدرك سوء حالة بلاده [٦٩] » .

ولم يقتصر أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى على ذلك بل ان بعض عناوين المقالات التى كتبها النديم فى « التنكيت والتبكيت » و « الأستاذ » اقتبسها مصطفى كامل فى مقالات كتبها على صفحات اللواء فقد كتب النديم مقالا بالتنكيت والتبكيت تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج [٧٠] » يندب فيه حال الوطن وسوء أحوال أبنائه كتب مصطفى كامل مقالا باللواء تحت نفس العنوان ولنفس الهدف الذى كتب النديم مقاله من أجله فقال : « فما بالنا اليوم معاشر المصريين نتقلب تقلب الحرباء ونخبط خبط العشواء فى الليلة

---

(٦٦) اللواء : العدد الواحد والستون فى ٨ مارس ١٩٠٠ تحت عنوان « التقليد » .

(٦٧) انظر : الفصل التاسع .

(٦٨) اللواء : العدد الخامس والعشرون فى ٣٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « أخلاق وآداب » .

(٦٩) نفسه .

(٧٠) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ، ص ٩٤

الظلمـــاء (٧١) » •

وكما كتب النـــديم مقالا بالأســـتاذ تحت عنـــوان « الحقوق المقدســـة » بين فيـــه حقوق الخديو فى ادارة البلاد (٧٢) كتب مصطفى كامل مقالا باللواء بنفس العنوان ولنفس الهدف بقوله : « ان السلطة الشرعيـــة فى مصر هى السلطة الخديوية (٧٣) » •

ومما سبق يتضح أثر النـــديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى من حيث الاتجاه والنغمة ، وتصوير مشاكل المجتمع ، وشرح الطـــرق الموصلة لاصلاحها •

أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الخطابى :

لقد أوصى النديم الناشئة من الشـــبان بأن يتقنوا فن الخطابة وتولى بنفسه تلقينهم وتدريبهم عليها (٧٤) حتى صار بعضهم من قادة الفكر والاصـــلاح أمثال مصطفى كامل وأحمد فتحى زغلول (٧٥) وقد

---

(٧١) اللواء : العدد الخامس عشر فى ١٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

وأيضا : العدد السابع والعشرون فى ٢ فبراير ١٩٠٠

(٧٢) الأستاذ : العـــدد الثالث والعشرون فى ٢٤ ينـــاير ١٨٩٣ ص ٥٤٠ — ٥٤٥

ولمزيد من التفاصيل أنظر : الفصل الخامس من الكتاب تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

(٧٣) اللواء : العـــدد الخامس والستون فى ١٢ مارس ١٩٠٠ ، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٧٤) كان النديم يجتمع بالجيل الجديد من الشبان فى مقر مطبعـــة المحروسة التى كان يطبع فيها مجلتى « الأستاذ » و « المدرسة » كما كان يجتمع بهم سرا فى منزل لطيف باشا سليم .

(٧٥) كان تلميذا بالمدرسة التجهيزية أبان الثورة العرابية ، وكان من الخطباء الذين يحضون على الثورة مع عبد الله النديم .

دار الوثائق : مذكرات محمد فريد — كراسة رقم ٢ ص ٥٢

اختص مصطفى كامل بالعناية حيث وجـد فيه الاستعداد وتبينت له قدرته الخطـابية وطالعته من مواهبـه امارات الزعامة (٧٦) فشحن عواطفه بما فى نفسه من أفكار مكبوتة سنينا طوالا (٧٧) ، وقد ظهـر أثر ذلك واضـحا فى خطب مصطفى كامل وأسـلوبه حيث اقتبس من النديم بعض أساليبه فى الخطابة (٧٨) وكان ممن يرددون نغماته، ولكن تميز مصطفى كامل عن أستاذه بالمـامه باللغـة الفرنسية ومعرفتـه لآراء الغربيين (٧٩) ومن يدقق فى الخطب التى ألقاها مصطفى كامل على أبنـاء وطنه يجدها تخضع إشبيه منهج معين قوامه من البداية اثارة المشاعر الوطنية وهو نفس الأسلوب الذى كان يتبعه النديم حيث كان أسلوب كل منهما مؤثرا بالنسـبة للسـامع على كافة المستويات وكما كان النديم مثالا لمن جاء بعـده من الخطباء والمشاهير فى تاريخ مصر الحديث حيث كان ذا لسان ذلق فصيح وبيـان واضح وصوت جهورى وعبارات فصيحة وحجج قوية وجرأة فائقة فى مواجهة الجموع كان كذلك مصطفى كامل حتى أن على مبـارك لقبـه بامرىء القيس (٨٠) لاعجابه بفصاحته وشجاعته وقوة عارضته .

وكما ظهرت خطورة خطب النـديم خلال أحداث الثورة العرابية وخلال المعـارك الحربية بين المصريين والقوات الانجليزية فقد برزت أيضـا خطب مصطفى كامل فى حركة الاحيـاء وبعث الوطنية فكان له

---

(٧٦) محمد كامل النقى : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٢٥

(٧٧) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٢٤

(٧٨) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ص ٣١٧

(٧٩) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٨ — ٣٠.
وايضا مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ بتاريخ ٢١ اغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

(٨٠) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣

الفضل فى استعادة الثقـــة الى النفوس التى أقفرت وزرع الأمل فى القلوب التى كانت قد استلمت لليأس (٨١) .

وهكذا كان النديم صاحب أول مدرسة خطابية فى التاريخ المصرى الحديث وكان فى مقدمة من تخرج منها مصطفى كامل الذى تأثر بأستاذه ليس فى المبادىء فحسب بل فى الأسلوب أيضا ثم حمل الرسالة الكاملة دون يأس أو كلل .

أثر النديم فى أنشطة مصطفى كامل الوطنية الأخرى :

لم يقتصر أثر النـــديم فى نشـــأة مصطفى كامل على الصحافة والخطـــابة فحسب بل كان مصطفى كامل متأثرا ومقلدا لأســـتاذه فى كثير من الأنشطة الأخرى فكما بدأ النـــديم نشاطه السياسى بالعمـــل السرى فى جمعية « مصر الفتاة السرية (٨٢) » بدأ مصطفى كامل نشاطه الســـياسى بالانضمام الى « جمعية احياء الوطن السرية (٨٣) » التى كانت تتكون من مصريين وفرنسيين ويتركز نشـــاطهم حـــول فـــكرة الاستعانة بدولة قوية تناوىء الاحتلال وكما اهتم النـــديم بانشـــاء الجمعيات الخيرية والأدبية والعلميـــة (٨٤) اهتم أيضا مصطفى كامل بذلك حيث أسس فى مقتبل شبابه جمعية أدبية وطنية سماها « جمعية

---

(٨١) عبد الصبور مرزوق: الخطابة السياسية فى مصر من الاحتلال البريطانى الى اعلان الحماية . القاهرة . دار الكاتب العربى ١٩٦٧ ، ص ٥ ، ٦

(٨٢) للتفاصيل انظر : الفصل الأول .

(٨٣) للتفاصيل عن هـــذه الجمعية واعضائها انظر :

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩١

وايضا : رسالة الباحث للمـــاجستير السابقة الذكر ، ص ٥١ — ٥٢

(٨٤) انظر : الفصل التاسع الجزء الخاص بالنديم والجمعيات .

الصليبية الأدبية [٨٥] » كما عمل في جمعيات (الاعتدال ، والهدى ، والعلم المصرى) وهذه الجمعيات هي « التى أسسها جماعة من صفوة فضلاء المصريين أدبا وعلما وجاها ومكانة [٨٦] » وكما كان للنديم في هذه الجمعيات جولات في الخطابة والمناظرة كان لمصطفى كامل أيضا جولات صادقات عند المناظرة والجدل والمناقشات [٨٧] .

وكما إهتم النديم بالمسرح وألف مسرحيتى « الوطن وطالع التوفيق » و « النعمان » وكتب عن أهمية التمثيل [٨٨] اهتم أيضا مصطفى كامل بالمسرح حتى أن النديم نوه بمجهوده فى تكوين جمعية من الشبيبة المصرية المثقفة لترقية المسرح المصرى وهى « جمعية الفتوح الخيرية » كما نوه بالانتاج الفنى لهذه الجمعية بتشخيص رواية « الملكة بلقيس [٨٩] » كما ألف مصطفى كامل رواية بعنوان « فتح الأندلس [٩٠] » وكتب عن أهمية التمثيل بقوله « التمثيل فى كل أمة هو من أهم دواعى ارتقائها ومن أكبر أسباب تهذيبها [٩١] » .

---

(٨٥) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ١٢٥
والجدير بالذكر ان مرجع تسمية الجمعية بهذا الاسم يرجع الى اسم الحى الذى يقطن به مصطفى كامل وهو حى الصليبية القريب من القلعة .

(٨٦) نفسه ، ج ٢ ص ١٤٠

(٨٧) نفسه .

(٨٨) انظر الفصل الحادى عشر .

(٨٩) الأستاذ : الجزء التاسع والعشرون فى ١٨٩٣/٣/٧ ، ص ٧٢٣

(٩٠) عن نص الرواية : انظر : على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ١٦٤ — ٢٤٠

(٩١) اللواء : العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التمثيل » .

وكما اهتم النديم بالتعليم الأهلي وأسس مدرسة لتعليم الأطفال بالجمعية الخيريه الاسلامية (٩٢) اهتم أيضا مصطفى كامل بذلك فنادى بنشر التعليم الأهلي في البلاد (٩٣) وكان من أكبر أمانيه أن يكون له مدرسة ويتضح ذلك من قوله « ان من أكبر أماني أن يكون لي مدرسة أعلم فيهـا الناشئين (٩٤) وقد تحقق له ما أراد حين سـاعده بعض أثرياء الوطنيين على ذلك وتأسست مدرسة بباب الشعرية أطلق عليها اسم « مدرسـة مصطفى كامل » كان له أمـر اداراتهـا والاشراف عليهـا (٩٥) .

وكما نادى النديم بالحياة الديمقراطية والدستور (٩٦) نادى بذلك أيضا مصطفى كامل حيث بدأ يروج للأفكار الدستورية فيمجلة المدرسة بشرح أنظمة الحكم ، وتطرق حديثه الى الحكومة الدستورية وكيف أن الحكم فيها موزع بين ثلاث سلطات لا تطغى أحدهما على الأخرى (٩٧) ثم نجده يطالب في مقال له باللواء بتنفيذ وعـد اللورد دفرين بتأسيس مجلس نيابي (٩٨) كما أخذ يدعو الى اقامة مجلس نيابي ليكون أداة لاصلاح عيوب الحكم فكتب مقالا آخر باللواء بين فيـه فساد الادارة الحكومية وطالب بمجلس نيابي بقوله : « وعندي أن هـذه الأدوار

---

(٩٢) انظر : الفصل التاسع .

(٩٣) اللواء : العدد الخامس والخمسون في ٢ مارس ١٩٠٠ تحت عنوان « المدارس الأهلية » .

(٩٤) علي فهمي كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٣١

(٩٥) الرافعي : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٣

(٩٦) انظر : الفصل الثامن .

(٩٧) المدرسة : في ١٧ مايو ١٨٩٣

(٩٨) اللواء : عدد ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٠ مقال تحت عنوان « الحكومة والأمة في مصر » وقد نادى مصطفى كامل في هـذا المقال باعطاء المصريين مجلسـا نيابيـا حقيقيـا لا صـورة يراد بهـا السخرية وذرا للرماد في العيـون .

المختلفة والأدواء المتنوعة دالة كلها على شدة حاجة هذه البلاد الى مجلس نيابى تكون له السلطة التشريعية الكبرى ، فلا يسن قانون بغير ارادته ولا تحور مادة الا بمشيئته ولا يزعزع نظام بغير أمره، ولا تعلو كلمة على كلمته (٩٩) » .

لقد كان طلب مصطفى كامل بالجلاء مقترنا بطلب الدستور (١٠٠) حتى أن طلبة المدارس كانوا يقومون من وقت لآخر بمظاهرات ينادون فيها الخديو بقولهم « الدستور يا أفندينا » .

وكما دعا النديم الى أهمية الوحدة الوطنية بين عناصر الأمة (١٠١) فقد نادى بذلك أيضا مصطفى كامل فقال فى احدى خطبه « مضى على مصر ثلاثة عشر قرنا نحن والأقباط فيها أخوة صفاء لا نتكلم بشأن الدين الا اذا كنا فى المسجد أو كانوا فى الكنيسة (١٠٢) » .

كما ذكر أن « الديانة الاسلامية تعلم معتنقيها احترام كل المذاهب وجميع الديانات وان الاعتدال والتسامح من قواعدها الأساسية (١٠٣) » .

---

(٩٩) اللواء : عدد ١٦ نوفمبر ١٩٠٢ ، تحت عنوان « افلاس الاحتلال » .

(١٠٠) اللواء : عدد ٢٣ مايو ١٩٠٢ ، تحت عنوان « الجلاء والدستور » .

والجدير بالذكر ان مفهوم الدستور تطور مع مرور الوقت ففى الوقت الحالى تعنى كلمة الدستور مجموعة القواعد الاساسية التى توضح شكل الدولة ونظام الحكم بها .

انظر : د. وحيد رأفت ، وايت ابراهيم : القانون الدستورى — القاهرة — المطبعة العصرية ١٩٣٧ ، ص ٣

(١٠١) انظر : الفصل الثامن الخاص بالنديم والوحدة الوطنية .

(١٠٢) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ من خطبة مصطفى كامل فى طولوز بتاريخ ٤ يوليو ١٨٩٥ .

(١٠٣) نفسه .

ونادى بالوحدة الوطنية بقوله : « أما واجبنا الوطنى فهو العمل باتحاد تام بين المسلمين والأقباط وغيرهم ممن صارت مصر وطنا لهم [١٠٤] » وقد برهن على ذلك بأن ضم بعض الأقباط الى الحزب الوطنى بل وكان أحدهم وهو « ويصا واصف » أحد أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى كما كان مرقص حنا من خيرة أصدقائه [١٠٥] وكما انتقد النديم مواقف السوريين تجاه القضية المصرية [١٠٦] انتقدهم أيضا مصطفى كامل لاعتقاده أنهم يخالفون مصلحة مصر [١٠٧] وكما أن النديم لم يتعرض للتهمة التى تعرض لها الكثير من الزعماء المصريين وهى تهمة ممالأة الاحتلال فقد نجا مصطفى كامل أيضا من هذه التهمة ولم يستطيع أحد من أعدائه أن يرميه بها .

وكما هاجم أذناب الاحتلال والصحف الموالية لهم النديم وجهاده الوطنى [١٠٨] هاجموا أيضا مصطفى كامل ، فعندما قابل مصطفى كامل « الميرالاى بارنج » شقيق كرومر وتناقش معه فى المسألة المصرية [١٠٩]

---

(١٠٤) اللواء : العدد الثالث عشر فى ١٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « رابطة الدين ورابطة الوطن » .

(١٠٥) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٤٨ تحت عنوان « فضله على الوحدة الوطنية » .

(١٠٦) انظر : سلافة النديم ، ج ٢ ص ٨٠ — ٨١

(١٠٧) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٩٨
المؤيد : فى ٧ مارس ١٨٩٦
اللواء : العدد الرابع فى ٦ يناير ١٩٠٠

(١٠٨) انظر : الفصل الخامس من الكتاب تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

(١٠٩) الاهرام : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان « حديث له شأن » .

هاجم أصحاب المقطم ذلك وانتقدوا مصطفى كامل انتقادا شديدا واعتبروا حديثه خرافة (١١٠) .

ان أفضل ما فى الرجال هو الثبات على المبدأ مهما كانت الصعاب وقد ثبت النديم على مبدأه وكان وفيا للثورة العرابية حتى فى أحرج اللحظات وخصوصا بعد هزيمتها وكذلك كان مصطفى كامل ثابتا على المبدأ رغم تطورات الأحداث فى غير صالح الحركة الوطنية وخصوصا بين حادثتى فاشودة والاتفاق الودى .

اوجه الاختلاف بين مصطفى كامل وأستاذه النديم :

١ — رغم أن مصطفى كامل تلميذ عبد الله النديم — الذى نادى بأن تكون مصر للمصريين وفضل الوطنية المصرية عما عداها — فقد دعا الى دعم تبعية مصر لتركيا وضرورة التمسك بالرابطة العثمانية بقوله : « ويجب على المصريين أن يتمسكوا أشد التمسك بالرابطة الأكيدة التى تربطهم بالدولة العثمانية (١١١) » .

بل وصل به الأمر أن طلب من السلطان ارسال جيوشه الى مصر لاخراج الانجليز منهـا واحتلالها باعتبارها ولاية عثمانية (١١٢). كما أعلن فى خطبة له بباريس بمناسبة عيد جلوس السلطان فى ٣١ من أغسطس ١٨٩٥ « أن الراية العثمانية هى الراية الوحيدة التى يجب أن نجتمع حولها (١١٣) » .

ومع أنه من الصعب أن ينكر أحد أن مصطفى كامل كان لديه

---

(١١٠) المقطم : عدد ٣٧٨٢ فى ٢٩ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان : « حديث خرافة » .

(١١١) مصطفى كامل : « المسألة الشرقية » ص ٢٥٩ .

(112) Le Bosphore Egyptiene ... Novembre 1906.

(١١٣) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

الحماس الدينى تجـاه الدولة العثمانية [١١٤] فاننا نرى أن مصطفى كامل قد رغب فى محاسنة الدولة العثمانية حتى يطمئن الى أنهـا لن تنضم الى انجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد أمانى المصريين[١١٥]، وحتى يثبت بطـلان الاحتلال الانجليزى ، وعدم شرعيته لذلك فانه عمل فى خطين متوازيين هما الوطنيـة المصرية والجامعة الاسـلامية مع تغليب التيـار الثانى والتمسك باستقلال مصر الداخلى كما قررته معاهدة لنـدن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية .

لقد كان الفرق شاسعا بين سياسة النديم وسياسة مصطفى كامل تجاه الدولة العثمانية فالنديم فضل الولاء للوطنية عن الارتباط بجامعة الدين وعندما تعارضت مصلحة مصر مع مصلحة الدولة العثمانية وقف النـديم بجانب مصر [١١٦] وهاجم سياسـة الدولة العثمانية تجـاه القضية المصرية ورفض أن تتنازل مصر عن الامتيـازات التى نالتهـا باستقلالها فى شئونها الداخلية [١١٧] بينما نجـد مصطفى كامل يطلب

---

(١١٤) الدليل على ذلك اتصال مصطفى كامل بالجمعيات شبه السرية للجامعة الاسلامية فى مصر مثل جمعية شمس الاسلام التى كانت تدار فعلا من القسطنطينية وتعمل فى مصر ، كذلك اتصل بجمعية مكارم الأخـلاق التى هدفت الى النهوض بالاسلام .

Landau : op. cit., p. 121.

(١١٥) لم ير الحزب الوطنى بأسا من الابقاء على السيادة الرمزية للسلطة العثمانية خشية أن تنضم تركيا للانجليز .

دار الوثائق : محمد على علوبة : ذكريات سـياسية واجتماعية » ص ٢٠٦

(١١٦) للتفاصيل انظر : الفصل السابع تحت عنوان « النديم بين الوطنية المصرية والجامعة الاسلامية » .

(١١٧) سجلات الثورة العرابية : سجل رقم ٩٠ تحت عنـوان : « مكاتبات الجهة السنية » .

من السلطان ارسال جيوش عثمانية لاحتلال مصر واخراج الانجليز منها أي أنه لا يمانع فى استبدال احتلال بريطانى باحتلال عثمانى .

ويفند مصطفى كامل ذلك بقوله : « اننا نتبع ناموس الطبيعة القاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون (١١٨) » لقد دافع مصطفى كامل عن « فكرة الجامعة الاسلامية » وضرورة وحدة المسلمين فى ظل الخلافة العثمانية (١١٩) فى حين كان النديم ينادى بالوحدة الشرقية التى تضم كافة الأديان التى يعتنقها الشرقيون (١٢٠) .

٢ ـ لقد اعتمد النديم فى نضاله الوطنى على الطبقات الشعبية وخصوصا الفلاحين حيث أنهم غالبية الشعب المصرى فى حين أن دعوة مصطفى كامل اقتصرت على المثقفين فى المدن وساعد على ذلك أن دعوته لتوثيق روابط مصر مع تركيا جعلت الفلاحين الذين ذاقوا الأمرين من العسف التركى يتجنبون دخول حزبه ، ولن يتغير ذلك الوضع الا بعد حادث دنشواى الذى كان فرصة لتوصيل صوت مصطفى كامل لآذان الفلاحين فهتف الفلاح وابنه وامرأته باسمه وراء المحراث وفى طريق القرية وعلى سطح الدار (١٢١) .

---

(١١٨) من خطبة مصطفى كامل التى القاها فى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧

(١١٩) ان صفحات اللواء تثبت ذلك ففى العام الأول من حياة هذه الجريدة نشرت مقالات كثيرة عن الدولة العثمانية مثل « سلامة الدولة العثمانية » ، « اتحاد كلمة المسلمين » ، « قوة الخلافة الاسلامية » ، « دعوة عامة الى المسلمين » ، « عيد الخلافة والاسلام » ، « مصر والدولة العلية » ، « بقاء الدنيا موقوف على بقاء الدولة العلية » ، واستمرت اللواء حتى العام الثامن من عمرها تنشر المقالات التى تربط مصر بالدولة العثمانية وسلطانها .

(١٢٠) انظر : الفصل السابع .

(١٢١) محمد مصطفى الهيهاوى : مصر فى ثلثى قرن بين الماضى والحاضر ــ القاهرة ــ محمد على منصور ١٩١٩ ، ص ٣٢

٣ — ان مصطفى كامل استطاع عرض قضية بلاده على الرأى العام العالمى واكتساب الأنصار لها فى الخارج وذلك لقدرته على التحدث بالفرنسية ، ولأن ظروف العمل الوطنى كانت تحتم عليه ذلك ، كما أنشأ جريدتين أفرنكيتين (١٣٢) احداهما بالفرنسية وهى ليتندار اجبسيان L'Etendard Egyptien والأخرى بالانجليزية وهى ذى اجبشين استاندار The Egyptian Estandard. بينما لم يتمكن النديم من القيام بذلك أولا لأنه لا يجيد التحدث باللغات الأجنبية ، وثانيا لأن ظروف الكفاح الوطنى حتمت عليه التواجد بمصر سواء فى فترة الثورة العرابية أو ما بعدها .

٤ — ان مصطفى كامل كان عفيف القلم واللسان يطالب بحقوق بلاده بأسلوب بعيد عن السباب والشتائم وقد عبر عن ذلك بقوله : « اننا نعلم أن الصحافى اذا جعل الشتائم فى مواد جريدته أنزل نفسه بنفسه من مقام الواعظ الصادق والناصح المرشد والقائد لحركة الأفكار والميول فى الأمة الى وظيفة الصعلوك الحقير الذى ينبح ليله ونهاره كما تنبح الكلاب (١٣٣) » بينما كان للنديم مواقف غير ذلك ، وخصوصا فى فترة الثورة العرابية (١٣٤) لقد عاش النديم معتل الصحة كثير الأمراض وكذلك كان مصطفى كامل ومع ذلك فلم يعرف أى منهما طعما للراحة ولم يعط أى منهما لبدنه حقه بل كانا يجدان اللذة فى العمل بيد أن تكوين كل منهما الضعيف لم يتناسب مع روحيهما القوية التى يصعب ترويضها على الاستكانة أو المهادنة فواصلا بذل الجهود

---

(١٣٢) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : رسالة الباحث للماجستير السابقة الذكر ، ص ١٩٥

(١٣٣) اللواء : العدد الرابع فى ٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الصحافة فى مصر » .

(١٣٤) انظر : أعداد الطائف .

فى سبيل مصر تارة فى مرح وتارات أخــرى فى ترح حتى استنفذا حيويتهما » •

لقد مات النديم بعد أن نشب الدرن الرئوى أظفاره فى جســده وذلك ما حدث مع مصطفى كامل حيث يذكر محمد فريد أنه لمـا عاد مصطفى كامل من أوربا « ذهب لمقابلته باسكندرية على الباخرة وكان الدكتور رمضان بانتظاره باللوكاندة ، ولمـا رآه مصفرا أخضر اللون قال لى همسا ان حالته الصحية غير مرضية ولابد أن يكون مصــابا بالســل [١٢٥] » •

لقد كان لاتصال مصطفى كامل بالنديم أكثر من معنى « وكان أجل هــذه المعانى وأسماها اتصال الثورات وانتقال الشعلة من يد الى يد ومن جيل الى جيل ، لا تخبو ولا تسقط ، فقد كان مصطفى كامل تجسيدا لروح الثورة الحقيقية فى حركة عرابى ، فالتقطها من أحــد ثوارها عبد الله النديم [١٢٦] » •

---

(١٢٥) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد : الجزء الأول . القســم الأول ، ص ٣

(١٢٦) فتحى رضوان : مصطفى كامل . القاهرة . دار المعــارف ١٩٧٤ ، ص ٣٦٧

الباب الثالث

مصر فى مفهوم النـديم السياسى

الفصل السابع : النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية

الفصل الثامن : فكر النـديم السياسى •

الفصل السابع

النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية

- موقف النديم من فكرة الجامعة الاسلامية .
- النديم وفكرة الجامعة الشرقية .
- النديم والأفغانى فى القفص السلطانى .
- المبارزة الفكرية بين النديم والصيادى .
- النديم رسول الخديو لدى السلطان .

١ ــ موقف النديم من الجامعة الاسلامية :

لقد كان مبعث ولاء المصريين لسلطنة العثمانية دينيا حيث كانوا مكلفين شرعا بطاعة السلطان باعتباره الخليفة والأب الروحي للمسلمين (١) ، ولما كان مقره في « استنبول » فان قلوب غالبية المصريين كانت تهفو اليها (٢) . كما كانت الفكرة المتسلطة على العقول في ذلك الوقت هي ضرورة طاعة السلطان حيث « له عليهم الولاية العامة ، والطاعة التامة والسلطان الشامل ، وله حق القيام على دينهم ، فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه ، وله بالأولى حق القيام على شئون دنياهم أيضا وعليهم أن يحبوه بالكرامة كلها لأنه نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعليهم أن يسمعوا له ويطيعوا لأن طاعة الأئمة من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله(٣) » وكان قاضي مصر عثمانيا يقلد من قبل السلطان ، والمندوب أو القومسير العثماني موضع التجلة والاكرام (٤) ، ولم يكن هناك ما يسمى جنسية مصرية فكلمة عثماني كانت تنطبق على كل من يقطن البلاد العثمانية ومنها البلاد العربية ، وقد حددت العلاقة بين مصر والدولة العثمانية عدة فرمانات ، كما تحدد مركز مصر الدولي على أثر الأزمة الدولية التي

---

(١) عن انتقال الخلافة الى آل عثمان انظر :
د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ــ ١٩١٤ القاهرة . مكتبة سعيد رافت . الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، ص ١٢.

(٢) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، ج ١ ص ١١٣

(٣) على عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم ــ بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام .
القاهرة ــ مطبعة مصر . الطبعة الثانية ١٩٢٥ ، ص ٣

(٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ص ٢٠

أثارها النزاع بين محمد على والسلطان بتسوية ١٨٤٠ — ١٨٤١ (٥).
وقد استغلت الدول الأوربية وخصوصا انجلترا وفرنسا العلاقة الرسمية التى تربط مصر بالدولة العثمانية فى التغلب على الصعوبات التى واجهتهم .

فعندما رغبت انجلترا وفرنسا فى عزل اسماعيل أوعزا الى السلطان حتى أصدر أمره بذلك (٦) كما استغلت انجلترا التأثير الدينى للسلطان العثمانى فى نفوس المصريين ، فحاولت عن طريق هذا التأثير اضعاف مركز عرابى وتغيير ميزان المعركة لصالحها فضغطت على السلطان (٧) بالتهديد تارة وباستخدام كافة الوسائط ومنها الرشوة تارة أخرى حتى أصدر السلطان منشورا بعصيان عرابى (٨) مما تسبب

---

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر : د. احمد عبد الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ، ص ٥
وللرجوع الى نصوص التسوية انظر : المرجع نفسه ص ٢١٣ — ٢٢٤

(6) Dicey, E. The story of the Khedivate pp. 250 - 251.
انظر ايضا : د. احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق الذكر ص ٢٠٠ — ٢١١

(٧) محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٢

(٨) دار الوثائق القومية : ملف ثابت باشا محفظة ١٦٤ عابدين — خطاب من ثابت باشا الى رئيس ديوان الخديو ، احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٨٧
ويذكر عبد الرحمن الرافعى انه لو ترك السلطان وشانه لما فكر فى اصدار هذا الاعلان لأنه فى خاصة نفسه لم يكن يعطف على الخديو توفيق ولا يميل الى تثبيت سلطته .
عبد الرحمن الرافعى : الزعيم احمد عرابى ، ص ١٢٨
كما ذكر على فهمى كامل انه لم يكن بين الانعام على عرابى بالنيشان السلطانى وبين اعلان عصيانه سوى شهرين .
انظر مصطفى كامل : فى ٣٤ ربيعا ، جـ ٤ ص ٣١
فى حين اننا نرى انه بجانب ضغط انجلترا على السلطان لاصدار منشورا باعلان عصيان عرابى فان هناك عاملا هاما آخر وهو ان السلطان
=

فى قلب ميزان الحماس الشعبى وأوضاع التأييد الاسـلامى والعربى للثورة العرابية (٩) حيث كان عرابى يعتمد فى حربه ضـد الانجليز على أنه يدافع عن حقوق السلطان ، وعلى الرغم من أن النـديم من تلاميذ الأفغانى صاحب فكرة الجامعة الاسلامية ، وعلى الرغم من أن فكرة القومية الاسـلامية كانت متفوقة فى أذهان الكتاب والمفـكرين والأدباء فى ذلك الوقت (١٠) على القومية المصرية الا أن النديم كانت له وجهة نظر أخرى تخالف وجهة نظر أستاذه الأفغانى . كما تخالف

لم يكن مرتاحا للحركة الوطنية فى مصر لانه كان يخشى انتشـار مفهوم الثورة منها الى باقى ولايات دولته كما ان الثورة العرابية طرحت مفاهيم تستنكرها الدولة العثمانية كل الاستنكار مثـل فكرة اعـلان الجمهورية وتوزيع الأرض على الفلاحين .

(٩) لقـد كان موقف الدولة العثمانية من ثورة عرابى متقلبا حتى اختلط الأمر على الناس فلم يميزوا من هو الخائن اهو الخديو أم عرابى .

الهـلال : عـدد سبتمبر ١٩٦٥ ، ص ٧٦ ، مقـال للدكتـور عبد العزيز نوار تحت عنوان « ثورة ١٩١٩ واثرها فى الحركات النضـالية» وتذكر الوثائق البريطانية ان السلطان اتبع فى أثناء الازمة ما يتنافى مع اخلاقه ومبادئه وتبنى وجهات النظر الأوربية .

F. O. 407 Inclosure 6 in No. 1444. Vice-Consul Borg to sir E. Malet.

كما وصف الأستاذ محمد شفيق غربال سياسة الدولة العثمانية تجاه مصر بأنها سياسة ضعيفة خبيثة .

انظر : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٣٢ .

(١٠) شارك الأدباء والصحفيون فى الدفاع عن الدين فلفت قاسم أمين الأنظار اليه باخراج كتاب تحت عنوان : «Les Egyptiens» صدر عام ١٨٩٤ للرد على (دوق داركـور) الفرنسى الذى هاجم الدين الاسـلامى .

Kassem Amin : Les Egyptiens. Le Caire 1894.

وجهة نظر الامام محمد عبـده والشيخ يوسف (١١) صاحب جريدة المـؤيد .

فالأفغانى والشيخ محمد عبده والشيخ على يوسف كانوا يفهمون الوطنية على أساس دينى ، ومثل هـذا الشعور دفع بالشيخ محمـد عبـده الى القول بضرورة « المحافظة على الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله وانها وحدها الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان فى سواها وأنا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت (١٢) » .

هـذه كانت وجهة نظر محمد عبده ، وهى وجهة نظر الكثرة من المفكرين من معاصرى النـديم .

أما النـديم فكانت له وجهة نظر أخرى حيث كان يفضل الولاء للوطنيـة عن الارتباط بجامعة الدين بحيث اذا تعـارض الدين مع الوطنيـة فانه يفضل الوطنية (١٣) ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ان عز

---

(١١) رغم اعتراف الشيخ على يوسف بوجود أمة مصرية الا انه كان يرى ضرورة تبعيتها للدولة العثمانية حيث يقول : « ان الأمة المصرية ليست مستقلة فى حياتها السياسية وانما هى تابعة لكرسى الخلافة العثمانية » .

المؤيد : فى أول فبراير ١٨٩٢ عن عنـوان « مصر بين يدى أميرها الحـديد » .

(١٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٩٠٩

(١٣) الأستاذ : العدد الثلاثون فى ١٤ مارس ١٨٩٣ تحت عنـوان « تجاذب الجنسيات والأديان » ص ٧٠٥ — ٧١٢

فى حين يذكر الشيخ محمد عبده « ان الخلافة الاسلامية حصـونا واسوارا وأن أسوارها ما استحكم فى قلوب المؤمنين من الثقة بهـا ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية فى قلوب المسلمين، الا ما أتاهم من قبل الدين » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٩٠٩

الاستقلال بالوطنية خير من الاذلال بجامعة الدين (١٤) » ، ومع ذلك فانه لم ينكر حق السلطان العثمانى كخليفة قائم بأمر المسلمين (١٥) بل ناشد أبناء وطنه بوضع أيديهم فى يده فقال « ضعها فى يد وطنيك وأعقد خنصريكما على محبة أمير البلاد وسيدها الخديو المعظم مرتبطة هـذه المحبة بمحبة أمير المؤمنين الخليفة المعظم (١٦) » .

وعندما وقعت أزمة الانقلاب الوزارى ١٨٩٣ وتمسك الخديو بحقه فى تعيين وزرائه قال النديم ان الخديو طبق « ما فوضه اليه السلطان من السلطة ، وما أوجبته عهود الوراثة من الحقوق وما له على الرعية من حقوق الطاعة (١٧) » كما أعلن فى مجلته أنه لم يخدم غير السلطان والخديو فقال : « والأستاذ مع كونه متمخضا فى الوطنية عريقا فى المصرية لا يخدم غير سلطانه ، ولا يعرف غير أميره (١٨) » .

كما دافع النديم عن الدولة العثمانية واعترف بسيادتها الدينية وهاجم الذين يرمونها بالعجز بقوله : « واننا نرى كثيرا من المغفلين ..

---

(١٤) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٣٢ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

وقد انتقد الشيخ محمد عبده موقف النديم هـذا بقوله ان : « من ظن أن اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شاكل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين فى انهاض الهمم ، وسوقها الى الغايات المطلوبة منها ، فقد ضل سواء السبيل » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٥٠٦

(١٥) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤٥ تحت عنوان : « الحقوق المقدسة » .

(١٦) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ تحت عنوان « هذه يدى فى يد من أضعها » .

(١٧) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ ، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(١٨) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩١٧

يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الحكام ولو أنصفوها لقالوا أنها أعظم الدول ثباتا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة .. لأنها دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية [١٩] » ولكن عندما تعارضت مصلحة الوطن مع الدولة العثمانية فان النديم كان يقف بجانب الوطن ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما تآمر الجراكسة على اغتيال زعماء الثورة[٢٠] وتمت محاكمتهم ورفض الخديو التصديق على الأحكام وشرع فى عرض الأمر على السلطان طالبا ارسال لجنة لاعادة التحقيق [٢١] ثار النديم وهاجم موقف الخديو واعتبره تنازلا عن امتيازات مصر واستقلالها الداخلى [٢٢] .

ولما حاول السلطان استغلال الخلاف بين العرابيين والخديو بهدف عودة سلطانه المتدهور فى مصر ، وتثبيت السيادة التركية عليها [٢٣] فأرسل بعثة لتقصى الحقائق والتحقيق فى أمر الخلاف [٢٤]

---

(١٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٨

(20) Parliamentary Papers. Egypt No. 7 (1882).

تلغراف من سير مالت لايرل جرانفيل بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٨٢

أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٥٦ ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق ، ص ٩٦ (مخطوط بدار الوثائق) .

وايضا جريدة مصر : العدد ١٦ فى ١٩ ابريل ١٨٨٢ تحت عنوان « مكر سيىء » .

(٢١) ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ عابدين — تلغراف من الخديو الى ثابت باشا .

وأيضا محفظة ١١٦ ابحاث .

(٢٢) سجلات الثورة العرابية : سجل رقم ٩٠ تحت عنوان : « مكاتبات المعية السنية » .

(23) Cromer : Modern Egypt Vol. 1. p. 194.

(24) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

وقد وصلت هذه البعثة الى الاسكندرية فى ٧ يونيه ١٨٨٢

الوقائع المصرية : العدد ١٤٢٨ فى ٨ يونيه ١٨٨٢

لم يظهر النديم العداء لها فى أول الأمر (٢٥) لعلها تنضم الى صفوف الوطنيين وحتى لا تنحاز الى الخديو ، ولكن عندما أشيع أن السلطان أرسل البعثة لحث عرابى على قبول المذكرة المشتركة لم يتورع النديم عن مهاجمة هذه الفكرة فعقد اجتماعا بالاسكندرية ضم حوالى عشرة آلاف شخص هاجم فيه المذكرة ومؤيديها (٢٦) كما حرض الأهالى « ضد الأوربيين والأتراك (٢٧) » .

ولما أساء درويش باشا استقبال وفد علماء الأزهر ولم يقبل تدخلهم فى الشئون السياسية ، ولن يلجأ الى مشورتهم (٢٨) واتضحت نواياه ضد الحركة الوطنية حين طالب عرابيا بالتنازل عن سلطاته(٢٩) بقوله له : « أريد أن تحيل على ديوان الجهادية وتتوجه الى الحضرة السلطانية (٣٠) » وارساله تلغرافا الى الآستانة يطلب ارسال فرق

---

(٢٥) كان النديم يكره درويش اشد الكره ويوجس منه خيفة ، وطالما أعلن الى اصحابه أنه لا يأمن الاتراك بوجه عام ، ولا يدرى هل جاء درويش للقضاء على عرابى أم للقضاء على توفيق .

محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧٥

(26) Blunt : op. cit., p. 329.

(٢٧) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم١٨ ملف ٤٦ شهادة الياس ... الشامى المعاون بالضبطية عن حوادث الاسكندرية .

(28) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٢٩) كان من ضمن الأوامر المعطاة الى درويش باشا القبض على عرابى ورفاقه وارسالهم مغلولين الى الاستانة .

انظر : محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٧٢

وعن المؤامرة التى دبرها درويش باشا قبطان الباخرة التركية عز الدين لترحيل عرابى الى الاستانة .

انظر :

F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٣٠) د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٦٧

عسكرية تركية الى مصر [٣١] لم يتردد النـديم فى مهاجمة سـياسة الدولة العثمانية تجاه القضية المصرية فقعد اجتماعا فى المكان المعد للصـلاة بالجامع الأزهر [٣٢] حيث خطب فى جمع تجاوز أربعة آلاف شخص حمل فيـه على البعثة التركية والخديو حملة مؤثرة كان لهـا أكبر الأثر فى النفوس [٣٣] مما هز مركز درويش ، وجعل المجتمعين ينادون برحيله ولو بالقوة [٣٤] •

وعندما أصـدر السلطان منشورا باعلان عصـيان عرابى هاجم النـديم المنشـور وطالب بالاسـتمرار فى الدفاع عن الوطن حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم [٣٥] •

هكذا فضل النديم الوطنية المصرية على الارتباط بجامعـة الدين مخالفا فى ذلك مفكرى وكتـاب عصره [٣٦] الذين كانوا يعتبرون أن الولاء للدولة العثمانية ثالث العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، كما أنه فضل أيضا جمع الشعوب الشرقية بغض النظر عن الدين وعن فـكرة الجامعة الاسلامية •

---

(31) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(32) Blunt : op. cit., p. 27.

(33) Blunt : Ibid. p. 308.

(34) Blunt : Ibid. p. 332.

(٣٥) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٥ ص ٢٤٨
والجدير بالذكر ان الباب العالى كان مصمما على ارسال جيش عثمانى الى مصر بشرط جلاء القـوات الانجليزية عنها عنـد وصـول الجنـود العثمانية اليها •
لمزيد من التفاصيل • انظر : اسماعيل سرهنك • حقائق الأخبـار ، ج ٢ ص ٤٠٤

(٣٦) حتى مصطفى كامل الذى تتلمذ على النديم وأخـذ الكثير من افكاره اختلف معه فى ذلك وفضل الولاء للدولة العثمانية والميل للجامعـة الاسـلامية •
انظر : الفصل السادس •

النديم وفكرة الجامعة الشرقية :

على الرغم من أن النـديم أحـد تلاميذ الأفغانى فانه لم يتفق معه فى كل آرائه فبينما نادى الأفغانى بفكرة الجامعة الاسلامية لجمع شمل البلاد الاسلامية فى مواجهة النفوذ الأجنبى خصوصا الانجليزى والروسى (٣٧) حيث رأى أن هناك قومية اسلامية تجمع بين المسـلمين مهما اختلفت بلادهم وأن « الأصول الدينية الحقة تنشىء للأمم قوة الاتحـاد وائتـلاف الشـمل وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع المعارف (٣٨) » وأنه « لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم (٣٩) » — نجد النـديم يرفض هـذه الفكرة حيث أنهـا قائمة على أساس دينى ، ويرى أهمية الشعوب الشرقية بغض النظـر عن الدين لأن خطـورة الاستعمار لا تتمثل فى تهديد مسلمى الشرق وحدهم بل تشمل كافة الشرقيين بغض النظر عن دينهم فطالب باتحاد الأمم الشرقيـة من « عرب وعجم وترك وجركس وأرمن وغيرهم على اختلاف دينهم (٤٠) »

---

(٣٧) د. محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ، ص ١٨

(٣٨) العروة الوثقى : فى ١٤ يوليو ١٨٨٤ تحت عنوان « الوحدة الاسـلامية » .

(٣٩) العروة الوثقى : فى ٢٦ يوليو ١٨٨٤ تحت عنوان : « الجنسية والديانة الاسلامية » .

(٤٠) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيو ١٨٩٢

واذا كان النديم قد رفض الجامعة الاسلامية لأنها قائمة على أساس دينى ودعا الى الجامعة الشرقية التى تضم كافة الأديان فان « سليم تقلا » صاحب « الأهرام » رفض ايضا فكرة الجامعة الاسلامية وفضل عليهـا الجامعة العثمانية حيث نادى « بوجوب تاييد التبعية العثمانية واحترامها وتوثيقها والمحافظة عليها بالنفس والنفيس » .

الأهرام : فى ١٠ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان (لمحة — مستقبلنا) كما نفى « لطفى السيد » بعد ذلك وجود أى اثر للجامعة الاسلامية بقـوله :

لأنه عندما « تعددت وحدة الملك فى الشرق .. وضعفت قوته العظيمة بتجزؤ ممالكه سهل على الغرب شن الغارة عليها[٤١] » وناشد الشرقيين جمع الشمل وتوحيد الكلمة لمقاومة خطر الاستعمار الغربى فقال : « اذا شددنا أزر بعضنا ، وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتركية أمكننا أن نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم . وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوربا أن تطردنا الى رءوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى » وتصدق فى قولها : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا[٤٢] » .

كما ذكرهم بأن الأمة الكثيرة العدد والأقطار .. تحفظ مركزها الجغرافى باجتماع كلمتها فاذا تجزأت وصارت قطعا سهل على غيرها من الأمم أن يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانفصالها عن العضد والمعين[٤٣] » .

وعندما بعث أحد المسلمين بمدينة بطرسبرج برسالة الى النديم يسأله عن خطته فى الوقوف أمام الأعداء رد عليه النديم بأنه يدعو الى الوحدة الشرقية بغض النظر عن الدين لأنه عندما يتبادل علماء المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين العلوم ، وتتشكل منهم المحافل

=

« الجامعة الاسلامية لا اثر لها فى مصر ولا نظن ان لها وجود فى غير مصر » .

الجريدة : فى ٧ مايو ١٩٠٧

(٤١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٢٧ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٤٢) الأستاذ : العدد الثاني والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٣٢ — ٥٣٣

تحت عنوان : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٤٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٢٧

فانهم « لا ينظرون الا من وجهـة نظـر واحـدة هى حفظ الشرق للشرقيين (٤٤) » .

وحذر من التنافر بين الشرقيين وطالب بجمـع الشمل موضحا الطرق الموصلة الى التقدم فقال : « لا يتوقف التقدم الا على قطـع الأضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الأجناس الشرقية ولا يكون ذلك الا بالتربية على الآداب ومكارم الأخـلاق . وليس القصد بهذا الجمع أن تثور فى وجه الأجانب مزحزحا لهم عن أوطانك بل القصد أن تشابه الأجنبى فى سعيه العلمى والتجارى .. واذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسـيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقى كأن تكون مصريا وترى شرقيـا ينفرك من السورى أو التركى فاعلم أنه أجير يشتغل لغيره (٤٥) » .

كما رأى أن الدولة الشرقية حينما تطرح فى أرض مصر تبدأ من الحريات ومن النهضة الصناعية والزراعية والثقافية لذلك اهتم بحرث الأرض وتهيئتها للبذار (٤٦) » .

وكما ظل الأفغانى مناديا بفكرة الجامعة الاسلامية حتى فى أحرج اللحظات ونادى فى جريدته « العروة الوثقى » بدعوة المسلمين الى

---

(٤٤) الأستاذ : العـدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٨٠ ، تحت عنوان : « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

والجدير بالذكر أن فكر النديم السياسى قد اتخذ طابعا علمانيا منـذ ظهوره على صفحات الجرائد المصرية بمعنى اعتبار الفكرة الوطنية فوق كل الخلافات الدينية .

(٤٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ١٢٦—١٢٧ تحت عنوان : « انمـا يقبل النصيحة من وفق » .

(٤٦) مجلة الكاتب : العدد ١٠٤ فى نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٤

مقال للأستاذ : أحمد عباس صالح تحت عنوان : « دراسـة فى الموقف المصرى والثورة » .

الوحدة الصحيحة جاعلين امامهم الأعظم فى ذلك القرآن الكريم (٤٧) فان النديم ظل متمسكا بفكرة الجامعة الشرقية حتى بعد عودته من منفاه ، وكانت صفحات جريدته « الأستاذ » مجالا لنشر المقالات الخاصة بتنبيه الشرقيين الى الأخطار المحدقة بهم (٤٨) وضرورة الوقوف فى وجه التدخل الأجنبى (٤٩) وكما أن الاستعمار لم يطلق صبرا بالعروة الوثقى (٥٠) فانه أيضا لم يطق صبرا بالأستاذ (٥١) الذى كان له دور مؤثر ، وأحدث تأثيرا سياسيا وأدبيا له شأن (٥٢) .

٢ — النديم والأفغانى فى القفص السلطانى :

ذكرنا أنه بعد هزيمة القوات المصرية واحتلال الانجليز لمصر نفى النديم الى يافا ، وفى أثناء اقامته بها لم يستطيع الوفاء بشرط الحكومة المصرية بخصوص عدم التحدث فى السياسة (٥٣) اذ ما أن وصل اليها حتى تجمع حوله العلماء والمثقفون وأعيان البلاد فتطرق حديثه الى مصر والى المساوىء التى سببها الاحتلال الانجليزى لها كما تعرض لسياسة الدولة العثمانية فأخذ ينتقد السلطان الذى خذل مصر فى محنتها ، وأعلن عصيان عرابى ارضاء للانجليز ولهذا لم تطل

---

(٤٧) محمد رشيد رضا : المنار : العدد ٢٢ من السنة الثانية فى ١٨٩٩/٨/١٢ ، ص ٣٣٧

(٤٨) نفسه : ص ٣٣٩

(٤٩) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ٧ [illegible] ١٨٩٣ ، ص ٥٣٢ ، تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٥٠) صدر قرار من رياسة مجلس النظار بمنع دخول العروة الوثقى الى البلاد المصرية .

محفوظات مجلس الوزراء — مجلس النظار — محفظة ٥ ى .

(٥١) توقفت بعد اقل من عام من صدورها .

(٥٢) محمد رشيد رضا : المنار : العدد السابق الذكر ، ص ٣٣٩

(٥٣) عن هذا الموضوع انظر : الفصل الخامس .

مدة اقامته بيافا اذ بلغت السلطان أقواله (٥٤) فأمر باخراجه منها رغم أنه لم يستقر فيها سوى أربعة شهور (٥٥) ، ولم يكتف بذلك بل أمر بابعاده أيضا عن كافة البلاد التابعة للدولة العثمانية (٥٦) ومنها مصر فتأزم الموقف بالنسبة للنديم وظل حائرا لا يدرى الى أين يتجه فأرسل الى الاسكندرية (٥٧) حتى تقرر الحكومة أمرا فى شأنه ، وفى خلال ذلك قابله الغازى مختار باشا ، وشجعه على السفر الى الآستانة (٥٨) وسعى له فى ذلك (٥٩) ، ولما كان من سياسة السلطان عبد الحميد فى تلك الفترة استرضاء أرباب الأقلام وذوى الأفكار الثائرة (٦٠) — وخصوصا العرب — واستمالتهم واغداق الكثير من الأموال عليهم لارضائهم (٦١) ثم التحفظ عليهم فى الآستانة حتى

---

(٥٤) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٥٥) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(٥٦) مذكرات محمد فريد : الجزء الثالث . كراسة ١٦ ص ٢٥

جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ١١٠ — ١١١

(٥٧) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٥٨) مذكرات محمد فريد : القسم الاول — الجزء الثالث . الكراسة ١٦ ، ص ٢٥

(٥٩) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٩

(٦٠) فى اواخر عام ١٨٩٢ أرسل السلطان عبد الحميد يستدعى جمال الدين الأفغانى الى الأستانة . بحجة مشاورته فى الاصلاح فقبل الدعوة بعد تردد وذهب الى الأستانة .

يوسف نعمان معلوف : المرجع السابق ، ص ٢٠٦

وحين دخل العاصمة التركية لم يستطع مبارحتها اذ قضى فيها مايزيد على اربع سنوات اثناءها تحت المراقبة الصارمة .

المجلة التاريخية : المجلدان التاسع والعاشر ٦٠ — ١٩٦٢ مقال للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى تحت عنوان « افكار جمال الدين الأفغانى السياسية » ص ٢٢٩ — ٢٣٠

والجدير بالذكر انه سبق الأفغانى فى ذلك المصير « ابراهيم المويلحى » انظر : مجلة الرسالة : العدد ٢٥٠ فى ١٨ أبريل ١٩٣٨

(٦١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ص ١٠٨

يكونوا على مقربة منه ، وتحت سمعه وبصره لينتقي مهاجمتهم له ويضمن تأييدهم لسلطته الزمنية [٦٢] ويعزز بهم مكانته ويوطد سيطرته [٦٣] خاصة وأنه تمسك بحقوقه في الخلافه على أساس أنها تضفي عليه نوعا من القداسة ، وتجعله في مأمن من النقد والتجريح ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، وساعده على تحقيق مبتغاه نمو الحركة الاسلامية التى يتزعمها الأفغانى [٦٤] — أقول لما كان من سياسة السلطان عبد الحميد كل هـذا قبلت سعاية الغازى مختار باشا وسافر النديم الى الآستانة، وصدرت الأوامر السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالى [٦٥] بمرتب قدره (خمسة وأربعين دينارا مجيديا فى الشهر [٦٦]).بالاضافة الى مبلغ الخمسة والعشرين جنيها التى كان يتقاضاها من الحكومة

---

(٦٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٦

(٦٣) توفيق على برو : العرب والترك فى العصر العثمانى الدستورى ١٩٠٨ — ١٩١٤
القاهرة — معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ ، ص ٣٠٥

(٦٤) د. محمد انيس : المرجع السابق الذكر ، ص ١١٦

(٦٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٣
محمد حسنى العامرى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٩ بينما يذكر احمد تيمور ان الحكومة العثمانية استخدمت النديم فى ديوان المعارف .
انظر : تراجم اعيان : ص ٢٧ ، اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٦٦) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ٢٧
والدينار عملة ذهبية استخدمها المسلمون فى عصور مختلفة ، وقد ورد لفظ الدينار فى سورة آل عمران من القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما » آية ٧٥
احمد عطية الله : القاموس الاسلامى — المجلد الثانى — النهضة المصرية ١٩٦٦ ، ص ٤٢٤
وقد نقل العرب هذه العملة عن الفرس .
Webster's Dictionary. Springfield. Mass 1878 p. 375.

المصرية [٦٧] ، وهنـــاك نال الحظوة لدى المقام السلطانى ، وتعرف على كثير من الوزراء وأرباب المكانة العلمية [٦٨] ، ولكنه اختص بالملازمة والصحبة جمال الدين الأفغانى [٦٩] .

وغريب أن يقبل النديم وظيفة مفتش المطبوعات وهو الذى كان ينال الأذى دائما من ادارة المطبوعات المصرية ، وأن يرضى بتحكمه فى الصحف ، وهو الذى كان يأبى أن يتحكم فيه أحـــد ، وأن يكون أداة لتقييد الحرية بعـــد أن كان داعية لتأييد الحرية [٧٠] ، ولكن الأستاذ « أحمد أمين » يعلل ذلك بقوله : ان هـــذه الوظيفة كانت اسمية ، وكان الغرض منها أن يمنح النـــديم مرتبا فى مظهر غير وضيع [٧١] وعلى كل حال فقد دخل النـــديم « القفص السلطانى [٧٢] » بعد أن سبقه اليه أســـتاذه الأفغـــانى حيث تجمـــد نشـــاطهما وتـــكاثرت العيون حولهما [٧٣] .

لقد كان قفص جمال الدين ضيقا ولكنه من ذهب حيث كان يعيش فى مظاهر خداعة من عطف السلطان الذى كان يحترم الأفغـــانى وفى نفس الوقت يخافه ويراقب خطاباته، ويختفى وراء ستار لملاحظته [٧٤]

---

(٦٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣

(٦٨) نفســـه .

(٦٩) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٧

(٧٠) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٣

(٧١) أحمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٤٣

(٧٢) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٣

(٧٣) كانت الأسس التى شيد عليها السلطان عبد الحميـــد حكمه قائمة على الجاسوسية والارهاب .

انظر : جورج انطونيوس : المرجع السابق ص ٦٤ ، مجلة الثقافة : العـــدد الثالث عشر فى ٢٨ مارس ص ٢٤ مقـــال للأستاذ عبـــد المنعم حمادة تحت عنوان : « جمال الدين الأفغانى » نبذة عن حياته .

(٧٤) د. آلمـــا وتلن : عبد الحميد ظل الله فى الأرض — ترجمة راسم رشدى . القاهرة ١٩٠٥ ، ص ١٧٥

أما قفص النـــديم فقد كان واسعا من حديد اذ كانا يختلفان بمقـــدار خطورة كل منهما على السلطان ، وبمقدار مكانته وحسبه ونسـبه ، فالأفغانى يتقلد رياسة العمل فى سبيل الدعوة للجامعة الاسلامية [٧٥]، وينزله السلطان فى دار ضيافة خصه بها ، ويجـرى عليـه الأرزاق الوفيرة [٧٦] ويضع تحت تصرفه عربة وخدما وحشما ، ويعرض عليه مشيخة الاسلام فيأبى [٧٧] أما النديم فلا خدم ولا حشـم فهو من الشعب وابن الشعب وخادمه •

وفى جو كبت الحريات والاحاطة بالجواسيس اتصلت أسـباب الألفة وتمكنت روابط الاتحاد حسا ومعنى [٧٨] بين كل من الأفغـانى والنـــديم فكان لا يصبر أحدهما عن فراق الآخر ، ولا يطيب له مجلس الا اذا كانا فيـــه معا [٧٩] فقد كانا شريكين فى مصير واحد هو قفص السلطان فجمعت بينهما المحنة والغربة [٨٠] •

عاش النـــديم فى الآستانة معطل المواهب فلا خطابة ولا كتابة ولا تهيج للأفكار ولا تحميس لأحد وهو الذى لم يعرف للهدوء طعما فأصبح فى وسط يكاد يختنق فيـــه لا يفرج عنـــه الا مجلس صـــديقه جمال الدين الأفغانى فيتحادثا ويشكو كل منهما للآخر تعذيب روحه الحبيسة فى القفص [٨١] وقـــد بلغ تعلق جمال الدين به ، وجميـــل اعتقاده فيه أنه أصبح وأمسى يعجب بقوة حجته فى المناظرة والجدل ؛

---

(٧٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٣٦
(٧٦) نفســه : ص ٢٠٢
(٧٧) أحمد أمين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٢
(٧٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٣
جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ١١١
(٧٩) عبد الفتاح نديم : المرجع نفســه .
(٨٠) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٤
(٨١) نفســـه .

وسرعة بديهته فى التحرير حتى صرح فى عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته فى توقد الذهن وصفاء القريحة ، وشدة المعارضة ووضوح الدليل ، ووضع الألفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب أو كتب [٨٢] .

المبارزة الفكرية بين النديم والصيادى :

والجدير بالذكر أنه كان يوجد بحاشية السلطان عبد الحميد الثانى فى ذلك الوقت رجل له أهمية فى التأريخ للدولة العثمانية فى تلك الفترة وهو « أبو الهدى الصيادى [٨٣] » الذى استطاع بذكائه وتزلفه ومهارته التغلب على عقل السلطان بتفسيراته وأحلامه وقدراته ومواهبه فى مجال العمل فى الدوائر والمؤسسات الاسلامية مثل الطرق ومشايخها [٨٤] حيث أن السلطان عبد الحميد الثانى كان فى ذلك الوقت فى حاجة الى قاعدة صلبة واسعة الانتشار يستطيع أن يستخدمها فى مواجهة التيارات السياسية والفكرية القومية والدستورية التى بدأت تفرض نفسها على حكومة الدولة العثمانية خاصة منذ حركة مدحت باشا الدستورية التى

---

(٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣
جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ص ١١١
الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٧

(٨٣) مسقط رأسه قرية خانشيخون فى نواحى حلب ، وهى بلدة صغيرة يقال أن جماعة من بنى الصياد الذين ينتسب اليهم توطنوا فيهما من قديم الزمان . أحد كبار الكتاب فى الاستانة : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى .
ادارة الرائد المصرى . د. ت ، ص ٩

(٨٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :
محمد ابو الهدى الصيادى : نفحات الامداد على نونيه سيدنا الامام الصياد ص ٢ — ١٩ ، وايضا : القواعد المرعية فى أصول الطريقة الرفاعية . بيروت — مطبعة المعارف . د. ت ، ص ٢ — ٦

جاء على أساسها عبد الحميد الثانى نفسه الى العرش ، وهذه التيارات كانت ذات طابع أوربى ، وهو طابع يرى فيه السلطان عبد الحميد نكبة على العالم الاسلامى بل محاولة للقضاء على الاسلام ودولته ؛ ومن هنا كان السلطان فى حاجة الى المفكرين الدينيين ليجمعوا حوله هذه القوة الكبيرة الممثلة فى علماء الدين فى مختلف ولايات الدولة العثمانية ليعملوا على توطيد حكمه والوقوف أمام الضغط الأوربى الفكرى أو السياسى أو حتى العسكرى ، وهذا يفسر لنا السر فى بحث السلطان عن شخصية عربية تمكنه من تحقيق هدفه هذا ووقع اختياره على أبى الهدى الصيادى (٨٥) لأن الرجل عرف كيف يلبى حاجات السلطان عبد الحميد النفسية والسياسية فى آن واحد .

وصل نفوذ أبى الهدى الى كل أرجاء الممالك التابعة للدولة العثمانية وتقرب اليه الولاة لنيل رضائه (٨٦) ، وامتد نفوذه من

---

(٨٥) هناك آراء اخرى عن أسباب تقرب ابى الهدى الصيادى من السلطان فيذكر « ولى الدين يكن » ان عداوات الصيادى مع الكثيرين وكثرة حاسديه كانتا السبب فى تقربه حيث اتخذهما ذريعة لاثبات اخلاصه للسلطان حيث اوهمه انه لو كان خائنا مثلهم ما ابغضوه فاظهر له السلطان الارتياح على ريبة من امره .
انظر : المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٧
كما يذكر « ابراهيم المويلحى » : ان ابا الهدى لما احس بالشر على نفسه اتفق مع بعض المقربين اليه على ترويج شائعة مؤداها أن عنده صورة فتوى بخلع السلطان عبد الحميد الثانى كان قد كتبها شيخ الاسلام المرحوم « عريانى زادة » بخطه وذيلها بخاتمه ، وانه لا ينشرها الا اذا احس بالخطر على نفسه ، ولما وصلت هذه الشائعة الى السلطان استرضى أبا الهدى وحال بينه وبين الهلاك واصبح لا يرد له طلبا .
انظر : ما هنالك . القاهرة — مطبعة المقطم ١٨٩٦ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨

(٨٦) يستثنى الخديو عباس الثانى من ذلك فقد كان دائم الخلاف مع الشيخ ابو الهدى الذى كثيرا ما كان يكيل له الدسائس عند السلطان .
انظر : احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٩٢

السياسة الى الجيش والادارة وسمى « مستشار السلطنة » و « عماد السياسة » و « مستشار الملك » و (حامى العثمانيين) و (سيد العرب) و (شيخ الشيوخ) و (العارف بالله) و « ركن الخلافة » الذى اليه ترجع فى خطوبها وتعول عليه عند اشتداد كروبها (٨٧) » .

ويذكر « ولى الدين يكن » أن الأفغانى كان صديقا لأبى الهدى وكانت المودة بينهما شديدة حتى وصل الأمر أن كان كل منهما يخاطب صاحبه بيا ابن العم ، ولا يصبر أحدهما على فراق الآخر يوما واحدا حتى سعى بينهما بالنميمة عبد الله النديم فتنافرا وبلغت منهما العداوة والبغضاء أن بات كل يطلب موت بغيضه (٨٨) . ومع أن لنا كثيرا من التحفظات على كل ما كتبه ولى الدين يكن عن النديم حيث كانت العداوة شديدة بينهما فاننا لا نستبعد أن يكون النديم فعل ذلك بعد أن سمع ورأى جبروت أبو الهدى الصيادى وبطشه بكل رأى حر وبعد أن أحس بخطورته على أستاذه .

كما كان من أسباب كراهية الصيادى للأفغانى منزلة الأخير لدى السلطان حيث كان الأفغانى يدخل على السلطان ويصلى الجمعة معه (٨٩) فقلب أبو الهدى له ظهر المجن ووسوس للسلطان فى أمره (٩٠) وعرقل عليه عمله فى شد أواخى الأخاء بين العثمانيين

---

(٨٧) احد كبار الكتاب بالاستانة : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى ، ص ٢٦

(٨٨) المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٩٧

(٨٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠٢

(٩٠) ذكر احد كبار الكتاب فى الاستانة أن ابو الهدى قد اشتهر بمصاحبة اهل السعاية والوشاية واللهو والبطالة والنفاق والشقاق فتراه يجالسهم ويجاملهم فيسهرون معه فى أغلب الليالى لتدبير الحيل وترتيب التقارير وتلفيق التزاوير حتى انه خرب بهذا السبب بيوتا كثيرة .

انظر : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين ، ص ٢٦

والفــرس أو بين أهل الســنة وأهل الشــيعة وأكثر من العيــون والجواسيس حوله (٩١) .

استغل النــديم عداء أبى الهدى الصيادى للأفغانى فى التنفيس عن قدراته المعطلة وأنكاره المكبوتة وخصوصا أنه تلميذ جمال الدين وصديقه وأن أبا الهدى يسعى فى ايذاء كل من يذكر الأفغانى بالخير (٩٢) بل قد زاد من حنق الصيادى على النديم أنه مصرى وقــد « أفتى واحد وعشرون عالمــا من علماء مصر بتكفيره وزندقته (٩٣) » .

ومن ثم فهو يكره المصريين ، ويريد أن ينتقم من كل مصرى فسود « صحيفة المصريين قاطبة أمام السلطان بغشه وتدليسه (٩٤) » .

ومع أن أبا الهــدى كان من الجبروت بحيث يخشــاه العظماء لنفوذه لدى السلطان (٩٥) فان النديم انطلق فى هجائه دون أن يعبــأ بسطوته وقدرته على الانتقام منــه (٩٦) حيث كان يلذ له مواجهــة العظماء ، ومنازلة الكبراء فى غير خوف لا يعبأ بالقوة ، ولا يخــاف البطش ، فاذا نازل أحــدا وسلط عليه لسانه كانت الكارثة فلا يبالى بالعظائم ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم (٩٧) فأخذ يخوض فى سيرته

---

(٩١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٨٨

(٩٢) نفســه : ص ٩٠

(٩٣) ابراهيم المويلحى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢١ — ٢٢٢.

(٩٤) نفسه : ص ٢٢٢

كما أيد ذلك احد كبار الكتاب بالآستانة بقوله : ان ابا الهدى كان « رجلا مدلسا واسع الذمة » .

أنظر : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين ، ص ٢٧.

(٩٥) المنــار : ج ١ ، ص ٥٩٩ — ٦٤٢

ولى الدين يكن : المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٨ — ٢٩

(96) Delanoue (Gilbert) op. cit., p. 96.

(٩٧) عبد الله النــديم : المسامير . القــاهرة . د. ت من مقدمة الكتاب بقلم الشريف ى. ن. هـ. م .

بلسان حاد فاضحا دسائسه وكتابته التقارير الملفقة للسلطان [٩٨] ، واتخاذه الدين ستارا لتنفيذ أغراضه ، وادعاءه الولاية ، وبلغ بتشهير النديم بالصيادي أن أطال سهاده وزاد من همومه وعن ذلك يذكر ولي الدين يكن أنه « لما كان المرحوم السيد جمال الدين والمرحوم عبد الله النديم على قيد الحياة كانا يخذلانه حتى تتبادر شئونه من عينيه . ولقد أطالا سهاده وضاعفا همه . فما كنت تسمع الا صخبا وعويلا متواصلا وشكايات أثر شكايات يطرق بها باب السلطان [٩٩]» .

ولما لم يستطيع أبو الهدى اسكات النديم اضطر الى الاستنجاد بالسلطان ليتخلص منه فدعاه الى القصر السلطاني وطولب بالكف عن هجاء أبي الهدى وكان السلطان « مطلا عليه من كوه يسمعه ويراه فاستشاط النديم غضبا ، وصاح بأعلى صوته لقد قلد مولانا السلطان أبا الضلال (يقصد أبا الهدى) وسام الافتخار فلألبسنه أنا وسام العار ويلازمه في حياته ، ويصحبه الى قبره بعد مماته ، فخاف من

---

(٩٨) لم يكن النديم وحده في هذا المجال فقد ذكر ابراهيم المويلحى انه اذا بحث الباحثون عن اى ضرر يحدث للدولة العثمانية وجدوا ابا الهدى سببه فقد كان للسلطان « كالشيطان للرحمن » وقد افرط في اضراره بالناس حتى انه يسعى في اهلاك قرية آمنة اذا سمع ان رجلا منها قال فيه كلمة يكون غير راض عنها .

ما هنالك : ص ٢١٤ — ٢١٥

وذكر احمد شفيق : الكثير من المساوىء المنسوبة للصيادى مثل علاقته بمعشوقه شكيب . انظر : مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ القسم الاول ، ص ٣٤٨ — ٣٥٠ ، ٣٩٢ — ٣٩٣

كما ذكر احد كبار الكتاب في الآستانة أن الصيادى كان « رجلا جبارا متصنعا مغرورا محتالا معجبا ساخرا مستهزئا كودا حسودا هلوعا جزوعا مناعا للخير محبا للشر بعيدا عن الحق » .

جلاء العينين في المحاكمة بين الشيخين في دار الخلافة العظمى ، ص ٢٦

(٩٩) ولي الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٧٦

بالقصر من وعيد النديم ، وأخذوا يتلطفون فى اسكاته ، ولم يستطيعوا ذلك الا بعد جهد أضناهم [١٠٠] » .

وقد نفذ النديم وعده فوضع فيه كتابا سماه « المسامير » تضمن هجاءه فى أسلوب « فى قوة تأثيره أحد من المناشير [١٠١] » وقد ذكر النديم أن الهدف من هـذا الكتاب هو « أن نبين الحق لأهل الطريق ، وأن نرشـد الاخوان لما فيه الصلاح ونبعد بهم عن أهل الفسـاد والطـلاح .. واذا بينا سير أهل الضلالة .. رفعنا الستار عن أعمال بن صـياد .. ونشرناها بين العباد [١٠٢] » .

وقد أدخل النديم ضمن شخصيات هذا الكتاب الشيطان فوضعه فى صورة الحزين الكئيب لظهور منافس له من بنى الانسان فاقه فى حيله وأحابيله ، وسلبه لسلطته وسطوته، كما وضعه فى صورة المستنجد من مكر وخداع أبى الهدى [١٠٣] ثم اتهم النديم والد أبى الهدى ووالدته بكافة الرذائل والموبقات التى تمس الشرف والنسب فقال عن والده الذى لقبه بزنطوط أنه « رجل من الشطار وكبار الدعار يسرق الكحل من العين ويخطف النار من يد اليقين . أمى من أجهل الجاهلين لا يفـرق بين الدين والطين [١٠٤] » وقال عن والدته التى لقبها بأم مطعون بأنها تزوجت شيطانا مريدا ، فتاكا قتالا سراقا ختالا . مجرما عاتيا [١٠٥] » ثم صور أبا الهدى بمداعبة ابليس واعطائه الارشادات [١٠٦] .

---

(١٠٠) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٦ — ١٧٧.
(١٠١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر . مقدمة الكتاب .
(١٠٢) نفسه : ص ٣
(١٠٣) عبد الله النديم : المسامير . المسمار الأول ، ص ١٠
ابو المعاطى ابو النجا : العودة الى المنفى . القاهرة . دار الهلال جزءان فبراير ومارس ١٩٦٩ ، ج ٢ ص ١٥٤
(١٠٤) المسامير : المسمارين الثالث ص ٢٠ ، والخامس ص ٤٢
(١٠٥) نفسه : المسمار الثالث ، ص ٢٥
(١٠٦) نفسه : المسمار السابع ، ص ٦٣

وما أن سمع أبو الهدى بأمر هـذا الكتاب حتى « قامت قيامته وأخذ يهدر كما يهدر الفحل اذا هاج (١٠٧) » فقد كوى النـديم بهذه المسامير الحامية جبهته (١٠٨) اذ شرح فيه تاريخ حياته وحياة أسرته بأسلوب لا يشرف صاحبه .

اتصل أبو الهدى بالسلطان عبد الحميد وأبلغه بأمر الكتاب وذكر له أن هجاء النديم شمله كذلك مما دفع السلطان الى التشديد فى البحث عن الكتاب ومصادرته فهاجم رجال البوليس بيت النديم وفتشوه ولكن النـديم كان قد سبقهم اذ أعطاه لأحد أصدقائه (١٠٩) الذى استطاع الفرار به الى مصر وطبعه فخرج مكونا من مقدمة وتسعة مسامير فى أربعة وتسعين صفحة ومزينا برسوم كاريكاتيرية ، ولم يهدأ للصيادى بال حتى رد على مسامير النـديم بكتاب « سماه صوت الهزار وزيق العذار (١١٠) » دافع فيه عن نفسه وهاجم النـديم بقوله : « ليقل كل خب ما شاء فى عرض كل تقى وأمير ، وليجرأ كل كلب عنيف على كل شريف غطريف (١١١) » كما وصفه بأنه « دنىء الطبع لا يرضى له خلا الا كل دنىء يوالى اللئام ويعادى الكرام يجنح الى اللئيم وان عاداه،

---

(١٠٧) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٧٧

(١٠٨) المسامير : مقدمة الكتاب .

(١٠٩) جورج كونشى : وهو من عائلة يونانية يتكلم أهلها العربية والتركية ، وكان فى أول أمره ضابطا اداريه بمدرسة الحقوق المصرية ثم اتصل بالأفغانى وسافر الى الآستانة ، وكان ملازما له كما كان صـديقا للنـديم .

د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٨

(١١٠) طبع على نفقة محمد شريف الخانجى بالآستانة العلية فى مطبعة التمدن بمصر عام ١٩٠٣ فى ٧٨ صفحة وموجـود بمكتبة جامعـة القاهرة . تحت رقم ١٣٤٦١

(١١١) محمد أبو الهدى الصيادى : صوت الهزار وزيق العـذار ، ص ٢٤

ويجرح قلب الكريم وان والاه فمثـل هـذا لا يوالى ولا يطلب من يوالي ، بل يترك وشأنه لحبال الليالى [١١٢] » .

ثم هاجم مصر بقوله أنها « دار الفاسدين [١١٣] » وأنها « دار حرية فجور وموضع فسق غير مستور ومقر فضـائح تضـيق لهـا الصدور [١١٤] » .

ومما سبق يتضح لجوء كل من « النديم » و « الصيادى » فى مبارزتهما الفكرية الى الأسلوب العنيف الذى خرج عن أدب المنـاظرة حيث كال النـديم للصيادى من أنواع النقائص والمخازى والموبقات كيلا فاق ما يعرفه فن الهجاء فتناول ولادته ونشأته وحياته بأسـلوب ملىء بالسباب والهجاء المقذع .

ثم رد الصيادى عليه بالدفاع عن نفسه واتباع نفس أسـلوب النديم فى السباب والشتائم ، ولكنه لم يقتصر فىتوجيه شتائمه وسبابه الى النديم فحسب بل تطرق فى أسلوبه الى مهاجمة مصر وأهلها .

ولتحليل أسلوب « النديم » فى هجاء « الصيادى » يتضح أنه اتبع الأسلوب الساخر الذى يجذب الكثيرين لقراءته فالنكت والأساليب الساخرة يسهل تداولها بين الناس ، وانتقالها من مكان الى آخر بسرعة أكثر من الأسلوب المرسل ، ويكون من السهل حفظها وبذلك تصـبح سيرة « الصيادى » كما رسمها له النـديم متـداولة بين الألسن ، ولفترات طويلة ، ولمـا كان « الصيادى » يخشى على سطوته ونفوذه بين الناس فقد حاول أن يحول بين خروج هـذا الكتاب الى النـاس فأسرع بالذهاب الى السلطان شاكيا حتى أمر بمصادرته .

---

(١١٢) محمد ابو الهدى الصيادى : المرجع السابق الذكر ، ص ٨
(١١٣) نفسه : ص ٢٢
(١١٤) نفسه : ص ٢٣

النديم رسول الخديو لدى السلطان :

من الجدير بالذكر أن النديم والأفغاني كانا رسولي الخديو عباس الثاني لدى السلطان فلما زار الخديو الآستانة عام ١٨٩٤ اتصل بالنديم وطلب منه الوساطة فى أمر مصاهرته من بنات الخلافة (١١٥) ، وتوسط النديم وكاد ينجح فى ذلك لولا دسائس أبى الهدى وتدخله لدى السلطان ، واقناعه بأن الخديو يحيك الدسائس ضده وأفهمه خطر هذا الزواج لأنه اذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يستبعد أن يرشحه الانجليز للخلافة وتمحى الخلافة من تركيا (١١٦) وتنتقل الى مصر ، واقتنع السلطان بهذا الرأى وأفلح أبو الهدى فى منع هذا الزواج (١١٧) .

وعن دسائس أبى الهدى ضد الأفغاني والنديم يذكر مؤلف كتاب « حاضر العالم الاسلامى » أن الأفغاني والنديم كانا فى منتزه « الكاغدخانة (١١٨) » فصادفا الخديو عباس حلمى ، وسلما عليه وتحادثا معه نحو ربع ساعة تحت شجرة هناك فقدم أبو الهدى تقريرا للسلطان بأن الأفغاني والنديم تواعدا مع الخديو على الاجتماع فى « الكاغدخانة » وهناك بايعاه تحت الشجرة على أن تكون الخلافة له ، ولكن السلطان حسب قول جمال الدين — لم يحفل بهذه الوشاية (١١٩)، ولكننا نتفق مع القول بأنها تركت أثرا فى السلطان وغيرت قلبه

---

(١١٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٣٠

(١١٦) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ القسم الاول، ص ١٥٦

ولى الدين يكن : المرجع السابق ، ص ٣٠

(١١٧) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٦

(١١٨) منتزه شهور فى الآستانة .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٨٨

(١١٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٠٣

عليهما[١٢٠]، حيث أحضر لديه جمال الدين وقال له : « أتريد أن تجعلها عباسية[١٢١]؟ فرد عليه جمال الدين قائلا: «ان بنى العباس قد انقرضوا وبنى على أولى » ثم قال : « ان مولانا يريد عباس حلمى وهل هى خاتم بيدى أضعها فى أى أصبع شئت[١٢٢] » كما أنه شدد عليه الرقابة، ومنع أى أحد من الاختلاط به الا بارادة سلطانية فأصبح محبوسا فى قصره [١٢٣] .

وفى أثناء زيارة الخديو لتركيا عام ١٨٩٥ رجاه النديم أن يسمح له بالعودة الى مصر لشدة حنينه لها وشوقه اليها ورغبته فى أن يقضى بها بقية حياته [١٢٤] وقد سمح له الخديو بذلك [١٢٥] واصطحبه معه الى مضيق الدردنيل [١٢٦] ، ولكن هذا الخبر وصل الى السلطان قبل تحقيقه فانتهز أبو الهدى ذلك وذكر للسلطان أن المؤامرة التى رسمت خيوطها تحت الشجرة فى « الكاغدخانة » من قبل بدأت تنفذ ، فصدرت الأوامر بعدم تحرك الباخرة حتى ينزل منها النديم ، فاضطر النديم الى النزول من الباخرة وكتب للسلطان يتبرأ مما نسب اليه وذكره بأنه وان كان قادرا على الانتقام منه بلا معارض فانه سيقف بين يدى الله العادل القاهر [١٢٧] فأعجب السلطان بشجاعته وعفا عنه بعد أن كان

---

(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، ج ٢ ص ١٦٦

(١٢١) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ القسم الأول ، ص ١١٣

(١٢٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ج ١ ص ٨٨

(١٢٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٠٤

(١٢٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ج ١ ص ١٣

(125) Blunt (Wilfrid Scawen) My Diaries. Part one. p. 256.

(١٢٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ج ١ ص ١٣

(١٢٧) نفسه : ص ١٣.

قد أصـــدر أمرا بنفيه الى احدى الولايات البعيدة وظـل النــديم بالآستانة حتى أصيب بداء « السل الرئوى » فأحس بأن نهايته قريبة لذلك أرسل تلغرافا الى شقيقه ووالدته يطلب رؤيتهما وهو على سرير المرض قبـل أن يوافيـــه الأجـل فسافرا اليــه حتى يرياه قبـل أن يموت •

ومما سبق يتضح أن النديم فضل الولاء للوطنيــة المصرية عن الارتباط بجامعة الدين ، وأنه مع اعترافه بحق الســلطان فى خــلافة المسلمين فقد فضل مصلحة الوطن عن الولاء للدولة العثمانية بحيث اذا تضاربت المصــالح كان يقف بجانب الوطن • كمــا أنه رفض فــكرة التجمع القائمة على أساس دينى ، واقترح بديلا عنها فكرة الجامعــة الشرقيــة بحيث تجتمع كافة الشــعوب الشرقيــة بغض النظــر عن الدين •

وعلى الرغم من محنة الغربة واللحظات الحرجــة التى واجهت النــديم فانه لم يتورع عن مواجهة الفساد والظلم فى عقر داره فكانت المبــارزة الفكرية بينه وبين أبى الهــدى الصيادى كما اتضح أيضا أن النديم أثناء اقامته بالآستانة كان رسولا للخــديو عباس الثانى لدى السلطان العثمانى يقوم بالوساطة له كلما يتطلب الأمر ذلك •

الفصل الثامن

فكر النديم السياسى

- مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين .
- الوحدة الوطنية .
- الديمقراطية والرأى العام .
- فكرة اقامة الجمهورية .

[illegible]

Tel. [illegible] Dublin [illegible]

لقد سبقت أفكار النديم السياسية أفكار أبناء وطنه فكانت جديدة عليهم لم يسمعوا بمثلها من قبل [1] حيث نبه أفكارهم الى موضوعات جديدة أيقظ بها الرأى العام بعد فترة رقاد فتحدث عن مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الوحدة الوطنية ، وفكرة الجامعة الشرقية [2] وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم في مصر والدستور كنظام له وتكلم عن الأحزاب وأهمية الاهتمام بالرأى العام وفكرة الجمهورية وقد استطاع نشر هذه الأفكار والآراء فى أكبر عدد ممكن من أبناء وطنه حيث أوتى من المقدرة واللباقة ما مكنه من استيعاب آراء أستاذه الأفغانى فى الاصلاح المنشود ثم الاختلاف معه فى كثير من المواقف وتبريره لهذا الاختلاف ثم تبسيطه لهذه الآراء والأفكار عن الاصلاح المنشود وتوصيلها الى العامة : الفلاح فى حقله ، والتلميذ فى مدرسته ، والصانع فى محل عمله ، وبذلك أسهم فى تكوين رأى عام — وان كان محدودا — يتطلع الى الاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

أولا — مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين :

ظهرت الفكرة القومية لأول مرة فى نهاية القرن الثامن عشر وساعد على انتشارها كل من الثورة الفرنسية والحروب والنابليونية حيث

---

(١) ان الإهتمام بالمصطلحات السياسية فى مصر لم يأخذ مجراه الا عند ظهور الحركات الوطنية كحركة عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول مؤتمر مجمع اللغة العربية . الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مجموعة البحوث والمحاضرات تحت عنوان « تحقيقات — تعقيب الدكتور ابراهيم بيومى مدكور على بحث الأستاذ محمد شفيق غربال « كيف دخلت المصطلحات السياسية فى اللغة العربية » ص ٢٠٣

(٢) انظر : الفصل السابع .

تكون لأول مرة فى فرنسا جيش من الشعب الفرنسى للدفاع عن حقوقه بعد أن كانت الجيوش فى ذلك الوقت منظمات محترفة [٣] كما وجد لأول مرة علم قومى ونشيد قومى [٤] ثم تجسد مفهوم القومية فى المطالبة بتأسيس الدول على أساس القوميات لأن كل أمة تكون عضوية اجتماعية طبيعية ذات كيان معنوى خاص ، ويحق لها أن تستقل فى ادارة شئونها دون أن تخضع لمشيئة أمة أخرى وأن تؤسس دولة خاصة بها مستقلة منفصلة عن غيرها [٥] .

ومع ذلك فان هذه الكلمة ظلت نادرة الاستعمال فى الصحافة المصرية فى الفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى واستخدمت مكانها كلمة الوطنية [٦] وحيث أن مفهوم الوطنية لا يختلف كثيرا عن مفهوم

---

(٣) د. عبد الله عبد الدائم : القومية والانسانية . بيروت — منشورات دار الآداب . الطبعة الثانية ١٩٥٩ ، ص ٢٤ — ٢٥

(٤) ان الانشودة الفرنسية التى انشأها الضابط الفرنسى (روجيه دى ليل) وسميت المرسليز كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوربا الذين تالبوا لاخماد روح الحرية فى مبدأ ظهورها . من المقدمة التى كتبها « محمد فريد » لكتاب وطنيتى تحت عنوان « تأثير الشعر فى تربية الأمم » .

على الغاياتى : وطنيتى . القاهرة — منبر الشرق . الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ، ص ١١

(٥) قارن أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ١٨٨٢ — ١٩٢٤ رسالة دكتوراة غير منشورة نوقشت بكلية الاعلام جامعة القاهرة ، ص ٣٢

(٦) الوطنية لغويا مصدر مشتق حديثا بزيادة ياء النسب والتاء على كلمة الوطن .

الأمير مصطفى الشهابى : محاضرات عن القومية العربية ، ص ٣

القومية (٧) • فان استخدام القديم لكلمة الوطنية انما كان يعنى به القومية المصرية •

والجدير بالذكر أن مصر لم تنتقد متومات الأمة على مر تاريخها ولكن وعى المصريين بهذه الفكرة لم يظهر الا حديثا (٨) وفى تتبعنا لبدايات فكرة القومية لدى الكتاب والمفكرين المصريين يتضح أن رفاعة

---

(٧) الوطنية هى : « حب الوطن والشعور بارتباط باطنى نحوه ، والقومية هى حب الأمة والشعور بارتباط باطنى نحوها ، والوطن من حيث الأساس انما هو قطعة من الأرض ، والأمة فى حقيقته الأمر انما هى جماعة من البشر » .

ابو خلدون ساطع الحصرى : ابحاث مختارة فى القومية العربية . القاهرة — دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٢٨

لذلك يتضح ان هناك علاقة عضوية تجمع بين القومية الوطنية ولكن هذه العلاقة رهن باختلاف وظروف كل بلد فعلى حين أن الوطنية والقومية تكاد ان تكونان مترادفتين بالنسبة للدول الاوربية نجد أنهما لا يترادفان فى منطقة كالعالم العربى حيث يستخدم الوطنية للدلالة على الحركات القطرية فى حين تستخدم القومية للدلالة على حركة الوحدة العربية وعلى كل حال فان حركة الوحدة العربية لم تظهر بشكل واضح فى هذه الفترة .

فاروق أبو زيد : رسالة الدكتوراة السابقة الذكر ، ص ٣٤

(٨) لقد كانت حركة على بك الكبير مظهرا من مظاهر التفكير فى الاستقلال القومى فى مصر وان كانت المصلحة الشخصية قد طغت على الفكرة القومية ولما جاءت الحملة الفرنسية على مصر واقامت حكومة مركزية قوية وضح كيان الدولة فى مصر ، كما أن نابليون عندما طرح بيانه على المصريين خاطبهم باعتبارهم امة متميزة لها كيان متميز . عن هذا البيان انظر :

عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٣ القاهرة — مطبعة مصر ١٢٣٦ هـ ص ٤ ، ٥

وبعد خروج الفرنسيين من مصر وتولية محمد على كان هناك تفكير واضح فى الاستقلال عن الدولة العثمانية .

للتفاصيل انظر :

عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على . القاهرة . النهضة المصرية — الطبعة الثالثة ١٩٥١ ، ص ٢٤٢

الطهطاوى هو أول من تعرض لهـذه الفكرة أثنـاء وصـفه للعاصمة الفرنسية حيث كتب أبياتا من الشعر بتضح منهـا ارتباطه العاطفى بوطنه وحبه له فيقول :

لئن طلقت باريسـا ثلاثا
فما هذا لغير وصال مصر
فكل منهما عنـدى عروس
ولكن مصر ليست بنت كفر
لقد ذكروا شموس الحسن طرا
وقالوا ان مطلعهـا بمصر (٩)

ومع أن رفاعة لم يوضح مفهوم الوطنية فى تخليص الابريز ، فانه قد شرح ذلك فى صحيفة « روضة المدارس » فقال :

« ان الوطن هو عش الانسان الذى فيه درج ومنه خرج وجمع أسرته ومقطع سرته (١٠) » ثم ربط بين الوطنى وحقوقه فقال : « ان ابن الوطن المتأصل به ينسب اليـه تارة الى اسمه فيقال مصرى مثلا أو الى الأهل أو الى الوطن فيقال وطنى .. ومعنى ذلك أنه يتمتـع بحقوق بلده ، وأعظم هـذه الحقوق هو الحرية التامة (١١) » .

كما تصدى الشيخ محمـد عبده لتعريف معنى الوطن فقـال : « الوطن فى اللغـة محل الانسان .. فهـو السـكن بمعنى أن نقول استوطن القوم هـذه الأرض وتوطنوها أى اتخذوها مسكنا (١٢) »

---

(٩) رفاعة بدوى رافع الطهطاوى : تخليص الأبريز فى تلخيص باريز القـاهرة — وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٩٥٨ ، ص ١٠٥
(١٠) روضة المدارس : العدد ٢١ السنة الخامسة ١٨٧٤
(١١) روضة المدارس : العدد ٢٢ السنة الخامسة ١٨٧٤
(١٢) الوقائع المصرية : فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان الحيـاة السـياسية .

ثم حمل النديم هـذه المهمة فكان أول كاتب مصرى يعالج مشـكلة القومية المصرية بأسلوب شعبى سهل على أبناء وطنه استيعاب المفاهيم القومية التى كان إدراكها قاصرا على المثقفين والأرستقراطيين (١٣) فعرف الوطنية والأسباب التى تؤدى الى حفظها بقوله : « يزعم كثير من الناس أن الحياة الوطنية هى الجمهرة .. أى تجمع الأمة فى مكان متكثرين متضامنين .. وليس كذلك فان وفرة العدد والتجمع لا يعنى شيئا من الفراغ من العلوم والصنائع الموصلين إلى توسيع دائرة العمران وحفظ الوطن من العاديات بما ينشأ عن العلوم من احتكاك الأفكار وتبادلها (١٤) » ثم وصفها بأنها « السر الذى تبعثه الخـواطر الى الأفكار فتتوجه بالهمم الى أعالى الأمـور على مراقى الحـرية ولا يقوم بهذا السر فى كل أمة الا رجال العزائم وأهل الاقـدام على صعاب الحوادث يقطعون العقبات بالصبر على المشاق (١٥) » .

كما ذكر أنه لكى تحفظ الوطنية بين الأجناس القاطنة فى الوطن الواحد فلابد من اتباع مبدأ المساواة بين كافة الأفراد فى الحقـوق والحريات العـامة بغض النظر عن الجنس أو الأصـل أو العقيـدة أو الدين فقال ان حفظ الوطنية فى الأجناس القاطنة فيما يسمى وطنـا يكون « بتوحيد المعاملة والسير فى كل ما من شأنه حفظ الوطن وعماره وانتظامه وامتداد تجـارته وتحسـين صـناعته لا يفرق بينهم جنس ولا دين (١٦) » .

---

(١٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٢٢

(١٤) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ تحت عنـوان « الحياة الوطنيـة » .

(١٥) الطائف : فى ٢١ يونيه ١٨٨٢

(١٦) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢

ومن ذلك يتضح أن النديم فى تصـديه لتعريف الوطنيـة اتبع الآتى :

١ — عدم ادخال الدين ضمن مقومات القومية [١٧] ، والمنـاداة بمبدأ المساواة بين كافة الأفراد بغض النظر عن الجنس أو الدين ، وربما الذى دفعه الى ذلك هو :

(أ) تفـكره العلمانى واعتبـار الوطنيـة فوق كل الخـلافات الدينيـة .

(ب) محاولة نفى تهمة التعصب الدينى عن المصريين عموما وعنه خصوصا لأن هـذه التهمة حاول العـديد من كتاب أوربا الصاقها به وبأبنـاء وطنه .

٢ — استخدامه لكلمة « وطنيـة » وهى الكلمة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بدلا من كلمة « قومية » وان كان يقصد ابراز الفـكر القومى بين المصريين .

---

(١٧) فى حين كان هنـاك اجماع بين معظم الكتاب والصـحفيين المصريين على نفى اى علاقة بين الدين والقومية حيث رفض « يعقـوب صنوع » أن يكون الدين حدا فاصلا بين مصرى وآخر ، فالمصرى مصرى بلا فرق بين اليهود او المسلمين او النصارى .

انظر : ابو نظارة زرقاء : فى اول يوليو ١٨٧٩ ورفض الشيخ على يوسف « اعتبار الدين من مقومات القومية » .

انظر مجلة الآداب : فى ٣١ مارس ١٨٨٧ تحت عنوان : « الـكلام عن العصبية » ورأى « محمد بك فريد » ضرورة التفرقة بين الدين والوطن بقوله : « الدين شىء والوطن شىء آخر » .

الأحرار : فى ٩ اغسطس ١٩٠٨ تحت عنوان : « دين الفرد ودين الأمة » نجد أن مصطفى كامل « يربط بينهما ربطا عضويا لا يكتمل احدهما بدون الآخر فيقول : « لكل امة حية واجبان عظيمان .. واجب نحو دينهـا وعقيدتها وواجب نحو وطنها وارض آبائها .. وكلما ارتفعت مدارج العرفان والكمال وتقدمت فى سبيل العمران اشتد جلالها لدينها ووطنهـا وعظم تعلقها بعقيدتها وبلادها » .

اللواء : فى ١٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان : « رابطة الدين ورابطـة الوطن » .

٣ — انه ربط بين الفكرة القومية ومحتواها حيث ذكر « ان الحياة الوطنية لا تتحقق الا بانتشـــار المعارف والصنائع فى الأمة » .

٤ — دعوته الى احتكاك الأفكار وتبادلها بين أبنـــاء الوطن حتى يتبين لهم النافع من الضـــار وحتى يكونوا على بينة لمـــا تسير عليــه الأمـــور .

٥ — ان الوطنية توجه الأفكار وتبعث فى النفوس الهمم العـــالية لدرجـــة الجـــود بالنفس والتضـــحية بكل غـــال ونفيس من أجـــل الوطن .

كما صور النديم الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك عرقا من عروقه الا وقد أجرى فية ماء الوطنية ، ثم عرف الوطنى بأنه الانسان الذى يحفظ بلاده ولغتها وعاداتها الجميلة، ويوسع العمران بالصنائع والمعارف والأمن وتكثر الثروة [١٨] .

ولـــا كانت الوطنية تعنى حب الوطن[١٩] والشعوربارتباط داخلى نحوه يجعل الانسان يعمل من أجله ويضحى فى سبيله ويقتحم المهالك ويبذل النفس والنفيس فى سبيل حريته واستقلاله فقد ذكر النـــديم أن أبنـــاء مصر هم الذين ينتسبون اليها وتنسب اليهم ، ولا يعرفون غير بلدهم [٢٠] » ثم تحدث عما يقومون به من أجل بلادهم فقال ترى المصرى « مسئولا عن مال يؤديه وجسر يحفظه وعدو يدفعه : وحـــد

---

(١٨) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ، ص ٥٥ تحت عنوان : « درس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(١٩) ذكر سليم حموى أن حب الوطن احدى غرائز النفس البشرية فقال : « حب الوطن ملكة فى النفس غريزية » الاسكندرية فى ٢٨ مايو عام ١٨٨١ تحت عنوان : « حب الوطن من الايمان » .

(٢٠) الأستاذ : العدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ، ص ٧٤٩ تحت عنوان : « المسلمون والأقباط » .

يحصنه ان أغار أحد على بلاده خرج الأجانب وهربوا وانسلوا الى بلادهم بما غنموا من هذا المسكين ، وبات هو يقاتل ، ويريق ماء حياته [٢١] » كما ذكر أن محبة المصرى لوطنه [٢٢] تجعله يضحى من أجله فقال : ان محبة الوطن تحرك قلب الانسان وتهيج مادة غريزية تدفعه الى الغيرة على الوطن فيفاديه بكل قواه وما عنده ماديا أو اداريا أو أدبيا ، ومتى كانت هذه المحبة قوية ومساوية لسمو الموضوع المحبوب نما عنها النجاح والفلاح والثروة وقوة البلاد [٢٣] » .

ثم ذكر أنه لكى تبلغ الأمة القوة وتحرز المجد لابد من اتحاد أفرادها فقال : « فكل أمة اتحدت لها محبة الوطن ، واجتمعت قلوبها..

---

(٢١) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ أغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧

(٢٢) فرق مجلس شورى القوانين فى جلسته المنعقدة بتاريخ الخميس ١٤ يونيه ١٩٠٠ بين المصريين وغيرهم بقوله :
يعتبر من المصريين الأشخاص الآتى بيانهم وهم :
(أ) المتوطنون فى القطر المصرى قبل اول يناير ١٨٤٨ وحافظوا على محل اقامتهم فيه .
(ب) رعايا الدولة العلية المولودون والمقيمون فى القطر المصرى الذين يقبلون المعاملة بموجب قانون القرعة العسكرية المصرى سواء بأدائهم الخدمة العسكرية او بدفع البدلية .
(جـ) رعايا الدولة العلية المولودون فى القطر المصرى من ابوين مقيمين فيه متى حافظ الرعايا المذكورون على محل اقامتهم فيه .
(د) الأطفال المولودون فى القطر المصرى من ابوين مجهولين .
(هـ) يجوز للرعايا العثمانيين المتوطنين فى القطر المصرى منذ اكثر من خمسة عشرة سنة أن يصيروا مصريين .
انظر : مجلس شورى القوانين مجموعة محاضر جلسات ١٩٠٠ — محضر جلسة ١٤ يونيه ١٩٠٠

(٢٣) الطائف : تحت عنوان الوطن (رقم العدد وتاريخه غير واضح) .

وأسست أعمالها على قواعد التعاون ودعائم الارتباط ونبذ التهاون فلا شك أنها .. تحرز قوة واقتدارا يفى جلب الخير العام (٢٤) » .

ونتيجة لتدهور أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتدخل الأجنبى السافر فى شئون مصر ، وسوء ادارة الخديو ، وفساد الأحوال المالية ، وظهور نخبة من المصلحين الذين لديهم القدرة على التعبير عن مطالب المجتمع وتعبئته ثم تصاعد التذمر الشعبى نتيجة لكل هذا ظهرت فى مصر يقظة قومية فى أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر تبلورت فى التخلص من السيطرة الأجنبية على مختلف أشكالها ، وطرحت فكرة « مصر للمصريين » .

يذكر أحمد عرابى فى مخطوطه أن بداية هذه الفكرة ترجع الى عهد سعيد باشا ويستدل على ذلك بأن سعيد باشا قال فى خطاب له أثناء مأدبة أقامها فى قصر النيل « انى نظرت فى أحوال الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مظلوما ، ومهانا ومستعبدا لغيره من أمم الأرض وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب ، وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة ويستغنى بنفسه عن الأجانب (٢٥) » .

ويرى الباحث أنه وان كان سعيد باشا قد اتبع أسلوب استخدام المصريين فى كثير من المناصب وترقيتهم فان ذلك لم يكن بقصد رغبته فى أن تكون مصر للمصريين أولا لأنه من سلالة غير مصرية ، وثانيا لأنه غير مستعد لترك الحكم للمصريين لكى يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وثالثا لأنه لم يكن مستعدا للتنازل عن امتيازاته ، وامتيازات أسرته للمصريين ، والتاريخ يذكرنا بحادثة تثبت أن (محمد على) كان يخشى

---

(٢٤) الطائف : المقال السابق الذكر .

(٢٥) انظر : مخطوط كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٧

ترقيـــة المصريين الى الرتب العليا مقدرا النتائج التى ستترتب على ذلك [٣٦] وعلى أى حال فانه بترقية سعيد باشا للمصريين وتدريبهم قد ساعد على ابراز الشخصية المصرية واظهارها فى مجالات تبلورت فى صورة احتجاج ونقمة على اغراق الخديو اسماعيل للبلاد فى الديون ، والفساد والاسراف فى دواوين الحكومة فظهرت الحركة الوطنية فى صورة احتجاج وطنى ، وصرخة شعبية شديدة على الذين يجرون البلاد الى المهالك فبرز شعار « مصر للمصريين [٢٧] » فى برنامج الحزب الوطنى الأول [٢٨] الذى انتقد عدم كفاءة بعض الموظفين الأوربيين مع ارتفاع رواتبهم كما انتقد اعفاء الأجانب من الضرائب ، وعدم خضوعهم لقانون البلاد ونادى بأن تكون مصر للمصريين ، وأن يصير حكم البلاد فى أيدى أبنائها الذين أصابهم الظلم من حكم غير المصريين ، ومنع التدخل الأجنبى وسيطرة جماعة الشراكسة والترك والألبانيين والأرمن على الوظائف الحكومية ومن ذلك يتضح أن مبدأ مصر للمصريين الذين نادى به الحزب الوطنى يختلف فى جوهره عن مدلوله لدى أسرة محمد على فالمصريون فى هذا المبدأ هم أهالى البلاد الأصليون أى « الفلاحون » وما الثورة الا تعبيرا عن أمانيهم لاسترجاع كرامتهم ، وحقهم فى بلادهم ، أما المصريون لدى أسرة محمد على فهم طبقة الذوات والأرمن وبقايا

---

(٣٦) عندما أرسل ابراهيم بن محمد على الى والده يطلب منه ترقية عدد من الضباط المصريين الى رتبة يوزباشى ، رد عليه قائلا : « من المعلوم يا ولدى اننى اتجنب حتى الآن ترقية العربى الى الرتب العليا ، وقد ظللت محجما عن ذلك مدة طويلة ، مقدرا النتائج التى ستترتب على ذلك ولو بعد مائة عام » .

- مجلة الهلال : سبتمبر ١٩٦٥ مقال للدكتور عبد العزيز نوار تحت عنوان : « ثورة ١٩١٩ وأثرها فى الحركات النضالية » ص ٧٥

(٢٧) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر جـ ٢ ص ١١٦—١١٧

(٢٨) عن هذا الحزب أنظر : الفصل الأول من الكتاب .

، الذين يتمتعون بالجنسية المصرية ويملكون ثروات مصر
، (٢٩) .

.دت كلمة مصر للمصريين فى كتابات « يعقوب صنوع (٣٠) »
ى « أن تكون مصر للمصريين (٣١) » كما ترددت فى كتابات
النديم وحسن الشمسى والشيخ محمد عبده ، وخصوصا
ة التغلغل الأجنبى فى البلاد والهجرات المكثفة التى شهدتها
ـاء من أوربا وخصوصا الفرنسيين والايطاليين واليونانيين أو
ا الدولة العثمانية كالسوريين واللبنانيين ، وتغلغلهم فى كافة
لحياة المصرية حتى أنهم شكلوا خطرا على أوضاع المصريين
جدوا أن فرص العمل بدأت تضيق فى وجوههم بينما تتسع
٣٢) فنادى النديم المصريين بأن يسعوا خلف شىء واحد هو

---

٢) مجلة الكاتب : العدد ١٢٧ فى اكتوبر ١٩٧١ مقال للدكتور
رقوط تحت عنوان : « الوجه العربى لثورة عرابى » ص ٤٦

٣) فخر يعقوب بن صنوع بانه « مصرى ابن مصرى » بقوله :
ى اعظم افتخار لأن نكران الأصل عندى اقبح عار » .
ظر : ابو نظارة زرقاء : عدد اول يوليو ١٨٧٩

ا كان يكتب على صدر صحيفته ابو نظارة أنها (لسان حال الأمة
) ويوقع مقالاته الشيخ جيمس سانوا المصرى ، فى حين يذكر
انور الجندى انه يهودى ايطالى ولد فى مصر .

ظر : تطور الصحافة العربية فى مصر . القاهرة — مطبعة الرسالة
، ص ٣٨

٣) ابو نظارة زرقاء : فى اول يوليو ١٨٧٩

٣) حذر اديب اسحق فى جريدة مصر من نفوذ الأجانب المتزايد
وتمتعهم بما لا يتمتع به المصريون بقوله ان هذا شأنه ان يولد
ى المصريين « الحسد والكسل ويشرب قلوبهم التهيب والخوف » .

ـصر : فى ٥ نوفمبر ١٨٧٨ كما كتب فى جريدة التجارة عن سيطرة
على مصائر البلاد فقال : « فلم يبق والحالة هذه من باب
ر ضيق لأهل هذه الديار » .

حفظ مصر للمصريين (٣٣) ، كما ذكر أن السلطة أيضا كانت للمصريين قديما (٣٤) وليست لأحد من الأوربيين أو الترك (٣٥) ، كما أوضح

= التجارة : فى ١٨ نوفمبر ١٨٧٨ تحت عنوان « الوطنيون والأجانب» كما تحدث عن سوء حال المصريين نتيجة تغلغل الأجانب فى شئون الحياة المصرية فقال : « ما اعجب ما تجد تحت سماء الشرق .. الأجنبى يعد نفسه أميرا .. والدخيل أصيلا .. اغرطوا فى الطمع فنازعونا الأرض .. حتى اذا رسخت اقدامهم وارتفع مكانهم كبرت نفوسهم عن مساواتنا واصبحوا لا يرون لنا فى منافع أرضنا حقا » .

التجارة : فى ١٠ يناير ١٨٧٩ تحت عنوان « الوطنيون والأجانب » .

(٣٣) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥٢٦ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٣٤) كان النديم متأثرا فى ذلك بما تردد لدى بعض الكتاب والمفكرين عن ضرورة بعث المجد المصرى القديم .

فنجد رفاعة الطهطاوى يبرز فضل الحضارة المصرية على البشرية بقوله ان مصر « هى أرض الشرف والمجد فى القديم والحديث .. خرج منها كبار ملوك السلاطين وحكماء وأساطين » .

انظر : روضة المدارس المصرية : العدد ٢١ من السنة الخامسة لعام ١٨٧٤

كما ذكر « أن مصر نازعت قدماء الأمم فى الاقدمية فسلموا لها أنهم دونها فى مرتبة الأهمية وان لم تسبقها أمة فى ميدان التمدينية .. فقد كانت أيام الفراعنة أم امم الدنيا ، وكانت شوكة سلاحها قوية وهيبتها فى القلوب متمكنة عليه .. وانها فى القديم والحديث لينة الأخلاق .. ازلية التمدن ، أبدية التدين » .

رفاعة الطهطاوى : كتاب انوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل . القاهرة ١٢٨٥ هـ ، ص ٩ ، ١٣

كما تعرض اديب اسحق لذلك الموضوع فقال : « مصر ازلية المجد .. عظم بها الملك ، وتأيدت الخلافة واتسعت الامارة » .

انظر : جريدة مصر فى ١٥ اكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « أحوال مصر » .

(٣٥) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٣

محضر استجواب محمد طاهر معاون بضبطية الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيو ١٨٨٢ واشترك السيد قنديل وعبد الله النديم .

خطـــورة تغلغل الأجانب فى وظائف البـــلاد وما ينتج عنه من أضرار وطالب بتأييد الحركة الوطنيـــة التى تطالب بأن تدار هذه الوظـــائف بأيد مصرية فكتب مقالا بالطائف تحت عنوان « الغريب فى وطنـــه » قال فيـــه : « تخيل نفسك عائدا الى وطنك بعد غيبـــة سبع سنوات فحين تصل الى الاسكندرية سوف تجد قائد الميناء بحارا انجليزيا . فاذا ما وصلت حقائبك الى الجمرك فستجد مديره انجليزيا كان موظفا سابقا بمصلحة البريد ..

واذا أردت أن تسافر الى القاهرة بالسكة الحديد فتجد هـــذا المرفق يدار بواسطة موظفين انجليز وهنود وفرنسيين . فاذا شئت أن ترســـل تلغـــرافا الى أهلك تنبئهم بوصـــولك فســـتجد المشرف على التلغرافات موظفا انجليزيا أيضـــا .. أما اذا رغبت فى الذهاب الى الصعيد فلا بد أن تركب البواخر التى تحتكرها شركة انجـــليزية فاذا ما ذهبت الى الريف فسوف تجد كثيرا من الأهل والأصدقاء قد ضاعت أموالهم وذهبت الى أيدى المرابين الانجليز والايطاليين واليونانيين.. فاذا كنت حقا تحب وطنك فيجب أن تؤيد الحركة الوطنية التى قامت لتحصل لك على حقوقك كانسان ، ومن ثم تحس أن وطنـــك ملك لك أنت [٣٦] » كما هاجم الامتيـــازات الممنوحة للأجانب والتى « قدمت الأجنبى على الوطنى فى كل أموره وحرمت التعرض له بشىء من الجزاء وان أساء ، وجعلته يعاقب الوطنى وان كان محقـــا ، فترى الأجنبى يشتم ويضرب والمصرى لا يتحرك الا بقوله (معلهش يا خواجة) ولو علم أن مجلس المخالفات عادل ينصف الوطنى من الأجنبى ويأخذ له بحقوقه ما سكت على هذه الاهانات [٣٧] » ثم أوضح كذب ما يردده

---

(٣٦) الطائف : لم نســـتطع الاستدلال على رقم العـــدد أو تاريخ صدوره لأن معظمه ممزق .

(٣٧) التنكيت والتبكيت : العـــدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ تحت عنوان : « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتاة أو زفاف الحرية فى مصر » .

الأجانب من أن المصريين لا يصلحون لادارة الأعمال فقال « ان كل وارد عليها وكل مسترزق فيها من الغرباء يطمع فى كرم المصريين وطبيعة نفوسهم، ويدعى أنه أقدر على مدنيتها وأحق بادارتها وأولى بتجارتها، وأقل كلمة يحيى بها المصريين : لستم أهلا للقيام بأعمالكم . ولا تدرون طرق الاصلاح وأحكام النظام (٣٨) » .

وقد طالب النديم هؤلاء بالنظر الى ما قام به أبنـــاء مصر من أعمال والى المقدرة التى أداروا بها هــذه الأعمال فقال : « وفى الناس من أدرك القرن المــاضى ، ورأى ما كان فيه من الأعمال وعرف من قام بها من الرجال (٣٩) » .

مما سبق يتضح أن هدف النديم من المناداة بمبدأ مصر للمصريين هو تمصير الادارة المصرية فهاجم استيلاء الأجانب على ادارة أعمال البلاد ووظائفها ودعا أن تدار هــذه الأعمال ويتولى هــذه الوظائف أبناء مصر حتى يحســوا أنهم فى وطنهم وأن مصر ملك لهم ، وكذب ما يدعيه الأجانب بأن المصرى لا يصلح لهذه الأعمال مستشهدا على ما قام به أبنــاء مصر من أعمــال أيام محمــد على وسعيد باشا .

كان هــذا هو مدلول مصر للمصريين لدى النديم وليس كما يذكر البعض (٤٠) بأنه الانفصال عن الدولة العثمانية ، ومع هــذا وبالرغم من أن النديم كان ينادى بالتبعية الدينية للسلطان العثمانى الا أنه كان يرفض الغــاء الامتيازات التى حصلت عليها مصر ، وجعلتها ولاية شبه مستقلة ، وهــذا هو سر الخلاف بين النــديم وولى الدين يكن

---

(٣٨) الأستاذ : فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « حالتنــا أمس واليــوم » .

(٣٩) نفسه .

(٤٠) محمد عبد الوهاب صقر وفوزى شاهين : عبد اللــه النديم، ص ٢٤١

الذى يزعم أن مصر للعثمانيين وليست للمصريين وفى ذلك يقــول : « ان ما أحدث بيننا الخلاف أنه كان عدوا للعثمانيين ، وهو من قدماء من يقولون مصر للمصريين ونحن نقول مصر للعثمانيين (٤١) » .

لقد كانت عقيدة الوطنيين الحقيقية أنهم يستخدمون الســلطنة العثمانية ويعتمدون عليها لتحقيق مصالحهم ، والى أن يحين الوقت لاعلان الجمهورية ويتضح ذلك من قول صابونجى محرر جريدة النحلة فى خطاب أرسله الى بلنت بانجلترا « أن عقيدة الوطنيين المصريين أنهم لا يهتمون مطلقا بالسلطان عبد الحميـد .. بل يستخدمونه لتحقيق أهدافهم فقط ويعتمدون عليه حتى تســنح لهم الفرصــة لاعــلان الجمهورية (٤٢) » .

لقد رأى النديم أهمية الرابطة القومية فى حيــاة الشعوب ومع ذلك فانه لم ينكر العلاقات الروحية القائمة بين مصر وتركيا بصفتها مركز الخلافة الاسلامية ولم يدع للانفصال عن الدولة العثمانية بل دعا الى الالتفاف حولها بقوله : « هــذه يدى فى يد من أضعها ، ضعها فى يد وطنيك ، وأعقدا خنصريكما على محبة أمير البلاد مرتبطة هذه المحبة بمحبة أمير المؤمنين ، والا اقطعها خير من وضعها فى يد أجنبى يستميلك اليه بوعود كاذبة » .

ورغم ذلك فان جاذبية الوطن عند النديم كانت أقوى من جاذبية الدين فقد فضل جامعة الوطنية على الارتباط بجامعة الدين اذا تعارضا وقد علل لذلك بقوله : « لو وقعت حرب بين عربى وعجمى تماثلا دينيا هربت الطباع الى الجنسية فترى عربيا فى أقصى الأرض يفرح بانتصار شبابه على العجمى ، والعكس بالعكس (٤٣) » .

---

(٤١) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٣٠ .
(42) Blunt : Secret History p. 347.
(٤٣) الأستاذ : العدد الثلاثون فى ١٤ مايو ١٨٩٣ ، ص ٧٠٥ ــ ٧١٢ تحت عنوان « تجاذيب الجنسيات والأديان » .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن مناداة النديم بفكرة « مصر للمصريين» هى شطحة من شطحات رجلوطنى أخذه الوجد ، وأطاح به الشوق والحب الى حيث صاح هذه الصيحة فى مرات قليلة ونادرة(٤٤)» . ولكننا نرى أن سبب منادة النديم بهذه الفكرة ترجع الى وطنيته الشديدة المليئة بالكراهية لاستغلال الأجانب لأبناء وطنه ، وتغلغلهم فى كافة نواحى الحياة فحاول ابراز الشخصية المصرية أمام هؤلاء الأجانب موضحا أن خير مصر لابد أن يكون لأبنائها . لقد كان شعار « مصر للمصريين » من أهم شعارات الثورة وأكثرها استقطابا للجماهير الشعبية ، وكان رفعه كأحد شعارات الجيش فى بداية حركة تسلط الأتراك والجراكسة أحد الأسباب التى أدت الى اتساع هذه الحركة والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها (٤٥) ، لذلك فليس غريبا أن نلاحظ أن كبار زعماء الثورة أمثال عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى كانوا يضعون فى آخر أسمائهم لقب « المصرى » وذلك للتمييز بينهم وبين غيرهم .

وعموما فان الدعوة بتفضيل الوطنية عن الارتباط بجامعة الدين لم تكن مقبولة أو مفهومة لدى جمهرة المفكرين المصريين ولم يدع اليها أحد بعد النديم الا بعد قيام الحرب الأولى (٤٦) ففى ابان الاحتلال حمل لواء الحركة الوطنية الطبقة الوسطى المثقفة والممثلة فى الحزب الوطنى ،

---

(٤٤) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٢ ص ٢٠٤

(٤٥) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٨

(٤٦) دعا حزب الأمة الى التخلص من التبعية العثمانية ولكنه لم يدع الى مناضلة الاحتلال وانهاء وجوده بل احتضن فكرة تهيئة الامة اولا عن طريق الحياة الدستورية واستكمال اسباب الحكم الذاتى قبل الحصول على الاستقلال .

ومع أن مصطفى كامل كان يفخر ويتشرف بأنه من أبناء مصر ويتضح ذلك من قوله : « أفخر وأتشرف بأني ابن ضابط شهم آباؤه فلاحون مصريون [٤٧] » و « ان لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

فان أفكاره لم تكن تمثل الفكرة القومية تماما حيث كان الحزب الوطني يعترف بالسيادة العثمانية على مصر ؛ ويحافظ على الروابط التي تربط مصر بالدولة العثمانية كما أن الشيخ على يوسف صاحب حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية كان يرى أن مصر جزء من الدولة العثمانية [٤٨] ، ولم نجد بوادر للفكرة القومية بمعنى التحرر من التبعية العثمانية الا لدى حزب الأمة وان كانت هذه الفكرة لا تدعو الى مناهضة الاحتلال وانهاء وجوده ، ولكن في ثورة ١٩١٩ اتخذت هذه الفكرة شكلا جديدا حيث اتجهت الى التخلص من الحماية الانجليزية والتبعية العثمانية تماما على السواء وان كانت التبعية العثمانية قد زالت عمليا باعلان الحماية نفسها [٤٩] .

ومما سبق يتضح أن النديم لم يكن أول من نادى بمبدأ مصر للمصريين كما يذكر البعض [٥٠] بل سبقه في ذلك آخرون ، كما يتضح أن المناداة بهذا المبدأ لم يكن الهدف منها الانفصال عن الدولة العثمانية بل الوقوف في وجه سيطرة الأجانب على مرافق البلاد وخصوصا بعد أن أغلقت فرص العمل أمام المصريين بينما أتيحت لغيرهم فكانت هذه الصرخة تنبيها الى خطورة ما يحدث .

---

(٤٧) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ١١٢

(٤٨) المؤيد : في ١٩/١٠/١٩١٣

(٤٩) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية في مصر ١٨٨٢ — ١٩١٩ رسالة دكتوراة غير منشورة نوقشت بكلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٨٤

(٥٠) محمد عبد الوهاب صقر ، فوزي شاهين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤١

وفى غمرة الأحداث حاول الاستعمار وأذنابه ايجـاد ثغرة بين عنصرى الأمة عن طريق ترويج الشائعات المغرضة وتشجيع الجمعيات التبشيرية مما جعل النديم يشعر بالخطر على الوحدة الوطنية فقـام بحملة ضد هؤلاء [٥١] موضحا فشل مبتغاهم وداعيا أبناء الوطن على اختلاف أديانهم الى التمسك بالوحدة الوطنية .

النديم والوحدة الوطنية :

رغم أن التاريخ المصرى شهد وحدة عنصرى الأمة (المسـلمين والأقباط) عبر مراحله المختلفة فان ازدياد النفوذ الأوربى فى مصر مع بداية القرن التاسع عشر قد رافقته حملة مكثفة لالصاق تهمة التعصب الدينى بالمصريين زاد أثرها أثناء تواجد قوات الاحتـلال الانجليزى بأرض الوطن ، واستغلها الانجليز كوسيلة لتبرير احتلالهم لمصر بحجة المحافظة على الأمن وحماية أرواح وممتلكات الأجانب كما استخدموها للتفرقة بين عنصرى الأمة حتى تضرب الوحدة الوطنية وينشغل أبنـاء الوطن عن المطالبة بالاستقلال [٥٢] وقد لاحظ النديم ذلك فحرص على توضيح الأمور لأبناء وطنه [٥٣] ، فقال : « يقول عنا ذوو المطـامع

---

(٥١) انظر : الأستاذ : العـدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٢ تحت عنوان « هـذا عندكم فما مقابلة عندنا » .

(٥٢) د. فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية ص ٧٩ — ٨٠

(٥٣) لم يكن النديم وحـده فى هـذا المجال فقد ناشـد « سليم النقاش » المصريين ان « لا يجعلوا اختلاف العقائد سببا فى اختـلاف القلوب » .

العصر الجديد : فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١ تحت عنـوان « الوطنيـة الحقـة » .

كما ناشدهم الشيخ محمد عبده بأن يكونوا فوق الخلافات الدينيـة والسـياسية أيضا .

انظر : الوقائع المصرية : فى ٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « فصول الأديب الفاضل فى الحياة السياسية » .

الملكية أننا متعصبون تعصبا دينيا ، والله يعلم أن هذا التعصب لا رائحة له فى جميع بلاد الاسلام ، وانه لا يوجد الا بين رجال أوربا [٥٤] » .

ثم طالبهم بالاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف حتى يفوتوا على مروجى فكرة التعصب أغراضهم فى ضرب الوحدة الوطنية ، وزرع بذور الشقاق بين أبناء الوطن فقال « أوصيكم بكلمة الاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف ، وأحذركم من التخاذل وسماع أقوال أهل الأهواء الذين شربوا دماءنا ولم يرووا وأكلوا لحومنا ولم يشبعوا [٥٥] » كما حذرهم من سماع أقوال هؤلاء حتى يفوتوا عليهم مآربهم فقال : « لابد من سد الأذن عن سماع الأصوات الأجنبية التى تحرك النفوس وتظلم القلوب [٥٦] » وناشدهم بتوحيد الصف لحفظ الوطن فقال : « ليعد المسلم منكم الى أخيه المسلم تأليفا للعصبية الدينية ، وليرجع

---

(٥٤) الاستاذ : العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ ابريل ١٨٩٣ ، ص ٨١٢ تحت عنوان « هذا عندكم فما مقابله عندنا » .

والجدير بالذكر انه قامت حملة ضد الاسلام من بعض مروجى فكرة التعصب مما دفع الشيخ محمد عبده الى السير على نهج استاذه الأفغانى فى الدفاع عن الاسلام ورد هجمات الطاعنين « المناقشة التى دارت بين الأفغانى وأرنست رينان » وكان له فى هذا مواقف مشهودة أشهرها اثنان أولهما رده على المسيو جبرائيل هانوتو وزير الخارجية الفرنسية والثانى رده على فرح أنطون محرر مجلة الجامعة وكان رده على هذين الخصمين قويا مفحما اذاع شهرته فى العالم الاسلامى وجعله اقدر المحدثين فى الدفاع عن الاسلام .

انظر : تشارلز آدمس : الاسلام والتجديد فى مصر — ترجمة عباس محمود — القاهرة — لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ١٩٣٥ ، ص ٨١ — ٨٦

(٥٥) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن عشر فى ١٦ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٩٦ تحت عنوان « وصية وطنية » .

(٥٦) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

لانثان الى القبطى والاسرائيلى تأييدا للجامعــة الوطنيــة ، وليكن المجمــوع رجــلا واحــدا يسعى خلف شيء واحــد هو حفظ مصر للمصريين (٥٧) » ثم رد على ادعاءات مروجى فكرة التعصب الدينى بأن المسلمين والأقباط واليهود يعيشون فى مصر معا فى أمان وتعــاون كامل من أجل مصلحة وطنهم، ولا يعكر ذلك سوى أفكارهم ومحاولاتهم بث الشــقاق (٥٨) كمــا بين لهــم أن الاســلام دين لا يدعــو الى التعصب (٥٩) .

---

(٥٧) الأستاذ : المقال السابق .

(٥٨) الطــائف : فى ٢٩ يونيــه ١٨٨٢ تحت عنوان « المصريون والأوربيون » .

(٥٩) ضرب النديم مثالا على ذلك فقال ان الأستاذ « محمد الانبابى» شيخ الاسلام ذكر بان له جارا اوربيا اراد ان يضع اثاثه امانة عنده ويسافر خشية على نفسه فأوضح له « ان الدين الاسلامى يقضى بحفظ المستأمن وصيانة ماله وروحه من كل العوارض ، وان المعتدى على مستأمن كالمعتدى على مسلم سواء بسواء ، وان هــذا الامر معلوم لكل مسلم لذلك فهم لا يعتدون على أحد ولا يهتكون حرمة نزيل لأن الشرع الشريف يحرم ذلك عليهم فاطمأن قلب الرجل وعاش آمنا بين اخوانه المسلمين » .

الطائف : المقال السابق الذكر .

والجدير بالذكر ان تعبير الشيخ الانبابى يعنى اعتبار الأوربيين مثل اهل الذمة فى الاسلام اى انهم فى ذمة المسلمين وهم مسئولون عن أمنهم، وهذا ما هو مرفوض من جانب المسيحيين وغيرهم .

وقد اهتم الشيخ على يوسف أيضا بالرد على مروجى اتهام المصريين بالتعصب فقال : « هــذا هو الشعب الذى جلس فيه الوزير نوبار باشــا على كرسى الخديوية نائبا عن الحاكم الشرعى للبــلاد . والحكومة كمــا تعلمون اسلامية وذلك الوزير مسيحى ، ولم تسمعوا ان احدا من المصريين فاه بكلمة بل ربما لم يخطر هــذا الخاطر على بال واحد من المسلمين كانه لم يعد فارق بينهم وبين غيرهم من أبنــاء دين آخر . ان المصريين ابعــد الشعوب عن التعصب الدينى » .

المؤيد : فى ٢١ فبراير ١٨٩٥ تحت عنوان « ما لكم لا تنتهيون وماذا باللــه تبغون » .

لقد تغنى النديم بروح التسامح السائدة بين المصريين وأشاد باختلاط المصريين والأقباط ثلاثة عشر قرنا من الزمان فقال : « قضى المسلمون مع الأقباط ثلاثة عشر قرنا ، وهم فى اختلاط أهل بيت ، ومعاملة عشيرة ، واتحاد عائلة ، وما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار (٦٠) ثم تحدث عن محافظة كل منهما على الآخر وخشيته على أمواله فقال : « ان القبطى يسكن فى قرية من قرى الريف وجاره المسلم يحرسه ويقضى له أشغاله ويحفظ له أمواله (٦١) » كما تحدث عن روح التسامح الدينى بين كافة الأجناس التى تقطن مصر فقال : « الأجناس المختلفة الدين والوطن واللغة يساكنوننا معاشر المصريين فلا يجدون الا صدورا رحبة ووجوها ضاحكة ، وألسنة رطبة بالتحيات والتهانى (٦٢) » كما قال أنه « رغم وجود الألوف المؤلفة من اخوان الوطنية الأقباط فى الوجه القبلى والبحرى ، ومخالطتهم المسلمين دارا لدار ، وغيطا لغيط لم يسمع أن مسلما تعدى على قبطى فقتله فى بلد من البلاد (٦٣) » وذكر أن شعب مصر فخور بوحدته الوطنية فقال : « نحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التى لا تنحل ، عقدتها ، ولا يبدد نظامها (٦٤) »

---

(٦٠) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥١٦ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٦١) الأستاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٦ ، تحت عنوان « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

(٦٢) نفسه .

(٦٣) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٤٦ تحت عنوان « اعداء المصريين » .

(٦٤) الأستاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٨ تحت عنوان « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

كما قال ان « مصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع مثلها فى الأقطار اذ كانت الأمة الاسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت يتعاونون على المعاش ويتجاورون الأعمال ويتقاسمون النظر فى شئون البلاد (٦٥)».

لقد أوضح النديم لدعاة التفرقة عدم جدوى محاولاتهم للتفريق بين عنصرى الأمة فقال : « ولهذا لم تجد دولة من الدولة العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحة المسيحى والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بها حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تقودها أوربا تغريرا وتضليلا (٦٦) » .

ثم حاول أن يوضح الدعايات الكاذبة التى يروجها بعض الأوربيين فقال : « ان أوربا لا تعرف حقيقة الشعب المصرى لأن رجال الصحافة بها لا يستقون المعلومات التى يكتبونها من مصادرها الحقيقية بل من جلسات المقاهى أو من الخدم الذين يعاشرونهم لمدة يوم أو يومين(٦٧)» وذكر أنه حتى فى أحرج الأوقات التى عاشتها مصر أثناء الحروب الصليبية التى تحرك لها عالم أوربا برمته وامتدت قرنين ،وكان لمصر فيها الشأن الأكبر واليد القوية لم يسمع أن مسلما تعدى على قبطى

---

(٦٥) الأستاذ : المقال السابق ، ص ٧٥

(٦٦) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٢٤ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٦٧) الطائف : لم نستطع الاستدلال على رقم العدد أو تاريخ صدوره لأن معظمه ممزق .

فى اشتعال نار الحروب (٦٨) كما كذب ماتردد عن أن مذبحة الاسكندرية كان سببا دينيا فقال « فلو كانت فتنة الاسكندرية اسلامية كما زعموا لجرت الدماء أنهرا فى الصعيد فسكون المصريين وامتزاجهم بالأقباط امتزاج الأهلية أيام الفتنة أكبر دليل على أن المصرى لا يعرف التعصب الدينى ، ولا ينقض عهدا ، ولا يخفر ذمه ولا يعتدى على وطنى أو مستوطن » (٦٩) ثم وضح لهم أن أبناء مصر مهما دبر لهم من مؤامرات للتفرقة بينهم فهم اخوان فى الوطنية يشد بعضهم أزر الآخر وانهم لو قامت الدنيا وقعدت هم هم اخوان الوطنية يعضد بعضهم بعضا .. يتزاورون تزاور أهل بيت ، ويشارك الجار جاره فى أفراحه وأتراحه علما منهم أن البلاد تطالبهم بصرف حياتهم فى احيائها بالمحافظة على وحدة الاجتماع الوطنى الذى يشمله اسم مصرى من غير نظر الى الاختلاف الدينى (٧٠) .

ولعدم اعطاء الفرصة لأن يبث أحد المغرضين روح الفرقة بين أبناء الوطن طالب النديم بايجاد جمعية مصرية من المسلمين والأقباط للبحث فى الوطن وخصائصه وواجباته ، وضرورات حياته، والمحافظة على مابين المصريين وغيرهم من روابط المحبة فقال « ان

---

(٦٨) الأستاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٥ تحت عنوان « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

كما وقفت جريدة « الوطن » موقف المدافع عن الوحدة الوطنية فكتب ميخائيل عبد السيد أن : « البلاد المرتاحة من آفة التعصب هى المرتقبة الى ذوى المجد » .

الوطن : فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٨

ولكن هذا الموقف تغير بعد وفاة ميخائيل عبد السيد وتولى « نجدى ابراهيم » الذى حاول اثارة الفتن الطائفية بمقالاته .

(٦٩) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٤٦ تحت عنوان « أعداء المصريين » .

(٧٠) الأستاذ : العدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ص ٧٤٩ تحت عنوان « المسلمون والأقباط » .

تكوين جمعية من الفريقين يفيدهما فوائد جمه ، ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية » (٧١) .

والجدير بالذكر أن النديم لم يترك فرصة الا عبر فيها للأقباط عن مودته فقد اشترك فى احتفالاتهم ، ويتضح ذلك من قوله « وما عقدوا محفلاً الا كنتخطيبه ، ولا نادانىأحدهم الا كنتمجيبه »(٧٢) وعندما تأسست الجمعية الخيرية القبطية (٧٣) حضر النديم حفل الافتتاح ويتضح ذلك من قوله « خطبت فيهم خطبة التأسيس الجميل وحشوتها بمواعظ من الانجيل (٧٤) وعندما وافقت الحكومة علىصدور النشرات الدينية القبطية رحب النديم بذلك ، وكتب فى مجلته تحت عنوان « تقاريظ » أنه « مع كون جمهور البلاد المصرية مسلما وفى وسطهم الطائفة القبطية ماكنا نرى جريدة دينية اسلامية ولا مسيحية ، والآن وقد انحل ذلك القيد وتقدمت المطبوعات خطوة عظيمة فظهرت فيها « النشرة الأسبوعية الدينية القبطية » ثم ظهرت النشرة الانجيلية المصرية « فالجرائد الدينية ترد الأمم عن الفجور والفساد وتدعو الناس الى مكارم الأخلاق » (٧٥) .

---

(٧١) الأستاذ : العدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ص ٧٥٠ تحت عنوان « المسلمون والاقباط » .

(٧٢) د. محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٥١

(٧٣) أنظر : الفصل التاسع .

(٧٤) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١

(٧٥) الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ، ص ٤٠٥ — ٤٠٦ كما عبر يعقوب صنوع عن ذلك بقوله ان الطريق للوحدة الوطنية هو مكافحة الأباطيل التى تفرق بين المسلمين والمسيحيين باظهار سماحة القرآن وكلمة الانجيل ، وهكذا يتسنى الملاءمة بين قلوب الفريقين .

د. ابراهيم عبده : ابو نظارة — امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر ١٨٣٩ — ١٩١٢ ، ص ١٨

والواضح أن الدعوة للوحدة الوطنيـــة التى نادى بها النــديم وشاركه فيها بعض كتاب عصره كانت لوقف عوامل التفكك والفرقة التى حاول البعض بثها لفصم عرى الوحدة الوطنيـــة لذلك نجد النــديم يناشد أبنـــاء وطنه بالمحافظة على الوحدة الوطنيـــة ، ويحذرهم من سماع مدبرى الفتن الذين لا هم لهم ســوى انقسام الوطن (٧٦) كما يوضح للدول الأجنبيـــة التى تحاول النيل من الوحدة الوطنية « أن الادعاء على المصريين بالتعصب الدينى خطأ » (٧٧) مؤكدا لهم فشل مبتغاهم لأن المصريين يتسمون بالتسامح ويشهد على ذلك الأوربيون الذين يعـــاشرونهم (٧٨) هكذا كانت دعوة النديم للوحدة الوطنية ، وهكذا كانت فـــكرته بايجاد جمعية تجمع شـــمل المسلمين والأقبـــاط للنظر فى شئون وطنهم ، ومحاولة اصلاح مافسد من أموره ورغم ذلك فعنــدما ضـــاق الانجليز ذرعا بالنــديم وحاولوا التخلص منه ومن صحيفته « الأستاذ » نسبوا اليه تهمة التعصب الدينى .

ولمـــا كان النديم يرفض فـــكرة أن يكون للدين دخل فى مصائر الأمم فقد رفض فـــكرة « الجامعة الاسلامية » التى تبناها أســـتاذه الأفغـــانى ورأى أن البديل عن ذلك هو المنـــاداة بجمع شمل الشرقيين بغض النظر عن دينهم فظهرت فـــكرة الرابطة الشرقية « لحفظ الشرق للشرقيين » .

وكما أن النديم تحدث عن مفهوم القومية ومبدأ «مصر للمصريين» وأهمية الوحدة الوطنية فقد كانت لديه أفـــكار أيضا عن الديمقراطية

---

(٧٦) اســتغل بعض مدبرى الفتن مقتل بطرس غالى فحاولوا شق الوحدة الوطنية واحداث صراع طائفى بعقد المؤتمر القبطى فى أسيوط ، والمؤتمر الاسلامى بمصر الجديدة .

(٧٧) الطائف : تحت عنوان « المصريون والأوربيين » علما بأننا لم نتمكن من معرفة رقم العدد أو تاريخه لأن نصف الصفحة الأولى مفقود .

(٧٨) نفســـه .

كأساس للحكم فى مصر ، والدستور كنظام له وحرية الرأى والاهتمام بالرأى العــام وفــكرة اعلان الجمهورية وهذا ما سنتعرض له .

النديم والديمقراطيــة :

لقد انفعل النديم بالمظالم الواقعة على أبناء وطنه وما يتعرضون له من سوء ادارة نتيجة للحكم المطلق الذى أثقــل كواهلهم فــكانت

---

(٧٩)ان كلمة الديمقراطية استعملت من قبل فى المدنيات القديمة بل انها تستمد أصلها من كلمتين يونانيتين هما Demos بمعنى شعب ، Kratos بمعنى سلطة أى أن الديمقراطية هى حكومة الشعب .

د. ثروت بدوى. النظم السياسية . القاهرة. دار النهضة العربية. الطبعة الأولى ١٩٦١ ص ١٥٩ ويذكر الأستاذ محمد شفيق غربال أن الأب « أغستنيس باربارا » عندما ترجم كتاب « السياسة لأرسطو » من اليونانية الى العربية ترجم كلمة ديمقراطية اليونانية بالحكم الشعبى والسياســة الشعبية دون أن يحاول ان يبرر لم عدل عن كلمة « الديمقراطية » السائدة فى الاستعمال الى الحكم الشعبى ، ومن الجائز أن الحكم الشعبى أدق من كلمة ديمقراطيــة من حيث الدلالة على المعنى الأصلى ، لــكن مادام الاستعمال قد درج على كلمة ديمقراطية فــكان من الخير الابقاء عليها .

مؤتمر مجمع اللغة العربية ــ الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ــ ١٩٦٠. « مجموعة البحوث والمحــاضرات » تحت عنــوان « كيف دخلت المصطلحات السياسية فى اللغــة العربيــة ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

ومفهوم الديمقراطية فى الصــحافة المصرية حــديث العهــد وقليلا ما استخدمت هذه الــكلمة حتى نهاية الحرب الأولى وكان يستعاض عنها بــ « حكم الشورى » أو « سلطة الشعب » فعرفها » عبد الله النديم » بأنها « الشورى » انظر : التنكيت والتبكيت فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ .

وعرفها « ميخائيل عبد السيد » بأنها « سلطة الأمة » وذكر انهــا افضل انواع النظم . الوطن فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨٨ .

وعرفها « مصطفى كامل » بقوله « أن تنــال الأمة حقوقها كاملة .. فتصبح سيدة نفسها » اللواء فى ٢٥ فبراير ١٩٠٦ تحت عنوان « بم ننال حقوقنــا » وعرفها « احمد لطفى الســيد » بأنها « سلطة الأمة » وانه « لا يمكن الاعتراف بوجود ذاتى للامة او حياة حقيقية لها الا اذا كان لها من ادارة اعمالها الحظ الملائم لدرجتها فى الرقى الاجتماعى .

الجريدة فى ١٨ مايو ١٩٠٧ تحت عنوان « المجالس النيابية » .

كما عرفها محمــد رشيد رضــا بأنها « تقتضى بما حكم به الشرع والعقل .. أى بوجوب جعل الحكام اجراء للامة .

المنار فى ١١ مارس ١٩٠٧ تحت عنوان « سنن الاجتماع فى الحاكمين والمحكومين » .

خطبــه ومقالاته فى تلك الفترة توضح أن هنـــاك روحا مضطهدة فاض بها الاضطهاد فقـــامت تدافع عن نفسها وقــد صور ذلك بقوله « وقد كانت البـــلاد على سعة أطرافها كليمان أعد للمذنبين ، ومجلس جزاء هيىء لأرباب الجرائم والخاطئين ، ولو أن سائحا جويا صعد فى درجات الهواء الى حد يرى ويسمع من تحته من أهالى الديار المصرية اذ ذاك لرأى أمة تتقلب على جمر العذاب على غاية من الاختلاط والاختباط »(٨٠) كما رأى أنه لا يمكن اصلاح الأحوال والاستبداد (٨١) مطبق على رقاب المحكومين ونادى بتحــديد الحقوق والواجبـــات لــكل من الحــاكم والمحكوم (٨٢)

وذكر أن الشرق لم يعرف الديمقراطية لاستبداد حكامه وجهالة شعوبه فقال « لم يكن عند ملوكهم ثقة باعيانهم ووجهائهم ، ولايحبون كثرة العقلاء خوفا من التغلب الذى يحلم به كل ملك شرقى .. نراهم اذا نبغ فى ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيـــه من

---

(٨٠) الطائف فى ١٩ يونيو ١٨٨٢ .

(٨١) عرف الــكواكبى الاستبداد بأنه « اقتصار المرء على رأى نفسه فيما تنبغى الاستشارة فيـــه » كما عرفه بأنه « تصرف فرد أو جمع فى حقوق قوم بلا خوف تبعه » .

الرحالة ك : طبـــائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص ٦ ، ٧ .

كما عرفه بانه « صفة الحكومة المطلقة العنـــان التى تتصرف فى شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب و لاعقاب » .

والجدير بالذكر ان الكواكبى نشر سلسلة من المقالات عن الاستبداد فى جريدة المؤيد ابتــداء من ١٥ أكتوبر ١٩٠٠ تحت عنوان « اقتراح على المحررين السياسيين » .

(٨٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ص ٢٧٥ .

البلاء والعنـــاء » (٨٣) ثم تحدث عن أهمية أسلوب التشاور بين أبناء الوطن فقال : « الشورى هى غرس الأفــكار فى أرض التبادل وسقيها بماء الحرية ، وخدمتها بيد الاعتدال لتثبت العـــدل وتزهر الحق وتثمر العمران » (٨٤) وكتب عن فوائد الحياة النيابية ، والأسس التى تقوم عليها طريقة الانتخاب السليم والشروط الواجب توافرها فى المرشحين فذكر أنه لا يقوم بهذا العمل الا من توافرت فيه « مواد الفضل وتردى برداء العدل .. وتدرع بدرع الوقاية من شهوات نفســـه وأغراضـــه الذاتيـــة » (٨٥) .

---

(٨٣) الاســـتاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بم تتـــدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

والجدير بالذكر أن النـــديم لم يكن وحده الذى حمل ملوك الشرق مسئولية التدهور نتيجـــة لاستبدادهم فقـــد سبقه فى ذلك آخرون فأديب اسحق يحمل ملوك الشرق المسئوليـــة بقوله « ان استبداد ملوك الشرق واستئثارهم بالمنـــافع هو العلة الحقيقيـــة فى سقوط دولتهم واختـــلال مواردها وتلاشى أحوالها » .

جريدة مصر فى ٣١ يوليو ١٨٧٩ تحت عنوان « آثار الاســـتبداد فى الدول الشرقية عموما والدولة العثمانية خصوصا » .

وكتب سليم النقاش عن ذلك فقـــال « فمن آفات الشرق العظمى وطامته الـــكبرى استبداد ملوكهم وتحامل قويه على صعلوكه » .

جريدة العصر الجديد فى ١١ مارس ١٨٨٠ تحت عنوان : « الاستبداد فى الشرق » .

كما ذكرت جريدة مرآة الشرق ان اســـباب انحطاط الشرقيين يرجع الى « فساد أخلاق الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واستبدادهم فى الرأى » .

مرآة الشرق فى أول مايو ١٨٧٩ تحت عنوان « المـــال » .

(٨٤) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ، علما بأن هذه الأفـــكار تتفق مع افكار جمعية الفتـــاة السرية التى انضم اليها النديم قبل ذلك حيث نشرت فى لائحتها اهمية نظام الشورى وايجاد قانون ينظم الحقوق والواجبـــات لـــكل من الحاكم والمحكوم .

انظر : جمعية مصر الفتاة : لائحة اصـــلاح مرفوعة الى جلالة الأمير توفيق ص ١ — ٦٨ .

(٨٥) مصر : العـــدد ٤٢ فى ١٨ ابريل ١٨٧٩ مقال للنـــديم تحت عنوان « الحال » .

ثم تحدث عما توفره الحياة الديمقراطية للشعب من الحقوق حيث تعرض الأمور على المجلس النيابى ثم تناقش قبل تنفيذها فاذا وافق عليها أغلبية الأعضاء نفذت ، واذا اعترضوا أوقفت حتى لو كانت بأمر الحاكم لأن الرأى الأخير يكون نتيجة التشاور وتضارب الأفكار ثم تصدر القوانين متلائمة مع التابع والمتبوع [٨٦] ، كما انتقد الحكام الذين يصدرون القوانين دون الرجوع لرأى أحد [٨٧] وتحدث عن أسباب نجاح النظام الديمقراطى فى الغرب فقال « وما أوصلهم لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والأذكياء حتى اضطروا الأغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التى بها ترشحوا للدخول فى أندية الشورى » [٨٨] كما ذكر أن الديمقراطية وجدت بالغرب عندما رأت ممالك أوربا أن الملوك كثيرا مايقعون فى أخطاء الرأى حينما ينفردون به فأحدثوا مجالس الوزراء والشورى التى تقيدت بها الممالك ظاهرا فألقت أوزارها على عاتق أعيان الأهالى ومنتخبيهم لتستمد أفكارهم بما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة ، وصار للأمم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم أنهم لايصرفون شيئا ولا يحدثون عملا ولا يبرمون أمرا الا بمشورة نوابهم .

وبتبادل الأفكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها [٨٩] .

---

(٨٦) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون ص ٧٦١ .
وكان ميخائيل عبد السيد قد سبق النديم فى تعريفه للحكومة الديمقراطية حيث قال هى التى « يكون فيها الملك مقيدا ومربوطا بشرائع البلاد بحيث لا يجوز له الخروج عن مقتضاها ولا المروق عن فحواها » الوطن فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨٨ .

(٨٧) تحدث الأفغانى عن الأمة التى تتقيد برأى واحد من الناس ولا تتحرك الا بارادته فقال « ومن المعلوم أن الرجل الواحد ولو انفرد بالعقل والذكاء والهمة وعلو النفس لا يستطيع جلب السعادة لنفسه فضلا عن جلبها لأمة كبيرة .
مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ .

(٨٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٧٦١ .

(٨٩) الأستاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

طالب النديم بتكوين الأحزاب مثلما يحدث فى أوربا حتى يكون هنالك من يحاسب الحكام على أفعالهم ، ويستخلص من تضارب الأفكار واختلاف الأحزاب قوانين تلائم التابع والمتبوع (٩٠) فكتب فى الأستاذ قائلا « علينا معاشر المصريين خصوصا والشرقيين عموما أن نبحث فى طرق أحزاب أوربا وروابطهم وكيفية سيرهم ، وموجب استمرارهم على ماهم فيه ، ونقلدهم بسير لطيف ، واعتدال فى الحركات والسكنات مع لزوم الهدوء وحسن الانقياد والمحافظة على حقوق الأجانب والنزلاء والانتباه لدسائس الدخلاء وفتن الأجراء » (٩١) كما طالب بأن يكون لكل حزب جرائده التى تعبر عن أفكاره فقال : « ولتكن لكل فريق جرائد تنشر أعماله وتؤيد أقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحا آخذة أفكارها من مجموع أعمال الحزب أو آراء عقلائه بحيث تلزم مشربا لا تتحول عنه بتحول الأحوال و لاتتلون أمام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها أن تكون مضادة لغيرها من الجرائد فى كل ما يكتب » (٩٢) .

وبما أن الديمقراطية الكاملة لا تكون الا اذا كان حق الانتخاب وحق الترشيح مقررين للجميع دون تمييز بسبب الثروة أو المولد فقد طالب النديم بتمثيل الفقراء فى المجالس النيابية لأن وجود الأغنياء وحدهم يجعلهم يوجهون سلطةالتشريع حسب أهوائهم وحسبمايخدم

---

(٩٠) رئيف خورى : الفكر العربى الحديث — أثر الثورة الفرنسية فى توجيهه السياسى والاجتماعى ص ٢٠٢ .

(٩١) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣٠ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٤ — ٤٦٧ تحت عنوان « اشتات الشرق وعصبيات أوربا » .

والجدير بالذكر ان النديم خالف رأى استاذه الذى كان يرى ان تكوين الأحزاب لا يتناسب مع افكار أهل الشرق لانه يؤدى الى الشقاق بينهم وتصبح نكبة عليهم .

محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى ص ٨٥ .

(٩٢) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٦٧ .

مصالحهم فقال : « ان كان الانتخاب قاصرا على الأغنياء دون الأذكياء كان مجلس النواب وبالا على الشعب والوطن .. لأن الغنى مولع بالاستبداد والاستعباد »[٩٣] ووجوده فى مجلس النواب علة لزيادة هلاك الشعب وتشريع للقوانين الظالمة له كما انتقد الأمم التى تسير على هذا المنوال وذكر أنها « مقيدة بقوانين وضعت لأغراض ذاتية وأفكار مقصورة على فرد أو بعض أفراد ولا يفقه تلك القوانين الا واضعها.. ومجالس مقصورة على أرباب الثروة أو أهل الكلام وليس كل الأمة » [٩٤] .

والجدير بالذكر أن النديم كان فى ذلك مخالفا لرأى الشيخ محمد عبده الذى طالب بقصر الانتخاب على المتعلمين [٩٥] وذلك أثناء خطبته فى احتفالات جمعية المقاصد الخيرية فى ١٣/٢/١٨٨٢ ابتهاجا بتعيين البارودى حيث قال : « انه لم يعهد فى أمة من أمم الأرض أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وازالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك » [٩٦] كما قال مخاطبا الأغنياء هل « رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم فى جاهكم ومجدكم ، وتساووا الصعاليك حبا فى العدالة والانسانية » [٩٧]

---

(٩٣) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١

(٩٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ١١٨ .

(٩٥) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر جـ١ ص ١٤٨ .

(٩٦) نفسه .

(٩٧) نفسه .

ويذكر الأستاذ أبو المعاطى ابو النجا ان الشيخ محمد عبده يعتبر اعظم موثق عقود فى القرن التاسع عشر بين الأفكار حيث نجح فى أن يعقد زواجا سعيدا فى رأسه بين العلم والدين ولكنه رغم ذلك لم يستطع أن يهضم فكرة الزواج السعيد بين الأغنياء والفقراء ولا بين القانون والثورة .

انظر : العودة الى المنفى جـ ٢ ص ٣٤ .

وقد اعترض النـديم على ذلك بقوله ان الفلاحين هم الأغلبيـة العظمى من سكان البلاد ، وهم أصحاب المصـالح الحقيقيون وأدرى بمشاكلهم من غيرهم [٩٨] .

هكذا عارض النـديم سيطرة الأغنياء على مجلس النواب وطالب بتشكيله من كافة الطبقـات حتى يكون للفقـراء رأيهم فى الدفاع عن مصالحهم ، وحتى تسمع أصواتهم موضحا أن الديمقراطية الصحيحة لابد أن يتـدرب عليها الشعب ويمارسـها [٩٩] ، ولهـذا قال « ان الشيء فى أوله لا يجيء على صورته الحسنة فى سائر الجهات بل لابد من النقض والابرام والخطأ والتصويب والتغيير والتبديل حتى تتقدم الأفـكار وتتحسن الأعمـال [١٠٠] ومن هـذا يتضح أن النـديم لم تقف أفكاره عند حدود الديمقراطية السياسية التى « ظلت تسـود الفكر المصرى وتطبع أغلب كتابات الصحفيين والكتاب المصريين حتى نهاية الحرب الأولى [١٠١] بل أرسى تقليدا جديدا للديمقراطيـة وهو الديمقراطية الاجتماعية حيث دافع عن حق الانتخـاب للجميع دون تفرقة بين غنى وفقير أو متعلم وجاهل ، واعتبر أن ذلك سيؤدى الى الاصلاح السياسى والاجتماعى ، متفقا فى ذلك مع رأى استاذه الأفغانى الذى يرى أن كل اصـلاح الى زوال مالم ينبعـث من أعمـاق

---

(٩٨) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٩٩) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ص ٢٥٠ .

وقد وصل الأمر بالنـديم ان اعترض على اختيـار سلطان باشـا رئيسا للمجلس بقوله « ولمـا ترأس ابو سلطـان على مجلس الأعيـان اعترضت على عرابى فى انتخـابه واطلت فى عتابه وقلت له انه تلميذ فى مدرسة الظلم الوبيل وتربية الخديو اسماعيل » .

د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٦١ .

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ م .

(١٠١) فاروق ابو زيد : الفـكر الليبرالى فى الصـحافة المصرية ١٨٨٢ — ١٩٢٤ ص ٢٤٠ .

الجماهير » (١٠٢) .

كما ناشد النديم الحاكم أن يتدرع « بدرع الوقاية من شهوات نفسه ، وأغراضه الذاتية وينزل عن جواد الجبروت الى أرض التواضع واللين .. وشاور فى أمره ولى العقل والخبرة .. وقلد أعماله أهل العفة والأمانة والصدق » (١٠٣) .

هكذا وقف النديم حربا على الحكم المطلق والاستبداد ، ورأى أن الأخذ بمبادىء الحرية وأساليب الحكم الدستورية واجب على الحكومات حتى تستطيع الوصول الى التقدم والازدهار لبلادها ، كما رأى أن تكون السيادة والسلطة للأمة لأن الحكام لم يوجدوا الا لخدمة الشعب (١٠٤) .

وبما أن الديمقراطية تعتمد فى وجودها على حرية تكوين الرأى وحرية التعبير عنه ، وبما أن بناء الحياة الديمقراطية لا يتم بدون الاهتمام بالرأى العام (١٠٥) وتوعيته فان النديم لم يغفل الحديث عنه .

---

(١٠٢) قال الأفغانى « ولن تنبعث شرارة الاصلاح فى وسط هذا الظلام الحالك الا اذا تعلم الشعب وعرف حقوقه ودافع عنها ، ومتى عرف الشعب هذه الحقوق وجد نفسه مضطرا الى المطالبة بها والمحافظة عليها اذا نالها » .

جمال الدين الأفغانى « العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى » ص ٣٠ .

(١٠٣) جريدة مصر : العدد ٤٢ فى ١٨ أبريل ١٨٧٩ مقال النديم بعنوان « الحال » .

(١٠٤) توفيق على برو : المرجع السابق الذكر ص ٢١ .

(١٠٥) هو « ثمرة النقاش والجدال بين الأفراد حيث يسود أحد الآراء الفردية على بقية الآراء او تصل الجماعة الى راى جديد كان فى بادىء الأمر رايا ثم تناولته بالصقل والتحويل والتعديل » .

د. حسنين عبد القادر : الراى العام والدعاية وحرية الصحافة القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٦٢ ص ١٥ .

كما انه « الراى السائد بين اغلبية الشعب الواعية بالنسبة لموضوع او اكثر يمس مصالح هذه الأغلبية مسا مباشرا أو يشغل بالها ، ويحتدم فيه الجدل والنقاش فى فترة معينة » .

د. مختار التهامى : الراى العام والحرب النفسية . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٧ ص ٢٢ .

ومع آن مصطلح الرأى العـــام كان حديث الاستعمال (١٠٦) فى مصر مثل الـــكثير من المصطلحات السياسية فان النديم لم يغفله حيث أنه عامل هام فى تحريك المجتمع نحو القضايا ذات الأهميـــة القومية فقال « ان النظر فى المصالح المـــدنية والواجبات الوطنيـــة لا يكون الا فى الأندية والمجامع بتبادل أفكار عقلاء الأمة سؤالا وجوابا وسلبا وايجابا بما عند الأفراد من الأخبـــار الطارئة والحوادث العارضـــة والمسائل العلمية والوسائل التجارية والبـــواعث الوطنيـــة والحوافظ الملـــكية والخصائص الجنسية والفوائد اللغوية والمحســـنات المـــدنية فانه يستحيل على فرد أن يستقل بهـــذه العلوم نظرا وبحثا وتنفيـــذا مهما ارتفعت درجتـــه من المعـــارف ، واتسعت أفـــكاره بالتجارب بل لابد له من أيد يكثر بها العمل وألسنة تنتشر بها العوائد وتسمع القاصى والدانى ممن تجمعهم الوطنيـــة أو تضمهم الجنسية أو تعمهم السلطة الدولية ، وهذا لا يكون الا باجتماع العقلاء وتبادل افكار المنتج للرأى العـــام » (١٠٧) .

ومن ذلك يتضح أن النـــديم دعا الى تبادل الأفـــكار بين أبنـــاء الوطن عن طريق عقـــد الاجتماعات فى الأنـــدية وأماكن الاجتماعات الأخرى وذلك للنظر فى أحوال البـــلاد وبحثها بحثـــا عاما يقوم على

---

(١٠٦) مع ان تاريخ هذه الفكرة يعود الى المدنيات القديمة فقد كان « لصوت الشعب » فى أواخر الامبراطورية الرومانية قوة عظيمـــة فى تقدير اعمال الدولة وآرائها فان هـــذا المصطلح حديث الاســـتعمال ولم يصـــبح شـــائعا قبل اواخر القرن الثـــامن عشر . فالروح العـــامة «Esprit Général» التى اتى بها « مونتسكيو » والارادة العامة «Volonté Général» التى اتى بها « روسو » اقرب شىء لما نسميه بالراى العـــام .

ستيوارت دود : العلاقات الاجتماعية فى الشرق العربى — ترجمة فريد جبرائيل نجار — ص ٣٠٠ .

(١٠٧) الأستاذ : العدد الثالث عشر فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٢ ص٢٨٩ — ٢٩٠ تحت عنوان « طريق الوصول الى الراى العام » .

الوعى والتفكير وايثــار الذات لأن الاجمــاع على المســائل الهامة ضرورى ، وعن هــذا الطريق تتسع أفــكار الشعب وتزداد تجــاربه ويعرف ماضيه وحاضره وتبعث فيه روح الحمية فيحافظ على حقوته ويعرف واجبــاته لأن الرأى العــام الحقيقى يجب أن يســتند على تفاعل أكثرية الشعب ، وهذا التفاعل ينتج عندما تدور بينهم المناقشات فى أحوال البــلاد السياسية والاقتصــادية والاجتماعيــة والثقافيــة وغيرها •

ولمــا كان الرأى العــام وقوة الجماهير لا يزدهران الا فى ظل الديمقراطية حيث يتمتع أفراد الشعب بكافة صور الحرية فقــد أكد النديم على ضرورة حرية الفكر لأن غيابها كان السبب فى تأخر البلاد وطالب « باطلاق حرية الــكتاب فى نشر أفــكارهم » (١٠٨) •

هكذا استطاع النديم أن يبسط لأبناء وطنه أفكاره عن الديمقراطية ومزاياها وأسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق وأهمية التشاور بين أبناء الوطن ، وضرورة تكوين الأحزاب وحق الانتخــاب والترشيح للجميع بغض النظر عن ثروة أو علم أو غيرهما متخطيا فى هذا الأفكار السائدة عن الديمقراطية ومبرزا طريقا جديدا لها ، وهى الديمقراطية الاجتماعية ثم أوضح أهمية الاهتمام بالرأى العــام وتكوينــه حتى يســتطيع المساهمة فى بنــاء الحياة الديمقراطيــة ، ولمــا كان من بين أفــكار العرابيين عزل الخديو واقامة جمهورية فاننــا سنتعرض لهذا الموضوع مبرزين دور النديم فيه •

---

(١٠٨) الأستاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بم تقــدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

النديم وفكرة اعلان الجمهورية (١٠٩) :

على الرغم من أن جمال الدين الأفغانى كان يرى أن الحكم الجمهورى فى وقتـه لا يصلح للشرق ، ولا لأهله (١١٠) ، لأن « طول مكث الشرقيين تحت نير استبداد المستبدين .. (جعلهم) لا يميزون بين الحسن والقبيح والضار والنافع وأوشكوا ألا يعرفوا أنفسهم وما انطوت عليه من القوى المقدسة والمقدرة الكاملة (١١١) وأن من الأفضل التدرج فى مجال العمل السياسى بما يوائم طبيعة الشعب واستعداداته فانه عز عليه أن تكون مصر راسفة فى الأغلال فاقترح على الشيخ محمد عبده أن يقتل الخديو اسماعيل ويتضح ذلك مما ذكره الشيخ محمد عبده بقوله : « كان الشيخ جمال الدين موافقا على الخلع فاقترح على أنا أن أقتل اسماعيل ، وكان يمر بمركبته كل يوم على جسر قصر النيل ولكن كل هذا كان كلاما نتهامسه فيما بيننا ، وكنت أنا موافقا على قتل اسماعيل ولكن كان ينقصنا من يقودنا فى هذه الحركة » (١١٢).

---

(١٠٩) يرجع اصل هذه الكلمة الى وقت الحملة الفرنسية على مصر ، حين بدأ الجيش الفرنسى ينشر منشوراته التى وصفت بأنها صدرت عن « الجمهور الفرنسى » فأصبحت كلمة «République» تؤدى بجمهور ثم انتهى الأمر الى كلمة جمهورية .

مؤتمر مجمع اللغة العربية — الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ — ١٩٦٠ « مجموعة البحوث والمحاضرات » بحث مقدم من الأستاذ محمد شفيق غربال تحت عنوان « المصطلحات السياسية فى اللغة العربية » ص ١٩٥ وقد ظهرت كلمة الجمهور فى الكتب العربية لأول مرة فى كتاب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى أثناء حديثه عن الزعامة الشعبية واثرها فى توليه محمد على : عجائب الآثار ج ٣ ص ٣٢٩ .

(١١٠) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٣١ .

(١١١) جريدة مصر : العدد ٣٣ فى ١٤ فبراير ١٨٧٩ مقال للافغانى تحت عنوان « الحكومة الاستبدادية » .

(١١٢) أنظر المنار الجزء التاسع عدد ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ص ٩٨ .
Cromer : op. cit., Vol. 2 p. 181.
Blunt : op. cit., p. 95.
وايضا : تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ص ١٥ ، ٢١٠ .

قد كان من أفــكار قادة الحركة الوطنيــة فى ذلك الوقت طرد
ديو وذريته من مصر (١١٣) ، وتفضـيل النظام الجمهورى (١١٤)
بث النـديم هذه الفكرة فى عقول الشباب (١١٥) ، ولـكنها لم
أييدا كافيا من العلماء والـكثير من المسلمين خشية فصل الدين
دولة (١١٦) لاعتقادهم أن الاســلام لايفرق بين الدين والدولة ،
الخـلافة رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيـا (١١٧) ، وتصورهم
منى اقامة الجمهورية هو الانفصـال عن الدولة العثمانية ويوضح
ما ذكره البارودى فى اجتماع للعرابيين بمنزل حسن موسى العقاد
د كنا نرمى منذ بداية حركتنـا الى قلب مصر الى جمهورية مثل
سرا ، ولـكننا وجدنا العلمـاء لم يستعدوا لهـذه الدعوة لأنهم
متأخرين عن زمنهم ومع ذلك فسنجتهد فى جعل مصر جمهورية
أن تموت » (١١٨) .

كما أن العرابيين لم يجدوا أيضا تأييـدا كافيـا من النواب فى
ب خلع الخديو فعندما اجتمع مجلس النواب فى منزل سلطان باشا

---

(113) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589, Memorandum Dervish Pasha.

(١١٤) تحدث الشيخ محمد عبده عن النظام الجمهورى فى امـريكا
: « اننـا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية فى امريكا واعتـدال
امها والحرية التـامة فى الانتخابات العمومية لرؤسـاء جمهورياتهـا
ساء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقـدار السعادة التى
ا الأهالى فى تلك الحالة » .
الوقائع المصرية فى ١٤ ابريل ١٨٨١ تحت عنوان « خطأ العقلاء »

(115) Blunt : Secret History P. 347.

(١١٦) شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا او اخاء أربعين سـنة
٤١١ دمشق — مطبعة ابن زيدون . الطبعة الأولى ١٩٣٧ .

(١١٧) انكر الشيخ على عبد الرازق ذلك ، وذهب الى ان الاسلام
ة دينية لا علاقة لها بالأمور السياسية .
انظر كتاب « الاسلام وأصول الحكم » .

(118) Blunt : Op. Cit. P. 344.

وطالب عرابى بخلع الخديو (١١٩) وختم خطبتــه بقوله : « من كان معنا فليقم ؛ حدثت ضــجة كبيرة فى المـكان ووقف الضباط ولـكن معظم النواب لم يقفوا فتهددهم الميرالاى محمد عبيــد بالسيف ومع ذلك ظلوا جالســين مما يوضــح أن معظم النواب لم يوافقوا عرابى على خلع الخــديو (١٢٠) لقد خشى العرابيون مفــاجأة الرأى العــام بنظــام لم يستعد له ، ومع ذلك فقــد كانت هنــاك بوادر محاولات للتخلص من الخديو والأمثلة التالية توضح ذلك :

١ — فى أثناء الاستعدادات للقيام بمظاهرة عابدين يذكر « سليم النقاش » أنه حينما بلغ عبد العــال حلمى حكمدار الآلاى السودانى خبر ذهاب الخــديو الى القلعــة كى يثنى حاميتها عن الاشتراك فى مظاهرة عابدين ، جمع عساكره ، وتوجه بهم اليها ودخلها ، ولمــا لم يجد الخديو تأسف ورجع بالآلاى قاصدا عابدين (١٢١) .

ان ماذكره النقاش يضع علامة استفهام على تأسف عبد العــال حلمى لعدم وجود الخديو بعد أن حاصر القلعة بجنوده .

٢ — تهديد عرابى بمحاصرة سراى الاسماعيلية المقيم به الخديو اذا لم يأمر برجوعه الى نظارة الجهادية (١٢٢) .

٣ — محاولة العرابيين الحصول على موافقة مجلس النواب بعزل الخديو (١٢٣) .

---

(١١٩) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر جـ ٧ ص ٩٢ -- محضر استجواب يعقوب سامى .

(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٢٨٠ .

(١٢١) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ١٢٤ .

(١٢٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ٢٨٠ .

(١٢٣) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر جـ ٧ ص ٩٢ .

٤ — قول بعض الزعماء « اعزلوا الخديو الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم » (١٢٤) .

٥ — عثر ضمن الأوراق التى ضبطت لدى عرابى على صيغة سؤال مضمونه استفتاء العلماء فى جواز عزل الخديو ونصه كالتالى :

ما القول فى حاكم مولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى الناس ويقضى بأحكام الله فنقض العهد وأحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم ثم انتهى به الأمر الى أن اختار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين ، وطلب من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومته الاسلامية وحمل رعاياه على أن يدينوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية وبذل عنايته فى المدافعة عنها ، ولما دعاه المؤمنين للرجوع عن ذلك أبى وامتنع وأصر على الخروج عن طاعة السلطان والمروق من الشريعة فهل يجوز شرعا أن يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الأجانب من السلطة الاسلامية أو يتعين فى هذه الحالة عزله واقامة بديل له يحافظ على الشرع ويدافع عنه (١٢٥) .

٦ — حدث فى اليوم التالى لضرب الاسكندرية أن أمر عرابى طلبه باشا بمحاصرة قصر الرمل الموجود به الخديو بجنود من الفرسان والمشاة (١٢٦) والقبض عليه وارساله الى القاهرة خشية التجائه للانجليز (١٢٧) مما دفع الخديو الى ارسال وفد الى عرابى (١٢٨) لمعرفة

(١٢٤) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ص ٢٦٨ .
(١٢٥) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابيـة محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .
(١٢٦) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ ملف رقم ٩٦ شهادة سليمان اباظة باشا أمام قومسيون التحقيق بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٨٨٢ .
(١٢٧) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ١ ص ١٦٧ .
(١٢٨) كان الوفد مكونا من سلطان باشا وحسن الشريعى وسليمان اباظة وياوران الخديو وياوران درويش باشا .
سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٧ ص ١٢٧ .

أسباب الحصار والمطالبة بانهائه ولم يوافق عرابى الا بعد الحاح الوفد عليه وتكرار الرجاء (١٢٩) والحاح ياور درويش باشا .

٧ — ان دعوة عرابى الى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف الشعب ومنهم شيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين وقضاة الأقاليم وأعيان التجار وكثير من أعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد للنظر فى أحوال البلاد (١٣٠) ومناقشة الموقف بعد اتضاح موقف الخديو فى الانحياز للانجليز وانعقاد هذه الجمعية واصدار قرارات بتوقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظاره الموجودين معه وخلع طاعته وترتيب مجلس ادارى للنظر فى شئون ادارة البلاد (١٣١) ان دعوته تلك تعتبر فكرة جريئة ذكرها عرابى بأنها :

« عبارة عن جمهورية مؤقتة الى أن تنقشع سحب المصائب المتكاثفة على مصر » (١٣٢) .

٨ — تحرير محاضر بعزل الخديو وتختيم الأهالى والعلماء عليها (١٣٣) .

---

(١٢٩) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ ملف ٩٦ شهادة سليمان اباظة باشا امام قومسيون التحقيق فى ١٣ اكتوبر ١٨٨٢ .
والجدير بالذكر ان سليمان اباظة هذا كان ضمن اعضاء الوفد الذى ارسله الخديو لعرابى لفك الحصار .

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .

(١٣١) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية : محفظة ٤١ وثيقة تحت عنوان « صورة القرار المعطى من الأمة المصرية بديوان الداخلية » فى ٢٩ يوليو ٨٢ .

(١٣٢) مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٧١ ص ٧٧ تحت عنوان « وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابيه » حصلت عليها من باريس « فريدة مرعى » وعلق عليها د. احمد عبد الرحيم مصطفى . وثيقة تحت عنوان « رسالة من عرابى الى يعقوب صنوع » .

(١٣٣) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ . محضر استجواب احمد عرابى .

٩ — قول محمود سامي البارودى « ان الخديو لازم يأخذ شنتته وبتوجه للوقاندو شبت (١٣٤) فانه عزل (١٣٥) من ذلك يتضح أن فكرة عزل الخديو واقامة الجمهورية كانت واردة ضمن أفكار العرابيين .

لقد كان قادة ومفكري الثورة العرابية يكرهون من أعماق قلوبهم جميع أفراد الأسرة الحاكمة فالشيخ محمد عبده كان يعتقد أن هذه الأسرة قد أساءت لمصر اساءة شديدة وانه من الخير التخلص منها وسار على منواله عبد الله النديم (١٣٦) أما عرابى فلم يكن يمدح من أسرة محمد على سوى سعيد باشا (١٣٧) وكان يتحين الظروف المواتية لاعلان الجمهورية (١٣٨) . ومع ذلك فالسؤال الذى يطرح نفسه هو هل كان غرض العرابيين الانفصال عن تركيا والاستقلال الذاتي واقامة نظام جمهورى بمعناه المعروف أم أن هدفهم كان الحصول على السلطة وادارة زمام الحكم فى ظل السيادة العثمانية أو خلع الخديو وتولية البرنس حليم مكانه ؟ (١٣٩) .

---

(١٣٤) يقصد لوكاندة شبرد . علما بأن كلمة شبت يقصد بها حشرة كثيرة الأرجل يسميها العامة (أبو شبت) انظر : مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط : طبعة ١٩٦٠ هـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٣٥) اعترف احمد رفعت فى محضر استجوابه بأن البارودى قال ذلك . سليم النقاش : المرجع السابق هـ ١٧ استجواب أحمد رفعت .

(١٣٦) يعقوب صنوع . أبو نظارة زرقاء — باريس فى٣ فبراير١٨٨٢

(١٣٧) مجلة كلية الاداب — جامعة القاهرة . المجلد الثامن‌عشر — الجزء الاول مايو ١٩٥٦ مقال الدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « العقدة الشركسية » .

(١٣٨) مجلة الهلال عدد مارس ١٩٧١ ص ٧٧ تحت عنوان : « وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية » حصلت عليها من باريس « فريدة مرعى » وعلق عليها د. احمد عبد الرحيم مصطفى . رسالة عرابى الى يعقوب صنوع .

(١٣٩) البرنس حليم (.الامير محمد بن عبد الحليم بن محمد على الكبير) كان بحسب فرمان الوراثة احق بالعرش من الخديو توفيق لأنه اكبر أفراد الأسرة الحاكمة سنا ولما تبدل هذا النظام فى عهد اسماعيل بعد صدور فرمان ٧ [illegible] ١٨٦٦ اصبح العرش لتوفيق .
انظر : عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٦٦ .

ان الوثائق والمراجع التى بين أيدينا لم توضح شيئا بالنسبة للجزء الأول من السؤال وان كنا نرى أن فكرة العرابيين للتخلص من السيادة العثمانية فى ذلك الوقت لم تكن واردة فى أذهان الكثيرين منهم وقد وضح ذلك يعقوب صنوع بقوله : « تبين لى أيضا أن أفكار جمهور من الوطنيين خلع الأمة الحاكمة أعنى الخديو وقومه وجعل مصر حكومة جمهورية تجرى بمقتضى قانون الجمهوريات الحرة، وتكون تحت ادارة الدولة العلية وتنزع عموم الأجانب من دوائر حكومتها وتستمر فى اصلاح شئونها [١٤٠] أما عن فكرة خلع الخديو توفيق لاحلال البرنس حليم مكانه فقد كانت هناك اتصالات بخصوص ذلك حيث حاول البرنس حليم الاتصال بعرابى وبقواد آلايات الجيش عن طريق حسن موسى العقاد [١٤١] ، وكان حليم يحاول الحصول على « التماس من الأمة بخلع الخديو لعدم كفاءته » وفى سبيل ذلك حاول التقرب من العرابيين حتى يصل على أكتافهم الى الحكم ، وكان يروج له بين أوساطهم يعقوب صنوع وعبد السلام المويلحى حتى أصبحت مجالس الناس تفيض بهذا الحديث ، ووصل الأمر بأن جاهر بعض الزعماء برغبتهم فى خلع الخديو وتعيين الأمير حليم باشا مكانه [١٤٢] غير أن عرابى لم يرتبط بأى صلات معه [١٤٣]، بل انه عندما تكلم البعض مع عرابى فى ذلك الموضوع « صرح غاضبا بأنه من الواجب التخلص من أسرة محمد على بأكملها » [١٤٤] .

هكذا عرض النديم أفكاره السياسية بأسلوب واضح وقدرة فائقة فى العرض ، وبالرغم من أن هذه الأفكار كانت جديدة على أبناء

---

(١٤٠) ابو نظارة زرقاء فى فبراير ١٨٨٢ .

(١٤١) دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ — برقية من الخديو الى ثابت باشا فى ٣ فبراير ١٨٨٢ .

(١٤٢) الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٢٦٧ .

(١٤٣) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر حـ٧ ص ٣٠ ، ١١٦ — ١٣٤ — ١٣٧ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٨ .

(١٤٤) الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٤ .

وطنه فانهم لم يجدوا صعوبة فى استيعابها ، وتبلورت الرؤية الوطنية للجماهير فى المطالبة بالاصلاح السياسى والاجتماعى وظل النديم على وفائه للعمل السياسى حتى لفظ آخر أنفاسه (١٤٥) فحمل هذه الأفكار أو بعضها الكثير من المصلحين والأدباء ورجال الصحافة وكان من هؤلاء مصطفى كامل .

---

(١٤٥) بينما النديم على وفائه للعمل السياسى نجد الشيخ محمد عبده يذم السياسة ويدعو للبعد عنها ومن ذلك قوله « مادخلت السياسة فى شىء الا افسدته » وقوله « أعوذبالله من السياسة ومن لفظ السياسة ، ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالى من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل فى السياسة ، ومن ساس وبسوس ، وسائس ومسوس » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر حـ١ ص ٨٩١ .

الباب الرابع

النـــديم وحركة الاصـــلاح الاجتماعى والثقافى

- الفصل التـــــاسع : النديم والاصلاح الاجتماعى
- الفصل العــــــاشر : النديم وثقافة عصره
- الفصل الحادى عشر : أساليب النديم فى العمل الوطنى

الفصل التاسع

النـــديم والاصـــلاح الاجتماعى

- موقف النــديم من آفات المجتمع المصرى
- فهم النــديم للعـــدالة الاجتماعيـــة
- النــديم وانشـــاء الجمعيـــات الخيرية
- فـــكر النــديم عن اصلاح الحرف والمهن

لقد سبقت دعوة النديم للاصلاح الاجتماعى انشغاله بأحداث البلاد السياسية ثم مزج بينهما وسارا جنبا الى جنب حيث انشغل بما أصاب قومه من جهل وانحلال وانهماك على الرذائل والموبقات وحاول أن ينبههم على مضارها ويزيل الخرافات والجهل المطبق عليهم، معتقدا أن الوطن لا يمكنه التخلص من السيطرة الأجنبية طالما كان الجهل معششا فى عقول أبنائه والخرافات مسيطرة على أفكارهم مؤثرة على طموحهم والرذائل والموبقات محطمة لمثلهم وعقائدهم[1] فكتب المقالات المطولة والقصص الرمزية والمحاورات التى كتبت بالعامية فى صحفه ليفهمها غالبية الشعب مصورا فيها الأحوال الاجتماعية والسياسية والثقافية التى تعيشها البلاد وما فيها من عيوب : كما كانت له الخطب الاصلاحية على منابر المساجد وفى طرقات المدن والقرى والنجوع حيث قام بحملاته المكثفة على البدع وأعمال الشعوذة والعادات التى لا تدخل أى باد الا وتخرج منه التمدن والعلوم مطالبا أبناء وطنه بالسعى خلف العلوم بدلا من السير وراء الخرافات[2] وسنخص هذا الفصل بالحديث عن : —

١ — النديم وموقفه من آفات المجتمع المصري •
٢ — فهم النديم للعدالة الاجتماعية •
٣ — موقفه من انشاء الجمعيات الخيرية •
٤ — فكره عن اصلاح والحرف المهن •

---

(١) كانت افكار النديم فى ذلك امتداد لما ذكره جمال الدين الافغانى من سيطرة الخرافات على عقول الشرقيين .
انظر : جريدة مصر . العدد ٣٣ فى ١٤ فبراير ١٨٧٩ تحت عنوان « الحكومة الاستبدادية » .

(٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثاني عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .

اولا ــ النديم وموقفه من آفات المجتمع المصرى :

انتـاب المجتمع المصرى آفات عديدة بعضها تراكم بمرور الزمن والآخر جديد على المجتمع المصرى ، ولما كان لهذه الآفات أكبر الأثر فى تأخر الناس وتدهور أحوالهم وعدم مسايرتهم للتقدم فقـد تحدث النديم عنها مبينا مضارها فذكر منها أساليب مشايخ الطرق فى الموالد والشعوذة والمشعوذين والخرافات والاحتيال والـكذب والبـدع التى تسمم بها النساء العجائز أفـكار الشابات مثل الندب والصراخ خلف الميت والجلوس على المقـابر والزار وبدعة شحذ الشحاذ ، ثم تحدث عن مضار الاسراف فى الأفراح والمآتم وعلة الطلاق والتكاسل والاتكال كما تحدث عن خطورة الاندفاع فى تقليد الأوربيين وانتشـار الخمر والقمار والدعارة ، وفيما يلى نعرض ماذكره النديم عن كل آفـة من هذه الآفات .

أ ــ انتقد النديم الأساليب التى يتبعها مشايخ الطرق فى الموالد مما يسىء الى الدين وهو منها براء وينسبون الى الأوليـاء الـكثير من الـكذب والبهتان[٣] ويعجب لمـا يدعيه هؤلاء من علم بما أنزله الله وأن فى استطاعتهم دفع المصـائب ، وجلب النوائب بقـدرتهم ويرميهم بالـكفر والفسوق[٤] موضحا أن وظيفة رجال الدين ما هى الا بـذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم مكارم

---

(٣) محمد عمر : حاضر المصريين او سر تأخرهم . القاهرة ــ مطبعة المقتطف ١٩٠٢ ص ٢٤٣ .

(٤) عبد الله النديم : كان ويكون حـ١ ص٢٤٧ .

ويذكر محمد رشيد رضا ان بعض المشعوذين باعوا بطائق للنجاة من النـار ، ومنهم من باع النشرة و « الحجاب » لقضاء الحاجات وشفاء الأمراض .

انظر : المنـار . الجزء الثانى والعشرون . المجلد الثامن ص ٨٤١ تحت عنوان « اقرار البدعة وانكار السنة » .

الأخلاق[٥] مؤكدا أن الطريق الصحيح هو التمسك بالقرآن والسنة[٦] كما ندد بعادات أهل الطرق فى الموالد التى هى أبعد ماتكون عن الدين مثل الطبل والزمر والرقص وما يتخلل ذلك من الأمور التى تخالف الآداب الشرعية فقال : « هلا اتخذ الناس طريقة للموالد والمجالس غير هذه الطريقة الشنيعة وهلا رجع هؤلاء الجهله عن بدعهم » [٧] .

ولما كان نقد النديم لهؤلاء بقصد الاصلاح فقد أوضح لهم الطريق الذى يجب أن يتبعوه من أجل اظهار الدين بصورته الحقيقية فقال : « ان الطريق المسلوك للقوم مبنى على الاخلاص فى العمل وحب الخلوة والبعد عن الناس والصمت عن اللغو وملازمة الذكر ، والعمل بالسنة والارشاد الى الطريق المستقيم »[٨] .

كما ناشد أولى الأمر باصلاح الطرق وتنقيتها من البدع والأهواء حتى تكون من عوامل تأليف القلوب وتوحيد الكلمة[٩] لقد استهدف النديم من نقده لأساليب مشايخ الطرق هو أن يسلكوا النهج القويم ويسيروا على ما تأمر به الشريعة الاسلامية ويبتعدوا عما يخالف القرآن والسنة . كما استهدف أيضا تقدم الشعب بتوضيح

---

(٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٢٤٧ .

(٦) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون فى ١١ أبريل ١٨٩٣ ص٧٨٦ تحت عنوان « الطرق وما فيها من البدع » ؛ وأيضا العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٣ ص ٨٢٨ تحت عنوان « الطرق واصلاحها »

(٧) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون فى ١١ أبريل ١٨٩٣ تحت عنوان « الطرق وما فيها من البدع » .

وقد سار حافظ ابراهيم فيما بعد على منوال النديم فى نقد مشايخ الطرق واسراف الناس فى طاعتهم والتغالى فى تبجيلهم .

ليالى سطيح — تقويم وتبويب الدكتور محمد كامل جمعه ص ١٦ .

(٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(٩) الأستاذ : العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٣ ص ٨٢٨ تحت عنوان « الطرق واصلاحها » .

الأضرار المترتبة على هذه العادات وضرورة تجنبها حتى تسير البلاد نحو التقدم •

٢ — عن الشعوذة والمشعوذين دعا النديم الناس الى الحذر من هؤلاء[١٠] والانطلاق فى أثر الدول المتقدمة ، ومعرفة أساليب تفكير شعوبها وحياتهم فقال : « يا بنى الشرق أين أحلامكم العظيمة وذكاؤكم البديع كفاكم من العار فقد الثقة فيكم •• كفاكم أنكم تتبعتم الخرافات حتى فسدت أخلاقكم وتكدرت أفكاركم •• أرى فعلة باريس فتحوا لهم صندوق اقتصاد فنما وأثرى •• ونحن نقتصد فى المعاش، ونتوسع فى الخمور والحشيش والقمار[١١] وطالب النديم المشتغلين بالشعوذة بالكف عن تضايل الناس والبحث عن عمل آخر مثل الصناعة حتى يفيدوا بها أنفسهم ووطنهم وحذرهم من أنه سيكشف أمرهم للناس بقوله : « مهلا أيها المشعوذ فقد جاءك التنكيت والتبكيت يظهر مخبئاتك وما أنت عليه من الأضلال والافك فما أضرنا الا شعوذتك فلو تعلمت صنعة غير هذه لكانت أشرف لك ألم تدر أن الصناعة عليها احياء الوطن وعمار البلاد »[١٢] •

كما حذر الناس من الالتجاء الى هؤلاء المشعوذين فى حل مشاكلهم أو الاستماع لأقوالهم لأنهم يضلون عقولهم بأفعال قبيحة ويسلبون نقودهم وضرب مثلا على ذلك فقال ان رجلا مقيما فى ميت غمر « حفر بركة وأشاع أن ماءها يشفى من كل داء فهرع اليه الناس من كل بلد حتى ضاقت ميت غمر بالوفود وكان يعطى الأبريق بعشرة قروش ، ويأخذ الخادم عشرة قروش وعشرة قروش أخرى ثمن

---

(١٠) التنكيت والتبكيت فى ١٩ يونية ١٨٨١ تحت عنوان « خذ من عبد الله واتكل على الله » .

(١١) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ .

(١٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص٦١٧

. الشيخ عشروة قروش ثم يظهر التعفف ، ويقول انه يعالج
اء مرضاة الله ؟

بمثل هذه الجهالة نضارع الأمم المتمدنة »[١٣] .

سرب مثالا آخر بما حدث فى محطة سكة حديد دسوق حينما
القطار امرأة تدعى الولاية ، فازدحم النـــاس عليها بعضهم
طار الذى تركبه ، والبعض الآخـــر يقبل يدها فتقول لهم
عى الولاية « مستورة .. سالكة .. أشيا معدن .. قدامك
اك خضرة.. الله يحنن عليك .. ارمى حمولك على المتولى..
، أولاد الحرام »[١٤] .

هاجم النديم هؤلاء الذين يتخذون من الدين ســتارا لنشر
معتقدات الفاسدة مستغلين سذاجة بعض الناس — بأن لهم
ثيا خارقا وأنهم الواسطة بين الانسان وخالقه وأن لهم من
المعجزة والصفات المذهلة ما يجعل طلباتهم مجابة — مبينــا
لهم وان الدين منها براء .

مدعى الطب الذين يعالجون المرضى بالتمائم والتعاويذ حذر
طنيه من هؤلاء حفاظا على أرواح أبنائهم وضرب لهم مثالا
أفعالهم فقال : « استدعى بعض شبابنا دجالا من ميت غمر
ولدا هو ثمرة فؤاده وقرة عينه ، فلما أقبل ذلك الدجال أخذ
د تارة بكتابة التمائم وأخرى بالتراكيب القتالة (ويسميها
هاما بأنه طبيب) فلم يلبث الولد الا أياما قلائل حتى التحق

التنكيت والتبكيت : العــدد الحادى عشر فى ١١ اغسطس
١٧٤ تحت عنوان « اماتك من اسالك للجهالة » .

التنكيت والتبكيت : العــدد العاشر فى ٧ اغسطس ١٨٨١
ن « سلطنة التخريف » .

بساكنى القبور »[١٥] ناشد النديم أولى الأمر بمحاربة الأباطيل والخزعبلات التى أخرت البلاد و « قطع دابر مدعى الطب وابعاد من تعثر عليه من المشعوذين المتلفين للعقول والأجسام »[١٦] .

وفى مقال للنديم عما يسببه هؤلاء الدجالون والمشعوذون من أخطار على المجتمع ذكر أنه بعد دعوته لانشاء المدارس أثناء تجواله بزفتى وميت غمر خرج من هؤلاء رجل يمر فى الطرقات والمجامع يقول: « المدارس من محدثات الأمور وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »[١٧] .

ثم أخذ يخوف الناس من المدارس بقوله انها تزيغ العقائد وتفسد الأخلاق فتبعه خلق كثير من أوباش زفتى ورعاعها[١٨] وقد ناشد النديم هؤلاء الناس بالكف عن الخرافات بقوله « كفاكم أنكم تتبعتم الخرافات حتى فسدت أخلاقكم وتكدرت أفكاركم وصرتم لاتصلحون لادارة أموركم الا بعد طهارة أخلاقكم التى أفسدها التخريف »[١٩] .

٣ — وعن الاحتيال والكذب والتخريف وتخريب عقول الناس وافساد أخلاقهم وتزوير أدبهم الشعبى الأصيل ومحتواه هاجم النديم مروجى هذه الآفات فكتب تحت عنوان تخريفه « الجنون فنون »[٢٠] مقالا قال فيه ان أحد المحتالين جلس على قهوة وأخذ

---

(١٥) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩١ .

(١٦) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ١١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٤ .

(١٧) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث عشر فى ١١ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢٠٨ .

(١٨) نفسه .

(١٩) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ تحت عنوان « النجم ذو الذنب » .

(٢٠) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيو ١٨٨١ ص ١٠—١١

يقرأ تخاريف سماها قصة عنترة[٢١] فاجتمع اليه عدد من الرعاع والهمج فلما رآهم منصتين اليه ذكر عبـارات نسبها لعنترة ، وظل يتفنن فى الـكذب حتى الفجر وأخيرا قال وبينما هم فى قتال ونزال ، وقـد انكشف الغبار عن أسر عنترة وسنخلصه فى الليلة المقبلة فقال له أحد المجانين لابد أن تخلصه الآن وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الـكلام فشتمه المجنون ، وعلت أصواتهما بالقبائح وآل الأمر الى الضرب والاهانة ثم ذهب المجنون وقـد تذكر أن عنده قصـة عنترة ولـكنه أمى لا يقرأ فقصد بيت ولده وأيقظه من النوم وهو يبكى[٢٢] « وطلب من ابنـه أن يحضر الـكتاب ويخلص عنترة من الأسر والا قتل نفسه ولمـا حاول الابن اقناع أبيه بأن هذه حكاية مكذوبة وقصة كلها تخريف[٢٣] وما عنترة الا عبد أسود أخذ شهرة بما صنعه من قتل بعض النـاس بلا حق قام الرجل وضرب ابنه بعصاه حتى سال دمه، وطرده من بيته انتقاما منه لأنه شتم عنترة فخرج الابن يسب الجهل وأهله وقال : « لاشك ان الجنون فنون »[٢٤]

٤ — وكما حذر النديم الرجال والأولاد من البدع ومفاسدها فقد حذر الشابات من النساء بالابتعاد عن الخرافات التى يسمم بها العجائز

---

(٢١) عن سيرة عنترة والمشتغلون بها فى مصر

انظر : ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر — ترجمة عدلى نور . القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ ص ٣٠٤ .

(٢٢) التنكيت والتبكيت : المقال السابق ذكره ص ١٠ .

(٢٣) يذكر الشيخ حسن المرصفى أن حكاية عنترة وغيرها من القصص الخرافية اكثرها كذب وتمويهات ، واسـوا من ذلك حال تواجد قوم فى اماكن سماع هذه الحكايات ينتدبون المشـاجرة ويختلفون الخـلاف حول هذه الحكايات .

انظر : الوسيلة الأدبية جـ ٢ ص ٧١٠ .

(٢٤) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ١١ .

أفكارهن من حيث الندب والصراخ خلف الميت وذكرهن بأن ذلك مخالف للشرع والدين فقال : « لو علمن علم اليقين أن الولولة والندب[٢٥] خلف الميت لا يجوزان شرعا لما حصل منهن ذلك ولما خرجن خلف الميت صارخات متهتكات صابغات وجوههن وأيديهن بالنيلة أو الطين بل كن يمتثلن لأمر الدين »[٢٦] كما هاجم جلوس النساء على المقابر وتجمعهن كل يوم خميس وفى الأعياد والمواسم للذهاب اليها واتخاذ ذلك فرصة للتزين والتبهرج .

وانتقد النديم « الزار »[٢٧] الذى تقوم به بعض النساء بحجة

---

(٢٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه البدعة :
انظر : كلوت بك — لمحة عامة الى مصر — تعريب محمد مسعود القاهرة — مطبعة ابى الهول الجزء الثانى ص ٧١ وايضا ادوارد وليم لين المرجع السابق الذكر ص ٣٩٦ .

(٢٦) التنكيت والتبكيت : العدد التاسع فى ٧ اغسطس ١٨٨١ ص ١٤٣ ، ولمزيد من التفاصيل
انظر : احمد امين . قاموس العادات والتقاليد ص ١٣٩ .

(٢٧) بدعة تشترك فيها الجارية والسيدة فيأخذن بدق الطبول دقات مزعجة، ويتبادلن الرقص والتمايل والبكاء الهائل والركوع والسجود وضرب الخدود وحل الشعور وقرع الصدور فى وسط تتلى فيه الأكاذيب على الله والصالحين .
محمد عمر . المرجع السابق الذكر ص ٢٧٥ .
ويذكر محمد رشيد رضا أن بعض النساء يتكلمن كلاما يوهمن به أنهن مختلطات بالجن او الأولياء ويطلبن اشياء من ازواجهن ، وهذا القسم من النساء لا دواء لهن غير الزجر والاهانة والتكذيب .
المنار : المجلد الثامن — الجزء الثامن عشر فى ١٣ نوفمبر ١٩٠٥ ص ٧١٦ تحت عنوان « نصائح صحية للبنات من مجلة ابقراط » .
ويذكر الأستاذ احمد رشدى صالح أن منظومات الزار عبارة عن « مجرد رقصات همجية تذكرنا بما نقراه عن رقصات الجماعات المتأخرة استدرارا للخير او دفعا للحيوان الباطش او الظلام المخيف » .
انظر الأدب الشعبى . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٥ ص ١٢٣ .

أن الشياطين يركبوهن متخذين هيئة سلطان أو ملك[٢٨] ، وكل من أصيبت منهن بمرض عصبى أو فتور جسمانى يوصف لها أن تحضر « الكودية »[٢٩] لتبخرها ببخور مخصوص ، وتستنطق الشيخ الذى حل فى زعمهن على جسدها واذا يئست من شفائها تشير عليها بأن تستعد للزار وأن تجهز ما يلزم له من المأكولات والمشروبات والحلى والحلل كالثياب والأقراط والأساور والجلاجل[٣٠] وقد ضرب النديم مثالا على هذه البدعة منددا بها فقال حدثنى بعض من أثق به بتخريفة جرت بمنزله فقال : « بينما كان بمنزلى فى أحد الأيام بعض النساء واذا بجارية سوداء دخلت عليهن ومعها امرأتان فقامت النساء اجلالا لها واجلسنها فى صدر مجلسهن وبعد تناول الطعام بقليل بدأت المرأتان تغنيان وتطبلان فأخذت الجارية فى الانتفاض ثم قامت من وسط المجلس وصاحت بصوت مزعج « السلام عليكم » فأجابها كل من بالمجلس (وعليكم السلام سيدنا الشيخ) ثم صارت كل واحدة تحييه بتحية غير تحية الأخرى[٣١] وقد حدد الشيخ طلباته « باحضار ديك وفرخة سوداء من غير اشارة »[٣٢] .

وقد ندد النديم بما سمعه واعتبره بدعة قبيحة مسيئة للمجتمع

---

(٢٨) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .

(٢٩) عرفت رئيسة مجمع الزار باسم « الكودية » .
المقتطف : المجلد الخامس عشر — الجزء الثالث فى أول ديسمبر ١٨٩٠ ص ١٨٧ .

(٣٠) المقتطف : العدد السابق الذكر ص ١٨٧ — ١٨٨ .
وايضا حافظ ابراهيم : ليالى سطيح ص ١٦ .

(٣١) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .
انظر : الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ص

(٣٢) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر .

لسمعة أفراده وطالب بمدرسة[٣٣] لتهذيب البنات حتى لا يسلكن طريق الأمهات[٣٤] .

كما انتقد النديم بدعة « شحذ الشحاذ » التى تفعلها بعض النساء يوم عاشوراء ، حيث يخرجن فى هذا اليوم وكل منهن تحمل طفلا صغيرا وقد بذلن عفافهن وأبرزن نهودهن حتى اذا ما التقين بفتى أو رجل قابلنه بالضحك والقهقهة قائلين « شحذ الشحاذ » . فيعطيهن درهما فيأخذنه منه على زعم منهن أن هذا الدرهم يمد أجل الطفل الى أمد مديد ويمنع عنه الموت[٣٥] « وقد اعتبر النديم هذا العمل علة من أكبر العلل التى أصابت المجتمع وحذر من أنه لا يمكن أن نرتقى الى سلم المدنية الا اذا طهرنا بيوتنا من هذه العقائد الفاسدة »[٣٦] .

كما ندد بالنساء العجائز اللائى يلقن الأبناء أصنافا من التخريف

---

(٣٣) كتب النديم فى مجلة الأستاذ فيما بعد عدة مقالات ومحاورات تحت عنوان « مدرسة البنات بهدف توعيتهن وتهذيب اخلاقهن »

انظر الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ٣٩٥ — ٣٩٩ .

(٣٤) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ، وقد تحدث حافظ ابراهيم بعد ذلك عن دور الأم فقال :

الأم مدرسة اذا اعددتها اعددت شعبا طيب الأعراق

كما ذكر قاسم امين ان المراة هى ميزان الأسرة فان كانت منحطة احتقرها زوجها واهلها واولادها اما اذا كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع الأسرة واحترمها افرادها واحترموا انفسهم وعاش الجميع فى نظام تام .

قاسم أمين : تحرير المراة ص ١١٦ .

(٣٥) عبد الله النديم : منتخبات النديم ص ٣٠ .

(٣٦) نفسه ص ٣١ .

فذكر أن رجلا أخذ أولاده ليشترى لهم طرابيش فقابله أحد أصحابه ولما عاد الى بيته وأخبر زوجته بذلك قالت له لابد أن يكون هذا الرجل حسدكم ثم ألزمته باستحضار شيء من أثر صاحبه لتبخر منه الأولاد فامتثل الرجل للأمر ، وذهب الى صاحبه وأحضر منديله بحجة شراء مثله ثم أعاده اليه وأطرافه مقصوصة(٣٧) .

لقد نصح النديم الناس بالابتعاد عن مثل هذه الخرافات والعادات القبيحة لأنها ما أن حلت ببلد الا وأخرجن منه التمدن وأبعدت عنه العلوم وأصبح مقاما للأجنبى ، وناشدهم بالسعى خلف العلم والمعرفة فقال : « يا أيها الوطنيون لم لا تجدون فى السعى خلف المعارف ، وقد ظهرت لكم ثمراتها لتضارعوا باقى الأمم فى التمدن الذى لايكون الا باجتناب الخرافات »(٣٨) .

٥ — بين النديم لمواطنيه مضار بعض العادات وأوضح لهم أنها تؤذى ولا تنفع فتحدث عن الاسراف الذى يحدث عند الوفاة حيث تقام السرادقات فقال ان هذه الأموال تصرف فى غير سبيلها فربما كان للفقيد أطفال يئنون جوعا ويرجون مرحمة ويحتاجون أن تصرف عليهم هذه الأموال(٣٩) كما تحدث عما يحدث داخل السرادق حيث يأخذلفيف من المعزين يغتابون سواهم والبعض منهم جلوس يراءون الناس بكلامهم الذى يلوكه لسانهم ويتعجب منذلك بقوله « وأى فائدة عادت

---

(٣٧) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٣ .

(٣٨) التنكيت والتبكيت : العدد السابق ص ١٩٨ .

(٣٩) عبد الله النديم : المرجع السابق ص ٣٤ .

للفقيد »(٤٠) ثم يدعو الله أن يرشد عبـاده الذين ضلوا السبيل(٤١).

وعن عادة « الجهاز أو الشوار » قال النديم انها عادة تخلق بها الناس وتكون فى معظم الأحيـان سببا فى تخريب البيوت العامرة كما أنها تنزل بالفقراء الى الحضيض حيث يهرع الناس لابتياع كل رخيص وغال لاتمام هذه العادة وانتقد ذلك بقوله : « يحتمل أن يكون الزوج فقيرا ولا يقدر أن يسكن فى غرفة تلم هذه الأمتعة التى تهدمها كلمـة الطـلاق »(٤٢).

٦ — وعن علة الطلاق واسراف المسلمين فيه وفى التزوج بأكثر من واحدة طالب النديم الحكومة ورجال الشرع بوضع حـد له وأن يكون هنـاك نظاما للطلاق حتى لا تتشرد الأسرات ويتحطم الأبناء(٤٣) وحتى لا يساء فهم الدين(٤٤) وطالب من يتدخلون لفض النزاع فى مثل هذه الحالات أن يكون تدخلهم للخير والاصلاح ولا يحكمون على شىء قبل التروى حتى لا تشتعل نار الحقد بين العـائلات(٤٥) بل يقومون باصلاح ذات البين درءا للمفاسد المترتبة على الخلاف والخصام لأن أكثر النزاع بين النـاس يكون سـببا عن وشـايات أرباب المفاسـد وسعايات سيىء المقاصد.

---

(٤٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٣٥ .

(٤١) نفســه .

(٤٢) نفســه .

(٤٣) حمل هذه الدعوة بعد النديم « قاسم أمين » فى كتابه « تحرير المراة » حيث قال « ان أرادت الحكومة ان تفعل خيرا للامة فعليهـا ان تضع نظاما للطلاق » ووضع خمس مواد لتنفيذ ذلك .

قاسم أمين : تحرير المراة . القاهرة — الطبعـة الثانيـة ١٩٤١ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٤٤) كانت اباحة الطـلاق فى الاسلام سببا فى طعن بعض فئات الفرنجة على الاسلام وأهله .

(٤٥) عبد الله النديم المرجع السابق الذكر ص ١٣ — ٣١ .

٧ — حذر النديم أبناء وطنه من الاتكال والتكاسل والجبن فى مواجهة المواقف والتنصل من المسئولية باعتبار كل شيء يخضع للقضاء والقدر وضرب لهم مثلا على ذلك فذكر فى مقال له بعنوان « نهاية البلادة — كلها عيشة وآخرها الموت »(٤٦) — وتمنى ألا يكون من بين المصريين من ينطبق عليه هذا المثل — فقال ان رجلا ذهب الى قرية فاستضافه شيخها ولما أقبل الليل ونام الرجل أحس بسارق يحاول خلع باب منزل الشيخ فأيقظ مضيفه وقال له ان بالباب لصا يحاول خلع الباب وسرقة المنزل فلم يهتم صاحب البيت بل قال لصاحبه « اللى على الجبين لازم تراه العين » و « المقدر كائن ولابد من انفاذه » ولما طلب منه صاحبه الاستعداد للمدافعة عن بيته ونفسه وأهله وماله رفض وقال له « توكل على سيدك ونام » وجبن عن الوقوف فى وجه اللص فقام صاحبه وأمسك اللص وكتفه ومع ذلك لم يأبه صاحب البيت بل نام وقال لصاحبه « كلها عيشة وآخرها الموت » .

اتهم النديم صاحب البيت بالغباء وعدم معرفة قدر نفسه وشرف بيته(٤٧) وطالب أمثاله بالنظر الى الافرنج الذين يهاجرون من بلادهم ويتحملون المشقات لكسب الدراهم وذكرهم بأن المدنية والتقدم لا تحصل عليهما البلاد عن طريق الجبن والكسل بل ببذل الجهد والعمل(٤٨) .

٨ — وعن الخرافات الشائعة فى ذلك الوقت باسم «الاستخارة»(٤٩)

---

(٤٦) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٦—٥٨ .

(٤٧) نفسه ص ٥٨ .

(٤٨) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٢٦ .

(٤٩) الاستخارة تعنى طلب الخيرة بسؤال الله تعالى فى عمل من الأعمال قبل ان يعتزم عليه ، ويسبق ذلك طهارة وصلاة وقراءة بعض آى الذكر الحكيم ، ويرى الكثير من الفقهاء انها من البدع .

احمد عطية الله : القاموس الاسلامى . المجلد الأول ص ٨٥ .

وايضا انظر احمد امين : قاموس العادات والتقاليد ص ٣٦ .

و « المندل » تحدث النديم عن اقبال الناس عليهما فذكر أن أحد الدجالين حضر من المغرب مدعيا « أنه عليم بالاستخارة والخرافة الذائعة فى مصر باسم « المندل » فهب الناس قائمين اجلالا له ، وذهب اليه الكثيرون ليكتب لهم خرافة من أساطير الأولين » فكانوا يأخذونها فرحين وألسنتهم تقول : (خذ من عبد الله وتوكل على الله) [٥٠] .

نصح النديم الناس بعدم الاعتقاد فى هذه الخرافات التى تعطل الفكر والارادة لأنها لو كانت صادقة ما بقى فى الدنيا غامض ولا مخبأ ولاعتمدت عليها المحاكم فى كشف السرقات والجناة ، ولصار أصحاب هذه الخرافات من أغنى أغنياء الدنيا[٥١] .

وقد ندب النديم الوطن لتواجد مثل هذه البدع فيه فقال : « هل توجد مدنية على جانب من الجهل مثل مدنيتنا وعقائدنا الواهية ،يقوم الغربى من رقاده باكرا ، ويفتح عينيه على قوته العاملة ، ويقوم الشرقى صحوة النهار الى مشعوذ سخيف ينظر فى مستقبله فينحرف هذا حتى يشبع ذاك مالا » [٥٢] .

لقد كان هدف النديم من نقد مجتمعه الاصلاح وتهذيب الشعب وتقدم البلاد [٥٣] فكان المصرى الصادق الذى لا يتملق أبناء وطنه أو يداهن الحكام بل يبصر الناس بعيوبهم ، وعرض عليهم مشاكلهم وشاركهم فى البحث عن أقصر الطرق لعلاجها[٥٤] .

---

(٥٠) منتخبات النديم ص ٢٤ .

(٥١) سارت بعض الصحف على منوال النديم فى نقد هذه الخرافات انظر : المقتطف المجلد السابع عشر . الجزء الثامن من السنة السابعة عشر فى أول مايو ١٨٩٣ ص ٥٦١ تحت عنوان مسائل واجوبتها

(٥٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ١٣ .

(٥٣) دار الوثائق . محاضر جلسات قومسيون التحقيق بمصر ص ١٩٨ .

(٥٤) محمد عبد الوهاب صقر ، فوزى شاهين : المرجع السابق ص ٢٤٣ .

٩ — وكما حذر النديم أبنـاء وطنه من العادات والتقاليد البالية السائدة بينهم حذرهم أيضا من الاندفاع فى تقليد الأوربيين بما لايتفق وواقع الحيـاة الاجتماعية للشعب المصرى وحيث بهرت المدنية الأوربية البعض فاندفعوا فى تقليدها بغير هـدى وظنوا أن كل ماعليه الغربيون من الأخلاق والعـادات هو سبب هـذه النهضـة الـكبيرة التى هم عليها ، وجهلوا أن لـكل أمة مقومات وعادات ان هى خرجت عليهـا كانت عرضـة للفشل والانحطاط فكتب مقـالا بعنوان « فصـل فى الأخلاق والعـادات »[٥٥] حذر فيه أبناء وطنه من عواقب محاكاة الغير دون ترو فقال : « ينبغى لمن يغير عادته بعادة الغير أن ينظر فى أصل عادته وفوائدها ومضارها ثم فى عادة الغير كذلك فان رأى حسن عادته وأنها من لوازم حفظ المظهر أو الثروة أو الوطنية أو الجنسية أو اللغة أو الدين لزم الابقـاء عليها ، فان انتقل من عادته بلا روية ولا نظر للعواقب فقد أسلم ذاته الى من انتقل لعـادته بلا حرب ، ويعز عليه الرجوع لجنسيته ووطنيتـه وخصائص أمته »[٥٦] كما هاجم النديم المتفرنجين على صـفحات جـرائده ففى مقـال له بعنوان « عـربى تفرنج »[٥٧] تحدث عن شاب من أبنـاء الفـلاحين سماه « زعيط » أرسلته الحكومة الى أوربا ليكمل تعليمه بعد انتهـائه من الدراسـة بالمرحلة الابتدائيـة ، وبعد أن أتم دراسـته عاد الى بلاده متبرما بعـادات قومه وأخلاقياتهم ، ولم يكتف بذلك بل أخـذ يذم أهـله وبلاده كما نسى لغته العربية .

وصف النديم هذا الشاب بأنه لم يتهذب صغيرا ولم يعرف حقوق

---

(٥٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص١٢—١٣ .

(٥٦) نفسـه .

وعن محاولات الأوربيين جر ابناء الشرق : الى الابتعاد عن أخلاق الآباء والأجداد . انظر : سلافة النديم جـ ٢ ص ٦٦ .

(٥٧) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ .

وخشية ولا حق لخشيته ولا قدر شرف الأمة ، ونعته باللئيم الجاهل بحق الوطن[٥٨] .

كما انتقد النديم تقليد الناس لبعض الأفراد دون النظر إلى المنفعة التي ستعود عليهم من ذلك فقال تحت عنوان « غفلة التقليد »[٥٦] أن « رجلا بنى بيتا وزخرفه وملأه بالأثاث والمتاع ثم دعا بعض أصدقائه الى وليمة ، وكان فى جملة المدعوين أحد النبهاء ، ولما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم مقدار ما صرفه فى بناء هذا البيت وأنه اشترى خزانة كتب ، وضع بها كتبا بمائة جنيه ، ولما سئل عن الكتب التى يفضل قراءتها قال انه لا يفضل منها شيئا ولكنه دخل بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والأمير فلان فرأى فى مضيفة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشة من الريش والخادم كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فأحس أن هذا طراز جديد فى بناء البيوت فرتب مضيفته مثلهم ليكون فى صف المتمدينين » فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال لقد « أصبح الكل نائما فى غفلة التقليد »[٦٠] .

١٠ — ولما انتشرت أماكن بيع الخمور انتشارا كبيرا فى البلاد[٦١] وكثرت أماكن اللهو[٦٢] وزادت أماكن دور القمار حتى وصلت فى

---

(٥٨) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيه ١٨٨١ ص ٨٠٧ .

(٥٩) نفسه ص ١٣ — ١٥ .

(٦٠) نفسه ص ١٥ .

(٦١) بلغ عدد الطلبات المقدمة لوزارة الداخلية عام ١٨٩١ للتصريح لأصحابها بافتتاح خمارات بالقاهرة وحدها ٣٩١ طلبا ، كان معظمها مقدما من الأجانب وخاصة اليونانيين .
انظر :
Gouvernorat du Caire city Police. Rokhsa. 1891.

(٦٢) بعد انتشار هذه الأماكن أصدر مجلس شورى القوانين لائحة بشأنها انظر : محاضر جلسات مجلس شورى القوانين — مجموعة محاضر ١٨٩١ ملحق ٥ ص ١١٠ .

القاهرة وحدها من ٣١٦ الى ٧٤٧٥ دارا اى بزيادة ٧١٥٩ دارا فى السنوات الأولى من عهد الاحتلال(٦٣) فقد حذر النديم أبناء وطنه من ارتياد هذه الأماكن مصورا أحوال من يدخلونها بأنهم يخسرون صحتهم ويفقدون أموالهم(٦٤) وموضحا المساوىء والمفاسد المترتبة على ذلك واستند على موقف الدين الذى حرم الخمر(٦٥) بقوله بقوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير »(٦٦) فقال « اجتمع فى الخمر من المفاسد ما لا يجتمع فى غيرها من البواعث .. وكل مسكر خمر وكل خمر حرام »(٦٧) كما اتهم الانجليز بالتشجيع على اقامة هذه الأماكن حتى تفتت الأسرات وتنتشر الجرائم وينحل الشعب المصرى(٦٨) .

---

(٦٣) د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٦٤) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٧ .

(٦٥) الخمر فى الشرع هو السائل الذى يؤثر فى العقل حتى يضيع صوابه سواء أكان من العنب أو التمر أو من الزبيب أو من الذرة أو من الشعير أو من الحنطة او من التفاح أو من الكمثرى أو من البصل او من غير ذلك ، وسميت الخمر بهذا الاسم لأنها تخامر العقل ، وهذه التسمية قديمة منذ ايام الجاهلية .

انظر مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية — الجزء السابع يوليه واغسطس ١٩٢٩ .

(٦٦) سورة البقرة ، ٢١٩ وهذه الآية الكريمة نزلت بالمدينة حيث قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأهلها يشربون الخمر ويقترفون الميسر وقد سأل اهلها رسول الله عنهما فنزلت الآية .

(٦٧) من خطبة النديم اثناء صلاة الجمعة وهو مختف بالريف .

انظر : سلافة النديم . الجزء الثانى ص ٨٤ .

(٦٨) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون بتاريخ ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥١٠ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

وقد اتفق بلنت مع راى النديم فى ذلك حين تحدث عن فضل الاحتلال على اصحاب الحانات الذين انتشروا فى الريف المصرى واثرهم على الفلاح المصرى الذى فقد استقلاله الاقتصادى نتيجة لتعاطيه الخمر وازلاقه فى مهاوى الرذيلة

Blunt : My Diaries. Part I. pp. 41 - 44.

وانتقد النديم تفاخر بعض الشبان بأنهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر حتى يكونوا شبانا عصريين وصور حالتهم بعد دخولهم الحانات فقال انهم « يتمايلون ذات اليمين وذات اليسار ، وقد ذهبت عقولهم وطاش صوابهم وهم بين نعيق وصفير وقهقهة وسباب يخترقون الأزقات لمعاكسة الفتيات ، ويظهرون من شقشقة اللسان الأقاويل البالية التى لا يمحوها الا عقاب شديد »(٦٩) كما ذكر أن شارب الخمر يغيب عقله فيتكلم بما به يكفر ، وربما طلق زوجته وهو لا يشعر(٧٠) .

كما وصف أحوال من يخسرون أموالهم فى لعب القمار بالحزن والغيظ ونصح العقلاء بعدم مسايرة هؤلاء الجهلاء فى مفاسدهم حتى لا يسيئوا الى أنفسهم (٧١) ، ودعا الذين يفقدون أموالهم على موائد القمار أن يوفروها للعمل فى التجارة أو الصناعة وذكرهم بأن الحرية ما هى الا الوقوف عند الحدود والمطالبة بالحقوق وانها من أكبر دعائم العمران لو أن الناس فهموا معناها وأحسنوا استعمالها ثم ذكر أن هذا لا ينطبق على المزدحمين على أبواب محال البيرة والخمارات وبيوت العاهرات الذين اتخذوا من الحرية الشخصية طريقا لفعل المنكر واعتبرهم الفريق المفسد لعقله وماله والذى لا يعرف الضار من النافع حيث أن منهم من ينفق فى الخمارة الريال أو الجنيه كل ليلة وأولاده بلا عشاء أو ربما كان ماينفقه من كسب زوجته أو مسروقا من مال أبيه وطالب بالحجر على هؤلاء السفهاء (٧٢) والبعد عن هذه الرذائل والتحلى بدواعى الكمال والانتباه من غفلة الضياع مالا وذاتا (٧٣) .

---

(٦٩) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٧ .

(٧٠) عبد الفتاح نديم : سلافة النديم جـ ٢ ص ٨٤ « من خطبة النديم يوم الجمعة وهو مختفيا بالريف » .

(٧١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٨ .

(٧٢) الأستاذ : العدد السادس فى ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ ص ١٢٢ تحت عنوان « دستور » .

(٧٣) نفسه : ص ١٢٣ .

وعنـــدما اعترض البعض على دعوة النديم بحجة أن ذلك يؤدى الى نقاص ميزانية الجمـارك مائتى ألف جنيه ، وافلاس عشرين الف تاجر أوربى (٧٤) رد عليهم النـــديم بأن قولهم هــذا يدل على قلة الادراك وضعف العقل وأن الخـديو والحكومة لا يهمها الا ما فيـــه مصلحة البـــلاد وتحلى أبنـــائها بالـــكمال والفضيلة ، وابعادهم عن السقوط فى النقـــائص والرذيلة (٧٥) وان من الأولى بنـــا « أن نحول بين شبابنا وبين مفسدات عقولهم وأموالهم لنحول بينهم وبين الجنون والافلاس » (٧٦) .

كما صور النديم فى محاورة له بعنوان « حنيفةولطيفة » (٧٧) أن الانهماك فى شرب الخمر وغيره من المـكيفات يؤدى الى ضياع الأموال وترك الأولاد « عرايا جعانين » وأنه لمـا ترك « حنيفة » الخمر وفر اثنى عشر جنيها كل شهر واشـــترى « أطيـــان الميرى اللى الفـــدان بعشرة جنيهات » (٧٨) وفى مقال للنديم بعنوان « سهرة الانطبـــاع » تحدث عما تسببه عادة الـــكيف من تبلد الفكر والجبن (٧٩) وســـوء الأخلاق وطالب أبنـــاء الوطن بالتفكير فيما يساعد على تقدم البـــلاد والنظر الى أحوال الأمم وسير العقـــلاء حتى تظهر أنوار المعـــارف والآداب كما حـــذر الشبان وخصوصـــا أبنـــاء الذوات من الاسراف

---

(٧٤) الأستاذ : العدد السابع فى ٤ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٦٤ تحت عنوان « اعتراض مغفل » .

(٧٥) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ١٦٦ .

(٧٦) الأستاذ : العدد السادس فى ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « دســـتور » .

ولمزيد من التفاصيل عن مضار الخمر . انظر : المنار الجزء الخامس المجلد الثامن عدد يونيو ١٩٠٥ .

(٧٧) الأســـتاذ : العـــدد الثـــانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٦٨ — ٢٧٢ .

(٧٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(٧٩) التنكيت والتبكيت : العدد الاول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص٨—١٠

والانهماك فى شرب الخمر ولعب الميسر [٨٠] وضرب مثـالا للسكارى لعل بعضهم يقتـدى به ويسير حذوه فتحدث عن اقلاع أحد المدمنين عن شرب الخمر فوفر مالا بنى به بيتـا « بدلا من اللى كان بيروح منه كل شهر ١٢ جنيها كانوا بيروحوا فى طريق الشيطان الرجيم .. وخد من البتل يختل » [٨١] .

١١ — وعن اباحة الزنا والأضرار الاجتماعية التى تحدث من ذلك انتقد النـديم جرية اباحة الزنا فذكر أنها لا توافق تقاليد أهل الشرق ولا أديانهم فقال : « اتفق المسلمون والنصـارى واليهود والمجوس على الغـيرة على النسـاء وصـيانتهن واجمعـوا على تحريم الزنا وقبحه » [٨٢] وهاجم قانون الـكشف على البغايا [٨٣] بمعرفة أطباء

---

(٨٠) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونيـة ١٨٨١ ص ٢٢ — ٢٤ تحت عنوان « هدف طلع النهار » .

(٨١) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « حنيفـة وطليفـة » .

(٨٢) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٣ ص٩١٢

(٨٣) صدر قانون بخصوص الكشف على النساء العاهرات .

أنظر : دار الوثائق القومية — محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٦٢ وثيقة بتاريخ ١١ مايو ١٨٨٤ .

وأيضا منشور نظارة الداخلية فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٩٩ .

بخصوص الـكشف على النساء العاهرات لمنع انتشار الزهرى .

انظر : دار المحفوظات . مجموعـة القرارات والمنشورات عن عام ١٨٨٢ ص ٢٣٣ .

وقـد إفتتح مكتب خاص ليقيـد النسوة العـاهرات اسماءهن به دار الوثائق . محافظ مجلس النظار — جلسات يناير ١٨٨٥ تحت عنوان « بيان المسائل التى ستنظر بجلسة الاثنين ٥ يناير ١٨٨٥ » .

كما أن الوقائع المصرية اعلنت فى عددها الصـادر بتاريخ ٣اكتوبر ١٨٩١ عن حاجة مكتب الـكشف على العـاهرات الى كاتب بمرتب من ٤ الى ٦ جنيهـات .

الحكومة (٨٤) واعطائهن شــهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة (٨٥) .

وتكلم النــديم عن البيوت السرية فقال انها « ليست سرية بل معلومة ولا تخفى على رجال الضبط والربط » (٨٦) وطالب أن تكون هذه البيوت بعيدة عن بيوت الناس الطيبين دفعا للشبهات (٨٧) .

كما تحدث عن تضليل المفسدين لعقول الشباب للانغماس فى هذه الموبقات حتى يفسدوا المجتمع ويقضوا على قيمه وأخلاقياته فكتب تحت عنوان « مجلس طبى لمصاب الأفرنجى » (٨٨) مقالا صور فيه أن أحد المفسدين ادعى أنه من الأتقيــاء وتسلل الى شــاب مستقيم الحال صــحيح الجسم معتز بنفسه حتى أوقعه فى مهــاوى الرذيلة فأصيب بالداء الأفرنجى حتى بهت لونه وتمكن الداء منه (٨٩) .

---

(٨٤) الاستاذ : العــدد الثــامن والثــلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٢ ص ٩١٢ .

(٨٥) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٨٦) الأستاذ : العدد التاسع عشر فى ٢٧ ديسمبر ١٨٩٢ ص٤٣٨ تحت عنوان « الآداب العامة » .

(٨٧) الاستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٣٩ . وقد كان النديم فى ذلك معبرا عن آلام الأهالى من تجاور البيوت السرية لبيوت الأحرار فمن شكوى تــدمها الأهالى الى مجلس بلدى الاسكندرية يتضح الحاح الناس الا تكون البيوت السرية بجانب مساكن الشرفاء .

دار المحفوظات : محفوظات نظارة الداخلية — التلم الأفرنجى مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

(٨٨) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص٤—٦ وكلمة الأفرنجى تعنى مرض الزهرى وكان المصريون يسمونه احيانا بالمبارك او داء المعز والجمال والحب الأفرنجى .

انظر . كلوت بك : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ٥٦٠ .

(٨٩) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر .

١٢ — كما هاجم النديم تقليد بعض النساء المصريات للاجنبيات فى شرب الخمر والتشدق باستخدام كلمات أجنبية فى الحديث بالعربية ولبس الضيق والمحبوك من الثيـاب الأفرنجية والانهماك فى الملذات والشهوات والاستهتار بالدين والوطنية ، واتهم الأوربيين بأنهم وراء هذه المفاسد (٩٠) حتى يضمحل الشرق وتنحل أخلاق أبنـائه وينتشر الفسـاد وقبيح العادات حيث أن الأوربيين لم يرعوا حرمة أى شيء ، وقد كان النـديم فى ذلك معبرا عن رأى كثير من الأهالى والدليل على ذلك الشكوى المقـدمة من سكان وأصحاب أملاك بشياخة رفاعى محمد التابعة لقسم اللبان الى مجلس بلدى الاسكندرية حيث يتضح منهـا شكوى النـاس بقولهم توجد أماكن « مؤجرة الى مومسات محـدقين بمنازلنا من كل الجهـات وحيث أنه موجود أيضا مسجدان للعبـادة أحدهما لأولاد منصـور الفحام المشهور والآخر تعلق الشيخ عرفـه العطن ، وكان سبق منا تقـديم جملة عرضحالات للمحافظة والداخلية بهذا الخصوص ، وسعادة محافظنا أمر بنقل المومسات الوطنيات الى النقط المعـدة لهن ، ولم يبـق الآن غـير هؤلاء الأجانب يجولون فى الشوارع والأزقة أمام منازلنـا متهتكات لا يعتنون بوعظ واعظ وحيث أن وجود تلك العواهر بهذه النقطة المهمة مخل للآداب وعلى غير السير الانتظامى خصوصا لقربهم من محلات العبـادة فلا يمر عليهن أحد فى الطريق الموصل لأحد المساجد المذكورة أو لمنزله الا ابتدره تلك النسوة ودعوه لفعل الفـاحشة .. وبهذا السبب منعت اقامة الشعائر الدينية بتلك المساجد وهجرت » (٩١) .

---

(٩٠) كان النديم على حق فى ذلك والدليل انه عندما اعترض الخديو عباس الثانى ومعظم نظاره على بناء مكان بمدينة الأزبكية لممارسة اشياء مخلة بالآداب صمم السير الوين بالمر على اقامته فتراجع الخديو والنظار.
دار الوثائق القومية : محافظ مجلس النظار — جلسة ١١ مايو١٨٩٣

(٩١) دار المحفوظات العمومية — محفوظات نظارة الداخليـة — القسم الأفرنكى مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

كما يذكر أصحاب هذه الشكوى أيضا أنه يوجد « بزقاق المساجد المذكورة قهاوى الحشيش والخمامير والكرخانات معا » ويتساءلون بقولهم هل القوانين العادلة وغير العادلة تصرح بغلق أبواب المساجد وفتح أبواب المفاسد ؟ ثم يلتمسون من أولى الأمر خروج تلك النسوة من هذه الجهة التى بها مساكن الأحرار ومحلات العبادة المقدسة « حفظا للآداب وصيانة للأعراض وراحة السكان » (٩٢) .

وهناك شكوى أخرى قدمها أهالي طنطا ضد سيدة فرنسية افتتحت منزلا للدعارة على شكل فندق فى مكان آهل بالسكان ومع ذلك لم تستطع المحكمة اتخاذ أى اجراء لحماية الأهالى لكون لائحة الومسات التى صدرت فى يوليو ١٨٨٥ لا تشمل الأجنبيات (٩٣) .

لقد علق أحد النبهاء بمجلة « الأستاذ » على أحوال البلاد فى ذلك الوقت بقوله « ان حالتنا الحاضرة تشبه عليلا مصابا بمرض باطنى وقد قصد دجالا فأعطاه دواء قابضا فأصبح يشكو مرضين .. وهذا يتطبق على أحوالنا فاننا بدلا من معالجة أمراضنا القديمة بأنوار التمدن قد زدنا عليها كافة الرذائل وكفانا برهانا » (٩٤) .

هكذا تناول النديم الآفات الاجتماعية التى لحقت بالمجتمع المصرى بأسلوب مؤلم لم يتسلق فيه أحدا بل استخدم أسلوب التبكيت حيث كان لازما للايقاظ والانهاض لأن الاصلاح لا يتأتى الا من فهم

---

(٩٢) دار المحفوظات العمومية : محفوظات نظارة الداخلية — القلم الافرنجي مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

(٩٣) دار الوثائق القومية : ديوان خديو — وثائق عربية الى جهات محفظة رقم ١٣ ملف نظارة الحقانية رقم ٢ لعام ١٨٩٢ .

(٩٤) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٨٢ تحت عنوان « رسالة بقلم أحد نبهاء المصريين » .

الناس لأخطائهم وتوضيح الأسباب التى أدت الى تخلفهم والوسائل المعينة على العلاج لذلك كانت دعوته قوية وخصوصا وأنه اتخذ من الدين طريقا لتنبيه الناس نحو اصلاح مجتمعهم فأوضح أن أسباب هذه العلل هو جهل الناس بأصول دينهم ، وعدم اذعانهم لعقائده وأحكامه ، وانه ليس هناك وسيلة لمكافحة هذه الآفات أفضل من الرجوع الى الدين .

كما تبنى النديم أسلوب النقد العنيف ضد الأوربيين (٩٥) بسبب ماجلبوه على البلاد من مفاسد ؛ وقد تميزت مقالاته بأنها لم تكن كلها مجرد زجر ونواه مما قد يبعث على الملل بل اتخذ أكثرها شكل محادثة لطيفة تتميز بالواقعية (٩٦) .

ثانيا — موقف النديم من العدالة الاجتماعية :

قسم النديم المصريين الى ثلاثة أقسام : فقراء ، وأغنياء ، وأمراء (٩٧) . وطالب بأن يسود بينهم العدل والمساواة حتى يتقدم المجتمع لأن الانسان مالم يشعر بقيمته وتقدير المجتمع له فلن يكون منتجا ، وذكر بأنه لم يتحقق ذلك الا اذا ساعد الغنى الفقير والقوى الضعيف(٩٨) « فالقانون الالهى (*) يسوى بين الأمير والحقير والقوى

---

(95) Gamal Mohamed Ahmed. Op. Cit. P. 68.

(٩٦) د. سلمى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى . القاهرة — دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ ص٣٢٧

(٩٧) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٥١ تحت عنوان « مطالب العالم » .

(٩٨) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس في ١٠ يوليو ١٨٨١ تحت عنوان « كيف ظهرت وأنا لك بالمرصاد » .

(*) يقصد النديم بالقانون الالهى « القرآن الكريم » و « السنة النبوية » حيث ان الشريعة الاسلامية تقوم على أساس الوحي الالهى وهما القرآن والسنة .

للتفاصيل انظر : دكتور صوفى حسن ابو طالب : مبادىء تاريخ القانون . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٥٧ ص ١١٥ .

وهذا يدلنا على أن النديم استمد أفكاره عن العدالة الاجتماعية من مصادر الشريعة الاسلامية .

والضعيف ويحكم بمسئولية كل فرد من الأفراد عن أقواله وأفعاله بين يدى مولاه يوم يبعثه فى النشأة الآخرة » (٩٩) .

ترجم النـديم عما يدور بخواطر أبنـاء وطنه فطالب بانصـاف الفقراء من الأغنياء وهاجم الذين يستعبدون الفقـراء من الأغنيـاء وطالب بتخليصهم من قسوتهم فقال : « انهم يرون أن الفقراء خلقوا لخدمتهم ومدحهم ، وأن الله فرض عليهم حب الأغنياء ، وتعظيم ذوى الهيئات ، وان كانوا من المجرمين لايحسنون الظن بفقير ، ولا يسمعون منه كلاما وان كان حقـا .. ولا يعترفون له بفضل وان كان عالما لـما جلبوا عليه من عداوة الفقراء » (١٠٠) ثم ندد ببذخ الأغنيـاء وترفهم بينما الفقراء لا يجدون ما يسـدون به رمقهم فقال : « أليس الرجل منكم كالرجل منـا فما بالـكم لا ترضون بثلاثين صنفا من الطعـام ونرضى بالخبز والملح ، ولاتقنعون بألوف من الجنيهات ونقتنع بالقرش الواحد . أخلقتم من الذهب ، وخلقنا من التراب أم ولدتم قابضين على أزمة الدنيـا وولدنا عبيدا لـكم ، أم نزلتم من السماء ، ونزلنا من بطون الأمهات » (١٠١) ؟ كما حذرهم من أن غالبية الشعب هم الفقراء وانهم قلة فقـال : « ألا ترون أنكم تعدون على الأصـابع فى بلادنا والفقراء هم الأمة » (١٠٢) .

وفى رواية « الوطن وطالع التوفيق » تحدث النديم عن عـدم اهتمام الأغنيـاء بمصلحة البـلاد وانكبابهم على التفاخر والتبـاهى بما لديهم من ثروة فقال : « الأغنياء مقتصرون على استخدام الفقراء

---

(٩٩) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص ٢١ .

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : العـدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩١ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٠١) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٠٢) نفسـه .

والهدوم النظيفة والمآكل والمشارب ، واذا اجتمعوا يفتخرون بالطباخين والجوارى والخدامين والبيوت » (١٠٣) ثم خاطب ضمائر الأغنياء مؤنبا لهم ترك الفقراء يتضورون جوعا بينما هم يجلسون أمام الموائد الحافلة بصنوف الطعام والفقراء ينتفضون من شدة البرد وقلة الغطاء بينما هم ينامون على الفراش اللين الوثير فقال : « أيها الفرح بما ملكت يداه ما أحزنك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال له يطبب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه فى حفظ حياته أف لك ولمالك » (١٠٤) ونصحهم بأن ما يصرفوه فى الملاهى الليلية يمكن صرفه على الأيتام والفقراء فيستقيم حال المجتمع فقال : « ان أحدكم يصرف فى الملاهى عشرة آلاف جنيه فى كل عام ولو مال لتربية أيتام لربى بها مائة يتيم » (١٠٥) .

ثم وصف الأطعمة الفاخرة التى يتناولها الأمراء والأغنياء يوميا فقال : انها تشمل « خمسة أصناف أو ستة .. يتداولون فى الصحون المحمر والكباب والكفتة وكباب الفرن » (١٠٦) بينما لا يتناول الفلاح سوى « صنف واحد يطبخ كل ليلة من عدس أو كشك أو بيسارة أو فول أو دشيشة » (١٠٧) وفى وجبة الغذاء يكون طعامه « مش أو جبن أو كرات أو فجل أو مخلل » (١٠٨) كما انتقد النديم

---

(١٠٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ٢ ص ٤٩ .

(١٠٤) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونية ١٨٨١ ص٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(١٠٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٠٦) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٥١ تحت عنوان « مطالب الطعام » .

(١٠٧) نفسه .

(١٠٨) نفسه .

تعامل الأغنياء مع الأجانب بينما لا يتعاملون مع أبناء البلاد من الفقراء بل يتركونهم يتضورون جوعا فقال : « ألا يخجل (الغنى) اذا أعطى الغريب الدرهم وجاره يموت جوعا ، وهو لا يشعر ما هذه الحياة التى تنسى بموت صاحبها » (١٠٩) كما طالب الفقراء بتكوين عصبية لمواجهة الأغنياء (١١٠) ثم حذر الغنى من غضب الفقير عليه فقال : « أنت تحى الكثير من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الألوف .. فبؤت بغضب الأمة وسخط البلاد » (١١١) .

رأى النديم فى فقراء المصريين دعامة للثورة لأنهم أصل كل شىء وأن الأغنياء لم يفيقوا من غفلتهم الا اذا حركهم الفقراء ، وبدأوا بأنفسهم فى الاصلاح حيث هم عمى عن طريق التقدم الا بمرشد والمرشد هم الفقراء (١١٢) لقد خرج النديم من طابور الفقراء، وعاش فى قلة من العيش (١١٣) وكان سعيدا بذلك ويتضح ذلك من قوله « أما اللذة المقصودة بالشهرة فانها ظاهرة فى سرير نومى الحديدى الخشن وسترتى الوحيدة القديمة » (١١٤) .

ولم يرث النديم أى مال أو جاه من أبيه الخباز الفقير بل عاش عيشة عريضة اختلط خلالها بطبقات المجتمع الدنيا فاختلط بالفلاحين

---

(١٠٩) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١١٠) د. محمد احمد خلف‌الله : عبدالله النديم ومذكراته السياسية ص ٤٩ .

(١١١) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونية ١٨٨١ ص٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(١١٢) سلافة النديم جـ ٢ ص ٤٥ — مسرحية الوطن وطالع التوفيق

(١١٣) احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ص ٢٧ .

(١١٤) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص ١٠٨ تحت عنوان « اياك أعنى يا نفس فاسمعى وعى » .

ورأى بؤسهم ، كما رأى الأغنياء يستغلون الفقراء فى مجتمع استغلاله يمحق انسانية الانسان (١١٥) •

هكذا تعايشت الثورة السياسية مع الثورة الاجتماعية فى حدود امكانات العصر ومفاهيمه (١١٦) ، وهكذا نبه النديم أغنياء عصره الى خطورة اهمالهم لاصلاح حال الوطن وأبنائه من الفقراء مبينا لهم أن الحياة ليست التباهى بكثرة الأموال والحشم والخدم وانما بالدور الاجتماعى الذى يقومون به لخدمة مجتمعهم •

ثالثا — النديم وانشاء الجمعيات :

دعا النديم الى انشاء الجمعيات الخيرية بهدف النفع العام للبلاد، وكوسيلة لتعليم أبناء الشعب فقيره وغنيه ، وشد أزر الضعيف منهم حتى تنهض البلاد ويعرف أبناء الوطن وخصوصا الفقراء حقوقهم وواجباتهم وبدأ بنفسه فأعلن عن انشاء جمعية علنية بالاسكندرية (١١٧) هدفها النشاطان الاجتماعى والثقافى ، وأخذ هو وصحبه يجمعون المال من أعيان الثغر (١١٨) الذين ضاقوا ذرعا بطغيان النفوذ الأجنبى فى البلاد واستئثار الأجانب بمرافقها (١١٩) واستيلائهم على الوظائف الكبرى والمرتبات العليا (١٢٠) وبعد جهد

---

(١١٥) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ص ٢٤٨ .

(١١٦) الكاتب العدد ١٠٤ فى نوفمبر ١٩٦٩ ص ٤ مقال للاستاذ أحمد زكى صالح تحت عنوان « دراسة فى المثقف المصرى والثورة » .

(117) Landau (Jacob) Op. Cit. P. 85.

(١١٨) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١١٩) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ١ ص ٢٤٤ .

(١٢٠) يوحنا ابكاريوس : المرجع السابق الذكر ص ٢١٧ .

وعناء طويلين (١٢١) تأسيست « الجمعية الخيرية الإسلامية » (١٢٢) في ١٨/٤/١٨٧٩ (١٢٣) وكانت رسالتها ترمي الى « تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم وتطهير أخلاقهم وبث الروح الوطنية في نفوسهم (١٢٤) كما كانت تنادي بالأعمال الانسانية الخيرية ونشر التعليم (١٢٥) وقرنت العزم بالفعل (١٢٦) فأنشأت الجمعية

---

(١٢١) التنكيت والتبكيت : العدد السادس في ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » وايضا عبد الفتاح نديم .

المرجع السابق الذكر جا ص ٦ .

(١٢٢) تعتبر هذه الجمعية باكورة الجمعيات الخيرية الاسلامية في الديار المصرية . العصر الجديد : العدد ٤٣ في ٢٩ اكتوبر ١٨٨٠ وايضا اسكندرية العدد ١٥٧ في ١٥ يناير ١٨٨٢ وهذه الجمعية غير المعروفة الآن بهذا الاسم .

عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق الذكر جا ص ٢٤٥ ، د. عبد اللطيف حمزة ادب المقالة الصحفية ج٢ ص١٢٠ .

ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات — مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار والنظارات بخصوص الجمعية الخيرية الاسلامية ص ٦٠٩ بتاريخ شهر سبتمبر ١٨٩٢ .

(١٢٣) التجارة العدد ٢٢ في ١٩ ابريل ١٨٧٩ بينما يذكر الاستاذان الدكتور عبد اللطيف حمزة والدكتور محمد البسروجي ان هذه الجمعية انشئت عام ١٨٧٨ قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها حتى منتصف القرن العشرين ص ٨١ ، تاريخ الاسكندرية منذ اقدم العصور ج ٣ ص ٣٨٥ .

(١٢٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ ، مجلة الهلال عدد اول فبراير ١٨٩٧ المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(125) Landau : Op. Cit. P. 101.

(١٢٦) الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ في ١٩ اكتوبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية ، وايضا : محمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده ص ٥٠ .

مدرسة (١٢٧) لتعليم وتثقيف البنين والبنات (١٢٨) الفقراء والأيتام منهم مجانا (١٢٩) والقادرون بمصروفات قليلة لتكوينهم دينيا ووطنيا (١٣٠) وقد افتتح النديم حفل الافتتاح فى ١٨٧٩/٦/٨ بكلمة قال فيها « افتتحنا هذه المدرسة بلا كره ولا قرض وأعددنا لها من المعارف ما يقوم بالواجب والغرض للفقراء وقد جعلناها حرة مطلقة لمن يتعلمون (١٣١) كما أوضح أن الهدف من انشاء هذه المدرسة هو ابعاد الأطفال عن التعصب لدين أو عنصر وتنشئتهم على الوطنية وحب الانسانية (١٣٢) ثم تعرض لأحوال البلاد وما آلت اليه من فساد (١٣٣) وطالب بالبعد عن الأنانية والتمسك بالمصلحة

---

(١٢٧) كان مقر هذه المدرسة بشارع رأس التين بالاسكندرية .
احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ القسم الأول ص ٣٦
ويذكر النديم انه عندما افتتحت هذه المدرسة لم يؤازره سوى واحد وعشرين رجلا من متوسطى الحال حيث لم يكن لديهم اكثر من ثمن المكاتب والالواح ومع ذلك فانه صار يجتهدويحث الناس على مساعدة هذهالمدرسة حتى صارت ذا ثروة عظيمة .
التنكيت والتبكيت . العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٢٨) كانت شكوى نظارة المعارف احتياج الأهالى الى انتشار المعارف بسبب قلة المدارس ، لذلك كانت فكرة النديم انشاء المدارس بالجمعيات ملائمة مع متطلبات الوطن .
محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف — محفظة رقم ١/٤ .
مجموعة رقم ١٧٨/١٣٧/٣/٢ معارف عمومية تقرير بتاريخ ٤ مايو ١٨٨٠ .

(١٢٩) مصر : العدد ٥٠ فى١٣ يونية ١٨٧٩ تحتعنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

(١٣٠) وزارة الشئون الاجتماعية : تقويم الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية ص ١٦ .

(١٣١) مصر العدد ٥٢ فى ٢٧ يونية ١٨٧٩ .

(١٣٢) نفسه .

(١٣٣) عن نص خطاب النديم أنظر جريدة مصر فى ٣٠ يونية ١٨٧٩ تحت عنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

الوطنيـــة ، وقـــد انقسم من حضروا هـــذا الحفل بعد سماع خطبة النديم الى قسمين قسم وصف الخطبـــة بأنها تنبيه للعقول الخـــامدة وعلاج للقلوب [١٣٤] والآخر فزع لتعرض النديم لأحوال البلاد والفساد الذى آلت اليـــه ، فحـــاول اقنـــاع النـــديم بابطـــال الخطابة خوفا وفزعا [١٣٥] ، ولـــكنه لم يأبه لرأيهم واستمر فى طريقه فـــكانت جرأته حديث النـــاس ومثار اهتمامهم فعقـــد الندوات الأســـبوعية ليزودهم منها بالعلوم والمعـــارف وحب جنسيتهم المصرية [١٣٦] ، وقـــد اشترك النديم فى وضع منـــاهج التدريس بهذه المدرسة كما قام بتدريس مادتى الانشاء [١٣٧] وعلوم الأدب [١٣٨] « وتدريب النـــاشئة وتمرينهم على الخطابة والجـــدل من جهة وبث روح النخوة والغيرة فى أفـــكارهم من جهة أخرى ليتمكنوا اذا بلغـــوا مبلغ الرجال من أداء مقاصـــدهم بلا حيـــاء أو خجل » [١٣٩] ويذكر « أحمد شفيق » أنه زار هذه المـــدرسة

---

(١٣٤) مصر : العدد ٥٠ فى ١٣ يونية ١٨٧٩ .

(١٣٥) التنكيت والتبكيت : العـــدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٣٦) نفســـه .

(١٣٧) يذكر الشيخ حسين المرصفى ان الانشاء علم يبين كيفيـــة تاليف الخطب ورسائل المخاطبات وما اشبه ذلك .

الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية جا ص٤ .

كما يذكر ان كتابة الانشاء يقال لها صناعة الترسل وهى المسماة فى زماننا كتابة التحريرات اى الاتيان الحر نفسه ج٢ ص ٢٠١ .

ويذكر مصطفى كامل أن المقصود بالانشـــاء ليس تنسيق العبـــارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصلى هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهمها القارىء ويقف بها على قصد الكاتب .

مجلة المـــدرسة : الجزء الرابع فى ١٧ مايو ١٨٩٣ تحت عنـــوان « الانشاء والتحرير » .

(١٣٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جا ص١٧ ، الهلال المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(١٣٩) نفســـه .

فسر من الطريقة التى يتم بها شرح الدروس للتلاميذ حيث كانت جذابة سهلة المأخذ على الأطفال تعلمهم القواعد فى شكل محاورات مسلية لذيذة [١٤٠] ، كما علم النديم تلاميذ هذه المدرسة الفنون وطريقة التمثيليات فأخرج روايتى « الوطن وطالع التوفيق » و « النعمان » ومثلهما مع تلاميذه بأحد ملاعب الثغر [١٤١] وكان يوزع بعض ايراداتها على تلاميذه كمكافآت لهم [١٤٢] والبعض الآخر يوضع فى صندوق الجمعية [١٤٣] .

لقد كان النديم أول من أدخل فن التمثيل فى خدمة المنهج المدرسى كما اتخذه كوسيلة يوصل من خلالها للشعب رسالته ويلقنه المبادىء الوطنية والاجتماعية [١٤٤] .

وقد بلغ عدد التلاميذ الفقراء والأيتام بمدرسة النديم « مائتين وثلاثة » [١٤٥] من العدد الكلى وهو أربعمائة وثمانون تلميذا ، ولما استقرت أحوال المدرسة سعى النديم لدى الخديو توفيق لكى يرعى مدرسته ويزورها وقد كلل جهده بالنجاح فزار الخديو المدرسة يوم امتحان تلاميذها [١٤٦] ، وكان يسأل التلاميذ بنفسه فسر من اجابتهم

---

(١٤٠) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ القسم الأول ص ٣٦ .

(١٤١) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ص ١٣٠ .

(١٤٢) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٤٣) نفسه ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٤٤) نجيب توفيق : المرجع السابق الذكر ص ٢٨٥ .

(١٤٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٤٦) احمد تيمور : تراجم عيان ص ١٦ ، اعلام الفكر الاسلامى ص ١٣٠ .

ونجابتهم [١٤٧] كما تفقد سير العمل بالمدرسة فأعجب بنظامها [١٤٨] وأحس بمآثر مؤسسيها وعنايتهم بتربية الأيتام والفقراء [١٤٩] ، ولما طلب منه النديم أن يعهد برعاية هذه المدرسة الى ولى عهده عباس حلمى كان له ما أراد [١٥٠] كما أمر الخديو بأن تكون المدرسة البحرية مقرا يدرس فيه تلاميذ هذه المدرسة لاتساعها وجودة موقعها [١٥١] ، ولكي يرفع عن كواهل مؤسسيها ايجار المبنى [١٥٢] ، كما استمال النديم الخديو لرعاية مدرسته وحاول استمالة رياض باشا رئيس النظار وكسب مودته فعرض عليه قانون الجمعية فطلب منه رياض باشا تنتيجه حتى يقرر بأوامر رسمية فنتحه النديم فى خمسةوعشرين بندا تغير بمقتضاها اسم الجمعية من الجمعية الخيرية الاسلامية الى الجمعية الخيرية المصرية [١٥٣] بحيث تتشكل من المصريين على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم ، وأن يكون من أنشطتها فتح المدارس لتعليم البنين والبنات وانشاء مستشفى للمرضى ودار الضيافة وتربية الأيتام ومساعدة الضعفاء كما نص البند الرابع والعشرون من هذا القانون أن يكون رئيس الجمعية ولى عهد الحضرة الخديوية وينتخب له نائب بمعرفة الجمعية وأن يكون للسيد / عبد الله النديم الحق فى المحافظة على هذا القانون فى جميع أقسام الجمعية .

---

(١٤٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ .

(١٤٨) الوقائع المصرية فى ١٤ يوليو ١٨٨١ .

(١٤٩) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندرية » .

(١٥٠) الوقائع المصرية : العدد ١٤٢ فى ١٩ اكتوبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية » وأيضا الهلال عدد فبراير ١٨٩٧ المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(١٥١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ .

(١٥٢) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندرية » .

(١٥٣) نفسه (علما بأن نص القانون منشور بملاحق الرسالة) .

قدم النديم قانون الجمعيــة للخديو ولرياض باشا الذى عرضه على مجلس النظار وأصــدر به أوامر رسمية (١٥٤) بعث بصورتها الى محافظ الاسكندرية (١٥٥) والضــباط فانصرفت الشبهة عن الجمعية ، واقبل عليها النـــاس (١٥٦) كما اشترك رياض باشا فى الجمعية وتبرع بمبلغ خمسة وعشرين جنيها سنويا لها من ماله الخاص (١٥٧) .

ولمــا تقدم النديم بطلب الى ديوان المدارس لمساعدة الجمعيــة تقرر لها مائتان وخمسون جنيهــا سنويا كاعانة نقدية (١٥٨) مساعدة

---

(١٥٤) الوقائع المصرية فى ١٩/١٠/١٨٨٠ .

(١٥٥) أرسل رياض باشا الى محافظ الاسكندرية موضحا له نشاط الجمعية بقوله « ليس بخاف ما نهض اليه الموفقون من اهل البر والاحسان من ذوات ووجوه الثغر السكندرى فى تأليف وانشاء جمعية خيرية لتعليم العلوم واللغات المفيدة والصنائع النافعة ، وقد قرنوا العزم بالفعل بانشاء المكاتب التعليمية ابتغاء مرضاة الله تعالى وحبا فيما يعود بالخــير على الوطن والآن قدموا لنا قانون الجمعية الدال على حسن مقاصــدهم بما قرروه من انشــاء مستشفى للمرضى ومكتبة لمطالعة الــكتب واستنساخها ثم دار ضيافة لمن يقدم على الجمعية وأن يكون من شئونها مواساة الأرامل وتربيــة الأيتام » .

العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ ، محمد رشــيد رضا . المرجع السابق جـ٢ ص٥١ .

(١٥٦) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص٧٢ .

(١٥٧) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٥٨) الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ فى١٩ أكتوبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية » .

محمد رشيد رضــا المرجع الســـابق الذكر جـ٢ ص٥٠ ، التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٩٤ ، كان ويكون جـ١ ص٧٢ بينما يذكر النديم فى مذكراته ان الاعانة مائة جنيه فقط .

انظر دكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٢ وفى تصورنا ان النديم كتب ذلك بحكم السجع .

من ديوان المعـارف يمكن زيادتها كلما أحسنت الجمعيـة العنـاية بالأيتـام والفقراء (١٥٩) ؛ كما تقرر احتساب مدد خـدمة العـاملين بالجمعية والمـدرسة فى المعاش مما مكن النديم من استخدام مدرسين أفاضـل من رجال المعـارف (١٦٠) مع أنه كان محظورا على مدرسى المعـارف فى ذلك الوقت التـدريس بالمـدارس الحرة (١٦١) وفى ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ أقام النـديم فى ساحة الجمعية محفلا للخطابة (١٦٢). وفى تلك الفترة أراد الخـديو توفيق استغلال فـكرة انشاء الجمعيات الخيرية والمدارس لخـدمة سياسته وحتى يضمن ثنـاء أصحابها عليه وخصوصا بعد خلافه مع رياض باشـا فدعا الوجهـاء والأعيـان الى الانضمام اليهـا (١٦٣) ، كما طلب أن يمتد لجمعيـة النـديم فرع فى القاهرة فتـأسست جمعيـة المقاصة الخيرية فى سبتمبر ١٨٨٠ تحت رياسة « محمود سامى البارودى » (١٦٤) بهدف بث المعارف ونشرها بانشاء مدارس لتعليم الفنون والصـنايع ومستشفى لمعالجـة الفقراء المرضى بغير مقـابل ومحل لدراسـة العلوم والمذاكرة (١٦٥) فتسابق

---

(١٥٩) التنكيت والتبكيت : العـدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » وأيضا الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ فى ١٩ اكتوبر ١٨٨٠ مقـال الشـيخ محمد عبـده السابق الذكر .

(١٦٠) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص ٧٢ .

(١٦١) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف — محفظة رقم ٤/١ مجموعة رقم ١٧٨/١٣٧/٣/٢ معارف عمومية .

(١٦٢) أنظر : الفصل الحادى عشر .

(١٦٣) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندرية » .

(١٦٤) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٠ .

(١٦٥) دار المحفوظات العمومية — محفوظات الداخلية — محفظة رقم ٣٦ عين ٧٨ مخزن ٥٠ خطاب من رئيس مجلس ادارة جمعية المقاصد الخيرية الى رئيس مجلس النظار .

وبخصوص هذا الموضـوع يمكن الرجوع أيضـا الى دار الوثائق القومية معية سنية عربى — صادر افادات سجل رقم ٤٥٣٧١ ص ٣٠ .

عليها الأمراء والوجهاء وأقبل عليها العلماء والأغنيـــاء وباشرت أعمالها الخيرية من أجل نفع الوطن وأهله [١٦٦] .

وقد اســـتفاد النـــديم بذكاء من تعـــارض الخـــديو مع رياض، فشجع كلا منهما على أن يتخذ من جمعيته وسيلة من وسائل الدعاية له حتى يتمكن من نشر دعوته عن طريق تأييدهما له فـــدعا النـــديم الخديو الى حضور مسرحيته « الوطن وطالع التوفيق » ورغم محاولات رياض عرقلة ذلك [١٦٧] فقـــد نجح النديم فى عرض مسرحيتـــه أمام الخـــديو وكان لها أكبر الأثر فى النفـــوس حيث نبهت الأنظـــار الى العيوب الاجتماعية والسياسية وكانت لهجتها تشف عن الأسف لتقهقر البـــلاد والظلم الواقع على كاهل النـــاس حيث ينهب الـــكبير الصغير ويقتل الغنى الفقير [١٦٨] .

وقد أعجب الخديو بالرواية وكان لها فى نفســـه من حسن الموقع مابعثه الى دفع مبلغ مائة جنيه من ماله الخاص مساعدة للجمعية [١٦٩] .

ولـــا أوجس رياض خيفة من أفـــكار النديم عزم على التخلص منه وهـــدم جمعيته وذلك عن طريق اطلاق الشائعات المغرضـــة ضده بهدف اخراجه من الجمعية ، ويتضح ذلك من قول النديم « وسوس

---

(١٦٦) العصر الجديد : العدد ٤١ فى ١٨ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

(١٦٧) حاول رياض باشا تعطيل هذه المسرحية وبث انصـــاره من اجل احباطها فأخذوا يذيعون بين الناس أن تذاكر الدخول نفذت كما سعوا الى اغراء التلاميذ على الانقطاع عن المدرسة فى ذلك اليوم لتتعطل الرواية

التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٦٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر . الجزء الثانى ص ٣٤ تحت عنوان رواية الوطن ، جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ ص ٨٠ .

(١٦٩) عبد الفتاح نديم . المرجع السابق الذكر جـ١ ص ٧ .

الى بعض الذوات من الأعضاء ، وجعلهم لى أعداء يعارضوننى فى كل مشروع ويتظاهرون على بغير المشروع لأضيق برجال أنسى وأترك الجمعية بنفسى » (١٧٠) .

ورغم كل ذلك فقد تحمس له النـاس وتبارى الخطباء فى ابراز محاسن أعماله ومدحه فأطلقوا عليه « مؤسس الجمعيات » و « رائد الدعوة الى الاصـلاح بالتعاون والتعليم والاتحاد » و « أول محب ساع فى الخير » (١٧١) و « فارس البلاغة » وظل النديم يداوم على العمل بالمـدرسة بعقله وأعصـابه ولـكن أعوان رياض ضيقوا عليه الخناق وأثاروا على شـهرته الحقـد والحسـد (١٧٢) وائتمروا على الايقاع به ، وساعدهم على ذلك « الرئيس العامل للجمعية » (١٧٣) فاجتمعوا ليـأخذوا قرارا بفصله من ادارة المدرسة وعضوية الجمعية ولمـا أحس النـديم بما قصـدوا اليه فوت عليهم المـكيدة وقـدم اليهم استقالته قبل أن يقيلوه بحجة ضعف قواه على تحمل الأتعـاب الحسية والآلام المعنوية بما لا يمكنه من ادارة المدرسة (١٧٤) .

وعلى غرار جمعية النديم تكون كثير من الجمعيات الخيرية اقتداء بجمعيته (١٧٥) حيث كان قـد دعا فريقـا من الأقبـاط الى تـكوين

---

(١٧٠) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٥ .

(١٧١) للرجوع الى نص هذه الخطب : انظر التنكيت والتبكيت فى ١٠ ، ١٧ يوليو ١٨٨١ .

(١٧٢) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ٨١ ص ٥٠ تحت عنوان « اخطار الى كتبة المرجفين » .

(١٧٣) كان منصب الرئيس شرفيا ومتروكا لمحافظ الاسكندرية لذلك فالمقصود بالرئيس هو المحافظ .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ١ ص٧ .

(١٧٤) للرجوع الى نص خطاب الاستقالة أنظر : التنكيت والتبكيت: العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص ١١٨ تحت عنوان « صورة ما كتب لسعادة الهمام أحمـد باشـا رافت محافظ الاسكنـدرية ونائب عمـوم الجمعية الخيرية » .

(١٧٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ٨١ ص٧٤

جمعية منهم تسـير على نهج الجمعية الخيرية الاسلامية حتى يتوحد سير المسلمين والأقباط لأن الحقوق الوطنيـة لا تعرف الا عن طريق العلم (١٧٦) ولا تحفظ الا بتوحيد الـكلمة والتـآلف وتبـادل الرأى. الرأى فاسـتجابوا لدعوته وتأسست الجمعيـة الخـيرية القبطيـة بالاسكندرية (١٧٧) ، وحضر النـديم حفل التـأسيس وخطب فيـه مشيدا (١٧٨) بجهود المخلصين فى انشاء الجمعيات منـاديا بالاتحـاد والتـآخى فأبدع وأجاد ونفع اخوانه وأفاد (١٧٩) .

وقد سارت هذه الجمعية على نهج جمعية النديم فافتتحت مدرسة لتعليم التـلاميذ الفقراء (١٨٠) تسع مايقرب من أربعمائة طالب (١٨١) كما ناشد النديم الأغنياء بالاشـتراك فى انشاء الجمعيـات فقـال : « يا ذوى الثروة هلا هزتـكم أريحيـة الانسانية فجعلتم للجمعيات أثرا تذكرون به ، وتنازلتم عن بعض مستغلاتكم التى لا لاتفقركم ولا

---

(١٧٦) عبد الله النديم . كان ويكون جـ١ ص ٧٢ .

(١٧٧) اسسها بطرس غالى ١٨٨١ .
انظر جرجى زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ ص ٨٦ .
ولمزيد من التفاصيل عن أهداف هذه الجمعية وقانونها
أنظر : الوقائع المصرية فى ٤ يونية ١٨٨١ .

(١٧٨) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥١ .

(١٧٩) اسكندرية العـدد ١٥٦ فى ٨ ينـاير ١٨٨٢ تحت عنوان « الجمعية الخيرية القبطية » .

(١٨٠) دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء — الطوائف القبطيـة محفظة رقم (٣) وثيقة رقم (١) مذكرة من نظارة المعارف الى مجلس النظار بخصوص الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية .
وعن هذا الموضوع انظر ايضا . دار المحفوظـات — محفوظـات الداخلية محفظة رقم ٣٨ ملف ٨٨ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ .

(١٨١) دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء — الطوائف القبطية — محفظة رقم (٣) وثيقة رقم (١) بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٨٠ وأيضـا العصر الجديد العدد ٤١ فى ١٨ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

تلجئكم لبيع الأطباق الذهبية ولا الأسرة الفضية » (١٨٢) كما ذكرهم بأن اشتراكهم فى هذه الجمعيات ليس لمجرد رئاسة يبلغونها بل للمساعدة واعانة الفقراء لأن الأغنياء لو تولوا رئاسة المجامع الخيرية « أهانوا الفقراء وشتتوهم بعنفوانهم وتعاظمهم » (١٨٣) .

وقد نجحت دعوة النديم فى المناداة بانشاء الجمعيات فتسابق أبناء الوطن على انشاء الجمعيات اقتداء بجمعيته (١٨٤) فتكونت جمعية شبراخيت (١٨٥) من أعضاء وطنيين قاموا بافتتاح مدرسة خيرية لتعليم الفقراء (١٨٦) كما تأسست جمعية الاخلاص بميت غمر (١٨٧)، وكان لخطاب النديم فى حفل افتتاحها ومناداته بافتتاح مدرستين أن استجاب العمد والأعيان لطلبه (١٨٨) وافتتحت جمعية خيرية بالمنصورة تحت اسم « جمعية الصنائع والفنون الخيرية » (١٨٩) لتأسيس المدارس العلمية ، وتوسيع نطاق الصنائع (١٩٠) ، كما اشترك النديم

---

(١٨٢) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٨٣) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٩٤ .

(١٨٤) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يولية ٨١ ص ٩٥ تحت عنوان « ثمرة الاجتماع » .

(١٨٥) على الساحل الغربى من النيل بمديرية البحيرة — وهى قاعدة مركز شبراخيت القاموس الجغرافى حـ ٢ القسم الثانى ص ٣٠٧ .

(١٨٦) العصر الجديد : العدد ٤١ فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

(١٨٧) الأهرام العدد ١١٧٧ فى ١٣ اغسطس ١٨٨١ .

(١٨٨) الأهرام : العدد ١١٧٧ فى ١٣ اغسطس ١٨٨١ .

(١٨٩) العصر الجديد : العدد ٨٠ فى ٢٤ اغسطس ١٨٨١ « اعلان من جمعية الصنائع والفنون الخيرية بالمنصورة » .

(١٩٠) الأهرام العدد ١١٧٨ فى ١٦ أغسطس ١٨٨١ .

فى عضوية « جمعية التوفيق الخيرى » (١٩١) التى تأسست بالقاهرة(١٩٢). وأقام احتفالا خاصا بمناسبة تأسيسها فى الجمعية الخيرية الاسلامية خطب فيه مشيدا بتأسيس الجمعيات « فأحسن وأجاد وأطرب وأغرب وأعرب وأفاد » (١٩٣) كما اشترك النديم فى احتفالات الجمعية بالقاهرة حيث ألقى خطبة افتتاحية ، وتلاه آخرون ثم قام وألقى خطبة بـ ين فيها ثمرة الاتحاد ومضرة التحاسد(١٩٤) والتنافر ، وحث على التعاون لمساعدة الفقراء والأرامل والأيتام ونشر المعارف ولما دعا النديم الأقباط لانشاء المزيد من الجمعيات استجابوا لدعوته وافتتحت « جمعية المساعى الخيرية القبطية » كما افتتحت الجمعية الخيرية القبطية بالفيوم (١٩٥) . وقد حضر النديم حفل افتتاح « جمعية المساعى الخيرية القبطية ، وقام خطيبا فى الحاضرين مشيدا بالوحدة الوطنية » فأفصح وأجاد وتفنن فى المواضيع ذاهبا فيها مذهب الجد تارة ومذهب الهزل تارة أخرى (١٩٦) ، وبجانب

---

(١٩١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الجمعية . انظر الأهرام العدد ١٢٢٦ بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٨١ تحت عنوان « جمعية التوفيق الخيرى وتذكر جريدة المحروسة فى العدد ١٣٨٨ بتاريخ ٨ ابريل ١٨٨٦ أن الأمير عباس حلمى كان رئيسا لهذه الجمعية وانه حدث بها انشقاق ادى الى اغلاقها أيام العرابيين » .

(١٩٢) كان منزل الجمعية بدايرة باب اللوق بجوار حنفية الميـاه ـاسكندرية العدد ١٤١ فى ٤ أغسطس ١٨٨١ تحت عنوان « اعلان عن جمعية التطبيق الخيرى بمصر » .

(١٩٣) اسكندرية عدد ١٥٦ فى ٨ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

(١٩٤) اسكندرية : عدد ١٥٧ فى ١٥ يناير ١٨٨٢ من عنوان « جمعية التوفيق الخيرية » .

(١٩٥) لمزيد من التفاصيل عن تأسيس هذه الجمعية واهدافها يمكن الرجوع الى دار المحفوظات فى محافظ الداخلية — محفظة رقم ٣٨ ملف ٨٨ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ .

(١٩٦) مصر : العدد ١٧٨٥ بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٨١ تحت عنوان « جمعية المساعى الخيرية القبطية » .

دعوة النـــديم الى انشاء الجمعيات الخيرية نادى بتكوين بنك قومى تساهم فيـــه الحكومة وأغنيـــاء المصريين لتســـهيل عملية توصـــيل الحجاج الى البلاد المقدسة بدلا من قيام الأجانب بهذا العمل (١٩٧) •

رابعا — فكر النديم فى اصلاح المهن والحرف :

لـــا كانت المهن والحرف فى مصر قـــد بلغت حالة شـــديدة من التدهور وخصوصـــا بعـــد أن تعرض الاقتصـــاد القومى الى الغزو الاقتصادى الأوربى وأصبحت موارد البلاد ضمانا للوفاء بالتزاماتهـــا تجاه الدول الـــكبرى وأهملت الخدمات العـــامة الواجبة على الحكومة ازاء الشعب فقد نادى النديم باصلاح المهن والحرف ووقف تدهورها ومد يد العون لها ، كما قـــدم المقترحات والحلول اللازمة لاصـــلاحها وناشد أولى الأمر للاهتمام بها وسنخصص دراستنا فى هذا الفصـــل على مهنـــة المحاماة وما ذكر النـــديم من حلول لاصلاحها كمثال لفكرة عن اصـــلاح المهن ، وعن الصـــناعة والصناع والفلاحة والفلاح كمثال على اضمحلال الحرف •

(أ) النديم ومطالبته بتنظيم مهنـــة المحاماة

نادى النديم بتنظيم مهنة المحاماة حيث كانت حرة ليس لها من النظام الا قواعد أولية (١٩٨) ، ولهذا دخلها كثير من مدعى العلم بفن المرافعـــات وسموا أنفسهم (افوكاتيه) وأغلبهم من صنف الـــكتاب الذين رفتوا بجنايات قبيحة (١٩٩) وارتيـــاد كثير من الأفاقين الأجانب

---

(١٩٧) الطائف نقلا عن
Parliamentary Papers No. 7 (1882) . P. 56.
من سير ادوارد مالت الى ايرل جرانفيل فى ٦ مارس ١٨٨٢ •

(١٩٨) احمد فتحى زغلول : المحاماة . القاهرة — مطبعة المعارف ١٩٠٠ ص ٢٤٩ •

(١٩٩) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٨٨ مقال بعنوان « نهاية الصداقة » •

لهذه المهنة دون مؤهلات قانونيـــة أو جداره مستغلين جهل الفـــلاحين الذين انكبوا عليهم يوسطونهم فى دعاواهم ويدفعون لهم الـــكثير من النقود نظير الأتعاب وربمـــا يبيع الفـــلاح حلق مراته [٢٠٠] أو أثاث بيته من أجل ذلك ثم ترفض دعواه لجهل الأفوكاتو وعـــدم معرفتـــه للقوانين مما أدى الى تأخر القضـــاء وانحطاط شأن المحـــامين [٢٠١] وتأصل العـــادات السيئة والأخلاق غير الحميدة فيهم [٢٠٢] .

رأى النديم أن السبيل لاصـــلاح مهنة المحاماة لا يتم الا عن طريق تلقين الحقانيـــة فن الترافع لبعض الشبان الأذكياء ثم تمتحنهم بعد ذلك فمن نجح رخصت له بالترافع وأعطتـــه رخصة بيده بحيث لا يقبل توكيل من لم يرخص له [٢٠٣] وطالب الشبان المصريين باتقان فن الترافع حتى لا يســـتغل الأجانب مواطنيهم وضرب مثـــالا على ابتزاز مدعى الأفوكاتيه من الأجانب لأموال الفـــلاحين واثرائهم ثراء فاحشا دون وجـــه حق ، فقـــال قدم أحد الشبان من أهل رومية الى مصر واشتغل بصـــنعة الترافع الأفوكاتية ، ورغم أنه قـــدم فقـــيرا فقـــد غنم فى سبع ســـنوات من العمل فى هـــذه المهنـــة مبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه بعد حذف مصاريفـــه الشخصية [٢٠٤] وقـــد لقيت فـــكرة النديم عن اصـــلاح المحاماة صـــدى طيبا فى دوائر الحكومة فنظمت مهنة المحاماة والقضاء [٢٠٥] .

---

(٢٠٠) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن فى ٣١ يوليو ١٨٨١ ص١٣٤ تحت عنوان « افوكاتو جاهل لم يحسن وضع اسمه وفلاح مغفل » .

(٢٠١) أحمد فتحى زغلول : المرجع السابق الذكر ص ٣٠١ .

(٢٠٢) نفســـه ص ٣٠٥ .

(٢٠٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٨٨ مقال بعنوان « نهاية الصداقة » .

(٢٠٤) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر ص ١٩٢ .

(٢٠٥) الوقائع المصرية فى ١٨٨٢/١/٢٥ .

(ب) فكر النديم عن اصلاح الصناعة

بعد ضرب الثورة العرابية واحتلال بريطانيا لمصر قامت انجلترا بتحويل البلاد الى مزرعة كبيرة لإنتاج القطن لمصانع الغزل والنسيج بها ، وتمكنت من عرقلة انشاء أى صناعات حقيقية فى البلاد حتى تصبح سوقا تصرف فيها بضائعها الزائدة كما ساعدت على انحطاط الصناعات الحرفية وتضاؤل شأنها بل وأقامت على انقاض دكاكين أصحاب هذه الصناعات والحرف المقاهى والحوانيت المكتظة بالبضائع الأوربية (٢٠٦) .

نادى النديم باصلاح أحوال الصناعات المصرية بعدما حدث لها من الاضمحلال والتقهقر حتى « أمست فى زوايا النسيان مسدولا عليها حجاب الاهمال بين غالب الوطنيين » (٢٠٧) وحذر أبناء الوطن بأن اهمال الصناعة الوطنية (٢٠٨) يؤدى الى موتها منتقدا الأغنياء لتشجيعهم الصناعات الأجنبية واستخدامهم المصنوعات الأوربية حتى أماتوا الصنعة المصرية والصناع وحولوا ما كان بيد أبناء الوطن من الصناع الى الأجانب (٢٠٩) وجعلوا أوربا تدعى بأننا فى حاجة الى مصنوعاتها لأننا لانحسن صناعة الأثاث واللباس حتى تمكن الأوربيون من ادخال مصنوعاتهم الى بلادنا (٢١٠) طالب النديم بنشر

---

(٢٠٦) عبد المنعم الغزالى : تاريخ الحركة النقابية المصرية ١٨٩٩ — ١٩٥٢ القاهرة — دار الثقافة الجديدة الطبعة الأولى ١٩٦٨ ص ٥ .

(٢٠٧) الأستاذ : العدد السادس والثلاثون فى ٢ مايو ١٨٩٣ ص ٨٧٤ — ٨٧٥ تحت عنوان « الصنائع والصناع » .

(٢٠٨) عن هذه الصناعة انظر : ادوارد وليم لين . المرجع السابق الذكر ص ٢٢٨ — ٢٣٧ .

(٢٠٩) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ١٣ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(٢١٠) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ٢٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥٠٨ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

المصنوعات الوطنيـــة وتشجيعها لأنه « لا دولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بتقدم الصناعة والفلاحة[٢١١] كما طالب بمقاطعة الصناعات الأجنبيـة فقال « لا تلبس الا من صنعة بلادك أى ما كان من غرسها أو أصـــواف وأوبار حيوانها مشغولا بمعرفة الوطن مخيطا بيـــده مبيعا فى دكانه لتحفظ ثروة البـــلاد وتزيد من عمرانها وقـــوة حاكمها فان من ترك الصـــناعة واستعمل المشـــغول فى غـــير بلده كان كالأجير الذى يشتغل لغيره فيرفع الحجر ويحمل الطين ويبنى حتى يرفع بيتا جميلا ليسكنه مستأجـــره » [٢١٢] وحـــذر من اماتة الصـــناعات الوطنيـــة والصناع حتى لا يجعلوا الوطن محتـــاجا دائما للغير [٢١٣] كما حاول بث روح النخوة فى نفوس أبنـــاء وطنـــه قائلا لهم « كفاكم من العـــار فقد الثقة فيكم وعـــدم الركون اليكم فى أعمال وطنكم .. كفاكم أن أشغالـــكم وأمتعتكم وأثاثكم يقدمها اليكم الغربى ويستنزف بها ثروة بلادكم وأنتم لا تشعرون » [٢١٤] .

وفى مقال بعنوان « المرافعـــة الوطنية » صور النـــديم الوطن وهو يرفع دعوى على أبنائه فى محكمة سماها محكمة الحقوق اتهمهم فيها بالجمود حيث أنهم لم يؤدوا له حقوقه الشرعيـــة التى أوجبهـــا عليهم شرع الوطنيـــة فانهمكوا على شراء المصنوعات الأوربية وتقليد

---

(٢١١) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص٢٦ تحت عنوان « جواب عن سؤال » والجدير بالذكر أن النديم اقتبس هذا التعبير من كلمات رفاعة الطهطاوى « لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة » .

انظر . رفاعة الطهطاوى : تخليص الابريز ص ١٤٠ .

(٢١٢) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢١٩ تحت عنوان « درس تهذيبى — التلميذ ونديم » .

(٢١٣) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ١٣ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(٢١٤) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١ تحت عنوان « النجم ذو الذنب » ص ٧١ .

الأجانب بقوله « أبنـائى سائرون خلف أهوائهم فجاءوهم بالمحسنات والمشتهيات وعرضـوها عليهم فانكبوا عليها شراء واقتنـاء حتى فرغ ما بأيديهم من المـال.» (٢١٥) كما وصـف الوطن أبنـاءه بالخروج عن حد الأدب والجهـالة وميلهم الى الشهوات فقال : « انتهى الأمر عن حد الأدب والجهالة وميلهم الى الشهوات فقال : « انتهى الأمر ببيع المرتهن على ماأخذوه ». فوضع الغير يده على مااستحقه بجهالة أبنائى وخروجهم عن حد الأدب وميلهم الى الشهوات من غير نظر للعواقب (٢١٦) « واستمرت المرافعة وانتهت بحث أبناء الوطن على تشجيع الصناعة الوطنية واستغناء عن المصنوعات الأجنبية ». كما ذكر النديم أبناء الوطن أن الطريق الصحيح لاحيـاء الصناعات الوطنيـة هو انشاء الشركات المساهمة التي تزيد ثروة البـلاد واقترح أن يجتمع عدد من الشبان ويفتحون صـندوق اقتصـاد يكون من شأنه أن يقبل السهام ليشتغل بها فى الصـناعة الحاضرة بشرط أن يتعاهد كل المسـاهمين على أن لا يشترى شـيئا من مثل المشغول فى سهامه من الأجنبى أبدا ثم تبدأ جمعية السهام بتشغيل أصناف البنطلون والسترة والقميص الأفرنكى والجزمة وغير ذلك من الضروريات بحيث لا تستعمل فيـه الا أهـل البلاد فيكون المساهم قـد ربح كسب السهام واحيـاء الصناعة وفتح بيوت الصـناع وزيادة ثروة البـلاد » (٢١٧) وعنـدما حاول بعض الأنجليز المثلون لنقابة لنـدن تأسيس مشروع لغزل القطن فى مصر هاجم النـديم هـذا المشروع واعتبره ضربة الصناعات الوطنية (٢١٨) كما طالب النـديم أبنـاء وطنه بالاطلاع على تواريخ الأمم وأحوالها ليتعلموا أسـباب تقدمها أو تأخرها وطرق المعـاملات فيها حتى يرى

---

(٢١٥) الأستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٩٧ .

(٢١٦) الأستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ١٠٠ .

(٢١٧) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢١٩ تحت عنوان « درس تهذيبى ــ التلميذ ونديم » .

(218) The Times : London, Mars, 1893.

أن الأجنبى لا يشترى ما يلزمه الا من أجنبى مثله تشجيعا له ورواجا لصناعة بلاده فيقتدى به ولا يمكن الغريب من ثروة بلاده ، ويشجع صناعة أبناء وطنه (٢١٩) .

ولما قام بعض الشبان المصريين بمقاطعة المصنوعات الأجنبية والاعتماد على مصنوعات بلادهم المحلية شكر لهم النديم حسن صنيعهم وطالب أبناء الوطن وخصوصا الأغنياء بالاقتداء بهؤلاء « الوطنيين فى تزيين بيوتهم بمصنوعات بلادهم ، وبذلك يحيون ألوفا من الصناع ، ويفتحون بيوتا قفلها موت صناعة أهلها » (٢٢٠) . كما ذكر أن أسباب تقدم الصناعة فى أوربا هو الكفاح العلمى واحكام وسائل الحياة فى جميع نواحيها فقال « لو نظرنا الى حالة أوربا من جهة الصنائع لرأيناها كل يوم فى تقدم باهر ، ونرى السياسيين وأصحاب الثروة يشتغلون بأنفسهم لتقدمها ويساعدون بأموالهم لنجاحها » (٢٢١) . ولتنظيم أحوال العمال اقترح النديم أن تعقد جمعية لكل طائفة من العمال للنظر فى شئون أفرادها وتوزيع الأعمال بينهم على أن يفرض مبلغ ضئيل من المال على كل صانع بصفة سهم يدفعه على قدر اقتداره بحيث توضع هذه المبالغ فى صندوق تدار منه الأعمال ثم توزع الأرباح على أصحاب الأسهم بعد أن يحجز من كل صانع جزءا يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر » (٢٢٢) كما طالب بترك التحاسد والتباغض

---

(٢١٩) التنكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧١ تحت عنوان « التجارة البائرة » .

(٢٢٠) الأستاذ فى ٤ أكتوبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بضاعتنا ردت الينا » .

(٢٢١) الأستاذ : العدد السادس والثلاثون فى ٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « الصنائع والصناع » ص ٨٥٤ .

(٢٢٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص ٢٦ تحت عنوان « جواب عن سؤال » .

بين أصحاب المهنة الواحدة حتى لا تموت الصنائع واقترح على النبهاء اطلاع أهل الصناعة على محتويات الجرائد التى يقرأونها حتى يروا مدى تقدم صناع أوربا وطرق اجتهادهم فى زيادة الثروة لأن ذهن الصانع المصرى كامل التيقظ « ولا ينبه بأكثر من الاشارة » (٢٢٣) كما حث الحكومة على مساعدة الصناع حتى تظهر الصنائع الى الوجود وحذر من أنه اذا لم يحدث ذلك فان أهل الصناعة سيصبحون خدما للمتمولين وتضيع الصناعة وتفقد الثروة ويختل نظام الأحوال الاجتماعية (٢٢٤) وطالب بتكوين بنك قومى (٢٢٥) لمساعدة الصناع ومساندة الصناعة الوطنية وحمايتها بحيث يتكفل بمساعدة أصحاب الصنائع الموجودة بتقديم السلف اللازمة واستحضار ما يلزمهم من الآلات والمخترعات الحديثة وليكون وسيلة للتخلص من سيطرة الأجانب على الاقتصاد المصرى ومرافق البلاد (٢٢٦) وهكذا دعا

---

(٢٢٣) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٢٧ .

(٢٢٤) نفسه .

(٢٢٥) الطائف .

وأيضا Blue Books, Egypt No. 27.

تلغراف من مالت الى جرانفل بتاريخ ٢٧ فبراير ١٨٨٢ - كما برزت هذه الفكرة وسط أعضاء جمعية الشبان بالاسكندرية والتى كان النديم من أبرز المشجعين على تكوينها .

انظر : جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٤ ص ٩١ .

(٢٢٦) شارك بعض الكتاب النديم فى الدعوة لذلك فدعا سليم النقاش فى المحروسة الى الاسراع فى انشاء هذا البنك لأن « البلد التى تفقد استقلالها الاقتصادى لا يمكن ان يكون لها استقلال سياسى » ونادى أديب اسحق بتكوين بنك وطنى لمساعدة الفلاح « من مخالب المرابى لرفع الدين عن عاتقه الى غير ذلك من الحسنات » مصر فى ١٥ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مشروع بنك وطنى مصرى » وطالب ميخائيل عبد السيد بانشاء شركات وطنية لانها « اعظم الوسائل التى أوصلت ممالك اوربا الى الثروة » . الوطن فى ١٢ اكتوبر ١٨٨٠ كما دعا الى انشاء بنك وطنى

=

النديم الى اصلاح أحوال الصناعة والصناع وحذر من اهمال ذلك وطالب بتشجيع المصنوعات الوطنية بإنشاء الشركات الوطنية والاقتباس من أفكار الغرب كما طالب بتنظيم أحوال العمال وعقد جمعية لكل طائفة منهم وانشاء بنك قومى لمساعدتهم وتقديم السلف اللازمة لهم وشراء الآلات الحديثة للنهوض بالصناعة ثم دعا الى حماية المصنوعات الوطنية من منافسة المصنوعات الأوربية بعمل ما يسمى اليوم بالحماية الجمركية كما طالب بمقاطعة المصنوعات الأجنبية .

وهكذا وضع النديم أفكارا وأسسا جديدة لاصلاح أحوال الصناعة والصناع قبل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر (٢٢٧) .

(جـ) النديم والفلاح

يمكن تعريف الفلاح المصرى بأنه من الفئة الاجتماعية التى لا عمل لها سوى الزراعة ، والتى تمثل ركنا أساسيا من أركان الحياة المصرية على مر عصورها حيث كان يمثل عماد الثروة البشرية ، ولا يزال أمره حتى الآن (٢٢٨) ومع ذلك فانه لم يلق العناية والاهتمام

=

تديره الحكومة « ليعرض على الفلاحين السلف بفوائد مناسبة » الوطن فى ٣٠ يوليو ١٨٩٢ تحت عنوان « البنك المصرى » .

وكتب حسن الشمسى فى المفيد داعيا لانشاء بنك وطنى لمساعدة الفلاح الذى يتحكم فيه السمسار « تحكم السيد فى مملوكه وينتقم منه ما شاء ويكتب عليه ما اراد من الأمور » .

المفيد فى ٢٣ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « المفلاح » .

(٢٢٧) عبد المنعم الغزالى : المرجع السابق الذكر ص ٣٣ .

(٢٢٨) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مجموعة ابحاث القيت عام ١٩٧٠ تحت عنوان « الأرض والفلاح على مر العصور » مقال للدكتور عبد العزيز صالح بعنوان « الأرض والفلاح فى مصر الفرعونية » ص ١٧ .

والرعاية التى كانت تعطى للارض بل اعتبر آداة للانتاج يعتصر جوده حتى يستخرج من الأرض أقصى مايستجيب له ثم لا يصيب من بعد ذلك كله الا الكفاف (٢٢٩) وقد تحمل الفلاح المصرى على مر العصور المتاعب صابرا (٢٣٠) ، ورزح تحت آلوان شتى من المظالم وقد بلغ من احتقار بعض الحكام له أن كانت كلمة فلاح سبة تطلق على الجاهل والبائس والمتوحش والأبله (٢٣١) ، كما كانوا يعتقدون أن الفلاح لا يصلحه الا الضرب •• وأن غاية ما ينتهى اليه أمره من رفع الألم عنه أن يعلو صياحه استغاثة بالمشايخ والأولياء(٢٣٢) وقد بلغ من احتقار أسرة محمد على للمصريين الخلص أن كانوا يطلقون عليهم اسم الفلاحين من باب التندر والاحتقار (٢٣٣) ، وزادت متاعب الفلاح فى عصر اسماعيل حيث لاقى الكثير من العذاب والضرب بالسياط أثناء السخرة وجمع الضرائب مما جعل

---

(٢٢٩) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مجموعة الأبحاث السابقة مقال للدكتور احمد عزت عبد الكريم بعنوان « الأرض والفلاح فى مصر » ص ٤ .

(230) Kassem Amin : Les Egyptiens P. 13.

كما لقب يعقوب صنوع الفلاح المصرى بأبو الغلب د. ابراهيم عبده: ابو نظاره ص ٥٥ .

(٢٣١) احمد امين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ٣١٠ — ٣١١ ؛ ودكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٣٣ .

(٢٣٢) محمد المويلحى : حديث عيسى بن هشام ص ١٦ .

(٢٣٣) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص١٧ ويذكر عرابى ان لفظ فلاحين اطلق على أهل البلاد اذلالا لهم .

انظر : محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى كما ترددت الأمثال التى توضح استحالة مساواة الفلاح مع أهل السلطة مثل « ان طلع من الخشب ماشه يطلع من الفلاح باشا ، عمر الفلاح ان فلح » ، « ربنا ما ساوانا الا فى الموت » .

ولمزيد من الامثال انظر : احمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى القاهرة : الطبعة الثانية ١٩٥٥ — مكتبة النهضة العربية ص ٦٣ .

بعضهم يضطر الى ترك أرضه فرارا من هذا العذاب (٢٣٤)، وقد عبر جمال الدين الأفغانى عما يلاقيه الفلاح من مظالم فى خطاب له بقوله : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ماتسد به الرمق وتقوم بأود العيال لماذا لا تشق قلب ظالميك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك » (٢٣٥) وتحدث يعقوب صنوع عن ضرورة اصلاح أحوال الفلاح حتى تتحسن أحوال البلاد فقال : « ان أردت أن تصلح أحوال القطر ينبغى غايك أن تراعى الفلاح وتكون معينا له وتسلفه فلوس من طرف الحكومة بفوايظ خفيفة يشترى بها مواشى وبذره فتنجح الزراعة وينتج بها غناوة البر » (٢٣٦) كما أوضح الشيخ محمد عبده ذلك بقوله : « كان أهالى بلادنا محملين من الأثقال النقدية مالا يطيقون من ضرائب على الأراضى متنوعة متكثرة تتجدد على الدوام ، بتجدد الأشهر والأعوام وجرائم تفرض على الأنفس وتوابعها من غير نظام » (٢٣٧) لقد أحس النديم بالمظالم الواقعة على أبناء شعبه من الفلاحين أكثر من غيره من الكتاب والمفكرين حيث كان قد جرب الكثير من شئون الحياة المصرية ، وعرف حلوها ومرها ، وخالط الفقراء والأغنياء وامتزج بالفلاحين ويتضح ذلك من قوله « خالطت الأمراء وداخلت الحكام وعاشرت أعيان البلاد ، وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة وأدركت ما هم فيه من الجهالة ومم يتألمون وماذا يرجون » (٢٣٨) وصور بؤسهم وما يلاقونه فى السخرة من العذاب

---

(٢٣٤) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن حـ١ ص٢٩ .

(٢٣٥) فيليب طرازى : تاريخ الصحافة المصرية حـ٢ص٢٩٥ ، عثمان أمين رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده ص ٢٠ .

(٢٣٦) ابى نظارة زرقاء : العدد ٢٧ فى ١١ نوفمبر ١٨٧٩ .

(٢٣٧) الوقائع المصرية : العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ تحت عنوان « حب الفقر او سفه الفلاح » محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام حـ٢ ص٥٦ .

(٢٣٨) عبد الله النديم : كان ويكون حـ١ ص ١٠ .

المهين ، كما صور الطريقــه التى تتبع معهم اثنـاء تحصيل الضرائب فـكتب سلسلة من المقالات تحتعنوان « مصر واسماعيل باشا »[٢٣٩] تحدث فيها عن الأحداث كما رآها وسمع بهـا بصراحة شديدة فذكر الضرائب التى ابتدعها الخـديو اسماعيل بقوله : « اخترع من الاقلام مالا تتصوره الأوهام مثل العوايد الشخصية ، وعوايد الحمير والخيل والعـربات والأغنـام ونزح المراحيض ورسـم الزواج والطـلاق ودخولية الأبقـار والأغنـام والأسـمان والألبـان والاصـواف والأوبار والحبوب والخضـار والفواكه والحطب والقش والجله وذبل الحمام والسهام والمقـابلة والمصلح (الملح) تحت ستة وسبعين جنسا تحتها أنواع كثيرة لا تدع صـغيرة من المظالم ولا كبيرة[٢٤٠] كمـا كتب مقالا تحت عنوان « سلب الأملاك من الملاك »[٢٤١] وصف فيـه الخديو اسماعيل بأنهيتلذذ بأنين المظلومين وحنينهموتضرعهم وتأوههم كما ذكر أنه سلب من الأراضى الزراعية ما يزيد على مليون فدان[٢٤٢] وان رجاله يسرقون الولد والوالد للعمل بهـا لا يفرق فى ذلك بينذكر أو أنثى وعن جباة الضرائب والطرق الوحشية التى يتبعونهـا والتى تقشعر لها الأبدان ، وهى طرق الضرب بالسياط والاذلال والاهانة ذكر أن المدير أو الوكيل اذا نزل ببلد لتحصـيل الضرائب طلب أهاليهـا واحدا بعد واحد فمن دفع ما عليه لجانب الحكومة منضما الى ماعليه لشخص الحاكم نجا من عـذاب اليم ، ومن قصرت يـده القى على الأرض وضرب بالسياط والـكرابيج حتى يقضى عليه فيموت أو يبقى حيـا فيودع فى ظلمـات السجون بعـد الهجوم على منزله وتفتيشه

---

(٢٣٩) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ .

(٢٤٠) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص٣٧ .

(٢٤١) الطـائف .

(٢٤٢) ذكر دايسى ان اسماعيل اراد ان يجعل من مصر مزرعة يكون هو فيها المالك الوحيد ، ولقد سيطرت عليه فكرة امتـلاك جميع اراضى مصر ، واستغلالها لكى تعود عليه بالربح الوفير .
Dicey : The Story of the Khedivate. P. 70.

وأخذ ما فيه من ثمرات الزراعة وغذاء الأبناء [٢٤٣] كما ذكر النديم أنه رأى ببلده (نجير) [٢٤٤] احدى قرى مديرية الدقهلية امرأة فر زوجها من الحبس فطلبت أمام وكيل المديرية وهناك ضربت على كتفيها ثمانين كرباج ثم ألقيت على الأرض وضربت على صدرها ثلاثين كرباجا ، حتى تعترف بمكان زوجها ولما ذكرت أنها لا تعلم عنه شيئا أمر الحاكم بضربها حتى ماتت ، ويذكر النديم أنه لما سأل الصراف عن المطلوب من زوج هذه المرأة اتضح أنه ٤٥ قرشا[٢٤٥]

وقد ذكر النديم رواية أخرى توضح مدى ظلم جباة الضرائب وعدم مراعاتهم لأبسط النواحى الانسانية فقال : « شاهدت القواصين وجباة الضرائب يعترضون جنازة فى أحد الشوارع ثم تقدم أحد القواصين وأمر بانزال النعش من فوق أكتاف المشيعين حتى تدفع الضريبة التى كانت مستحقة على الميت فصاح المشيعون لعنة الله على الخديو فى كل كتاب ، وأخيرا دفعت الشهامة أحد المشيعين فأعطاهم الضريبة وكانت ستة قروش » [٢٤٦] .

وكما تحدث النديم عن جباة الضرائب ومدى قسوتهم مع

---

(٢٤٣) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ تحت عنوان « الضرائب وطرق تحصيلها » .

(٢٤٤) من أعمال الدقهلية — تابعة لمركز دكرنس وتكون مع قرية مبت شداد ناحية مالية واحدة : باسم بخيروميت شداد .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية .
الجزء الأول — القسم الثانى ص ٢٣٨ .

(٢٤٥) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ تحت عنوان « الضرائب وطرق تحصيلها » .

(٢٤٦) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ .
كما ذكر النديم فى مجال آخر ان الرجل كان يقتل بسبب عشرين فضه ويشنق بسبب غضب المدير او المامور وتنهب مزارعه وماشيته وتصدر ضده الأحكام حسب مايتراءى للحاكم .
أنظر : سلافة النديم حـ٢ ص ٦٣ .

الفلاحين تحدث أيضا عن السخرة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت (٢٤٧) حيث كان الفــلاحون يسخرون للعمل فى أراضى الخــديو وأتبــاعه بدون أجر بل كانوا يرغمون على احضــار مأكولاتهم وأدوات زراعتهم معه ومع ذلك كانوا يتعرضــون للضرب بالــكرباج أثناء العمل فذكر أنه رى ألوفا من الأهالى جمعوا من المــديريات لحفر رياح الخطاطبة حتى تسقى مزارع الخــديو ، ولمــا أحس المــلاحظون ان البرنس حسين باشا مفتش الوجه البحرى سيفاجئهم للتفتيش هرعوا الى قطع الغصــون الغليظة من الأشجار ، ونزلوا بهــا على أجسام الفعــلة العارية حتى أصبح لا يظهر من هذه الأجســام الملطخة بالطين سوى مواضع السياط ، وحتى أصبح لايسمع الا الأنات والصراخ والنحيب، وكلما مر البرنس على مدير ورأى الأنفــار تقع على الصخور وتغرق فى الوحل ، وتضرب على الوجوه قال للمدير (افرين ! افرين !) أى برافو برافو ! كلما انتهت الزيارة كان عدد الموتى قــد بلغ الثلاثين بين مضروب بالسياط وغريق فى الوحل (٢٤٨) .

لقد هال النديم أن يرى الفلاحين يقعون تحت هذه المظالم الوبيلة وانطبعت فى نفسه صــورة التعــذيب التى يلاقيها الفــلاح ، فدافع عنه على صــفحات جرائده ، وهاجم الذين أهــدروا آدميته وسلبوه حقوقه ، وامتصــوا ثروته فطاف بعض البــلدان مثل دمياط والرحمانية ودسوق وزفتى والمنصورة وميت غمر (٢٤٩) وجلس مع الفلاحين يبين لهم حقوقهم ويحرضهم على الوقوف فى وجه الظالم الواقع على كواهلهم ويقــارن لهم بين حيــاتهم التعسة وما يلاقونه من شــقاء وحيــاة الأغنياء الذين يمتصون أموالهم ويبعثرونها على ملاذهم وترفهم (٢٥٠).

---

(٢٤٧) سلافة النديم جـ٢ ص ٦٣ .

(٢٤٨) الطائف فى ٦ مايو ١٨٨٢ .

(٢٤٩) التنكيت والتبكيت : صفحات ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٢٥٠) التنكيت والتبكيت : العدد العاشر فى ١٥ اغسطس ١٨٨١ .

وناشدهم بتثقيف أنفسهم حتى يعرفوا حقوقهم ويمنعون استغلال الأجانب لهم فقال : « لو تعلم الفلاح وعرف هيئة البلاد وما هى عليه من ثروة وعزة وخسة وغيرها لنظر لهذا الغريب بعين المعرفة وعامله بما تقتضيه طبيعة بلاده » (٢٥١) ، ولما نادى « حسن الشمسى » و « أديب اسحق » بانشاء بنك وطنى لمساعدة الفلاح وانتشاله من مخالب المرابى لدفع الدين عن عاتقه (٢٥٢) أيد النديم المشروع على صفحات جريدة الطائف (٢٥٣) كما طالب أبناء وطنه بأن يتنبهوا ويفيقوا حتى لا تتحول ثروتهم الى الأجانب (٢٥٤) وناشد الأغنياء معاملة الفلاحين بما يتناسب وتقدير المتاعب التى يلاقونها من أجلهم فقال مخاطبا لهم : « تعال فانظر الى سلم رفعتك ؛ ومعدن حياتك ونبع ثروتك أخيك — استغفر الله — خادمك الفلاح . أنظر الى ثوبه المهلهل ولبدته التى لا تستر يافوخه ورغيفه الذى لا تكسره قوتك ومشه الذى تعاف النظر اليه ، وارقبه وهو يسقى الزرع والطين الى فخذيه ، والشمس تشوى وجهه وجسمه ، ويقطع يومه فى عذاب وعمل ، فهو صاحب الفضل عليك ؛ وأنت لا تنظره الا بعين المقت ولا تعامله الا بيد الاهانة ولسان السب مستقبحا صورة عنونت بفلاح (٢٥٥) « كما طالب بالغاء السخرة وتحرير الفلاح من

---

(٢٥١) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٢٥٢) المفيد فى ٢٣ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « الفلاح » ، جريدة مصر العدد الثانى عشر فى ١٥ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مشروع بنك وطنى مصرى » .

(٢٥٣) الطائف : لم نستطيع الاستدلال على رقم العدد وتاريخه لأنه ممزق .

(٢٥٤) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٩ تحت عنوان « التجارة البائرة » .

(٢٥٥) التنكيت والتبكيت : العدد العاشر فى ١٥ اغسطس ١٨٨١ .

الدائنين وشباك المرابين (٢٥٦) الذين يستغلون جهله فى ابتزاز أمواله (٢٥٧) ، وقد كشف عن غش هؤلاء وتسترهم تحت حماية القوانين والمحاكم المختلطة مستغلين فى ذلك سوء أحوال الفلاحين (٢٥٨) حيث لم يجدوا من سبيل سوى الالتجاءاليهم مع أنهم من أكبر أعوان الظلم فى ذلك الوقت وأشد أنصاره بحيث « اذا روا حاجةالأهالى اليهمتدللوا وتمنعوا لعلمهم ان الكرباج وراءهم فلا قدرة لهم على الصبر ولا سبيل الى التخلص من ألم العذاب ولو مؤقتا الا بالرضاء بكل مايرسمون عليهم من الفائدة (٢٥٩) فكبلوا الأهالى بالديون الهائلة وأضاعوا ثرواتهم حتى انتشر الفقر والبؤس بينهم (٢٦٠) واضطرهم العجز الى بيع أملاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم أو الانسلاخ منها بالكلية » (٢٦١) .

وقد ضرب النديم مثالا على ابتزاز الأجانب الذين انتشروا بين

---

(٢٥٦) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ تحت عنوان « محتاج جاهل فى يد محتال طامع » .

(257) Gamal Mohmad : Op. Cit. P. 68.

وقد تحدث النديم عن الربا فى خطبة له يقول : « ماشدد اللهتعالى فى محرم تشديده على الربا .. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين » كما ذكر ان ثروة المرابى ماهى الا بلاء عليه فقال : « فلا تغرنكم ثروة المرابى فانها ابتلاء واستدراج » سلافة النديم جـ٢ ص٨٣ من خطبة يوم الجمعة وهو مختف فى الريف .

(٢٥٨) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ أغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٢٥٩) الوقائع المصرية : العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حب الفقر أو سفه الفلاح » .

(٢٦٠) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٨٩ .

(٢٦١) الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال الشيخ محمد عبده السابق الذكر ، محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام جـ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ .

الفلاحين انتشار الذئاب بين الأغنام فقال ان أحد المزارعين استدان من أحدهم مبلغ مائة جنيه فأعطاها له بالربا المائة بمائة وعشرين ، ولعدم معرفة الفلاح للحساب كان المرابى يستغل ذلك فى غشه ومغالطته حتى تدخل أحد النبهاء وأنب المرابى على ذلك وتمنى أن تعمل الحكومة على حفظ الحقوق حتى لايقع بعد ذلك « جاهل محتاج فى يد محتال طامع » (٢٦٢) .

لقد كانت وطنية النديم تأبى عليه استغلال هؤلاء الأجانب لأبناء وطنه من الفلاحين فقام بتنبيههم على ما وصل اليه هؤلاء من ثروة بينما هم فى حالة شديدة من السوء معبرا لهم عن ذلك بكافة الوسائل التى يمكن أن تصل لأفهام الشعب ومنها الزجل فقال :

أهل البنوك والأطيان   صاروا على الأعيان أعيان
وابن البلد ماشى عريان   ممعناه ولا حق الدخان
شرم برم حالى غلبان (٢٦٣)

والجدير بالذكر أن الثورة العرابية كانت ثورة فلاحية فقائدها ينحدر من صلب الفلاحين وخطيبها قضى الكثير من أيام حياته بينهم ، وقد حاول قادة هذه الثورة من أول الأمر اجتذاب الفلاحين

---

(٢٦٢) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص ١١–١٢ والجدير بالذكر أن الشيخ محمد عبده ضرب الكثير من الأمثلة على استغلال الأجانب للفلاحين فى احدى مقالاته .

انظر : الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ تحت عنوان « حب الفقر أو سفه الفلاح » .

(٢٦٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ٣١ يوليو ١٨٨١ ص ١٤٩ والجدير بالذكر ان تعبير « شرم برم حالى غلبان » قد اخذه النديم من يعقوب صنوع ، حيث له زجل تنتهى كل فترة منه بهذا التعبير ، وقد نشر الدكتور ابراهيم عبده هذا الزجل فى كتابه أو نظارة .

انظر : أبو نظارة أمام الصحافة الفكاهية المصورة ص ٨٨ .

اليهم ليكونوا ركيزة لهم ، كما دافعوا عنهم وأوضحوا لهم حقوقهم حتى أن أحد ضباط الثورة خاطب الفلاحين فى نواحى الزقازيق بقوله : « ان الأراضى التى يمتلكها الأغنياء هى من حقكم أنتم » (٣٦٤)

هكذا كان النديم داعية للاصلاح الاجتماعى على أساس التمسك بالحضارة الاسلامية والتقاليد الشرقية محذرا من الاندفاع وراء تقاليد الأوربيين تقليدا لا يستند الى واقع الحياة المصرية ولا الى المقومات الشرقية فكانت دعوته ذات تأثير قوى فى نفوس مواطنيه لأنها نابعة من شعور عميق بما يعانيه الوطن من متاعب وآلام ومستندة على الدين ، لذلك يمكننا القول بأن النديم كان داعية الى الاصلاح الاجتماعى على أساس دينى (٣٦٥) •

---

(264) Cromer : Modern Egypt Vol. 1 P. 258.

(٢٦٥) لم يكن النديم وحده فى هذا المجال فقد كانت دعوى تلاميذ الأفغانى للاصلاح الاجتماعى تقوم على الأساس الدينى فالشيخ محمدعبده كان « الهدف النهائى لفكره هو الاصلاح الاجتماعى فى الاسلام » .

انظر : د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ١٨٨٢ — ١٩٢٢ القاهرة — معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ ص ٤٢ •

الفصل العاشر

النـــديم وثقافة عصره

- فكره عن اصلاح التعليم .
- فكره عن اصـــلاح الأزهر .
- دفاعه عن اللغة العربيـــة .

تحدث النديم عن ثقافة أبناء وطنه وما طرأ عليهما من تغيرات فقال « انتهت مصر فى أول القرن الثالث عشر (يقصد الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى) الى أمية كادت تعم أرجاءها اذ لم يبق منها من يحسن العبارة الا علماء الأزهر الشريف ، ولا من يكتب الا كتاب الحكومة وصيارفة البلاد فكانت الأمة فى غاية التقهقر المدنى والفراغ العلمى » (1) .

لقد كانت الأمية منتشرة فى كافة أرجاء البلاد ، ومتغلبه على السواد الأعظم من أبناء الوطن ، ولم يكن هناك فى نظر المصريين غير الأزهر كمنارة للعلم والمعرفة ، وأن الدنيا بدونه خلو منها حتى أرسلت البعثات الى أوربا فى عهد محمد على فأحس أبناء مصر بما بلغته أوربا من « أقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعية ، وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها » (2) ولما غادت هذه البعثات الى مصر ، وافتتح محمد على المدارس « لتعليم فنون الهندسة والطب والحساب والحرب وما يتبع ذلك » (3) ظهر فى مصر نوع آخر من الحياة العقلية غير النوع التقليدى المحافظ والمتمثل فى الأزهر وهو النوع المدنى الذى يعتمد على العلم الأوربى والحضارة الغربية (4) ، وكان على رأس هذا النوع رفاعة الطهطاوى الذى عاد

---

(1) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(2) رفاعة الطهطاوى : تخليص الابريز فى تلخيص باريز . القاهرة — وزارة الثقافة والارشاد القومى . البابى الحلبى ص ٦١ .

(3) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤—٣٥ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

وللمزيد من التفاصيل انظر : دكتور احمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٢١ — ٢٤١ .

(4) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٥٠ .

الى مصر حاملا بذور النهضة الفكرية فأخرجها من ظلمات العصور الوسطى ، وكان همزة الوصل بين ثقافة الغرب وعقلية الشرق ، ولما تولي عباس الأول الحكم أظهر أنه لن يكون الحاكم الذي يتابع سياسة جده ويحنو على مؤسساته ويؤيد نظمه فأعرض عنها ولكنه لم يأت بما يحل محلها [٥] فأصدر الأمر باغلاق الكثير من المدارس ، وأهمل التعليم وطرد الموظفين الأوربيين وفى مقدمتهم كلوت بك [٦] وفرض القيود على الأجانب المقيمين فى مصر وتخلص ممن كان يعمل منهم فى المصالح والمعاهد فأخذ التعليم المدنى فى الاضمحلال حتى قبرت فكرة التعليم الشعبى [٧] وانهار النظام التعليمى الحكومى نفسه [٨] ، ولم يزدهر مرة أخرى الا فى عصر اسماعيل حيث أشاع فى مصر نهضة تعليمية قومية بما جدد من معاهد العلم المدنية والعسكرية، وبما أرسل من بعوث الى الخارج كما اتجه الى العناية بالكتاتيب [٩] وقد كتب النديم عن ذلك فقال : « وسع نطاق المعارف ونشرها فى المدن والقرى بفتح كثير من المدارس فى المديريات » [١٠] ولما جاء الخديو توفيق « مشى على قدم أبيه فى العناية بالمعارف » [١١] حتى تربى « آلاف من الطلبة على نفقة الحكومة فى مدارس شتى .. وهم الآن غرة فى

---

(٥) د. احمد زعت عبد الكريم . تاريخ التعليم فى مصر — عصر عباس وسعيد . القاهرة — مطبعة النصر ١٩٤٥ جـ١ ص٧ .

(٦) نفسه : ص ٩ .

(٧) ظلت الكتاتيب منبثه فى مدن مصر وقراها رغم ما انشأه محمد على من مدارس كعمل قومى خالص بعيدا عن تدخل السلطة وكعمل خيرى يقف عليه الأغنياء من مالهم .

(٨) د. احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق الذكر جـ١ ص٥ ، صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ص ١٥٦ .

(٩) لمزيد من التفاصيل انظر : د. احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر . عصر اسماعيل جـ٢ المجلد الثانى ص ٧٨٣ .

(١٠) الاستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٥ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(١١) نفسه .

جبين مصالح الحكومة تفتخر بهم البلاد » (١٢) .

وباحتلال الانجليز لمصر بدأ اهمـال التعليم ، وحرصت سلطات الاحتلال على جعله أداة لتحقيق أهدافها (١٣) حيث اقتصر على تخريج موظفين لا يصلحون لعمل خارج دواوين الحكومة (١٤) فتقهقر كليـا عما كان عليه قبل ذلك ، وسدت أبوابه بكل حيلة فى وجوه الأمة » (١٥) حيث الغيت المجانية فى أقسامه الثلاثة الابتدائى والثانوى والعـالى بعد أن كانت قاعدة التعليم الحكومى فى مصر منذ عهد محمد على تقوم على مبدأ المجانية (١٦) ، وبعد أن كانت العلوم تدرس باللغة العربيـة

---

(١٢) مجلس شورى القوانين : محضر جلسة الاربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص ٥٠ .

(١٣) د. أميل فهمى حنا : تاريخ التعليم الصـناعى حتى ثورة ٢٣ يوليو القاهرة . مؤسسة التأليف والنشر — دار الـكاتب العربى ١٩٦٧ ص ٢٧٥ .

(١٤) هاجم حافظ ابراهيم هذا اللون من التعليم فى كتابه « ليالى سطيح » كما هاجمه فى شعره .

ليالى سطيح — تقديم وتبويب د. محمد كامل جمعـــه . ص ١٤ ، ٤ وايضا ديوان حافظ ابراهيم .

(١٥) مجلس شـورى القوانين : محضر جلسة الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص ٥٠ .

(١٦) كان جميـع التلاميـذ الذين يدخلون مدارس الدولة يتعلمون بالمجان وتصرف لهم الـكتب وادوات الدراسـة دون مقـابل بل وكانت الدولة تقوم أيضا على اطعامهم وكسائهم وايوائهم .

محمد عبد الفتاح ابو الاسعاد : تاريخ التعليم فى مصر تحت الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ — ١٩٢٢ ص ٨٧ — رسالة ماجستير نوقشت بقسـم التاريخ بآداب عين شمس — مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت رقم ١١١١٢ .

والجدير بالذكر أن رياض باشا عندما تولى نظارة المعارف فى عهد اسماعيل اصدر قرارا فى ٥ فبراير ١٨٧٤ بفرض المصروفات المـدرسية على القادرين فقط من التلاميـذ ولـكن هذا القانون اهمل تنفيـذه ولم يطبق الا على نطاق ضيق .

يعقوب ارتين : القول التام فى التعليم — ترجمة على بهجت ص ٣٧ — ٣٨ ولم تتعدى نسبة الطلبة الذين دفعوا مصروفات فى عام ١٨٨١ سوى ٣٠٪ فقط من عددهم الـكلى .

Milner : Op. Cit. P. 306.

فيما عدا الحقوق التى كان التعليم فيها بالفرنسية أصبحت تدرس بالانجليزية ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية ، وحل المدرسون الانجليز مكان المصريين ، وأغلقت بعض المدارس كما تلاشيت البعثات التعليمية الى أوربا [١٧] فى الوقت الذى زادت فيه الارساليات التبشيرية لترويج الثقافة الأجنبية ، وأنشئت مدارس لتعليم أبناء الجاليات الأجنبية [١٨].

لقد أحس النديم بما يعانيه أبناء وطنه من جهل أدى الى ضياع حقوقهم وسيطرة الأجانب على مقدراتهم فنادى بانتشار التعليم وتعميمه بين أبناء الشعب عن طريق فتح الكتاتيب الأهلية ومدارس الجمعيات الوطنية [١٩] والمدارس الحكومية بحيث لا يقتصر على فئة دون أخرى ، وبحيث لا يكون ترفا لا يناله الا الأغنياء والمحظوظون فنادى بمجانية التعليم للفقراء من أبناء الشعب حتى لا تعوقهم المصروفات عن اكمال التعليم ، وطالب المعلم باتباع الطرق السهلة فى التعليم حتى يصل الى أذهان تلاميذه دون معاناة ، وأن يكون قدوة فى الأخلاق والتواضع كما هاجم السياسة التى وضعها الاحتلال بشأن التعليم مما أدى الى تدهوره [٢٠] وحرض المصريين

---

(١٧) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٧٩ ، ١٨٢ ولما كانت البعثات التعليمية ترسل معظمها الى فرنسا فقد قاوم الانجليز ذلك فى محاولة للقضاء على النفوذ الثقافى الفرنسى . يعقوب ارتين : المرجع السابق الذكر ص ١٢٦ .

(١٨) عن أسماء هذه المدارس وتاريخ انشائها وأماكنها . انظر : دكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر اسماعيل الجزء الثانى . المجلد الثانى ص ٨٥٣ — ٨٦١ .

(١٩) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص٧٢ .

(٢٠) وضع الكواكبى خوف المستبدين من انتشار العلم بقوله ان المستبد يخاف من العلوم « التى توسع العقول وتعرف الانسان ماهو الانسان وما هى حقوقه وهل هو مغبون ، وكيف الطلب وكيف النوال » كما ذكر أن « المستبد كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته لأن للعلم سلطانا أقوى من كل سلطان » .

الرحالة ك : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . القاهرة . المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣١ ص ٢٩ .

على المحافظة على ثقافتهم القومية .

ولما كان التعليم في مصر ذا شقين مدنى ودينى ، وكل منهما فى تدهور فان النديم لم يغفل أيا منهما ، فكما نادى باصلاح التعليم المدنى نادى أيضا باصلاح أحوال التعليم التقليدى المتمثل فى الأزهر وهيئاته حيث أنه اشعاع العلم والهداية لكل الشعوب الاسلامية وطالب بمزج التعليم الدينى بالمدنى حتى يخرج رجال الدين من انكماشهم الى العلوم الدنيوية ، وحتى لا يهمل رجال التعليم المدنى العلوم الدينية كما دافع النديم عن اللغة العربية ودعا الى العناية بها ، وهاجم محاولات الاستعمار للتقليل من شأنها ، ونادى بالمحافظة عليها لأنها مرتبطة بالدين والجنسية ، وجدد الدعوة الى انشاء مجمع للغة العربية حتى يمكن حفظ كلماتها من تداخل اللغات الأجنبية ، ولكى نوضح مواقف النديم الاصلاحية تجاه ثقافة عصره فقد قسمنا هذا الفصل الى :

١ — فكر النديم عن اصلاح التعليم .

٢ — فكره عن اصلاح الأزهر .

٣ — دفاعه عن اللغة العربية .

١ — فكر النديم عن اصلاح التعليم :

اعتبر النديم انتشار التعليم والمعارف من أهم عناصر الوطنية فقال : « ان الحياة الوطنية هى انتشار المعارف والصنائع فى الأمة وان التدهور والتذمر مع الجهل والفراغ من المعدات لا يفيدان الا الخذلان » (٢١) ونادى الأغنياء باسم الوطنية بالتعاون على رفعة الوطن بالمساهمة بما لديهم من مال وفكر وقوة فقال : « لو علمت

---

(٢١) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٣٢ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

الوطنية ودرستها على خبير بها لعلمت أن البلاد محتاجة الى فكرك وقوتك والأهل مفتقرون الى مالك » (٢٢) ثم ناشدهم المساهمة فى انشاء المدارس لتعليم الأبناء (٢٣) فقال : « ما بالنا لا نتعاون على تشييد المدارس فى بلاد أوقعها الجهل فى موقع الخسران مع العلم بأن المدارس هى الأصل الذى نبنى عليه نجاح المقاصد اذ أنها هى الواسطة العظمى فى اكتساب الفضائل التى أقل ما فيها حسن تربية الأبناء التى نحن فى حاجة اليها » (٢٤) وندد بالبخلاء الذين يكنزون الأموال ولا ينفقونها فيما يعم على البلاد بالنفع فقال : « لو كان عندى مليون من الجنيه ، وأحكمت غلق الصناديق عليه ، ولبست من الثياب أفخرها ، وركبت من الخيل أشهرها ، وكنت مع ذلك بلا لب أعقل به ، ولا فكر به أنتبه ، ولا خير يؤثر عنى ولا صديق يقرب منى يحسن بى أن أقول أنا انسان ، وأنا بهذه الحالة اقل من الحيوان » (٢٥) ثم أخذ يطوف البلاد فزار شبراخيت ، وميت غمر (٢٦) والمنصورة لحث الناس على افتتاح الكتاتيب والمدارس الأهلية (٢٧) لتعليم الأولاد حتى تنتشر المدارس ويعم التعليم (٢٨) لأنه لا اصلاح

---

(٢٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونيو ١٨٨١ ص ٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(٢٣) من تقرير قدمه ناظر المعارف الى رئيس النظار يتضح ان التعليم الابتدائى كان « قليل الاتساع ، ولم ينتشر فى اى جهة سوى المحروسة .. وانه قد زاد احتياج الأهالى الآن الى انتشار المعارف » دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف محفظة ١/٤ مجموعه رقم ٢ — ٣ — ١٣٧ — ١٧٨ معارف عمومية — تقرير بتاريخ ٤ مايو ١٨٨٠ .

(٢٤) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٠ تحت عنوان « آفة السكوت » .

(٢٥) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ ص ٨٣ — ٨٤ .

(٢٦) للتفاصيل : انظر الفصل التاسع .

(٢٧) الأهرام : العدد ١١٧٧ فى ١٣ أغسطس ١٨٨١ .

(٢٨) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث عشر فى ١١ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢٠٨ .

يدون « افتتاح المدارس ونشر المعـارف والتفنن فيما يجلب الثروة ويحفظ الأمة » (٢٩) ونادى بضرورة توحيد التعليم ، ومزج التعليم الدينى بالتعليم المـدني حتي يخـرج رجال الدين من انكماشهم ، وخصوصا فى النواحى السياسية لأن العلوم الدينيـة كمـا يذكر من قواعد السياسة (٣٠) ، كما انتقد نظم التعليم السائدة لخلوها من الروح القومية لدى التلاميذ فـذكر أن الثورات النـاجحة ضـد الاستعمار أساسها التعليم والتضحية (٣١) وناشد أولى الأمر بتنظيم المـدارس والعناية بأمرها فقال : « ليس بعزيز علي الحكومة العباسية أن توجه العناية الى تنظيم المدارس وترتيب الطلبة على هذا الأسلوب » (٣٢) .

طالب النديم بتعميم التعليم بين طبقات الشعب (٣٣) حتى تنتشر المعارف فى جميع أنحاء البـلاد لأن الأمة لا تستطيع الوصـول الى مشارف المـدنية الا بتعليم كافة أبنـائها فقال : « اذا قصرنا التعليم على أفـراد معلومة أو طبقـة دون أخرى فقـد رجعنـا بمدنيتنـا

---

(٢٩) مسرحية الوطن وطالع التوفيق نقلا عن سـلافه النديم جـ٢ ص ٤٢ .

(٣٠) الأستاذ : العدد التاسع فى ١٨ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٠٢—٢٠٨ تحت عنوان « تربيـة الأبناء » .

(٣١) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ ينـاير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٣٢) الأستاذ : العدد السـادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦٠٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(٣٣) لقد سبق النديم مجلس شـورى القوانين فى المنـاداة بتعميم التعليم بين افراد الشعب اذ لم ينتبـه المجلس لخطورة الأمية وضرورة تعميم التعليم الا فى ديسمبر ١٨٩٤ .

انظر : مجلس شورى القوانين — جلسة الاربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص٥٢ كما تبنى هذه الفكرة فيما بعد محمد فريد اذ عمل على انشاء مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا ، وهى المدارس التى عـرفت باسـم مدارس الشعب .

لمزيد من التفاصيل انظر رسالة الباحث للماجستير السابقـة الذكر ص ٢٣٧ .

التهقرى » (٣٤) كما حض على ضرورة تعليم الفلاحين حتى يعرفوا أحوال وظروف بلادهم فقال : « لو تعلم الفلاح وعرف هيئة البلاد وما هى عليه من ثروة وعزة وخسة وغيرها لنظر لهذا الغريب بعين المعرفة ، وعامله بما تقتضيه طبيعة بلاده » (٣٥) .

كما انتقد النديم المصاريف الفادحة التى يفرضها أصحاب المكاتب البسيطة على الأبناء نظير تعليمهم وطالب بانشاء المدارس العمومية فقال : « لا يخفى على العارفين بأحوال الأهلين الذين مازالوا يتكبدون المصاريف الفادحة لقاء تعليم أولادهم فى المكاتب البسيطة التى قل أن تنتج زيادة عن معرفة القراءة والكتابة ، ان هذا ليس هو الغرض المطلوب الذى ينبغى الاجتهاد فى الوصول اليه هو أن يكون التعليم فى مدارس عمومية توصل المتعلم الى ما تقتضيه حقوق الهداية » (٣٦) ثم طالب بتوحيد مناهج التعليم فى كافة المدارس فقال : « الذى نحث الأمة المصرية على مداركته هو توحيد التعليم لئلا يطلع الأبناء لا هم مصريون ولا أجانب » (٣٧) .

كما طوع النديم صحافته لخدمة تلاميذ المدارس فكتب على صفحات مجلة الأستاذ مقالات ومحاورات بأسلوب مبسط للتلاميذ(٣٨)

---

(٣٤) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٤٠ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(٣٥) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ أغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٣٦) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٠ .

(٣٧) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ أكتوبر ١٨٩٢ ص ١٨٢ تحت عنوان « اللغة والانشاء » .

(٣٨) جعل النديم مجلة الاستاذ على ثلاثة مستويات حتى تستفيد منها كل فئات الشعب فكانت كالآتى :

(أ) مقالات علمية وطنية بلغة أدبية رفيعة كتبت للمثقفين .

(ب) مقالات بأسلوب مبسط كتب لانصاف المتعلمين والتلاميذ .

(جـ) محاورات ومقالات باللغة العامية لتهذيب العامة وترقية افكارهم

تحتوى على دروس ترمى الى تهذيب أخلاقهم وتوسيع مداركهم مثل « تربية الأبناء » (٣٩) و « نديم وحافظ » (٤٠) و (حفصة وبنتها سلمى) (٤١) و (مدرسة البنين) (٤٢) و (مدرسة البنات) (٤٣) شرح فيها أهمية التعليم والسياسة التى يجب أن تسير عليها المناهج وأهمية اعطاء الأولوية للدروس التى تحض على حب الوطن وتعلم التلاميذ الأخلاق الفاضلة ، وتنمى فيهم الروح الاستقلالية وتعرفهم بسير الأولين وأمجاد الوطن ، وتبعدهم عن روح التعصب وخصوصا بعد أن مسخ الاحتلال برامج التعليم وجعل أساسه أوليات القراءة والكتابة للشعب وتعليم متوسط ولا داعى لأكثر من ذلك (٤٤) كما حرص على استبعاد التاريخ القومى الصحيح فى مناهج الدراسة لكى ينشأ الجيل جاهلا بتاريخ بلاده محروما من غذاء النفوس فى الوطنية لا يفرق بين الاحتلال والاستقلال ولا يدرك ما فى الاحتلال من اهدار لكرامة الشعب وحقوقه فصارت غاية التعليم محاربة الشعور الوطنى واماتته فى النفوس (٤٥) ، كما انتقد النديم المدارس الأجنبية التى تفسد الأبناء وتبعدهم عن دينهم (٤٦) لأنها لا تقدم التعليم الذى يتفق وقومية الغالبية العظمى من سكان البلاد .

---

(٣٩) الاستاذ : العدد التاسع فى ١٨ أكتوبر ١٨٩٢ ص٢٠٢ ـ ٢٠٨ .

(٤٠) الاستاذ : العدد الثالث عشر فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٢ ص٢٩٥ .

(٤١) نفسه ص ٢٩٨ .

(٤٢) العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٥ .

(٤٣) نفسه ص ٣٩٥ ـ ٣٩٩ .

(٤٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية . الجزء الأول . بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال الى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ ص ١٩ .

(٤٥) عبدالرحمن الرافعى : مصروالسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٨١ .

(٤٦) كانت المدارس الأجنبية مستقلة تمام الاستقلال عن نظارة المعارف وظل تقدمها يطرد من عام لآخر بينما ظلت مدارس الحكومة كما هى د. احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر . عصر اسماعيل جـ ٢ المجلد الثانى ص ٨٣٢ .

وديانتهم واقترح وضع نظام قومى لمناهج التعليم الأولى فى مصر فنادى بان « يملأ ذهن التلميذ بأخبار المؤلفين والمهذبين من المتقدمين والمعاصرين ، ويشرح له فضل من مضى من علماء جنسه ، وما كانوا عليه من الاجتهاد والتقدم والاشتغال بما يبث روح المعارف لئلا يغلب عليه فضل غيرهم فيحتقر معارف بلاده ويفخر بغيرها » (٤٧) .

ثم تحدث عن أهمية دروس الوطنية فقال : « أن يعرف التلميذ أصل نشأة جنسه ، ومقدار ما وصل اليه من العزة والقوة والثروة والأسباب التى تحل عروة الجنسية وتضعف قوتها » (٤٨) كما صور الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك غرقا من عروق أبناء وطنه الا وقد « أجرى فيه ماء الوطنية » وكما أن النديم لم يغفل الوطنية فى منهجه فانه لم يغفل الدين أيضا فقال على المعلم « أن يغرس فى ذهن التلميذ أصوله قبل أن يشغل فكره بالعقليات لترسخ قدمه فى طريق المذهب فلا تزحزحه العقليات عند الاشتغال بها » (٤٩) .

وطالب المعلم بالتزام الطرق السهلة فى تلقين دروسه للتلاميذ (٥٠) وخصوصا فى اللغة العربية » (٥١) حتى لا يصعب الأخذ بها ، ولا

---

(٤٧) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٤ تحت عنوان « دروس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .
(٤٨) نفسه ص ٥٥ .
(٤٩) نفسه ص ٥٥ .
(٥٠) الاستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦٠٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .
(٥١) حاول الانجليز فى تلك الفترة التقليل من تدريس المواد باللغة العربية للتلاميذ فى المدارس والجدول الآتى يوضح ذلك :

	عام ١٨٨٢	عام ١٨٨٨	عام ١٨٩١	عام ١٩٠١
عدد الدروس باللغة العربية	٩٩	٩٦	٩٦	٨٨
عدد الدروس بالانجليزية	٢٤	٣٠	٣٦	٤٤

نقلا عن محمد عبد الفتاح ابو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر ص ١٣ .

تمل النفس من ملازمتها [٥٢] وحثهم على الرغبة فى تحصيل العلوم، وملازمة الجد والاجتهاد [٥٣]، كما وضع النديم مواصفات المعلم المثالى فقال : « يجب أن يكون متواضعا لين العريكة سهل الأخلاق واسع العبارة فى فنه غير ماجن ولا محملق ولا فاحش ولا قاس ولا معجب بنفسه ولا كسول ولا عابس » [٥٤] .

وكما عرف النديم المعلمين بواجباتهم التى يجب أن يسيروا عليها طالب لهم بحقوقهم فناشد أبناء الوطن باحترامهم لأن اهانتهم « تعتبر أول دليل على خراب البلاد » [٥٥] كما ذكر أن « العلماء[٥٦] فى كل أمة وجيل هم أئمة الناس فى السير الى المدنية وقادتهم الى الانتقال من ظلمة الجهل الى العلم » [٥٧] « وحث الحكومة على الأخذ بعضد هؤلاء ومكافأتهم على أتعابهم ومساعدتهم حتى يقف الشرق أمام الغرب علما وعملا وربما فاقه لشدة ذكاء أبنائه وقوة تصورهم » [٥٨] .

كما ذكرهم بأهمية تربية الأبناء وانتشار العلوم بينهم فقال : « ان سعادة كل أمة موقوفة على تربية أبنائها وانتشار العلوم بها.. وان الجهل يسوق أهله الى الدمار والخراب وتواصل الفتن والحروب

---

(٥٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص١٩ تحت عنوان « اضاعة اللغة تسليم للذات » .

(٥٣) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٥٠ .

(٥٤) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٤ تحت عنوان « دروس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(٥٥) مسرحية الوطن وطالع التوفيق — نقلا عن سلافة النديم جـ ٢ ص ٣٥ .

(٥٦) وضع النديم المعلمين والمدرسين فى منزلة العلماء فقال « ونريد بالعلماء كل ذى علم ينتفع به فى شىء مخصوص خاصة المعلمين والمدرسين » انظر : سلافة النديم جـ ٢ ص ٢٥ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٥٧) الاستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(٥٨) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر جـ١ ص ٥٠ .

الداخليـة والخارجية مع حيلولته بين أهله وبين ما يوصله الى الظفر وبلوغ المقاصـد » (٥٩) وذكرهم بأن الجاهل دائما ما يقع فريسـة لظلم الطامعين مصورا ذلك فيما كتبه تحت عنوان « محتاج جاهل فى يد محتال طامع » (٦٠) .

فكان أسلوبه ساخرا ومثيرا (٦١) كما وصف الأمة التى تأنف من العلوم بأن أهلها « يعيشـون أذلاء ويموتون أذلاء » (٦٢) وفى مقال له بعنوان « المرافعـة الوطنية » صور الوطن وهو يرفع دعـوى على أبنـائه فى محكمة سماها « محكمـة الحقوق » رماهم فيهـا بالجهل والتهاون وأنهى مداولات المحكمـة بادانة الأغنيـاء لتقصـيرهم فى فتح المـدارس (٦٣) .

ومع أن النـديم كان ينتقد أبنـاء وطنه فقد كان يأبى أن يقلله أجنبى من شأنهم ، ولمـا كانت النغمة السائدة لدى أنصـار الاحتلال هى التقليل من شـأن المصريين وارجاع جميع أوجه الفشل والقصور اليهم (٦٤) ووصفهم بعدم الصـلاحية لتولى الأعمـال (٦٥) وأنهم

---

(٥٩) الاستاذ : العدد السابع والثلاثون فى ٩ مايو ١٨٩٣ ص٨٧٣ تحت عنوان « التربية والتعليم » .

(٦٠) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص١١ .

(61) Gamal Mohamed Ahmed : Op. Cit. P. 68.

(٦٢) مسرحيـة الوطن وطـالع التوفيق نقـلا عن سلافة النديم جـ ٢ ص ٣٦ .

(٦٣) الاستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٩٧ .

(64) Lloyd : Egypt Since Cromer V. 1 P. 163.

(٦٥) الاستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٤١ تحت عنوان « الحيـاة الوطنية » .

وعندما فشلت سياسة الاحتلال فى النهوض بمدرسة المهندسخانة ارجع دنلوب ذلك الى كسل المصريين ، وكراهيتهم للاعمال

Dunlop Note on the progress 1901 P. 35.

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : محمد عبد الفتاح أبو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر ص ٨ — ٩ .

يكرهون العلم والمدنية فإن النديم رد عليهم بأن الشعب المصرى محب للمعارف يتدافع بنوه فى تعلم العلوم الدينية والرياضية والطبيعية ، وانه دائما ينادى بانشاء المدارس ، واستشهد على ذلك بما ذكره اللورد كرومر عندما زار احدى قرى الصعيد عام ١٨٨٩ حيث قال « زرت قرى كثيرة ، وبعيدة فى صعيد مصر ذلك المكان الذى من النادر رؤية وجه أوربى فيه ، وكان الطلب الذى قدم الى مرارا وتكرارا هو حث الحكومة على اقامة مدرسة فى القرية »(٦٦).

كما هاجم النديم الدعوى القائلة بأن المصرى ليس فيه أهلية لخدمة بلاده فذكر أن الأجنبى دخل بلادنا ، وكان بها القوانين والأنظمة المشابهة لما توجد عليه دول أوربا (٦٧) وضرب الأمثلة على حب المصريين للتعليم وأيد حجته بالأمثلة التاريخية فذكر بأنه حينما اهتم ولاة الأمور بالتعليم فى مصر برع المصريون فى الفنون والصنائع « وقام كل بما عهد اليه أحسن قيام ، وظهر جهابذة وصاروا أساتذة ثم مديرين ثم أمراء » (٦٨) .

ومع أن النديم حذر أبناء وطنه من الأجانب فانه لم يمانع فى تعلم علومهم حتى يمكنهم معرفة ما وصلوا اليه من تقدم ومدنية (٦٩) فقال : « لا ننكر على الأوربيين سعيهم معنا فى طريق

---

(٦٦) الأستاذ : العدد السابق الذكر ص ٤١ ، وقد اورد ذلك اللورد كرومر فيما بعد فى كتابه

Modern Egypt Vol. 2 P. 532.

(٦٧) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ يناير ١٨٩٣ ص ٥٦ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الراى العام » .

(٦٨) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(٦٩) رئيف خورى : الفكر العربى الحديث ص ٢٠٢ .

(٧٠) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٣٩ .

التقدم »(٧٠) كما ذكر « أن الأدوار الشرقية طويت فسجل كان والدور الغربى هو المعلوم الآن..فلا عيب علينا اذا أخذنا من أوربا واقتدينا بها الآن »(٧١) ثم وضح « أن اختلاط الأمم موجب لتربيتها تحت أحضان بعضها بالتقليد والتلقى ومن يتطرق لذم استيطان الغير من قبل أن ينظر الى الفائدة الحاصلة منه حتى لو كان الغير قاهرا فانه يتعلم بقهره كيفية تكوين العصبية واحياء الوطنية »(٧٢) كما أوضح أن أهم أسباب تقدم أوربا هو بحث أبنائها فى العلوم ونشرها فى سائر أطرافها (٧٣) .

أما فكر النديم عن تعليم البنات فقد أوضحه فى محاوراته التى كتبها تحت عنوان « مدرسة البنات »(٧٤) ومع أنه سار على فكر أبناء عصره فى تأييد سياسة الحجاب وتمسك بها (٧٥) فقد أيد تعليم البنات الدين وشئون الأسرة ، وأصول الحياة الزوجية والتدبير المنزلى ، وعارض تعليمهن الموسيقى والرقص واللغات الأجنبية فى وقت كان تعليم الفتاة لدى عامة المصريين مسلمين

---

(٧١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ٢٥ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٧٢) الاستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٠ .

(٧٣) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٣ تحت عنوان « درس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(٧٤) الأستاذ : صفحات ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ .

(٧٥) حتى ذلك الوقت كان قاسم امين يدافع عن سياسة الحجاب والسترة والحشمة ويهاجم السفور المبتذل .
انظر :
Kassem Amin : Les Egyptiens P. 102.
وقد نشر هذا الكتاب ردا على الدوق داركور Le Duc d'Harcourt الذى زار مصر عام ١٨٩٣ ثم وضع كتابا تحت عنوان
L'Egypte et les Egyptiens.
انتقد فيه المجتمع المصرى انتقادا لاذعا وصور حياة مصر والمصريين بألوان قاتمة مما دفع قاسم امين الى الرد عليه .
وداد سكاكينى : قاسم امين ص ٣٠ .

وأقباط غير مرغوب فيـه لزعمهم أن البنت إذا تعلمت وتثقفت تسبب الضرر لعـائلتها ، ويكون ذلك فى عرفهم مفسدا للاخلاق (٧٦) .

هكذا كان النديم مهتما بالتعليم ومناديا بضرورة تعميمه والمحافظة على الثقافة القومية (٧٧) بانشاء الكتاتيب والمدارس لتوضيح الطريق أمام أبنـاء وطنه ، فكان معلما لشعبه ، ولم تكن مهنة التعليم بجديدة عليه فقـد كان معلما بمدرسة الجمعيـة الخيرية الاسـلامية وكان أستاذا لقرائه فى الصحف حيث كان يكتب بعض المحـاورات فى صورة حوار بين أسـتاذ وتلميذ وتسميته لاحدى صـحفه باسم الأسـتاذ لهو دلالة واضحة على وضوح صفة المعلم فيه .

وكان أستاذا فى خطبه حيث وضح لمن لا يعرف القراءة والكتابة — وكانوا السواد الأعظم من المصريين — المسائل (٧٨) ونقـل اليهم أفـكاره كما أنه اشتغل معلما بعد وصوله الى منفاه الأول بيافا حيث افتتح هناك مكتبا لتعليم الصبيان (٧٩) .

لقد حرص النـديم على أن يتعلم النـاس الحرية والـكرامة وأصـول الوطنيـة وأن يخلصـوا فى الايمان بالله والوطن والنفس وهو القـائل :

أورنى أمـة بلغـت منـاها

بغير العلم أو حـد اليمانى (٨٠)

---

(٧٦) محمد عمر : المرجع السابق الذكر ص ١٢٥ . وقد ظل الأمر حتى حمل قاسم امين على ذلك واعتبره من عوامل الضـعف فى المجتمع المصرى . قال ان « المرأة محتاجة الى التعليم لتكون انسانا يعقل ويريد » قاسم امين : تحرير المرأة ص ٢٠ .

(٧٧) الكاتب : العدد ١١٨ فى يناير ١٩٧١ ص ٦٣ مقـال للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى تحت عنوان « تطور الفكر السـياسى فى مصر الحديثة » (التيار الليبرالى) .

(٧٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ج ١ ص ١٢٨ .

(٧٩) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ج ٤ ص ٤٨٧ .

(٨٠) من خطبة النديم التى ارتجلها فى وداع آلاى عرابى عند سفره الى رأس الوادى .

انظر : التنكيت والتبكيت فى ٩/١٠/١٨٨١ .

٢ـ فكر النديم عن اصلاح الأزهر :

أحس النديم بأن الأزهر لم يعد لائقا بمكانته كمنارة للعلم فى مصر والعالم الاسلامى حيث كان فى حاجة ماسة الى الاصلاح وخصوصا بعد أن تراكمت عليه غيوم الاهمال ، ورانت عليه أسباب الخمول والرتابة [٨١] وأصبح التعليم به قليل الجدوى فقلما يلقى درس فى الأخلاق كما أن الآيات القرآنية التى تحض على الفضائل كان حظها من الذكر والتفسير أقل كثيرا مما تحظى به آيات تتصل بالأمور الشكلية فى الاسلام [٨٢] وانصرف التعليم فيه الى الشكل دون الجوهر فكان مجدبا ، وليس للعقل فيه حرية التفكير لاقتصاره على الحفظ دون الفهم [٨٣] ، كما أخذ أهل الأزهر ينظرون بعين العداء الى المدنية الجديثة والى العلوم التى قامت عليها [٨٤] وقد جنى ذلك الجمود الشديد على علماء الأزهر حتى صاروا كأنهم عضو ميت فى جسم الأمة لا يهمه من شئونها شىء ولا يسعى فى شىء من الخير لها ، كما ساء حال موظفيه فأخذوا يتكففون الأيدى ، ولم يتيسر لهم حتى القوت الضرورى ، ويتضح ذلك من الشكاوى المقدمة الى الخديو نذكر منها على سبيل المثال شكوى « الشيخ محمد عبده شيخ رواق البغدادية بالأزهر » من سوء أحواله هو وأسرته والتماسه المساعدة فيطالب « بربط كم قرش لنا من الأوقاف

---

(٨١) نجيب توفيق : المرجع السابق نذكر ص١٢٨ ، مجلة المقتطف: الجزء التاسع من المجلد الثلاثين فى أول سبتمبر ١٩٠٥ ص ٧٣٥ — ٧٤٢ تحت عنوان « إصلاح الأزهر » .

(٨٢) د. محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على . القاهرة دار الفكر العربى الطبعة الأولى ١٩٤٨ ص ٦٦٤ .

(83) Chirol, Valentine : The Egyptian Proplem P. 238.

(٨٤) عبد المتعال الصعيدى : تاريخ الاصلاح فى الأزهر ص ٢٥ .

الخيرية (٨٥) لنستعين بها على طلب العلم » (٨٦) وهناك شكوى أخرى يلتمس فيها الشيخ « محمد يوسف امام مسجد الحسين » طلب اعانة بقوله التمس « علاوة كم قرش على ماهيتي لاعانتي على القوت الضروري أنا وعائلتي » (٨٧) ولم تقتصر الشكوى على هؤلاء فقط بل امتدت الى شيخ الجامع الأزهر نفسه فقد أرسل الشيخ محمد الانبابي « يشكو الى الحكومة من سوء أحواله وقلة النقدية التي لا تكفي لشئون وظيفته » (٨٨) .

لقد شعر النديم بأن ما عليه الأزهر من أحوال كهذه ينتقص من مكانته وجلال رسالته كمركز للاشعاع الديني على العالم الاسلامي (٨٩) وكمظهر من مظاهر المجد المصري لحمله لواء المعرفة في مصر وفي الشرق

---

(٨٥) كان الانفاق على الأزهر ، وغيره من الاماكن الدينية يعتمد على نظام الأوقاف حيث كان بعض الأغنياء يوقفون جزءا من ثروتهم على ما يحتاجه التعليم الديني من مصروفات .

(٨٦) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربية الى جهات — محفظة رقم ٩ دوسيه رقم ٣ وثيقة رقم ٢٩٠ تحت عنوان « ديوان عموم الأوقاف من يناير الى مايو ١٨٩٠ » .

(٨٧) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربية الى جهات — محفظة رقم ٩ دوسيه رقم ٣ وثيقة رقم ٢١٤ .

(٨٨) دار المحفوظات العمومية : أوراق ربط معاش زيادة للشيخ محمد الانبابي شيخ الجامع الأزهر . دولاب ١٣ عين ١٤ محفظة ٢٩١ دوسيه ٧٦٦٨ .

(٨٩) كان للازهر اهمية عظيمة اكتسبها من موقع مصر وسط العالم الاسلامي وقربها من الحجاز وصبغتها العربية ، واهميتها الاقتصادية ولعراقة وادى النيل فى الثقافة العقلية القديمة ، ولهذا كان قبلة اهل العلم اجميع المسلمين ، ويدل على ذلك ما كان به من الاروقه التي ضمت الاتراك والهنود والجاويين والدكارنه واهل الحرمين الشريفين واليمن والعراق والبرابره والصوماليين والافغان والشوام والمغاربة وغيرهم .
احمد عبد الجواد : حياة مجاور ص ٢٦٢ ورغم ما اصاب الأزهر من ضعف فقد ظلت له مكانته فى العالم الاسلامي حيث لم يبق غيره موئلا للعربية وعلومها ، فلولاه لذهبت اللغة العربية بطغيان اللغة التركية عليها أو تغلبت عليها العامية واتت على البقية منها .
عبد المتعال الصعيدي : المرجع السابق الذكر ص ٩ .

الاسلامى قرونا متصلة (٩٠) فبدأ يعرض نواحى النقص فى نظام الأزهر ثم اقترح الحلول اللازمة لاصلاحه ، فدعا الى تطوير الأزهر ووقف جموده وانعزاله عن المشاكل الاجتماعية والسياسية للشعب فقال : « نرى كل مشتغل بالأزهر منصرفا عن الدنيا وما فيها ، فلا يقرأ الجرائد العلمية ولا السياسية ، ولا يعرف شيئا من أحوال الممالك ولا يقرأ تقويم البلدان (الجغرافيا) ولا علم له بشيء من الجارى بين الملوك والطوائف ولا وقوف له على حوادث الحروب واختلاف الأمم ، ولا المام عنده بصنعة أو زراعة أو أصول تجارة ، ولا يبحث فى مخترع يسمع به ومقترح يرد عليه وكأنه فى جب لا ساكن فيه الا من يماثله فى هذا التجرد الشنيع ، مع أنه يطلب العلم ليكون مؤهلا للافتاء والقضاء وهاتان الوظيفتان أرقى وظائف السياسة القضائية المتصلة بكثير من الفروع الادارية » (٩١) .

كما أرجع النديم حالة تجمد الأزهر الى طريقة التعليم السائدة فيه (٩٢) فى ذلك الوقت حيث انحصرت الدراسة فى العلوم الدينية

---

(٩٠) د. طه حسين : نقد واصلاح . بيروت — دار العلم للملايين — . الطبعة الأولى ١٩٥٦ ص ٢٦٥ .

(٩١) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣

« الجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين كرر مطالب النديم بعد حوالى نصف قرن من الزمان فنادى بتطوير التدريس فى الأزهر وتثقيف رجاله بالثقافة الحديثة حتى يكون عنوانا للمجد المصرى الحديث كما كان عنوانا للمجد المصرى القديم ، وسبيل ذلك ان تكون الثقافة التى تصدر عنه والمعرفة التى تطلب فيه ملائمتين أشد الملائمة لحاجات الناس وآمالهم مستقبل الثقافة فى مصر . القاهرة — مطبعة المعارف ١٩٣٨ ج ٢ ص ٤٧٢ — ٤٧٥ .

نقد واصلاح ص ٢٦٥ — ٢٦٦ .

(٩٢) تحدث الشيخ حسن المرصفى « عن تجمد طريقة التعليم بالأزهر وسوء أحوال رجاله » فقال : « قضوا أرزل العمر فى كتب محدوده وشروح موجوده وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحررونها ويتداولونها ولا يتعقلونها .

الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٦٧٣ .

وكتب الأستاذ عباس محمود العقاد عن التعليم بالأزهر فقال : « وكان التعليم والتعلم كلاهما فوضى مهملة لا رقابة عليها لأحد » .

انظر : محمد عبده . ص ٧٤ .

وبقيت العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية والفلسفية مهجورة من الأزهر ، ينظر اليها بعين السخط ، ويفر من سماعها فرار الصحيح من الأجرب » (٩٣) .

هذا فى الوقت الذى يجب أن يكون فيه الأزهر « ملطفا للحياة الحديثة مخففا لأثقالها ملائما بينهما وبين ما يأمر به الله من الخير والمعروف ، مباعدا بينه وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر »(٩٤)

طالب النديم المشايخ بالاستقامة وحسن السيرة والاخلاص، والبعد عن الرياء وحب المظهر والجاه والتقيد بكتاب الله والسنة النبوية حتى يسير طلبتهم على منوالهم وينتفعون بصحبتهم ومواعظهم لأنهم اذا كانوا غير ذلك وميالين للبدع والأهواء فلا يفيدون مريديهم غير الخسران والضلال (٩٥) كما طالبهم باتباع الحق والأصول الدينية وعدم محاباة الملوك أو الأمراء (٩٦) .

كما ذكر أن أهم أسباب سوء أحوال طلاب الأزهر يرجع الى كثرة العطلات به أثناء الموالد والمناسبات والأعياد الدينية (٩٧) وأيام الجمع ويوم المحمل وعند موت عالم ومرض شيخ وغير ذلك كما كشف عن سبب هام يفت فى عضد الأزهريين ويقعد بهم عن التعليم والمذاكرة وهو سوء أحوالهم الصحية حيث يجتمع فى الجامع الأزهر من عشرة الى عشرين ألفا مع عدم وجود من يرعى هؤلاء من الناحية الصحية مما يتسبب عنه انتشار الأمراض المعدية حيث يسكنون حجرات ضيقة فاسدة الهواء وقليلة الضوء تستوطنها

---

(٩٣) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ص ٥١٦ ، محمد عمر : المرجع السابق الذكر ص ٩٠ .
(٩٤) د. طه حسين : نقد واصلاح ص ٢٦٥ .
(٩٥) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .
(٩٦) نفسه ص ٨٥ — ٨٦ .
(٩٧) لمزيد من التفاصيل : انظر . محمد عبد الجواد : حياة مجاور فى الجامع الأحمدى .. القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٤٥ ص ١٥٠—١٥١ .

الحشرات وتملؤها القاذورات كما « كانت أمكنة الجامع الأزهر من صحنه الى مقاصيره الى أروقته الى مغاطسه وميضاته وكتفه مجتمع أوساخ ، ومهب روائح عفنة ، ومنبع وخامة وبؤرة أمراض معدية » [٩٨] وساعد على انتشار الأوبئة أيضا فقر الطلاب الذى يمنعهم من نظافة أنفسهم بتغيير ثيابهم حيث يرتدى معظم هؤلاء طوال العام ثوبا واحدا غالبا ما يكون فى حالة قذرة كما أنهم يقطعون النهار وطرفا من الليل جلوسا على حصير فوق بلاط .

اقترح النديم حلولا لاصلاح الأزهر نشرها على صفحات مجلة الأستاذ [٩٩] فحث الحكومة على الاهتمام به [١٠٠] وتخصيص مبلغ من المال للانفاق على شئون التعليم به والاعتناء بشئونه كما تعنى بمعلمى اللغات الأجنبية وبعض العلوم الطبيعية من الأجانب الذين يحصلون على مرتبات مرتفعة ومراكز كبرى [١٠١] على حساب الكفاءات المصرية فقال : « اذا كانت للحكومة تصرف لمعلمى اللغات الأجنبية وبعض العلوم الرياضية والطبيعية الخمسين جنيها والمائة راتبا لشخص واحد فماذا عليها لو خصصت للازهر ودوائره مبلغا تساعد به الأوقاف » [١٠٢] كما أوضح لهنا أن تقدم الأزهر ورفعته يعود على الوطن بالنفع بصفة عامة والحكومة بصفة خاصة فقال ان من طلبة الأزهر « يخرج القضاة ونواب البلاد

---

(٩٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الفكر ج ١ ص ٤٨٠ .

(٩٩) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦١٩ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(١٠٠) الجدير بالذكر ان مجلس شورى القوانين قد تبنى ما طالب به النديم فى مطالبة الحكومة بالاهتمام بالازهر حيث نادى « بالمحافظة على هذه المدرسة العظمى ، ومد يد المساعدة اليها ماديا ومعنويا » .
مجلس شورى القوانين — محضر جلسة السبت ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣

(١٠١) لمزيد عن التفاصيل يمكن الرجوع الى :
محمد عبد الفتاح أبو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر .

(١٠٢) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦١٩ تحت عنوان : « العلماء والتعليم » .

والفنون وطابنة دار العلوم ، وهؤلاء كلهم تابعون لادارة الحكومة لا لادارة الأزهر » (١٠٣) وذكرها بأهمية الأزهر كاشعاع للعالم الاسلامى حيث تشع منه أنوار العلم والهداية لكل شعوبه فقال : « وأما الأزهر فلا ينكر أحد ماله من الأهمية فى العالم الاسلامى أجمع فقد تخرج فيه الجهابذة والأساتذة والمؤلفين الذين هدوا العالم الانسانى الى طرق المدنية والفضل بتآليفهم المفيدة ، ومبتكراتهم البديعة » (١٠٤) كما تحدث عن المواد التى تدرس به والعلماء القائمين على التدريس فيه فقال « فقد ملىء بالأئمة الأعلام الحائزين على رتب المزايا والفضائل ، وكلهم قائم بتدريس ما نيط به من فنون التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق والبيان والبديع وأدب البحث والوضع والتجويد والقرآن والمصطلح والحساب والتاريخ والانشاء والعروض والقوافى وغيرها من العلوم النقلية والعقلية (١٠٥) .

طالب النديم بادخال العلوم العصرية بالأزهر كالرياضيات والآلات والهندسة والحساب والجغرافيا والحقوق والتاريخ وعلم الأخلاق ومبادىء الصحة الشخصية (١٠٦) حتى يجارى التطور الحضارى ، وليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أكبر من اتصاله بالأجيال الماضية والحاضرة حيث أنه مشرق النور الدينى للبلاد الاسلامية كلها ، وأخص ما يمتاز به الإسلام أنه دين الحرية والعلم والمعرفة والتطور والطموح الى المثل العليا فى

---

(١٠٣) نفسه .

(١٠٤) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون بتاريخ ٢٦ مايو ١٨٩٣ ص ٩١٨ تحت عنوان « الأزهر الشريف بمصر وجامع الزيتونة بتونس » .

(١٠٥) نفسه ، ويعتبر كتاب « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » لرفاعة الطهطاوى وثيقة هامة من اهم الوثائق فى تاريخ التعليم بالأزهر حيث يشتمل على أسماء المؤلفات الكثيرة التى كانت تدرس به .

(١٠٦) الأستاذ : العدد السابق الذكر .

الحيـــاة الروحية والمـــادية جميعا (١٠٧) ، كما طـــالب بمراعاة أحوال الطلاب الصحية أثنـــاء الدراسة والـــكشف الطبى عليهم قبل دخولهم حتى لا تنتشر العـــدوى بينهم ، ولا يفت المرض فى عضدهم ويقعـــد بهم عن التعليم والمـــذاكرة (١٠٨) ، وناشـــد الطلاب باتبـــاع قواعد آداب المحـــاضرة لأن أكثرهم يكون غير منتبـــه أو نائم أثنـــاء القـــاء الدروس فقـــال : « يرى أكثرهم نائما على وجهه فى الدرس ، ويبقى كذلك ساعات ، ويستمر اليوم بعد الآخر حتى تنصب المواد فى عينـــه فتضعف أو يذهب نورها فضلا عن خروج هيئـــــة قعوده عن حـــد الأدب » (١٠٩) .

ولمـــا كانت الدراسة فى الأزهر لم تقيـــد الطلاب بنسبة حضور معينـــة بل كان مرجع ذلك اجتهادهم (١١٠) فقـــد طـــالبهم النـــديم بضرورة المواظبـــة على حضـــور الدروس يوميا ، واقترح على العلماء تنظيم الامتحانات السنوية واعتبار نسبة انتظـــام الطالب على سماع المحاضرات ضرورية لدخوله الامتحـــان ، وأن تنظم المناهج الدراسية، وتوزع على ســـنوات الدراسة على أن يمتحن فيها الطلبة فى نهاية كل عام دراسى (١١١) وقد تحققت مطالب النـــديم على يد الشيخ محمد

---

(١٠٧) د. طه حسين : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٦ .
والجدير بالذكر ان الشيخ محمد عبده عين مفتيا للديار المصرية فى ٢ يونية ١٨٩٩ ونادى بذلك وادخله فى حيز التنفيذ .
لمزيد من التفاصيل انظر : محمد رشيد رضا . المرجع السابق الذكر ج ٣ ص ١٦٦ .

(١٠٨) لقد تحقق ما نادى به النـــديم اذ تعين طبيب يعرض عليه كل من يريد الالتحـــاق بالأزهر من الطلاب ويعـــالج المرضى ، ويراقب تنفيذ الأمور الصحية ، وانشئت صـــيدلية ومحل لعيـــادة المرضى فيه وكان ذلك من مساعى الشيخ محمد عبده .
محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ٢٥٢ ، د. تشارلز : المرجع السابق الذكر ص ٧١ .

(١٠٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(١١٠) محمد عبد الجواد : المرجع السابق الذكر ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(١١١) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

عبده حيث صدر القانون الثامن للجامع الأزهر فى أول يولية ١٨٩٦ فأضاف للعلوم الدينية كثيرا من المواد الجديدة وهى الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية ، وجعل التاريخ الاسلامى والخط والانشاء ومتن اللغة ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان مواد اختيارية يمتاز محصلها من غيره، ويقدم عليه فى الوظائف والمرتبات (١١٢) وتم تنظيم عملية مواظبة الطلاب فى الدراسة ومراقبة نسبة حضورهم للدروس (١١٣) كما سعى الشيخ محمد عبده عند الوزارة حتى تخصص مبلغا من ميزانية الدولة للانفاق منه على الدراسة فى الأزهر (١١٤) .

٣ ــ دفاع النديم عن اللغة العربية :

هال النديم أن يرى آثار موجة الفرنجة الجارفة التى أصابت البلاد تصل الى اللغة العربية حتى أصبح أبناء وطنه لا يهتمون بلغتهم والمثقفون منهم يتفاخرون باستعمال اللغات الأجنبية كلغة للتفاهم والتعامل كما هاله أن يرى محاولات الاستعمار للتقليل من شأن اللغة العربية للسيطرة على عواطف المصريين وأفكارهم حتى لا ينهضوا لمناوأتهم واحلاله الانجليزية والفرنسية محل العربية فندد بهؤلاء فى صحفه مبينا لهم الآثار الضارة التى ستترتب على مستقبل الوطن والدين نتيجة ما يفعلون فكتب مقالا تحت عنوان

---

(١١٢) محمد عبد الجواد : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٣ ، عباس محمود العقاد : محمد عبده ص ٢٠٦ .

(١١٣) للتفاصيل انظر : المقتطف : الجزء التاسع من المجلد الثلاثين فى أول سبتمبر ١٩٠٥ ص ٧٤١ تحت عنوان « اصلاح الأزهر » .

(١١٤) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٢١٠ .

ولمزيد من التفاصيل : عن اصلاحات الشيخ محمد عبده فى الأزهر . انظر : محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٥٠ وما بعدها .

(اضاعة اللغة تسليم للذات) (١١٥) خاطب فيه المتفرنجين فقال « أيها الناطق بالضاد ــ بم تستبدل لغتك ، وليس لها من مثيل ، وان من تتركها وأنت لها كفيل ، وما الذي استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها » (١١٦) كما بين لهم أن « اللغة هي سر الحياة » (١١٧) يترجم بها اللسان عن خواطر القلب وانها فى حد ذاتها شخصية استقلالية لأن الذى يعبر بلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال ثم انتقدهم بقوله : « بقى لما تتكلم بلغة ضيوفك ، وكل من جه تاخد لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا حتى بقيت غريب فى الدبار ، وضيعت مجدك وشرفك » (١١٨) .

وحذرهم بأن ما يفعلونه سيؤدى الى اماتة القومية والجنسية والدين وقطع الصلة بين الجيل الحاضر والتراث المجيد الذي ورثناه عن أسلافنا فقال « واذا حولنا طريق التعليم باللغة الوطنية

---

(١١٥) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ .
وقد أثار موضوع هذا المقال مناقشات عديدة معارضة ومؤيدة فقد ندد أمين شميل بالمقال وحث على هجر اللغة العربية والاستعاضة بغيرها من اللغات .
ولمزيد من التفاصيل : انظر جريدة العصر الجديد العدد ٧٨ فى ١٠ اغسطس ١٨٨١ .
تحت عنوان « جواب واقتراح لأحد علماء مصر الأفاضل » .
كما وقف المتعصبون للغة بجانب النديم ، وهاجموا ما قاله شميل ونصحوه بالرجوع الى رأى النديم .
العصر الجديد : العدد ٨٠ فى ٢٤ اغسطس ١٨٨١ تحت عنوان « ما كل ما يعلم يقال » .
رسالة لأحد ادباء الاسكندرية .
وكانت هذه المقالة سببا فى مناظرة طويلة بين ادباء مصر انتهت باقامة النديم نفسه مقام حكم موفق بين أفكار الكل .
سلافة النديم ج ١ ص ٩٤ ــ ١٠٠ .
(١١٦) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص١٩
(١١٧) نفسه .
(١١٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص١١ــ١٥

الى التـدريس باللغـات الأجنبيـة أمتنا قوميتنا وجنسيتنا ودينـنـا وأصبحنا أجانب بين قومنـا » (١١٩) ثم بين لهم أن اللغـة العربيـة مرتبطة بالدين والجنس والقومية (١٢٠) أشـد ارتبـاط ، وناشد أولى الأمر حفظ اللغة العربية لأنها مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد (١٢١) ففيها سر خالد هو القرآن الـكريم الذى لم يكن كتابا يجمع بين دفتيه ما يجمعه كتاب أو كتب فحسب بل هو « جنسية لغوية .. ولولا هذه العربيـة التى حفظها القرآن على الناس وردهم اليها .. لما تماسكت أجزاء هذه الأمة » (١٢٢) .

كما طالب النـديم بالاكثار من مدارس الجمعيـات وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغـة العربية بطريقة تهذيبيـة (١٢٣) وذكرهم بأنه حينما كانت البـلاد خالية من الدخلاء ، كانت اللغـة العربيـة

---

(١١٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

وقد حمل حافظ ابراهيم دعوة الحفاظ على اللغة العربية بعد النديم وندد بمحاولات اماتتها ، وبعث الانجليزية مكانها ، واخذ يحمس المصريين ويدفعهم للوقوف فى وجه هذه المحاولة قائلا على لسان الفصحى :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
أيهجرنى قومى عفا الله عنهم ... الى لغـة لم تتصـل بروأة

(١٢٠) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ أكتوبر ١٨٩٢ ص ١٧٩ .
تحت عنوان « اللغـة والانشـاء » .

(١٢١) نفسـه .

(١٢٢) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والحديث القاهرة — المـكتبة التجارية . الطبعة الرابعة ١٩٥٦ ص ٤٧ — ٤٨ .

(١٢٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص١٩ تحت عنوان « اضاعة اللغة تسليم للذات » .

وقد ردد هـذا فيما بعد الأستاذ عباس محمود العقـاد بقوله ان « الحملة على لغتنـا نحن حملة على كل شىء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينيـة وعلى اللسان والفكر والضـمير فى ضربة واحدة .. فزوال اللغة العربيـة لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه على سائر الأقوام » .

أنظر : اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب . القاهرة — دار المعارف ١٩٦٣ ص ١٢٧ .

فى قمة مجدها وازدهارها فقال : « بحثنا فى اللغة العربية وما كانت عليه من العز والارتقاء أيام خلو العرب من الدخلاء والخلطاء » (١٢٤) .

ورد على أولئك الذين ادعوا أن اللغة العربية ليست لغة علمية فقال : ان أصول العلوم فى القرون الطويلة الماضية والثقافات العلمية المختلفة التى حملها العرب الى العالم الحديث كانت باللغة العربية التى لفت الدنيا ، ودخلت كل دولة بعلومها وفنونها « فنعرف فضل العدو قبل الحبيب » (١٢٥) كما ذكر أن اللغات السريانية والعربية والفارسية والعبرانية كانت أساس العمران والمدنية (١٢٦) ؛ وانه قد ظهر فى الوجود العلمى مئات الوف من أفاضل وأجلاء علماء بلاد العرب والفرس الكرد هذوا العالم الى الحضارة وكمال العمران (١٢٧) وهاجم ما ردده وليم ويلكوكس الانجليزى (١٢٨) بأن أسباب تأخر المصريين هو تمسكهم باللغة العربية الصحيحة (١٢٩) مبينا أن القرآن وهو الحجة الكبرى لنا معاشر المسلمين نزل بالعربية ، وطالب بضرورة المحافظة على اللغة موضحا أهمية استعمالها فى المعاملات الخاصة وبين الأهل والأبناء ، وفى كتب الدين

---

(١٢٤) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣٠ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٧ . تحت عنوان « باب اللغة » .

(١٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ١٩ تحت عنوان « تحية بلدى » .

(١٢٦) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٢٥٦ . « حديث النديم مع الخواجه الفرنسى عن اللغات » .

(١٢٧) عبد النديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ٤٨ .

(١٢٨) كان يعمل مهندسا للرى فى مصر ، وقد أدار مجلة باسم الأزهر فى عام ١٨٩٣ للدعوة الى العامية والترويج لها .

وعن ما ذكره ويلكوكس انظر : مجلة الأزهر — العدد الأول من السنة السادسة فى ١ يناير ١٨٩٣ ص ١ — ١٠ .

(١٢٩) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « اشتات الشرق وعصبيات أوربا » ص ٤٦٩ .

والعلم لأن بقــاء الجنس والدين مرتبطان ببقائها (١٣٠) ، وأن « فى ضعف كل أمة فقــدان لغتها » (١٣١) كما أوضح لأولى الأمر خطورة ادخال الــكلمات الأجنبيــة فى المــكاتبات الرسمية فقال : « ان كثرة استراق الــكلمات الأجنبية واستعمالها فى مخاطباتنا الــكتابية يؤدى الى الرجوع باللغة القهقرى » (١٣٢) .

كما ذكر أن اللغــة العربية « تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشى عليها ، ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها » (١٣٣) وضرب مثالا على جهــل رجال الادارة الحكومية باللغة العربيــة فــكتب تحت عنــوان « كم فى الزوايا من خبايا » تهكم فيــه عليهم فذكر أن أحد المأمورين أخطأ فى عمله فأرسل اليه رئيسه كتابا يوبخه فيه ويسأله الاجابة فطلب أحد رؤساء الكتاب وأعطاه الــكتاب للرد عليه ، ولمــا كانت لغة هذا الرئيس العربية غير سليمة سأل كل من فى الديوان أن يرشدوه على من يستطيع الــكتابة بالعربية الفصحى فلم يجد غير شاب من أولاد الفقراء لاتزيد ماهيته عن ثلاثمائة قرش فاستحضره وأعطاه الخطاب ليرد عليه فــكتب الرد بلغة عربية فصيحة أعجبت المأمور الذى سأل كيف يكون هذا بثلاثمائة ورئيسه بألف قرش فقال له الوكيل هذا هذا من أولاد الفقراء ، وليس له محسوبية لدى أحد امراء حتى يتقدم لدى ذوى الغايات .

وقد ختم النــديم كلامه بأن قال « أعظم مصيبة من رئيس كتاب

---

(١٣٠) الأستاذ : العدد السابق ص ٤٧١ .

(١٣١) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٧ تحت عنوان « باب اللغــة » .

(١٣٢) الأستاذ : العــدد الثــامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٧٨ تحت عنوان « اللغــة والانشاء » .

(١٣٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ . تحت عنوان « اضــاعة اللغة تسليم لذات » .

لا يعرف الانشاء ، ووجود مأمور لا يحسن كتابة جواب » (١٣٤) .

وهنا يمكن أن يتبادر فى أذهاننا سؤال وهو لقد كانت الكتابة الديوانية ركيكة منذ البداية فلماذا شن عليها النديم حملته الآن ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نوضح أن سبب تدهور اللغة العربية فى أيام محمد على وقبله كان بسبب سيطرة اللغة التركية على العربية وخاصة فى دواوين الحكومة ، فقد كان كل من يجيد التركية له أحقية الترقى فى سلك الحكومة . وخير مثال على تدهور اللغة العربية فى هذه الفترة ما كتبه الشيخ عبدالرحمن الجبرتى فى كتابى « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » (١٣٥) و « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » (١٣٦) حيث يتضح مدى تأثر الجبرتى بطابع عصره فى انحطاط الأسلوب ، وشيوع العجمه فى التراكيب والتروى فى الكثير من الأخطار النحوية واللغوية ، وقد خلت اللغة التركية هى لغة الدواوين معظم عصر اسماعيل حتى ترجم « عبد الله فكرى » اللوائح الى العربية فلا بدع اذا آثرت الحكومة أبناء الأتراك ومن يجيد التركية بالوظائف الكبيرة (١٣٧) ثم نشأت طبقة من كتاب الدواوين لم تختلف فى شىء عن كتاب الدواوين المتأخرين (١٣٨) من حيث كتابة المنشورات والتقريرات بأسلوب السجع ولم تكتف بما فيه من أغلال بل تضيف اليه أغلال الجناس والطباق وغيرهما من

---

(١٣٤) عبد الفتاح النديم : المرجع السابق الذكر ج ١ ص ١٠٤—١٠٥ .

(١٣٥) طبع عدة طبعات منها طبعة ١٢٦٧ هـ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة فى ٤ أجزاء .

(١٣٦) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠١ م تاريخ ، عدد أوراقه ١٤٦ مكتوب بخط واضح وقد قامت وزارة التربية والتعليم بتشكيل لجنة لتحقيقه وطبع عام ١٩٦١ فى جزءين .

(١٣٧) عمر الدسوقى : محمود سامى البارودى ص ٢١ .

(١٣٨) أمثال القاضى الفاضل وزير صلاح الدين وطبقته .

أغلال البـديع ، وربما كان من أهم أسـباب هذا الجمود أن مصر لم تكن تشعر بوجودها شعورا محققا حيث أهتم محمد على بكبت هـذا الشعور ، وظل الشعب بعيدا عن المناصب الـكبرى التى اختص بها طبقـة الأتراك ، وظلت لغتـه معه متخلفـة لا تتطور ، اذ لم تكن هناك بواعث سياسية ولا قومية تدفعها الي هـذا التطور : بل كان الحاكم يقدم عليها اللغـة التركية فى دواوينـه ومنشوراته (١٣٩) .
لذلك فالاجابة على السؤال المطروح بأنه حينما ظهرت البواعث القومية والسياسية ظهر من الـكتاب والشعراء من أحاط اللغة العربية بعنايته وبرعايته أمثال « ابراهيم المويلحى وعبد الله النديم المصرى ومحمود سامى البـارودى وعدد كبير غيرهم ممن حرصوا على سـلامة اللغة وأعادوا الى العربيـة ديباجتها المشرقة وبيـانها النـاصع » (١٤٠) وخصوصا بعد أن سيطرت انجلترا على مصر عسكريا وحرصت على السيطرة أيضا على أفـكار المصريين وعواطفهم بالعمل على القضـاء على لغتهم وبعد أن اجتـاحت مصر موجة الفرنجة ومحاولة البعض التقليل من شـأن اللغة العربية واعتبارها مصدرا من مصادر التخلف الحضارى لقد كان النـديم على حق فيما دعا اليه حيث كانت الألفاظ الأجنبيـة قـد طغت على الألفاظ العربيـة (١٤١) ، واسـتعملت فى

---

(١٣٩) د. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ١٤٤ .

(١٤٠) الأمير مصطفى الشهابى : محاضرات عن القومية العربيـة ص ٣٠٢ .

(١٤١) بلغ الأمر بمجلة المقتطف أن نادت بكتابة الألفـاظ العربيـة بالحروف الأجنبية ، وحيث أن باللغة العربيـة حروفا لا وجود لهـا فى اللغـات الأفرنجية كالحاء والعين والغين ـ ـد اقترحت حروفا عربيـة لتطابق الأفرنجية .

المقتطف : الجزء الرابع من السنة الثالثة عشر . عدد يناير ١٨٨٩ ص ٢٤٥ — ٢٤٨ تحت عنوان « طريقة جديدة لـكتابة العربية بحـروف افرنجيـة » .

ورأى الأب انستاس الـكرملى اختراع طريقـة جـديدة لـكتابة الـكلمات العربية يتمكن من خلالها القـارىء قراءة اى نص كان من غير ان يستعين بالصرف والنحو .

الهلال : الجزء العاشر فى اول اغسطس ١٩٣٢ .

تحت عنوان : « هل ينبغى تغيير الحروف العربية » .

المخاطبات الكتابية داخل الدوائر الحكومية حتى كثرت الشكوى. ويتضح ذلك من رسالة أرسلتها نظارة المعارف الى مجلس النظار تشكو فيها من كتابة بعض الألفاظ العربية باللغات الأجنبية فى دوائر الحكومة مما أدى الى وقوع الكثير من الأخطاء وهذا نصها « لم تتقرر حتى الآن فى دوائر الحكومة قاعدة ثابتة يتبعها الكل فى كتابة الألفاظ العربية بحروف اللغات الأجنبية وبالعكس ، وقد ترتب على ذلك وقوع الغلط فى كتابة بعض الأسماء والأعلام والأسماء الخاصة الأكثر تداولا عند نقلها بالحروف الأجنبية ، وكثيرا ما يشاهد حصول هذا الخطأ فى الأوراق الرسمية الصادرة فى دوائر الحكومة » (١٤٢) ومع أن النديم قد دعا الى الحفاظ على اللغة العربية لأن انقطاع الصلة بيننا وبين ماضينا أشبه شىء بتجريد الانسان من الذاكرة فانه لم يعترض على تعلم اللغات الأجنبية (١٤٣) بل اعتبر أن الجمع بينهما من أسس التقدم والعمران فقال : « ان الجامع بين لغته ولغات الغير أساس من أسس العمران المدنى ومنبع من منابع الأبحر العلمية » (١٤٤) كما ذكر أن تعلم اللغات دلالة على مدى ما وصل اليه الأهالى من حيث المدنية وان اللغة تعظم وتتسع موادها كلما دعت ضرورة العمران والمدنية الى اتساع نطاقها (١٤٥) .

---

(١٤٢) دار الوثائق — محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف . محفظة رقم ٤/٤ فى ١٨٩٢/١/١٥ مذكرة رقم ٤٨٣ من نظارة المعارف الى مجلس النظار .

(١٤٣) لقد كانت مقالات النديم فى التنكيت والتبكيت تحض على الابتعاد عن كل ماهو اجنبى ، ولكن تغير ذلك فى كتاباته بالأستاذ اذ يتضح منها اعترافه بحتميه التطور بشرط أن يميز ابناء الوطن بين الخبيث والطيب ، علما بأن أستاذه الأفغانى قد تعلم الفرنسية فى سن متأخرة حتى يستطيع الرد على اتهامات المتعصبين من علماء أوربا .

(١٤٤) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ١٤ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(١٤٥) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٥٦ ، « حديث النديم مع الخواجه الفرنسى عن اهمية اللغات » .

دعا النديم القائمين بأمر الأمم الشرقيـة أن يحولوا بين اللغـة العربيـة وبين موتهـا (١٤٦) فجـدد الدعوة الى انشاء مجمع للغـة العربية (١٤٧) حتى يمكن أن يحول رجاله دون اللغة وموتها حيث أن المـدنية الحاضرة قـد أوجدت ما ليس له معنى فى الألفاظ العربيـة مما يحتم ضرورة وضع أسماء عربية للمصطلحات الجديدة ، وترجمـة الألفاظ الأوربيـة واخضاعها لمعـايير وأصول قواعد اللغة العربية ، واقترح أن يتكون هـذا المجمع من « علماء أفاضل متمكنين من اللغة،

---

(١٤٦) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٨٠ تحت عنوان « اللغة والانشاء » .

وقلا بلغ الاستخفاف باللغة العربية فيما بعد ان اقترح سلامة موسى الغـاء الالف والنون فى المثنى ، والواو والنون من جمع المذكر السالم.. والغاء الاعراب والاكتفاء بتسكين اواخر الكلمات .

مجلة الهلال : عدد اول يولية ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ — ١٠٧٧ .

(١٤٧) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩١ ص ١٨٠ . تحت عنوان « اللغه والانشاء » علما بأن النديم لم يكن اول من طالب بانشاء مجمع اللغـة العربيـة كما ذكر الدكتور على الحـديدى ذلك فى كتابه عبد الله النديم خطيب الوطنيـة ص ٣٤٠ ، وكما ذكر الأستاذ نجيب توفيق فى كتابه عبد الله النـديم خطيب الثورة العرابيـة ص ١٣٥ حيث يتضح لنـا ان احمد فارس الشدياق قد دعا الى انشاء مثل هذا المشروع من قبل فى صحيفة الجوائب وبالتحديد فى عام ١٨٦٠ وناشد الشـدياق رفاعة الطهطاوى ومحررى « روضة المدارس » بأن يشتركوا فى هـذا العمل حيث ان مصر كما يذكر « مورد العلوم العربيـة ومصدرها وكلام مشايخها متبع فى جميع الأمصار » .

احمد فارس الشدياق : كنز الرغائب فى منتخبـات الجوائب ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠٦ .

كما نادى بهذه الفكرة بعد ذلك عبد الله باشا فكرى فى عام ١٨٧٦ مشيرا الى ان الداعى الأول اليها هو احمد فارس الشدياق امين فكرى : الاثار الفكرية (نظم ونثر احمد فـكرى باشا) ص ٢٣٨ ثم كرر عبد الله فـكرى هذه الفكرة مرة أخرى فى عام ١٨٨١ مناديا بانشـاء أكاديميـة لصيانة اللغة ولـكن الأحوال السياسية حالت دون ذلك .

المقتطف : عدد يناير ١٩٢٨ ص ٥٨ مقال للاستاذ توفيق حبيب تحت عنوان « محاولات لانشاء مجمع لغوى ووضع دائرة معارف عربية » .

وعلوم شتى بحيث يقدر كل واحد منهم على مراجعة الكتب اللغوية وغيرها » [١٤٨] .

كما طالب بأن يقسم أعضاء هذا المجمع على حسب قدرتهم العلمية فيكون « قسم منهم يختص بالمواد اللغوية ، وقسم يختص بالآليات [١٤٩] كالنحو والصرف والبيان والبديع والمنطق ، وقسم يختص بالتاريخ وتقويم البلدان ، وقسم يختص بالترجمة ، وقسم يختص بالرياضيات » [١٥٠] .

كما طالب بأن يعقد هذا المجمع جلسة عامة كل شهر [١٥١] ، وأن يكون له جريدة خاصة بتقاريره وخطبه [١٥٢] ، واقترح بألا يقصر المجمع أعماله على الديار المصرية بل يتم مخاطبة كل الجهات العربية والشرقية حتى لا يقع خلاف بين المصريين وغيرهم ، ولم يتحقق ما نادى به النديم [١٥٣] رسميا الا فى ديسمبر عام ١٩٣٢ حيث صدر مرسوم بانشاء مجمع للغة العربية [١٥٤] .

والجدير بالذكر أنه رغم دفاع النديم عن اللغة العربية ومناداته

---

(١٤٨) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ص ٦٧٣ — ٦٨٦ تحت عنوان « مجتمع اللغة العربية بمصر » .

(١٤٩) يقصد النديم بالآليات هنا المواد التى تحتاج الى تفكير ذهنى وتعتمد على العقل .

(١٥٠) الأستاذ : العدد السابق الذكر ص ٦٨١ .

(١٥١) لمزيد من التفاصيل . انظر : المقتطف : المقال السابق الذكر ص ٥٩ .

(١٥٢) تحقق ذلك بانشاء « مجله مجمع اللغة العربية » التى يصدرها المجمع بصفة دورية .

(١٥٣) حمل مصطفى صادق الرافعى الدعوة لانشاء مثل هذا المجمع بعد النديم .
انظر : تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والحديث ص ٥٥ .

(١٥٤) انظر ما صدره مجمع اللغة العربية تحت عنوان « مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما » ج ٢ .
المجمعيون . مقدمة الدكتور مهدى علام .

باحيائها وخوفه من ضياعها نجـد له بعض المحاورات والمقـالات فى صحيفتى « التنكيت » و « الأستاذ » باللغة العامية [١٥٥] ورغم خطورة العـامية على الفصحى نجـده يعلل ذلك بقوله ان كتابته بالعامية كان يهـدف منها الى تحويل العـامى الجاهل من كراهة قراءته الـكتب الى محبتها فيؤدى به الأمر الى سـماع الـكلام الصحيح [١٥٦] كما أن مقالاته العـامية كانت « أشبه بدروس عملية تنـاولت موضوعات شتى مما كان يهم الشعب » [١٥٧] .

لقد أحس النديم بخطورة العامية على الفصحى وخصوصا بعـد دعوة البعض الى هجر الفصحى واستبدال العـامية بها أمثال « أمين شميل » [١٥٨] و « وليم ويلـكوكس » وأصحاب المقتطف [١٥٩] ممـا

---

(١٥٥) للامثلة على ذلك انظر : التنكيت والتبكيت العدد التاسع فى ١٧ اغسطس ١٨٨١ تحت عنوان « حمل زجل عال » ، الأستاذ : العدد الاول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ١٦ ـ ٢١ تحت عنوان « تحية بلدى » ، العدد العاشر فى ٢٥ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧ تحت عنوان « يوسف القماش وسلامه الصياد وزوجته خضرا » ، وايضا العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٦٨ تحت عنوان « حنبفة ولطيفة » .

(١٥٦) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٨ . تحت عنوان « باب اللغـة » .

(١٥٧) د. سامى عزيز : المرجع السابق الذكر ص ٢٩٥ .

والجدير بالذكر أن كتاب تلك الفترة أباحوا لانفسهم استخدام العامية فى الـكتابة وكان على راسهم عبد الله باشا فـكرى .

امين فـكرى : الآثار الفكرية ـ نظم ونثر عبد الله فكرى باشا . القاهرة ١٨٩٧ ص ٨٠ .

ويذكر الدكتور طه حسين ان العامية ليس لها مقومات وخصـائص اللغـة بل هى لهجة من اللهجات . مستقبل الثقافـة فى مصر جـ ٢ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(١٥٨) هو ابن ابراهيم شميل وشقيق الدكتور شبلى شميل . ولد عام ١٨٢٨ فى كفر شيما بلبنـان وقـد هاجر الى مصر واشتغل بالمحاماة كما عمل بالأدب والعلم والتاريخ .

زكى مجاهـد : الأعلام الشرقية فى المـائة الرابعـة عشر بعـد الهجرة جـ ٣ ص ٢١ .

(١٥٩) المقتطف : عدد نوفمبر ١٨٨١ .

جعله يفكر فى العدول عن الكتابة بالعامية (١٦٠) فى صحفه ، وعن ذلك قال « خفت أن تمشى الكتابة بالبلدى فتحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الأجنبى (١٦١) وجيش اللغة العامية » (١٦٢) ولكنه لم يستطع حيث وصلته رسائل كثيرة من عامة القراء يوضحون له فيها أنه بذلك سيحرم الكثيرين من مقالاته وأفكاره التى يكتبها

---

(١٦٠) لم يدرك النديم خطورة العامية على الفصحى الا فى وقت متأخر لذلك نراه لا يتعرض لذلك فى « التنكيت والتبكيت » وأن كان قد تعرض للمتفرنجين والمفتونين بلغات الغير .

وخطورة العامية انها تتخذ لهجات مختلفة فى النطق بين الشعوب العربية فى مصر والعراق والشام وشمال أمريقيا وغيرها .

وتعدد اللهجات العربية العامية بالعشرات ، وكلها لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعانى الالفاظ فهى كلام العامة يستعمل فى الأغراض المعاشية وفى علاقات الناس بعضهم ببعض لذلك فاللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وادب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش مدة طويلة ، ولا ان يعم بعضها أو كلها الاقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا فى قطره ، وقلما يفهمه غير ابناء ذلك القطر .

الأمير مصطفى الشهابى . محاضرات عن القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها) ص ٣١٥ — ٣١٦ .

(١٦١) قامت سلطات الاحتلال بجنلزة التعليم فى مصر حتى تكون من المصريين شخصيات يكونون أميل الى تقبل وجهات نظرهم فزادوا من عدد حصص اللغة الانجليزية بالمدارس الابتدائية ، واصبح الأمر فى عام ١٩٠١ أن يبدأ التدريس من الصف الأول الابتدائى .

Dunlop-Note on the Progress and Condition of Public Instruction in Egypt (Annual Report 1901) P. 17.

(١٦٢) الأستاذ : العدد العاشر فى ٢٥ أكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٢٦ تحت عنوان « عقد اتفاق » .

والجدير بالذكر أن الصراع بين العامية والفصحى ظل قائما بعد النديم فقد ندد مصطفى صادق الرافعى بالداعين الى استعمال العامية فقال « كيف نرضى لغة القرآن التى تأبى الا أن تتقيد بها اللهجات الأخرى .. ثم نرضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية التى تأبى أن تتقيد بشىء وهى أبدا دائمة التغيير » .

تحت راية القرآن . المعركة بين القديم والجديد ص ٥٤ .

بالعامية ، وانهم لا يستطيعون فهم الكلام العربى النحوى (١٦٣) ، وطالبوه بالرجوع الى الكتابة بالعامية بقولهم ارجع الى ما كنت عليه من انشاء بعض فصول ينتفع بها النساء والأطفال والعامة انما لابد أن يكون ذلك بقلمك فان فصولك التهذيبية فعلت فى نفوس العامة والخاصة ما لا تفعله الخطبة ولا الوعاظ على أن فصولك العامية نبهت كثيرا من الأفكار الى مطالعة الجرائد السياسية والعلمية ،فاذا التزمت هذا الطريق بعثت فى الأمة روحا محبة للجرائد باحثة فبما يشب الطفل على صغره على ميله لقراءة الأخبار ومطالعة الفصول العلمية » (١٦٤) .

فنزل النديم على رأيهم وأعاد مجلته كما كانت عربية فصيحة فى بعضها عامية فى بعضها الآخر (١٦٥) .

والواقع أن الشهرة التى اكتسبها النديم عن طريق مقالاتهالعامية كانت لها عدة عوامل أهمها : نزعته الاصلاحية ، ومقدرته على الكتابة بالعامية ، شخصيته الشعبية (١٦٦) ، كما يتضح لنا أن كلا ممن يتعصبون للفصحى ومن يجيزون العامية استخدموا أحيانا حججا متشابهة لتأييد وجهة نظرهم فأنصار الفصحى اتهموا الاستعمار بأن همه القضاء عليها لتمزيق شملها وتفريقهم عن طريق تشجيع اللهجات المحلية حتى تظهر الحركات الانفصالية داخل الوطن الواحد ، وان

---

(١٦٣) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٢٢٦ .

(١٦٤) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى اول نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٤٤ تحت عنوان « رأى جمهور الأفاضل » .

(١٦٥) الأستاذ : العدد السابق الذكر ص ٢٤١ — ٢٤٥ ، احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٢٤٠ .

(١٦٦) د. نفوسة زكريا : المرجع السابق الذكر ص ١٢١ .

العامية ليست الا من بقايا مخلفات الاستعمار وهى حركة رجعية (١٦٧) بينما ينادى الفريق الآخر بتشجيع العامية لأنها من مقومات الشخصية الوطنية وان الاستعمار لم يهدف الى القضاء على الفصحى لحساب العامية بل كان هدفه القضاء على كلتيهما لحساب نشر لغته الانجليزية (١٦٨) •

لقد حمل النديم عبء الدفاع عن اللغة العربية الفصحى بروح لا يتخللها الملل ، وكانت له اليد الطولى فى ايقاظ الرأى العام ليس من الناحية السياسية فحسب بل من النواحى الاجتماعية والعلمية والأدبية والثقافية ، وكانت أفكاره تعبيرا صادقا عما يجيش فى نفوس شعبه وأمانى مواطنيه كما كان امتدادا لما نادى به أستاذه جمال الدين الأفغانى بالاهتمام باللغة (١٦٩) ، حتى يمكننا القول أن اللغة العربية مدينة بالفضل لهذا الجيل من الرواد الذين أحاطوهابعنايتهم ورعايتهم بعد أن كانت قد أوشكت على الضياع •

---

(١٦٧) مجلة العربى الكويتية العدد ٤٦ فى سبتمبر ١٩٦٢ ص ٩ مقال للاستاذ عبد الرحمن البزاز تحت عنوان « الفصحى عنوان وحدتنا » مجلة صباح الخير فى فبراير ١٩٥٦ ص ٥٠ مقال للاستاذ نجيب محفوظ تحت عنوان « العامية والفصحى » .

(١٦٨) مجلة الكاتب العدد التاسع فى ديسمبر ١٩٦١ ص ٥٨ .
مقال للدكتور محمد مندور تحت عنوان « المسرحية بين العامية والفصحى والشعر » .

(١٦٩) نادى الأفغانى بالاهتمام باللغة فقال : « ان الحزب الوطنى لا تحصل له القوة ؛ ولا يكون له البقاء ما لم يكن لأهل الوطن لغة جامعة مهذبة التركيب جيدة الأساليب فان لم يكن لهم ذلك لاتستقر فيهم المعارف » .

جريدة مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ . خطبة جمال الدين الأفغانى فى قاعة زيزينيا بالاسكندرية .

ولمزيد من التفاصيل انظر : حافظ ابراهيم : ليالى سطيح تقديم وتبويب الدكتور محمد كامل جمعة ص ١٣ ، ٥٣ وايضا الدكتور تشارلز آدمس : المرجع السابق الذكر ص ١٦ .

الفصل الحادي عشر

أساليب النديم فى العمل الوطنى

- الخطـــابة .
- الصحـــافة .
- العمل المسرحى .

تعددت مراحل العمل الوطنى عنـد النديم فبدأ حياته السياسية بالانضمام الى الجمعيـات ذات الصـبغة السرية (١) فدخل الحركة الماسونية (٢) كما دخل جمعية مصر الفتاة السرية (٣) ، ولما أحس أن العمل من خلال هـذه الجمعيات لا يتفق وطبيعته الشعبية لجـأ الى العمل الوطنى العلنى ، واستخدم فى ذلك الوسائل التى أعانته على مزاولة هـذا العمل وهى الخطابة والصحافة ، كما طوع فن المسرح لخدمة المبادىء الوطنية فاستخدم المسرحيات لتوصـيل أفـكاره الى مواطنيه كما شجع على تأسيس جمعية الشـبان بالاسكندرية لتـكون سـندا للحركة الوطنية (٤) ؛ وبما أنه قـد تم معالجة انضمام النديم الى الجمعيات ذات الصبغة السرية وجمعية الشـبان فى فصول سابقة فاننا سنقتصر هنـا على الخطابة والصحافة ثم المسرح كأسلوب من أساليب العمل الوطنى لدى النـديم .

الخطـابة :

لما كانت الأمية « متغلبة على السواد الأعظم (٥) » من المصريين فى ذلك الوقت حيث كان معظمهم لا يقرأ ولا يكتب وفى حاجة الى من

---

(١) ترجع بداية التنظيمات السياسية فى مصر الى الجمعيات السرية، وتواجه دراسة هـذه الجمعيات العديد من الصعوبات ، وذلك لتناثر وقلة المعلومات عنها من ناحية ، وغياب سجلات انشائها ونشاطها بحكم طبيعتها السرية من ناحية أخرى .

د. على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ص ٦٧

(٢) انظر الفصل الأول .

(٣) انظر الفصل الأول .

(٤) انظر الفصل الثانى .

(٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٢٨

يوضح له المسائل [٦] فقد اهتم النـــديم بالخطابة [٧] كوسيلة تمكنه من نقل أفكاره الى أبناء وطنـــه فأقام فى ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ محفـــلا للخطابة فى ساحة الجمعية الخيرية الاسلامية [٨] لالقاء الخطب به يوم الخميس من كل أسبوع وفى الحفلات التى تعقدها المدرسة والمناسبات الوطنية [٩] والدينية [١٠] وعن ذلك قال : « افتتحنا المدرسة على تلك القواعد المؤسسة بمحفل جمع الأمراء والوجهـاء والوزراء والنبهـاء والمحافظ ومأمور الضبطية وجملة من أمراء الجهـادية ، وقمت فيهم خطيبا وأسمعتهم كلاما رطيبا وأطلت والناس بين ناقد ومحقق ومحبذ ومصفق ، فكنت أول خطيب مصرى وقف بين الحكام والظـلام وفتح فاه بكلام . ولمـا اشتهرت الجمعية بالسمعة جعلت هـذا المحفل فى ليلة كل جمعة وأطلقت الخطابة لكل خطيب . وفتحت المحـاورة لكل نجيب [١١] » .

وأخذت ساحة المدرسة تغص بالوافدين عليها الذين أخذ عددهم فى التزايد حتى وصل الى خمسمائة مستمع فى كل اجتماع [١٢] ، وكانت خطب النـديم فى هـذا المحفل ظاهرها الاصلاح الاجتماعى والثقافى

---

(٦) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٥

(٧) سار النديم على نهج استاذه الأفغـانى الذي نادى بالإهتمام بالخطابة وانشاء قاعة يقوم فيها الخطباء بترضيح الأمور لمواطنيهم بما يبين لهم الحقوق ويعين الواجبات .

انظر جريدة مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ — خطبة الأفغانى بقاعة زيزينيا بالاسكندريه .

(٨) جريدة التجاره : فى ٢٣ أغسطس ١٨٧٩

(٩) مجلة الكتاب : المقال السابق الذكر ، ص ٨١

(١٠) كانت الجمعيه تحتفل بالمناسبات الدينيـة وخصـوصا المولد النبوى الشريف .

جريدة اسكندرية : العدد ١٥٧ فى ١٥ يناير ١٨٨٢
تحت عنوان : « عوائد الجمعية الخيرية الاسلامية بثغر الاسكندرية »

(١١) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩

(١٢) التجارة : فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩

وباطنها تنبيه الأذهان الى ما وصلت اليـــه البلاد من ســـوء الحال ، وأسباب تأخر الشرق وتقدم الغرب كما كانت « مصبوغة بدم الغيرة الوطنية ، محو فتوق الانسانية (١٣) » وقد نشرت بعض الصحف هذه الخطب فى صفحاتها الأولى (١٤) .

كما أخـــذ النـــديم يتنقل بين البـــلاد (١٥) لتحريك أفكار الناس فيرتقى منابر المساجد ويقف فى كل محفل ، ويخطب فى كل ناد حيث يرتجل الكلام ارتجالا ، ويتدفق فيه تدفقا(١٦) . يجلس الى الفلاحين فى مجتمعاتهم فيبذر فيهم بذور الثورة وعن ذلك يذكر « أخذت أتقلب فى البلاد ، وجاهرت بالتضاد ، ولبست ثوب الجلد ، وتابعت الخطب فى كل بلد ، وحركت الأفكار حركة لا سكون لها ، ونشرت مظالم الحكام وأعمالها وناديت بهدم دعامة الاستبداد وكسرت قيد الاستعباد (١٧) » .

ولـــا كانت الخطابة فى ذلك الوقت قاصرة على خطباء المســـاجد ووعاظها وفى معظمها عبارات دينية متكررة ومحفوظة تتلى على مسامع العـــامة (١٨) دون أن تحرك القوى الكامنة فى النفس فقد حاول النديم تغيير منهج هـــذه الخطب لأهميتها فى نشر الوعى الوطنى وتحـــويل المجتمع — خاصة الفلاحون لأنهم قاعدته الأساسية — الى قوة وطنية ضاربة — فكتب مقالا تحت عنوان « ألسن الخطباء تحى وتميت » ذكر

---

(١٣) مصر : فى ٦/١٣ ، ١٨٧٩/١٠/٣١ والتجارة : فى ٧٩/٨/٢٣
(١٤) التجارة : فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩ ، مصر : فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٩
(١٥) تنقل النديم بين ميت غمر والمنصورة ودمياط ودسوق وزفتى . انظر التنكيت والتبكيت : صفحات ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨
(١٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ، ج ٢ ص ١٢١
(١٧) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦
(١٨) المنـــار : المجلد الثانى . العدد ٤٤ فى ١٣ يناير ١٩٠٠ ، ص ٦٨٩ — ٦٩٠

تحت عنوان : « اقتراح على السـادة العلماء فى تقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء » .

فيــه أن الخطابة هامة لتنوير العقول حيث هى بمثابة الغذاء للبــدن. على مر العصور . ثم ذكر ان خطبه الجمعة فرضت فى الاسلام لأمر تغيب عن كثير من الناس حكمته وهو أن يقف الخطيب بين قومه وقفة الخليفة الآمر الناهى فيقص على الرعيــة ما ورد عليه من الأخبــار ، وما يرجوه من الاصلاح ، ويوضح لهم أحوال البــلاد ، وأحوال من بعــد عنهم من اخوانهم المؤمنين لتكون الأمة على علم بأحوالهــا فى سائر بلادها حيث يكون فى هــذا من النصح والوعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنــكر ما لا ينكره الا مقيــد بديوان أو مربوط فى بعض وريقات صنفها غيره ، ثم تحدث عن أهمية خطبة الجمعة فقال ان أمة تجتمع كل أسبوع فى ساعة واحدة فى سائر أنحــاء بلادها ، وتســمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على أحــوال البــلاد وسيرها وتقدمها لهى أمة جديرة بالتقدير ، وذكر الخطبــاء أن الخطــابة لم تكن فى الاسلام قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيــا وزخرفها كما يحدث الآن بل كانت تتضمن أخبــار الأمة وحوادثها لأنها بمنزلة الجرائد [19] ، ودعا الى أن يتبرع الأعيان بمبلغ من المــال يخصص لنشر الخطب الأدبية والسياســية ، كما أعلن عن استعداده لكتابة خطبه فى كل أسبوع تتناسب مع الأحوال ثم تطبــع وتنشر فى سائر أنحــاء القطر لتنبه الأفكار ، وتعرف الأمة قــدرها وما تحفظ به نظامها بين الأمم ، وطلب أن يجتمع الأعيــان ، ويعرضوا ذلك على ديوان الأوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة ، وقــد وضــع النديم نموذجا لخطبه يمكن السير على منوالها تحدث فيها عن أهمية الاتحاد وحث على الائتلاف وحذر من الاختلاف وطالب بالابتعاد عن الظــلم والبغى فى معاملة الآخرين والتمسك بالدين مع عدم التعرض للأديان الأخرى والابتعاد عن التهور لأن ذلك يجلب الشر للأمة ، وذكر بحقوق النزلاء وعدم الاســاءة للأجانب [20] .

---

(١٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٢٣ــ١٢٩ تحت عنوان : « السن الخطباء تحى وتميت » .

(٢٠) نفسه : ص ١٢٩ ــ ١٣٢

بهذه المعانى أراد النديم أن تسير خطبة الجمعة لتوضح للشعب ما يمكنه من السير فى الطريق السليم لأنها تعد بمثابة اذاعة محلية وطنية .

وقد برز نشاط النديم الخطابى بعد اتصاله بالعرابيين ، ويبدو أن من اسباب قوة تأثيره فى الناس بخطبه أنه كان يندمج تماما معها وينفعل بها كما كان لديه القدرة على تصوير مآسى الفقراء حيث عاشها هو بنفسه ويتضح ذلك من قول « ميخائيل شاروبيم » : كان « يجوب المدن والبنادر والقرى ويخطب فى الناس ويقص عليهم حديث أجدادهم وأخبارهم وما ألم بهم من الجور والعسف وما حل بالبلاد من الويل والخراب فكان يصعد المنابر والجوامع ويخطب جهارا وعيناه تذرفان الدمع فافتتن الناس به ومال اليه خلق كثير من الأعيان والوجهاء من كل صوب وحدب (٢١) » .

بعد حادث قصر النيل جاءت الوفود لمبايعة عرابى فاستغل النديم ذلك فى ابراز مواهبه الخطابية فخاطب عواطف الناس وحضهم على التكاتف والاتحاد وبين لهم أحوال البلاد فى أسلوب مؤثر كما وضح لهم أضاليل الافرنج ومفاسدهم (٢٢) حتى جعل مستمعيه على استعداد لبذل الروح والمال فى سبيل الوطن .

وأثناء مظاهرة عابدين وقف النديم خطيبا بين الجنود فكان كما يذكر عرابى « ثانى اثنين فى حفظ قلوب الرجال من الزيغ والارتجاف (٢٣) » .

كما كان له موقف بارز فى وداع آلاى عبد العال حلمى الى دمياط

(٢١) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٢٣٩ .
(٢٢) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ١٧
(٢٣) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار . مخطوط . دار الكتب العربية ، ص ١٦٦

حيث وقف خطيبا موجها حديثه « الى حماة البلاد وفرسانها » مشيدا بشجاعتهم موضحا واجبهم فى الدفاع عن البلاد فقال :

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم اليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات (٢٤) » ثم دعا الى الألفة والاتحاد فقال « اجعلوا عروة الود وثيقة ولا تحلوا حبل الاتحاد الذى جاهدتم الأنفس فى احكامه (٢٥) » .

وقد ألقى النديم خطبة فى وداع عرابى عند سفره بآلايه الى رأس الوادى فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ فقال « ... رأينا المشنوق من أهلنا والمصلوب والمذبوح والحريق والموضوع على الخازوق والمشرد والمغرب والمنفى والمسجون والمنهوب والمسلوب ولا ذنب لنا فى هذا كله الا عدم المحافظة على البلاد .

ثم رأينا الدور الثانى فشهدنا جنازة المسموم والمخنوق وودعنا المنفى ولا جناية لهؤلاء الا المطالبة بحقوق الأمة . ثم وصلنا الى الدور الثالث فرأينا مساعدة الأجنبى واكرامه وتكثير العطية وتسليمه أزمة الكثير من أشغالنا ، واذلال الوطن وضياع حقه وتركه فى زوايا

الكثير من أشغالنا ، واذلال الوطن وضياع حقه وتركه فى زوايا الاهمال . فوقفنا عند هذا الحد وسعينا فى طريق الاتحاد وجمع القلوب .. وأعربت الجيوش عن ضمائرنا ، وترجمت الحمية عبارتنا ونادى الجند

---

(٢٤) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ تحت عنوان « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتاة أو زفاف الحرية الى مصر » .

(٢٥) نفسه .

وأيضا نشر الدكتور محمد أحمد خلف الله نص الخطبة كاملا فى كتابه « عبد الله النديم ومذكراته السياسية » ص ٩٩ — ١٠١ .

المظف المنصور بحقوق الأمة (٣٦) .. » .

لقد وقف النديم خطيبا يعبىء مشاعر الناس ويعبر عن أفكارهم فى أسلوب واضح استثار به حماسة مواطنيه ..

ولما سافر النديم الى الشرقية مع عرابى جعل منها مجالا خصبا لخطبه وحينما استعدت البلاد لانتخابات مجلس النواب طاف النديم بالأقاليم يخطب فى الناس موضحا لهم أهمية اختيار الأصلح ، ونتيجة لخطبه المؤثرة التى أيقظت شعور الأهالى خشى شريف باشا مغبة الأمور فحاول الترصد النديم والتخلص منه وقد أوضح النديم ذلك فى مقال قال فيه « اجتمع رهط من أهل الاستبداد ، وتذاكروا فيما أخطب به فى المحافل والجحافل ثم اختلفت أفكارهم الفاسدة ، ولم يهتدوا فى حيرتهم .. أقول لهم أن خطابات المحافل للحث على فعل الخير وتوسيع دائرة الآداب والصنائع .. وأنا أخطب باسم الوطنية (٢٧) » .

كما كون فرقة من تلاميذه الذين علمهم الخطابة وجعل منهم فرقة « دعاية » تطوف معه الأقاليم لتساعده فى نشر دعوته (٢٨) مستغلا فى ذلك فرصة ايجاد أى تجمعات لتوضيح مقاصد الحركة الوطنية فكان له المواقف المشهودة والأيام المعدودة (٢٩) . وحتى الأفراح فقد استغلها النديم فكان الناس يسمعون وصلة من الغناء ثم خطبة من النديم حتى شاع عن « محمد عثمان » المغنى الشهير فى ذلك الوقت

---

(٢٦) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٨١ تحت عنوان : « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتاة او زفاف الحرية فى مصر » .

(٢٧) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، مقال تحت عنوان : « تقريع الأغبياء » .

(٢٨) احمد بهاء الدين : ايام لها تاريخ . القاهرة . روز اليوسف ١٩٥٤ ، ص ٣٣

(٢٩) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ١٨.

انه اذا سئل فى أى فرح تغنى الليلة كان يقول فى الفرح الفلانى مع « عبد اللـه النـديم [٣٠] » .

وعندما تألفت وزارة محمود سامى البارودى وأعلنت أن من حق مجلس النواب الاشراف على الميزانية شارك النـديم البلاد فى بهجتها حيث خطب فى وفود المهنئين متحدثا عن الحـرية وأهميـة الائتلاف والتحالف والعدل والاستقلال والتعاون فأشعل القـلوب بالحمـاس والوطنية [٣١] وسيطر على عواطف الناس بفصاحته وطلاقة لسـانه وحينما أقام الضباط حفلا بسراى قصر النيل لتهنئة البارودى برئاسة مجلس النظار وعرابى بنظارة الجهادية [٣٢] قام النديم وألقى خطبة فى ذروة الاتحاد وأهمية التحالف وحب الوطن والتغنى بأمجاده واستمر فى ذلك حتى الصباح [٣٣] ، كما افتتح النديم الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى فى جمعية المقاصد الخيرية [٣٤] فى ١٣/٢/١٨٨٢ ثم علق على أحاديث الخطباء أربع مرات متخذا من موضوعاتهم مجـالات جديدة للحديث ، ولمـا انتقلت هـذه الاحتفالات الى الأقاليم حيث عقد بعض الأعيان الاجتماعات وأقام بعضهم الولائم للعرابيين [٣٥] كان النـديم نجم هـذه الاحتفالات [٣٦] .

ولمـا كشفت مؤامرة الشراكسة ألقى النديم خطبا تناولت ذم

---

(٣٠) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ص ١٤٦
د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقـالة الصـحفية فى مصر ، ج ٢ ص ١٢٢

(٣١) سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٣٤

(٣٢) محمد البارودى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١

(٣٣) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٢٦

(٣٤) عن هـذه الجمعية انظـر الفصل الثانى من الكتاب .

(٣٥) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣١

(٣٦) سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٣٤

الشراكسة والتنبيه على سلامة عرابى [٣٧] ، وأثناء الأزمة بين الخديو والوزارة نتيجة المذكرة المشتركة فى ١٨٨٢/٥/٢٥ توجه النديم الى الأزهر وجعل من منبره مكانا لتوضيح الأمور [٣٨] فخطب فى رجاله ملهبا حماستهم حتى أحاطوا به وهو ينادون « اللائحة مرفوضة » . كما أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو وبعد أن أتم النديم مهمته بالأزهر توجه الى الاسكندرية المحاصرة بالأساطيل يخطب فى شوارعها ويقود المظاهرات الشعبية كما عقد اجتماعا ضم حوالى عشرة آلاف شخص نادى فيه برفض المذكرة المشتركة وهاجم موقف الخديو واتهمه بالخيانة ولما حضرت بعثة درويش الى القاهرة وأشيع أن السلطان أرسل البعثة للحث على قبول المذكرة المشتركة عقد النديم بالاسكندرية اجتماعا لحوالى عشرة آلاف شخص تكلم فيه ساعتين ضد المذكرة كما تحدث عن عدم كفاءة الخديو للحكم [٣٩] كما استمر فى حملته الدعائية وأرسل تلاميذه الى المديريات يخطبون فى الناس ويطلبون منهم كتابة العرائض احتجاجا على التدخل الأجنبى وارسالها الى درويش باشا .

وعندما أساء درويش معاملة علماء الأزهر عقد النديم اجتماعا بالمكان المعد للصلاة بالجامع الأزهر [٤٠] وخطب فى جمع تجاوز أربعة آلاف شخص حمل فيه على البعثة التركية والخديو حملة

---

(٣٧) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى وكيل عموم الاستحكامات .

(٣٨) لقد استخدم الأزهر كمنبر للخطابة السياسية اثناء الحملة الفرنسية على مصر فكان عمر مكرم وغيره من العلماء يقومون بتعبئة الشعور الوطنى والدينى لدى الشعب واستمر نشاط الأزهر السياسى حتى اول عصر محمد على وفتر ذلك النشاط بعد الضربة التى وجهها محمد على للأزهريين ، ثم جاء النديم وحول الأزهر الى منبر سياسى مرة أخرى .

(39) Blunt : Op. Cit. P. 329.

(40) Ibid. P. 27.

مؤثرة كان لهاــ أكبر الأثر فى النفوس (٤١) مما هز مركز درويش وجعل المجتمعين ينادون برحيله ولو بالقوة (٤٢) .

ونتيجة لخطب النديم المؤثرة التى ألقاها قبل مذبحة الاسكندرية وتأثيرها على شبانها (٤٣) اتهم بأنه كان السبب المباشر فى توتر النفوس بها مما ساعد على قيام المذبحة ويوضح النديم مقصده من ذلك بقوله : « توجهت فى الحال الى الاسكندرية ، وأعلنت جمعية الشبان القصدية (٤٤) بأنى أريد أن أخطب بأمر فيه صلاح بلدنا وتقوى عددنا . فاجتمعت مئات غير محصورة ، وخطبت فيهم خطبة الأنفوشى المشهورة ونبهتهم على لزوم السكون اذا كثرت الظنون ، والبعد عن مجالس الأجانب حتى تنتهى تلك المصائب . وحرضتهم على لزوم الهدوء وعدم التداخل مع العدو ، وبينت لهم أن عرابى باشا أخذ عهده الأمن على نفسه والخديو يسعى فى عكسه ، فلما بلغ ذلك عمر باشا لطفى طلبى لديه وأخذ يرفع صوته ويشير ببديه وقال :
عمر باشا لطفى طلبنى لديه وأخذ يرفع صوته ويشير بيديه وقال :
لم خطبت بين الأهالى ؟ قلت لتسكين الهرج الحالى . قال : ومن أمرك بذلك ؟ قلت : الخوف من المهالك (٤٥) .

وعندما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز قام النديم بتعبئة

---

(41) Blunt : op. cit., P. 308.
(42) Ibid. P. 332.

(٤٣) دار المحفوظات . محافظ الداخلية ــ محفوظات العرضحالات محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠.

(٤٤) يقصد بذلك جمعية المقاصد الخيرية ، وهذه الجمعية تعتبر من اقدم الجمعيات الخيرية التعليمية المصرية حيث انشئت فى أواخر أيام اسماعيل وبالتحديد فى عام ١٨٧٨ وكان رئيسها سلطان باشا ، وكانت تلقى فيها الخطب وأشهر خطبائها عبد الله النديم وحسن الشمسى .
جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع القاهرة ــ مطبعة الهلال ١٩١٤ ، ص ٩٩

(٤٥) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٦

الشعور الوطني وظهرت مواهبه الخطابية حيث كان قديرا على اللعب بعواطف النـــاس فأسرع الى الأزهر مشعلا حماسه لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه لأعداء الوطن ثم أخـــذ يجوب مدن البلاد وقراها لحفز الهمم فى مواجهة أعداء الوطن والدين فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم وتزاحموا على اعانة الجيش بما يلزمه (٤٦) .

وبعد ذلك انتقل النـديم الى ميدان القتال يخطب فى الجنـود ويحثهم على الاستبسال فى المعركة ويتنقل بين صفوفهم يلهب حماستهم وقـد وضح ذلك بقوله : « وكنت كلما مررت على أورطـة أحمسها وأشجعها فلا أسمع منها الا صـوت البنـادق ولا أرى الا سرعة حركتها (٤٧) » .

ولم يقتصر نشاط النـديم الخطابى على فترة الثورة العرابيـة بل كان همزة الوصل بين جيل الثورة العرابيـة والجيـل الذى حمل الراية بعد انتكاسة الثورة فكان صاحب أول مدرسـة خطابية فى العصر الحديث (٤٨) حيث أوصى الشباب بأن يتقنوا فن الخطابة ، وأخـذ يمرنهم عليهـا ، وخص بعنايته مصطفى كامل بعـد أن وجـد فيـه الاستعداد وتبينت له قدرته الخطابيـة وطالعته من مواهبه أمارات الزعامة (٤٩) فشحن عواطفه بمـا فى نفسه من أفكار مكبوتة سـنينا طوالا ، وقـد ظهر أثر النديم واضحا فى خطة مصطفى كامل وأسلوبه حيث اقتبس منه بعض أساليبه فى الخطابة (٥٠) ، وكان ممن يرددون

---

(٤٦) دار الوثائق القوميـة . محافظ الثورة العرابية — محفظـة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/ ملف ٢٢٢ محفظة رقم ٩ دوسيه ٨٦ تحت عنوان : « الثورة العرابية وقضايا المتهمين » .

(٤٧) الطائف : فى ١٨٨٢/٩/١ .

(٤٨) د. نفوسة زكريا : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٠ .

(٤٩) محمد كامل الفقى : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٢٥ .

(٥٠) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ١ ص ٣١٧ .

نغماته ، ولكن تميز مصطفى كامل عن النـــديم بالمــامه باللغة الفرنسية ومعرفته لآراء الغربيين [٥١] •

لقد اختلف الكثيرون فى الحكم على الثورة العرابية وعلى قادتها ولكن لم يختلف منهم أحـــد فى أن النـــديم كان خطيب الثورة العرابية الأول ، وأنه كان خطيبا ملهما يتمتع بكل الصفات التى تجعله خطيبـــا مرموقا مما دفعنا الى البحث عن العوامل التى ساعدته على اتقان هذه الموهبة بالرجوع الى بعض نصوص الخطب التى ألقاها ، والمقـــالات التى تحـــدث فيهـــا عن قيمـــة الخطـــابة حتى نصـــل الى أســـباب مقدرته فى هـــذا الفن •

وبالرجوع الى مقـــاله « ألسن الخطبـــاء تحيى وتميت [٥٢] » و « خطبة الجمعة [٥٣] » التى اقترحها كمنوال يمكن أن يسير عليه خطباء المساجد يتضح لنا مدى احساس النديم بقيمة الخطابة فى توعية أبناء وطنه فى النواحى الاجتماعية والسياسية والدينية حيث أبرز أهميتها بقوله : « انها للعقول بمنزلة الغـــذاء للبدن [٥٤] » كما ذكر أنه عن طريقهـــا « تتضارب الأفكار وتنتبه الأذهان وتحيا الهمم وتتحرك الدماء [٥٥] » وهـــذا يوضح لنـــا أن الخطابة من وجهة نظر النـــديم ليست كلاما منمقا فقط ، ولكن وراءها فكرة تطرح بنبرات وأسلوب يتناسب مع جمهور السامعين ثم تطرق النـــديم الى ابراز أهميـــة الخطـــابة فى العصرين الجاهلى والاســـلامى فذكر أن خطبـــاء ما قبل الاســـلام

---

(٥١) مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ بتاريخ ٢١ اغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد بعنوان « حياة قلم » •
ولمزيد من التفاصيل : انظر الفصل السادس من الكتاب •

(٥٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٣ — ١٢٩ مقال للنديم بعنوان « السن الخطباء تحى وتميت » •

(٥٣) نفسه ، ص ١٢٩ — ١٣٢

(٥٤) نفسه ، ص ١٢٣

(٥٥) نفسه :

« لم يقتصروا فى خطاباتهم على مسائل الحرب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الأفكار فلا يتركون ملمه الا شرحوها ولا يذرون فضيلة الا حثوا عليها [٥٦] » وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بلاد العرب « منيعة المقام [٥٧] » وهابتها الأمم ثم تحدث عن دور الخطباء فى الاسلام وبين أهمية خطبة الجمعة [٥٨] فى المجالين الدينى والدنيوى ثم انتقل الى الدعوة الى النهوض بالخطابة فى عصره فقال ان الخطابة فى الأمة بمنزلة جرائد الأخبار [٥٩] وبين لأولى الأمر الاسباب التى يقتضى من أجلها النهوض بالخطابة فقال : « ان الأمية كثيرة فى بلادنا متغلبة على السواد الأعظم منا ، ولو كانت الأمة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجرائد ، ولكن مطالعى الجرائد عدد قليل محصور فى دفاتر المحررين ، والأميون فى ظلمات الجهالة قد ضرب بينهم وبين ما يقدمهم بسور لا باب له فترى الرجل يجهل حال المديرية المجاورة لبلاده ولا يعرف بعض بلاد قطره الا سماعا من الناس [٦٠] » .

لقد استغل النديم قدرته على التمكن من اللغة العربية فى ابراز مواقفه الخطابية فاستشهد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات من الشعر لتأييد فكرته وحتى تكون حجته مقنعة ويعطى لأسلوبه مذاقا يقبله السامعون فكان يسجع أحيانا ويترسل أحيانا أخرى ، وأعانه ذلك لسانه الفصيح وبديهته الحاضرة وجرأته الفائقة فى مواجهة المواقف وان تعددت فى المناسبة الواحدة فكان كما

---

(٥٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ١٢٣
(٥٧) نفسه ، ص ١٢٤
(٥٨) نفسه ، ص ١٢٥
(٥٩) ذكر النديم « أن الجرائد بالنسبة للأمة كالمرشد الأمين » — انظر الطائف : فى ٢٩ يونيه ١٨٨٢
(٦٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٨

يذكر معاصروه خطيبا لسنا (٦١) متوقد الذهن صافى القريحة ، قوى الأداء جهير الصوت شديد المعارضة لا يدانيه أحد فى بلاغته وفصاحته وتملكه لناصية القول وقوة أسره وشدة تأثيره على الجمهور يرتجل فلا يعييه الارتجال ويفجؤه الموقف فلا يزيده الا حسنا ، فكان خطيبا مطبوعا ومحدثا من الطراز الأول (٦٢) شهد له بذلك العدو قبل الصديق فقد وصفته جريدة التايمز اللندنية بأنه أشد الخطباء عنفا واثارة (٦٣) بقولها :

Abdallah Nedem, one of the most Violent and seditious of the orators Who excited the Arabs in 1882.

كما قال عنه ولى الدين يكن — وكان من أعدائه — أن البيان كان سجية فى هذا الرجل (٦٤) ، وذكره الدكتور « شبلى شميل » « بأنه كان خطيبا شديد المعارضة يقيم ويقعد (٦٥) » . وذكر عن جمال الدين الأفغانى أنه قال : « ما رأيت مثل النديم طوال حياتى فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة المعارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب أو كتب (٦٦) » .

وقال عنه أحمد تيمور باشا أنه كان شهى الحديث حلو الفكاهة

---

(٦١) لويس شيخو اليسوعى : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، ص ٥٠

(٦٢) عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، ص ٦٨

(63) The Times-London, 19 Mars 1893.

(٦٤) المعلوم والمجهول ، جـ ١ ص ٢٨ ، ٢٩

(٦٥) الأخبار : العدد ١٨١ فى ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ مقال للدكتور شبلى شميل تحت عنوان « عود على بدء » .

(٦٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٧.

اذا أوجز ود المحدث أنه لم يوجز [٦٧] ، رجلا فى ذكاء « اياس [٦٨] » وفصاحة « سحبان [٦٩] ».

لقد كان النديم يخاطب العواطف وقل أن يأبه للعقل [٧٠] ، وكان أول خطيب مصرى يتقدم الى ميدان الحرية [٧١] ويقف ضد ظلم الحكام ويجهر بذلك فى الأماكن العامة يستعرض مقدرته الخطابية فى الجماعات والمجالس الخاصة والعامة ومحاورات العلماء والجهال حتى لقبته بعض الصحف [٧٢] بأنه « خطيب الشرق » و « محامى الوطن » و « محيى الوطنية » وأطلقت على محافله (سوق عكاظ) و (معرض باريس) وقد بلغ من سحر حديثه أن أنس به الخديو توفيق وهو من أعنف الثائرين عليه كما أنس به الخديو عباس

---

(٦٧) احمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٤٠

(٦٨) كان قاضيا أيام عمر بن عبد العزيز اشتهر بالذكاء ، وضربت به الأمثال فى صدق الفراسة .

محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين المجلد الأول ، ص ٧٩١

(٦٩) خطيب مخضرم اسلم فى زمن النبى (صلعم) وعاش حتى عهد معاوية يضرب به المثل فى البلاغة فاذا خطب يتوكأ على عصا ، ويسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يتنحنح. اعتمد فى خطبه على العبارات التى تضم حكما صالحة للشيوع .

الموسوعة العربية الميسرة — اشراف الأستاذ محمد شفيق غربال . القاهرة . دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ص ٩٧٢

(٧٠) يذكر سلامة موسى ان « الخطيب الملهم يخاطب العواطف ، وقل أن يأبه للعقل لأن الناس اذا اجتمعوا شملهم ادراك آخر غير ادراكهم الشخصى فهم يفكرون او بالأحرى يحسون جماعة فينزلون عندئذ من سماء العقل والنطق الى حضيض العواطف والشعور » .

سلامة موسى : اشهر الخطب ومشاهير الخطباء . القاهرة . مطبعة الهلال ١٩٢٤ ، ص ١

(٧١) يعقوب صنوع : ابو نظارة زرقاء — باريس فى ٩ يونيو سنة ١٨٨٢

(٧٢) التجارة : فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩ ، مصر : فى ٣١ اكتوبر ١٨٧٩ ، المحروسة : فى ٧ فبراير ١٨٨٠

الثانى [٧٣] أيضا فكان أعظم خطيب مصرى . لا فى الثورة العرابية وحدها بل فى القرن التاسع عشر كله [٧٤] وكان المقدمة المنطقية لعصر الخطابة الوطنية التى بلغت ذروتها على يد كل من مصطفى كامل وسعد زغلول .

الصحافة :

بدأ النديم يتصل بسواد الشعب فى محاولة منه لتكوين رأى عام يقف فى وجه الظلم ولم يقتصر فى ذلك على الخطابة بل قدم أفكاره أيضا عن طريق الصحافة فكتب فى صحيفتى « مصر » و « التجارة[٧٥] » متخذا طريق الاصلاحات الاجتماعية والسياسية مجالا لمقالاته ، وقد نالت هذه المقالات اعجاب الناس أولا لأنها كانت جديدة عليهم من ناحية الأسلوب [٧٦] حيث أدرك النديم « أن لغة الصحافة البحتة

---

(٧٣) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص ٧٤

(٧٤) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام تاريخ وفن ١٨٧٥ — ١٩٦٤ القاهرة . دار المعارف ١٩٥١ ، ص ١٥٨

(٧٥) قال النديم عن ذلك « طلب منى أن يكون لى عبارة فى مصر والتجارة . فالتزمت تحرير اغلبهما لكون مشربى من مشربهما » .

د. محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٥٤ .

(٧٦) لم يكن بمصر للكتابة قبل الأفغانى شىء يذكر ، ولم يكن يعرف من الكتاب سوى عبد الله باشا فكرى . حاضر العالم الاسلامى ، ج ١ ص ٢٠٠

وقد اتبع النديم فى الكتابة الطريقة المرسلة التى دعا اليها جمال الدين الأفغانى ، وقام بالتمهيد لها تلميذه الشيخ محمد عبده فى الرسائل الرسمية والصحف من عام ١٨٨٠ عندما تولى تحرير الوقائع المصرية كما اتبع احيانا طريقة الكتابة المسجوعة التى كان يتبعها الكتاب فى عصره وهو فى اتباعه لهاتين الطريقتين لم يكن نسيج وحده بل شاركه فى ذلك بعض كتاب عصره ومنهم عبد الله فكرى ، وحنفى ناصف .

د. نفوسه زكريا : المرجع السابق الذكر : ص ٥٥

ينبغي أن تكون غير لغـة الأدب البحث [٧٧] كما كانت غريبة عليهم من حيث الأفكار والجرأة في التعبير عما يجيش في الصدور حتى أن بعض الصحف سارت على أسلوبه الجديد في الصحافة[٧٨] وبعد نفى الأفغاني من مصر[٧٩] وتعيين رياض باشا رئيسا للنظار في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩[٨٠] قبض على البلاد بيد من حديد ، وأغلقت الصحف الوطنية ومنها مصر والتجارة [٨١] ومع ذلك فقد زاول النـديم نشاطه الصحفي بطريقـة أكثر فاعليـة وتأثيرا حيث كتـب في جـريدتي « المحروسـة [٨٢] » و « العصر الجديد [٨٣] » بأسلوب تناول فيه الأحوال السياسية التي

---

(٧٧) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، جـ ٢ ، ص ١٦٠
واحمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ، ص ١٦

(78) Delanoue : Op. Cit. P. 83.

(٧٩) أمر الخديو توفيق بالقبض على الأفغاني في « تمستر وسرية » متهما اياه بتكوين جمعية سرية من الشبان هدفها فساد الدين والدنيا .
دار الوثائق القومية . اوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغـاني خطـاب من ضبطية مصر ، ملف بعنوان الحركة الفكرية — جمال الدين الأفغاني محفظة رقم ٦
الوقائع المصرية : العدد ٨٣٦ في ٣١ أغسطس ١٨٧٩

(٨٠) الوقائع المصرية في ٢٥ سبتمبر ١٨٧٩ ولمزيد من التفاصيل انظـر :
F. O. 407/18 No. 38. Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive leading to the Resent Military Insurrection by P. Currie, Sep. 17, 1881.

(٨١) د. محمد احمد خلف اللـه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٤
عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٧

(٨٢) اصدرها سليم النقاش : في ٥ يناير ١٨٨٠

(٨٣) اصدرها سليم النقاش : في ٨ يناير ١٨٨٠

وعن اشتراك النديم في تحرير هاتين الصحيفتين يذكر « اجتمع بي سليم النقاش وعاهدني العهد الأكيد أن احرر المحروسة والعصر الجديد ثم استرخص عنهما فأذن له ، وانعطفت بكليتي عليـه ، والتزمت تحريرهما بقلمي وشحنهما بكلمي . ولم اذكر اسمي بهما مداجاة لرياض حتى لا يسوق لي مرضا من هـذه الأمراض » .
د. محمد احمد خلف اللـه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٤

تمر بها البـلاد بأسلوب رمزى (٨٤) ثم اتجه الى انشاء صحيفة تجعل الى الناس أفكاره ، وتوصل اليهم رسالته واستطاع الحصول على اذن باصدار جريدة التنكيت والتبكيت وعن ذلك قال : « اجتمعت برياض باشـا فى مصر وقد أضمر لى الأضر .. فنافقته ونافقتنى ، وجاذبته الحديث فوافقنى حتى أخـذت منه اذنا بجريدة التنكيت والتبكيت ، وما أردت الا التبكيت ، وقصدت أن تكون لسانى .. ليكون لى فى كل بلد محافل خطابية (٨٥) » .

وقد صدر العدد الأول من هذه الجريدة فى ٦ يونيه ١٨٨١ صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . انقسمت الكتابة فيهـا الى قسمين قسم للتنكيت بمعنى السخرية من العيوب التى لحقت بالمصريين (٨٦) وقسم للتبكيت بمعنى توبيخهم على ما وصلوا اليه من عيوب (٨٧) فى أسلوب قد يكون لاذعا ، وقد يكون مضحكا (٨٨) وقد نجحت هـذه الصحيفة

---

(٨٤) الرمزية هى ان يتخذ الكاتب من بعض الكائنات غير الانسانية ستارا لبث بعض الأفكار والمبادىء لأن الظروف السـياسية والاجتماعية لا تبيح بمـا يريد للكاتب أن يقول بل تنشر جوا من الكبت والارهاب فيحتال الكاتب وسط هـذا الجـو للتعبير عن أفكاره ليسلم من الأذى باختيـار شخوص غير انسانية ليجرى على السنتها هـذه الأفـكار ، كمـا تكون الرمزية ناشئة عن براعة الكاتب فى بث الأفكار واجراء الحوار واختيـار الشكل الذى يتشكل به موضوعه .

درويش حسن الجندى : الرمزية فى الأدب العربى ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ص ٥٠٣
انظر ايضا :

Delanoue : Op. Cit. P. 86.

(٨٥) د . محمد احمد خلف اللـه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٥

(٨٦) النكتة اما نكتة دعابة او نكتة تهكم ، والدعابة تقوم فى الغالب على ادراك النقائص وملاحظة المفارقات .

(٨٧) يذكر الأستاذ عباس محمود العقاد : ان التبكيت لازم للايقاظ والانهاض .

انظر : اشتات مجتمعات فى اللغة والاداب ص ١١٣

(٨٨) د . عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٢ ص ١٥٩

ويوصل نداؤها الى أكبر عدد ممكن فمن كان قارئا قرأ ومن لم يكن ستمع ففهم (٨٩) ، حيث برزت قدرة النديم الفذة على الكتابة بالعامية (٩٠) فكانت صحيفته مؤثرة فى موضوعاتها وأسلوبها حيث تناولت آفات المجتمع الاجتماعية والسياسية بأسلوب التزم اللغة السهلة البسيطة (٩١) كما احتوت على قوالب متعددة مثل القصص الرمزية والنوادر والزجل والمحاورات والأبحاث الهادفة ، وبعد انضمام النديم الى العرابيين وبعد أن أصبح داعيتهم الأول وأصبحت جريدته هى لسان حالهم طلب منه عرابى تغيير اسم جريدته من «التنكيت والتبكيت» الى اسم يتناسب مع الظروف التى يمر بها الوطن واقترح عليه أن يكون هذا الاسم هو « لسان الأمة (٩٢) » وأن يكون موضوعها سياسيا تهذيبيا للذب عن حقوق الأمة والدافعة عنها (٩٣) ، وقد أرسل الى ادارة المطبوعات بخصوص هذا التغيير خطابا قال فيه « لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن التنكيت والتبكيت اقتضى تبديل اسم جريدة التنكيت والتبكيت الأدبية التهذيبية كما استقر الرأى عليه بالممارسة مع حضرة الفاضل عبد الله أفندى نديم محررها ومدير ادارتها باسم « لسان الأمة (٩٤) » ولكن هذا الاسم الجديد الذى أراده عرابى

---

(٨٩) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٢١٨

(٩٠) لم يكن النديم اول كاتب صحفى يدخل العامية فى ميدان الصحافة فقد سبقه الى ذلك يعقوب صنوع .
د. ابراهيم عبده : اعلام الصحافة العربية ، ص ٥١
والجدير بالذكر ان النديم ترسم خطوات صنوع ونهج نهجه فيما كتبه بهذه الصحيفة .

(91) Delanoue : Op. Cit. P. 87.

(٩٢) دار الوثائق القومية : سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤ تحت عنوان : « مكاتبات الداخلية » .

(٩٣) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٨

(٩٤) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٨ ملف ٢٢٢ خطاب احمد عرابى الى مأمور ادارة المطبوعات، التنكيت والتبكيت العدد ١٩ فى ٢٣ أكتوبر ١٨٨١
تحت عنوان : « صورة ما كتبه احمد عرابى الى ادارة المطبوعات » :
Delanoue : Op. Cit. P. 90.

للجريدة لم ينل اعجاب النديم (٩٥) فصدرت تحت اسم الطائف (٩٦) .

ويعلل الأستاذ أحمد تيمور اختيار النديم لاسم الطائف كعنوان

---

(٩٥) أطلق الأستاذ عباس محمود العقاد على النديم « استاذ العناوين » انظر : مجلة آخر ساعة فى ١٩٥٧/٨/١٤
تحت عنوان « حياة قلم » .

(٩٦) يذكر الرافعى أن عرابى هو الذى اختار للصحيفة اسم الطائف .

انظر : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٥١٥ ، ونقل عنه الأستاذ عمر الدسوقى ذلك .

انظر : فى الادب الحديث ، جـ ١ ص ٢٧١

ولكن احدى وثائق الثورة العرابية تثبت عدم صحة ذلك القول حيث أن نصها كالتالى : « انه بمدة ما كان احمد عرابى ميرالاى براس الوادى حرر افادة للداخلية يطلب فيها تبديل جرنال التنكيت والتبكيت (بلسان الأمة) » وعلى مقتضاها تصرح لصاحب امتياز ذلك الجرنال بجرنال الطائف » .

سجلات الثورة العرابية سجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤
كما اختلط الأمر على أحمد شفيق فذكر « وكان قلمه (يقصد النديم) فى جريدة الطائف ثم لسان الأمة شعلة من نار » اى انه يعنى أن للنديم جريدة باسم الطائف ثم جاء بعدها جريدة باسم لسان الأمة .

انظر : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ص ١٤٦

كما يذكر فى مجال آخر أنه صدر العفو عن النديم محرر جريدة لسان الأمة .

مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ القسم الأول ، ص ٣٥

ورجحت الدكتورة نفوسة زكريا استنادا على احمد شفيق أن اعدادا قليلة ظهرت تحت اسم لسان الأمة وانها فقدت شأن الكثير من آثار النديم .

انظر : عبد الله النديم بين الفصحى والعامية ، ص ١١

ولكننا مع اقتناعنا بعدم ظهور جريدة للنديم باسم لسان الأمة فقد بحثنا فى سجلات دار الكتب المصرية وفى ما جمعه قسطاكى الياس عطارة تحت اسم تاريخ الصحف المصرية فلم نجد جريدة بهذا الاسم .

لجريدته بأن ذلك تيمنا بالبلدة الموجودة بهذا الاسم فى الحجاز [٩٧] وتفاؤلا منه بأن هذه الجريدة ستطوف البلدان الاسلامية [٩٨] وعن أسباب تغيير اسم الجريدة قال النديم: «خلصنا من زمن التنكيت والتبكيت وأصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق ، وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة بعد أن كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية ، وجعلناها تطالب بحقوق الأمة وتدافع عن حقوق الحكومة [٩٩] » .

كما اعتبر النديم هذه الصحيفة امتدادا للتنكيت والتبكيت فذكر « أن الطائف ظهرت فى أول أمرها تحت عنوان التنكيت والتبكيت [١٠٠] » .

ولكننا نرى أن « الطائف » كانت مختلفة عن التنكيت والتبكيت » التى كان يكتب بها مقالات ومحاورات بالعامية بينما لم يوجد فى الطائف مكان لذلك حيث كانت مقالاتها تكتب بالفصحى وفى حين كانت التنكيت والتبكيت أسبوعية صدرت الطائف فى بعض الفترات

---

(٩٧) بلدة الطائف تقع شرقى مكة ، وتبعد عنها خمسين ميلا ، وتعتبر من اقدم مدن الجزيرة العربية ولا تقل قدما عن مكة ، وان كانت تختلف عنها فى طبيعتها السخية لهذا تذهب أسطورة الى أن نبى الله ابراهيم بعد أن اقام قواعد البيت بمكة دعا ربه الذى استجاب له بأن أمر الملائكة فانتزعوا قطعة من ارض الشام الخصبة ، والقوا بها حيث قامت الطائف ببساتينها النضرة ، وكان اكثر اهل الطائف عند قيام الدعوة من قبيلتى ثقيف وهوازن وجاء فى السيرة ان الرسول عليه السلام وهو فى مكة قد رأى استهانة قريش به فاعتزم السير الى الطائف لأنه له فى أهلها خئوله .

احمد عطية الله : القاموس الاسلامى . المجلد الرابع ، ص ـ ٤٤٣ ٤٤٤

(٩٨) احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٧

(٩٩) التنكيت والتبكيت : العدد التاسع عشر فى ٢٣ اكتوبر ١٨٨١ ص ٣٠٦

(١٠٠) الطائف : فى ٢١ يونيه ١٨٨٢

يومية[١٠١] وخصوصا أثناء ازدياد التدخل الأجنبي كما أن التنكيت والتبكيت اهتمت بصفة خاصة بالاصلاح الاجتماعي بينما اهتمت الطائف بالأحوال السياسية ذات الطابع الثورى الواضح [١٠٢] وأن لم تهمل النـواحى الاجتماعية .

وقـد احتلت الطـائف مكانة هامة بين الصحف المصرية فى تلك الفترة [١٠٣] وقامت بعض الصحف بتقريظها هى وصاحبها فتمنت لهـا « الأهرام » ولصاحبها التوفيق[١٠٤] كما ذكرت جريدة « العصر الجديد » أن جريدة « الطائف » حرة النزعة مستقيمة المبادىء طيبة النشر رقيقة اللفظ دقيقة المعنى محكمة الوضـع لطيفة الاشـارة [١٠٥] » ورحبت صحيفة الاسكندرية بصدورها وبمنهجها المنيد الذى يتبعه صاحبها[١٠٦] ووصفتها جريدة مصر بأنها موصوفة بالوطنية ، وبأنها نافذة الـكلام خطيرة مرعية المقـام [١٠٧] كما دافع عنها وعن محررها يعقوب صنوع فى جريدته « أبو نظارة زرقاء » فقال : السلام عليك ياسى نديم يا قرة عين قراء جريدة الطائف الله الله على ذوقك السليم يا حاوى الظرائف

---

(١٠١) ذكر قسطاكى الياس أن جريدة الطائف كانت جريدة سياسية أسبوعية ولم يشر الى أنها تحولت الى جريدة يومية بعد ذلك .
انظر : تاريخ الصحف المصرية ، ص ٢٦٠

(١٠٢) جرجى زيدان : تراجم مشـاهير الشرق ، ج ٢ ص ٩٧
Delanoue : Op. Cit. P. 88.

(١٠٣) أهم الصحف التى كانت تصدر فى تلك الفترة هى الأهرام ، الفسطاط ، العصر الجديد ، المفيـد ، المحروسة ، البرهان ، الاعتدال ، السـفير .

(١٠٤) الأهرام : عدد ١٢٥٦ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١

(١٠٥) العصر الجديد : العدد ٩٢ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « الجـد بعد الهزل » .

(١٠٦) الاسكندرية : العدد ١٥٥ ، ١٥٦ فى ٣١ ديسمبر ١٨٨١ ، ٨ يناير ١٨٨٢

(١٠٧) مصر : العـدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنـوان : « نبـذة سـياسية » .

واللطائف أحلف بحب الوطن ياعم • أنى كلما أقرأ جرنالك يزول عنى الهم من حــلاوة أقوالك • مقــالاتك الأدبيـــة نورت مصرنا ونبذاتك السياسية جددت عصرنا • وحياة دقنك يا عزيزى من عشقى فى فصولك الفريدة باترجمها بالفرنساوى والانجليزى [١٠٨] كما نصحه فى مقــال آخر بقوله : « ان الجرائد هى المرشد للأمة ولا يجوز للمرشد أن يرشد مسترشده الا الى طريق الصلاح والاصلاح [١٠٩] • لقــد استطاعت صحيفة الطــائف أن تصبح صحيفة الثورة الأولى فكانت منذ صدورها لسان العرابيين الرسمى وترجمانهم الصحيح » ، ويذكر « عبد الفتاح نديم » ان العرابيين كانوا يحررون فيها ما يشاءون دون أن يقدر أخوه على رد أحد منهم [١١٠] فقد اغتصبوها منه ، ولم يدعو له منهــا غير الاسم [١١١] ومع ذلك فقد برزت مكانة « الطائف » فى تلك الفترة حيث أن الصحف جميعها لم تبلغ مكانتها ولا خطــرها [١١٢] حيث أصبحت كتاباتها مصدرا موثوقا به ونقلت عنها الصحف الأخــرى مقالاتهــا الاجتماعية والسياسية [١١٣] كما أحرزت من الشــهرة ما لم تحــرزه صحيفة أخرى ، وأخذت فى الانتشار والتأثير على الأفكار [١١٤] حتى

---

(١٠٨) يعقوب صنوع : ابو نظارة زرقاء ــ لسان حال الأمة المصرية الحــرة ــ باريس فى ١٧ مارس ١٨٨٢

(١٠٩) يعقوب صنوع : ابو نظــارة زرقاء ــ باريس فى ٩ يونيو سنة ١٨٨٢

(١١٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٨

(١١١) الهــلال : المقال السابق الذكر ، ٤٠٥

(١١٢) مصر : العــدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنــوان : « نبــذة ســياسية » •

(١١٣) د. ابراهيم عبــده : تطــور الصحافة المصرية واثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية • القاهرة ــ مكتبة الآداب • الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧

وعن هــذه الصحف انظر : المحروسة والعصر الجديد •

(١١٤) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربيــة • بيروت ــ المطبعة الأدبية ١٩١٣ ، ص ٦٢ ، ٦٣

أن بعض قرائها ذكر « ان تلاوة الطائف ألذ فى الذوق من أكل القطائف [١١٥] » .

اقتصر النديم فى تحرير هذه الصحيفة أول الأمر على معالجة نواحى النقص الاجتماعية [١١٦] ثم انتقل الى الموضوعات السياسية العميقة [١١٧] والأخبار الهامة التى تميزت بها تلك الفترة [١١٨] ، ولما كانت انتخابات مجلس النواب على الأبواب قام النديم بحملة دعائية كبيرة لتهيئة أذهان الناس للحياة الدستورية ، فأخذت الطائف على عاتقها توعية المواطنين بأهمية الحياة النيابية ، وضرورة الترو فى انتخاب الأعضاء حتى يقع الاختيار على أناس فيهم المروءة والشهامة والذكاء والمعرفة وحب الوطن فيستطيعوا تحمل المسئولية بأمانة كما شاركت بعض الجرائد الأخرى النديم فى توعية المواطنين [١١٩] وبدأت انتخابات مجلس النواب بطريقة طبيعية [١٢٠] وافتتح الخديو المجلس بالقاء خطبة العرش ، وسارت حكومة شريف تؤدى وظيفتها بطريقة

---

(١١٥) العصر الجديد : العدد ٩٢ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « الجد بعد الهزل » .

(١١٦) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٦

(١١٧) د. ابراهيم عبده : اعلام الصحافة العربية ، ص ١٢٦

(١١٨) د. ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية واثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، ص ١٢٦

(١١٩) اخذت صحيفة « العصر الجديد » فى تنبيه الأذهان الى أهمية اختيار المرشحين فقالت : « أن زمن تسليم الخاتم وتوقيع الامضاء بلا بحث ولا علم قد ذهب غير ماسوف عليه وانه يجب انتخاب نواب جديرين بتحمل المسئولية » .

انظر العصر الجديد : العدد ٩١ فى ١٦ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « مجلس شورى النواب » .

(١٢٠) نصت المادة الثانية من لائحة مجلس النواب أن يكون انتخاب أعضاء المجلس لمدة خمس سنوات ويعطى لكل منهم مائة جنيه فى السنة .

محافظ مجلس النواب . محفظة رقم ١ — مجموعة ١٩ داخلية مجلس النواب بتاريخ ٧ فبراير ١٨٨٢

ديمقراطية ، كما اكتتب النواب فى « الطائف » بمبالغ كبيرة [١٢١] واختاروها لنشر آراء المجلس وتقاريره ومحاضره [١٢٢] .

وكتب محمد سلطان باشا [١٢٣] الى نظارة الداخلية ما يلى : « داخلية ناظرى عطوفتلو أفندم حضرتلرى حيث أن حضرة صاحب الطائف أظهر ارتياحه الى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه ، وما يتبع ذلك مما يستدعى القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رؤى أنه لا مانع من مكاتبة الداخلية لتصدر أمرها الى ادارة المطبوعات بمعرفة الصحيفة ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها الى المجلس [١٢٤]» وقد وافقت ادارة المطبوعات على ذلك تنفيذا لأوامره [١٢٥] ، ونشر ذلك رسميا بأمر محمود سامى ناظر الداخلية [١٢٦] ، وبهذه الصفة الرسمية لجريدة الطائف استطاع النديم أن يكون قريبا من أخبار الدولة ، وعلى بينة من شئونها ، كما وجد من العون المادى والأدبى من الجهات الرسمية

---

(١٢١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر . ج ١ ص ٢٣٦

(١٢٢) مصر : العدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان : « نبذة سياسية » .

(١٢٣) وقف مع الثورة فى اول حركتها ثم تنكر لها فى احلك اوقاتها.
د. عبد العزيز رفاعى : محمد سلطان امام التاريخ ، ص ٣
ويذكر « النديم » انه لم يكن مرتاحا لسلطان باشا وقد أوضح ذلك لعرابى بقوله : انه تربية الخديو اسماعيل .
د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٦١
وقد عين سلطان باشا رئيسا لمجلس النواب من ابتداء يناير ١٨٨٢ بماهية ١٢٥٠٠ قرش شهرى .
انظر : دار المحفوظات العمومية : دولاب ١٨ عين ٣ محفظة ٣٨٨ ، دوسيه ١١٣٦٩ — اوراق ربط معاش ورثة سلطان باشا .

(١٢٤) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم٦
احمد عرابى المخطوط السابق الذكر ، ص ٣

(١٢٥) الامام محمد عبده : آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٢٨

(١٢٦) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٣٦

ما يعينه على تخطى الضباب والتقدم (١٢٧) ، وتطور أسلوبه فى الكتابة والخطابة طبقا لمواقف العرابيين ، وتمضى الثورة من نصر الى نصر ، والعرابيون فى مقدمتها يجنـون ثمارها والصحف فى أغلبها مواليـة لهم (١٢٨) ، وان لم يكن هناك صحيفة أكثر ثورية من الطـائف التى أصبحت لسانا عنيفا يكتب صاحبها بلغة سافرة لا يخشى سـلطانا ، ولا يأبه بأمير فكتب عن حياة الخديو اسماعيل مقالا بأسـلوب فيـه الكثير من التشفى ناسبا اليه ما حل بالبلاد من مصائب (١٢٩) فى أسلوب عنيف خرج فيه عن أدب المنـاظرة (١٣٠) وتكلم عن بؤس الفـلاحين والعـذاب الذى يلاقونه أثناء جباية الضرائب ، وربما لجأ النديم الى هـذه الموضوعات ليوضح أن طلب الثوار للحكم النيابى هو ضـمان العدالة والقضـاء على الاستبداد (١٣١) وعهوده ، وبلغ من كراهيـة النـديم للخديو اسماعيل أنه كتب لقرائه وهو على سرير المرض يعتذر عن تحرير صحيفته « الا ما كان من تاريخ حضرة اسماعيل باشـا ، فانى أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج ما بى (١٣٢) » .

وقد أدى عنف هـذه المقالات وشدة تأثيرها (١٣٣) أن أمر رئيس قلم المطبوعات وكان وقتئذ الشيخ محمد عبده بايقاف هـذه الجريدة لمـدة شهر (١٣٤) وذلك طبقا لقانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر

---

(١٢٧) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٧ ص ١٣٨

(١٢٨) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ١٢٣

(١٢٩) الطائف : فى ٢٠ يونيه ١٨٨٢ مقال تحت عنوان : « سلب الأملاك من المـلاك » .

(١٣٠) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٣

(١٣١) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث . القاهرة ـ مطبعـة الرسالة ١٩٤٨ ، ج ١ ص ٢٧١

(١٣٢) الطائف : فى ٦ مايو ١٨٨٢

(١٣٣) الامام محمد عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨

(١٣٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٣٦

١٨٨١ (١٣٥) حيث أنها لم ترع أدب المناظرة ، ولم تحسب لولى الأمر، وهو ابن اسماعيل أى حساب (١٣٦) ، ورغم ذلك فان النديم استمر فى مهاجمة الخديو اسماعيل كما شن حملة قاسية على الخديو توفيق بهدفه الاطاحة بعرشه (١٣٧) كما وقف مؤيدا للحياة النيابية والدستور •

ولمـا قامت الحـرب بين العرابيـين والانجليز أصدر النـديم « الطائف » من ميدان القتال وحولها من جريدة أسبوعية الى جريدة يومية تدعو الى الحرب وتستنفر الشعب الى القتـال (١٣٨) وتحرض الجنود على الاستبسال وتلهب مشاعرهم (١٣٩) فكتب مقـالات أقرب الى الخطب منها الى المقـالات الصحفية (١٤٠) دعا فيهـا الشعب الى النضال من أجل الوطن فقال « يا بنى مصر •• هـذه أيام نضال •• هذه أيام الذود عن الحياض • هذه أيام الذب عن الأعراض • هذه أيام

---

(١٣٥) محافظ مجلس النظار . محفظة رقم ٩ تحت عنوان : « قانون المطبوعات » محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم ٢ قرار بتنفيذ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١

(١٣٦) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٦

(١٣٧) شكى الخـديو توفيق بأن الجـرائد كانت فى أيدى عرابى والنظار وهم يأمرون اصحابها بالكتابة كما يشتهون •

ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ — برقية من خديو مصر الى ثابت باشـا •

(١٣٨) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧٨

ويذكر يعقوب سامى ان « النديم محرر الطائف كان دائما مقيما مع عرابى فى مركز الجيش وما كنت أنظر ما يطبعه لكونه هو مصاحب العرابى والجرنال منسوب لعرابى » •

سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ ص ١٠٢

(١٣٩) د. ابراهيم عبده : جريدة الاهرام — تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، ص ١٣٨

محمود عيسى : الصحافة العسكرية فى مصر ، القاهرة — القوات المسلحة ١٩٥١ ، ص ٢٠

(١٤٠) فاروق أبو زيد : تطور الفكر اللبرالى ومفهومه فى الصحافة المصرية ١٨٤٢ — ١٨٨٢ رسـالة ماجسـتير غير منشورة نوقشت بكلية الاعلام — جامعة القاهرة عام ١٩٧٣ ، ص ١٣

يمتطى فيها بنو مصر صهوات الحماسة وغوارب الشجاعة لمحاربة عدو مصر [١٤١] » وكان كلما اشتد الأمر اشتد النديم فى تحمسه فكان يحق ترمومتر الأحداث فخرجت مقالاته لاستثارة الهمم والطعن فى الخديو وانجلترا [١٤٢] وعن صحيفته نقلت صحف القاهرة أخبار الحرب وتفاصيلها [١٤٣] فضلا عن مقالات محررها كاملة [١٤٤] أو ملخصه تلخيصا وافيا [١٤٥] حيث كانت ممنوعة من نشر أى شىء فيما يختص بالأحوال الحاضرة بدون موافقة المجلس العرفى [١٤٦] ، وكانت القيادة العسكرية توافيها بصور من التلغرافات الحربية مما زاد من أهميتها ولم يقتصر نشاطه الصحفى على المقالات أو الأخبار وتنقلات الجيش، وخطورة استعداده والدعاية له [١٤٧] بل واجه الصحف التى استمالها الخديو [١٤٨] لتقف بجانبه ضد عرابى فهاجمها بأسلوب عنيف [١٤٩]

---

(١٤١) الطائف : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليه ١٨٨٢

(١٤٢) نفسه :

ولما سئل عرابى اثناء محاكمته عن أنه سمح لصحيفة الطائف أن تصدر بمعسكره بكنج عثمان رغم انها مشحونة بالطعن فى الخديو والانجليز وعن اطلاعه اليومى عليها ، قال : « لم يكن لى الحق فى منع النديم من ذلك » .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ / ١ ملف ٢١٢ محضر استجواب عرابى .

(١٤٣) لما كان النديم مصدر ثقة العسكريين فقد كانت صحيفته المصدر الأساسى لأخبارهم لذلك نقلت عنه الصحف الأخرى .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢١ دوسيه ٥ — قرار المجلس العرفى بخصوص عدم نشر أى شىء خاص بالأحوال الحاضرة دون موافقته .

(١٤٤) دكتور ابراهيم عبده : اعلام الصحافة العربية ، ص ١٢٧

(١٤٥) دكتور ابراهيم عبده : جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ١٣٨

(١٤٦) الوقائع المصرية : العدد ١٤٥٥ فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ، محافظ الثورة العرابية . محفظة ٢١ دوسيه ٥ قرار المجلس العرفى .

(١٤٧) دكتور ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٨

(١٤٨) من هذه الصحف البرهان والاعتدال والأهرام .

(١٤٩) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٧

وأنشأ ملاحق لصحيفته ، ووقف قلمه فى كل ملحق منها على خصم من خصومه سواء أكان هــذا الخصم الخديو توفيق أم واحدا من أصدقائه أو معاونيه ، وقد ازدحمت هــذه الملاحق بالهجاء الشديد والأسـلوب العنيف (١٥٠) ، ولمـا كان النديم على دراية تامة بحساسية أبناء وطنـه من ناحية الشرف والعرض والدين فقد ضغط على هذه الأوتار الحساسة ونجح فى ذلك حيث أطلق على الخديو وأعوانه والانجليز الشائعات(١٥١) التى تمس هذا الشعور (١٥٢) فكان بارعا فى ادارته للحرب النفسية(١٥٣) فخرج الناس يتغنون بذم الخديو والانجليز ومن ذلك قولهم :

يا توفيــق يا وش النمـلة
مين قال لك تعمل دى العمـلة
يا عـزيـز يا عـزيـز
كبـة تاخـد الانجـليز

ومن ناحية أخبار المعارك فقد كان النـديم يصفها بالطريقة التى لا يفقد بها الشعب ثقته فى جيشه (١٥٤) فكان أحيانا يقلل من الهزائم

---

(١٥٠) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٨

(١٥١) سليم خليـل النقـاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٧ ، ص ١٧١ — ١٧٢

ومن هذه الشائعات قوله « تقفل الانجليز المساجد بدعوى أن الأهالى يجتمعون فيها لا للصلاة بل للمؤامرات ، ولا يجوز لشخص أن يدخل عود كبريت الى منزله ، ومن وجد وعنده علبة كبريت قتل » .

الطائف : فى ٧ اغسطس ١٨٨٢

ومنها « استغاثت امراة .. من بعض الانجليز وهم يجرونها الى دكان مهجور ليفجروا بها .. » .

الطائف : فى ١٤ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٢) الطائف : العدد ٤٧ فى ١٨٨٢/٧/٢٨ وأيضا الأعداد الصادرة فى ١٤ ، ١٨٨٢/٨/١٦

(١٥٣) عن تفاصيل الحرب النفسية التى خاضها النديم ضد الخديو وأعوانه يمكن الرجوع الى الطائف اعداد ٧/٢٨ ، ٨/٣ ، ٨/٧ ، ٨/١٤ ، ٨/١٥ ، ١٨٨٢/٨/١٦

(١٥٤) الطائف : العدد ٦٤ فى ٢٣ اغسطس ١٨٨٢

وأحيانا أخرى يقتصر على نشر التلغرافات الرسمية بدون تعليق (١٥٥) أما اذا ظهرت بوادر انتصار للعرابيين فكان يهلل ويبالغ ويصف المعارك بيوم الملحمة (١٥٦) .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن النديم وقع فى خطأ اعلامى كبير فى الحرب ذلك أنه طمعا فى رفع الروح المعنوية للمحاربين والمواطنين المصريين أخذ يهون فى وصف المعارك ، ويبالغ فى وصف العتاد الحربى الذى لا يملكه الجيش المصرى فى ذلك الحين ، ويزيف فى وصف الهزائم التى أوقعها المصريون بالانجليز ، ولم يلتزم جانب الصدق فى جميع ما أورده من أخبار هذه الحرب ، وهكذا فشل النديم فى جريدة الطائف بمقدار ما نجح فى صحيفة التنكيت والتبكيت من حيث الاصلاح الاجتماعى (١٥٧) ، ولكننا نرى أن الطائف بالرغم من عدم وصفها للمعارك بصدق (١٥٨) فقد كانت سلاحا فعالا عبأ الشعب للقتال ، وبث روح الشجاعة فى الجند ، وأن ما فعله النديم كثيرا ما حدث مثيله فى الحروب الحديثة ، والمثال على ذلك ما ذكره مونتجومرى فى مذكراته من أنه لم يقل دائما الحقيقة أثناء الحرب حتى لا يتعرض سير العمليات للخطر (١٥٩) .

ومع ذلك فنحن نرى أن سلاح الدعاية دائما ما يكون ذا حدين فهو من ناحية يعبىء النفوس للقتال ، ويقوى روح الشعب المعنوية ،

---

(١٥٥) الطائف : العدد ٦٦ فى ٢٥ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٦) الطائف : العدد ٦٥ فى ٢٤ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٧) قصة الصحافة العربية ، ص ٨٥ ، ٨٦

(١٥٨) جمع الأمير عمر طوسون الأخبار التى اذاعتها الطائف عن ضرب الاسكندرية وكان معظمها غير صحيح .
انظر : عمر طوسون : يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(١٥٩) مذكرات المارشال مونتجومرى — فيكونت العلمين — ترجمة ن. البعلبكى ، ص ٨٠

النديم بهدف تهذيبهم واظهار عيوبهم وترقية أفكارهم وقد صور النديم فى هذه المحاورات أدواء المجتمع ، ووصف له الدواء مثال ذلك محاربته للعادات السيئة مثل شرب الخمر فى المحاورة التى كتبت تحت عنوان « حنيفة ولطيفة (١٦٢) » أو محاورة النديم عن أهمية التعليم وضرورة العناية بالنظافة تحت عنوان : « نديم وحافظ (١٦٣) » أو حديثه عن العدالة الاجتماعية تحت عنوان : « سعيدة وبخيتة (١٦٤) » .

لقد أدرك النديم أن تهذيب الشعب واصلاح عيوبه هو الخطوة الأولى فى سبيل النهضة والتقدم ، فنقده كمصلح اجتماعى يهدف الى الاصلاح فكان رد فعل كتاباته فى الأعداد الأولى من الأستاذ التأثير الكبير لدى أفكار الأمة على مختلف نحلها (١٦٥) .

انتشرت مجلة الأستاذ انتشارا فاق ما كان متوقعا حتى أصبحت أوسع الجرائد الوطنية انتشارا (١٦٦) ، فقد كان يطبع منها ثلاثة آلاف نسخة كأكبر جريدة يومية فى ذلك الوقت مع أن عمرها لم يطل أكثر من عشرة أشهر (١٦٧) فكان العامى يشتريها وهو لا يعرف القراءة ثم يعطيها لقارىء يقرؤها له (١٦٨) ، وقد حاول النديم مرة أن يحررها كلها بالفصحى فأتته رسائل احتجاج كثيرة تطالبه بالعدول عن ذلك (١٦٩) والرجوع الى كتابة بعض الفصول بالعامية « لينتفع بها النساء والأطفال والعامة .. لأن فصوله التهذيبية فعلت فى نفوس العامة

---

(١٦٢) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٦٨
(١٦٣) نفسه : ص ٢٩٥
(١٦٤) الأستاذ : الجزء الثالث فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٩٠
(١٦٥) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦
(166) The Times, London. 19 March 1893.
(١٦٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣
(١٦٨) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢
(١٦٩) للتفاصيل انظر الفصل العاشر .

والخاصة ما لم تفعله الخطبة ولا الوعظ كما أن فصوله العامية نبهت كثيرا من الأفكار لمطالعة الجرائد السياسية والعلمية (١٧٠) » .

ونظرا لاحتجاجات الكثير من الناس ومطالبتهم للنديم بأن يخصص لهم بعض الفصول بالعاميــة نزل الى رأيهم فأعاد جريدته كما كانت فصيحة وعامية معا .

والجدير بالذكر أن النــديم لم ينتقد فى أوائل أعداد مجلتــه الاحتلال علانية بل كان ذلك من طرف خفى حتى وقعت أزمة الانقلاب الوزارى فى يناير ١٨٩٣ فكانت هــذه الحادثة بمثابة الحد الفاصل بين حذر النديم فى كتاباته فى الميدان السياسى وبين مناصرة الحركة الوطنية ومؤازرة الخديو عباس الثانى واثارة العواطف القومية ضد الاحتلال (١٧١) وبدأ ذلك واضحا فى مقاله الطويل الشديد اللهجة الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا (١٧٢) » .

فقد وضح النديم فى هــذا المقال ما حدث فى البلاد من تغييرات اجتماعية وسياسية نتيجة للتغلغل الأجنبى والاحتلال الانجليزى ، فكتب عن أساليب الاستعمار ووصف حالة الغرب وحالة الشرق وندد بجشع الغربيين ومحاولاتهم افســاد قيم وأخــلاق الشرقيين كما ندد بغفلة الشرقيين واستكانتهم ودعا للالتفاف حول الخديو .

بدأ النــديم هــذا المقــال بتوضيح أســباب اختياره لعبارة :

---

(١٧٠) الأستاذ : العــدد الحــادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

(171) Tignor : op. cit. p. 153.

(١٧٢) الأستاذ : العــدد الثــانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٠٧ — ٥٣٣ ، وقد نشر ايضا فى الجزء الثانى من سلافة النــديم فى منتخبات عبد الله النديم ، ص ٦٤ — ٨٣

ويذكر ولى الدين يكن : لقد قرأت للنديم فى الأستاذ مقالة عنــوانها (لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا) فعلمت أن البيان سجية فى هــذ الرجــل المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٢٨

« لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » كعنوان لموضوع مقاله فقال : ان أوربا كانت توجه هـذه الكلمات دائمـا الى الشرقيين كلمـا حاولت تبرير أفعالها ، لذلك قسم المقال الى فقرات كل فقرة يبدأها بعرض ادعاء من ادعاءات الأوربيين فى محاولاتهم الانتقـاص من قدر الشرقيين أو فى سعيهم لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والسياسية ثم يرد على كل ادعاء بالحجج والأسانيد الواضحة ويختتم كل فقرة بعبارة « لو كنتم مثلنـا لفعلتم فعلنـا » .

تحدث النديم فى الفقرة الأولى من مقاله عن ادعاءات الأوربيين بجهل الشرقيين فى الصـناعة حتى يتمكنوا من ادخال مصنوعاتهم الى الشرق فقال : « قالت أوربا أنكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صناعة الأثاث واللباس وأنكم فى حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها فى الشرق لتحول الثروة اليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيين [١٧٣] » .

ثم رد على هذا الادعاء بحث أبناء وطنه على احياء الصـناعة الوطنيـة وتوضيح الطريق لحماية مصنوعاتهم أمام المنافسة الأوربية بقوله : « ان كثيرا من الممالك التى لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير وأحيت صناعتها الوطنية ، وحتمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير [١٧٤] حفظا لثروة أهلها [١٧٥] .

ثم ندد بضعفاء العقول الذين لا يتحركون للعمل من أجل احيـاء الصناعة « الوطنية » لوقوعهم فى اليأس والقنوط بالمفتريات ورجـال

---

(١٧٣) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥٠٩

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٥

(١٧٤) يقصد النـديم بذلك ما يعرف فى الوقت الحالى بالحماية الجمركية .

(١٧٥) الأسـتاذ : المقـال السـابق الذكر ، سلافة النديم ، ج ٢ ص ٦٦

أوربا تتعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٧٦] .

وفى الفقرة الثانية من المقال تحدث النديم عن محاولات الأوربيين جر الشرقيين الى مهاوى الرزيلة ، وابعادهم عن عاداتهم الشرقية وأخلاق الآباء والأجداد فقال : « قالت أوربا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران ففعل الشرقيون رغم ما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف [١٧٧] » .

وهاجم النديم الانجليز لاتخاذهم المدنية الحديثة ستارا لنشر الموبقات فى الشرق فقال : « ان الانجليز هم الذين نشروا قانون المومسات [١٧٨] ورخصوا للنساء أن يخرجن للبغاء تحت حماية القانون، وهم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا اعطائهن شهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة [١٧٩] » .

ثم قام بتحذير أبناء وطنه .. مغبة ما يحدث موضحا لهم أن هدف أوربا من ذلك هو افساد الأخلاق واتلاف العقول والأجسام وضياع الدين والبلاد فقال : « وانما هذه إشراك وفخاخ تنصب فى طريق الشرقى حتى لا يخطو خطوة الا وقد وقع فى حبالة أوربا ولما رأت أوربا أن الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم ... ولا يسعون فى صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ، ولا يحفظون كراسى ملوكهم ولا يهمهم ضياع أوطانهم

---

(١٧٦) سلافة النديم : ص ٦٦
(١٧٧) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٠ ، سلافة النديم ، ص ٦٦ .
(١٧٨) عن هذا الموضوع انظر الفصل التاسع .
(١٧٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٧ ، سلافة النديم ج ٢ ص ٧١ — ٧٢

اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهى تقول لهم : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٨٠] » .

وفى الفقرة الثالثة من المقال تحدث النديم عن ادعاءات الأوربيين بأن الشرق فى حاجة اليهم حتى يتمكن من اصلاح شئونه فقال : « قالت أوربا أن الشرق فى حاجة لتداخل أوربا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته، وتهذيب أممه بالتعاليم الأوربية وأجمع رجال أوربا على جعله قسما مقابلا لها ، وربطوا عزمهم على ضمه اليهم الجزء بعد الجزء ، والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لى وهذا لك [١٨١] » .

وقد رد النديم على ذلك مناشدا أولى الأمر بضرورة الاهتمام بالرجال فقال لو اهتم ولاة الأمور بالرجال ، ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالأدبيات ، وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية .. لوجدوا أمامهم رجالا وأى رجال ولكنهم أهملوا ممالكهم وأهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوربا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٨٢] » .

---

(١٨٠) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٧ والجدير بالذكر ان مصطفى كامل لم يغفل تنبيه المصريين الى ضرورة التمسك بتقاليدهم واحترام أنفسهم بقوله : « ان الغربى لا يحترم الشرقى الا اذا احترم الشرقى نفسه ، وحافظ على عوائده وأخلاقه وآدابه فانما الاستقلال الشخصى أساس الاستقلال الكلى أو الوطنى » .
اللواء : فى ٥ ابريل ١٩٠١ تحت عنوان « الداء الأجنبى عند الأفراد » .

(١٨١) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١١ ، سلافة النديم ص ٦٧

(١٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٧ — ٦٨

وفى الفقرة الرابعة من المقال تحدث النديم عن سعى الأوربيين لتحقيق مصالحهم بينما الشرقيون لا يتحركون لمجاراتهم فقال : « انهم يسعون فى مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون .. ينظرون اليهم نظر المغشى عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم أو لايقاف تيار تداخلهم (١٨٣) » ثم انتقل للدفاع عن الدولة العثمانية بوصفها زعيمة العالم الاسلامى والمدافعة عنه فوصفها بقوة العزيمة وهاجم الذين يرمونها بالعجز والضعف (١٨٤) ثم حض مواطنيه على عدم التهاون فى حق الوطن محذرا لهم من محاولات الأوربيين السيطرة عليه فقال : « ولقد أذهلتنا أعمال أوربا التى لم تسمح لشرقى بامتلاك شبر من أراضيها ، وهى تخرجنا من مساكننا وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ، ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها أو يجاريها فهى لا تعترف أننا معها فى ثوب الانسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا (١٨٥) » .

وفى الفقرة الخامسة من المقال كشف النديم النقاب عن الأساليب التى يستخدمها الأوربيون للتدخل فى شئون الشرقيين بحجة الاصلاح ونشر الحضارة والمدنية وتدريب الشرقيين على ادارة شئونهم فقال : « ان دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء ، وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية، وتنادى أولدخولها أنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئا فشيئا (١٨٦) » ثم تحدث عن أن هدف انجلترا من اطلاق حرية المطبوعات هو ايجاد التناقضات بين الشعب المصرى .

---

(١٨٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٨

(١٨٤) انظر : الفصل السابع تحت عنوان : « النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية » .

(١٨٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٩

(١٨٦) نفسه : ص ٦٩ ، ٧٠

وأيضا مجلة الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٤

الوطنيــة المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الســاعى في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتــاج فى تنفيذ ارادته الا الى رجال (١٩٢) » •

ثم قال : « فأى مانع يمنع المصريين من المطالبــة بحقــوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعله الانكليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العــالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل (١٩٣) » •

ثم حذر من المرجفين الذين يبثون الشعائعات فقال : « تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوربيين على كل بلد تودي معه بالمحافظة على وطنيته ، ونحن نضع حجرا فى فم هــذا الدخيل قبــل أن يحرك شفتيه بكلمة اغراء (١٩٤) » •

وتحدث النديم عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط فقال : « هم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين •• ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحــة المسيحى والمحافظة على المعــابد المقدسة واعطــاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تعودتها أوربا تغريرا وتضليلا وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية (١٩٥) » •

ثم ناشد أبناء وطنه تقليد عقلاء أوربا فى أفعالهم وعدم اللبــاذ بالأجنبى فقال: « قلدوا عقلاء أوربا فى أفعالهم وكفاكم الاغترار بترهات

---

(١٩٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ٧٤
(١٩٣) نفسه : ص ٧٥
(١٩٤) نفسه : ص ٧٥
(١٩٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٦ — ٧٧

المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد ، ولم يبق الا أن يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظا (١٩٦) » كما طالب النديم بتحريك الهمم وزيادة النشاط للاكثار من الثروة فقال : « أيكفينا من الثروة أن نرى أكبر تاجر منا لا تزيد ماليته عن عشرين ألف جنيه واذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التسع وقفت بنا الأعداد ، أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجاراة الأمم حتى فى هذا العمل الذى يقوم به الأميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد (١٩٧) » ؟

ثم تحدث عن التعليم والمنهج الدراسى الصحيح الذى يجب أن يدرس للتلاميذ فقال مناشدا الآباء : « لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم . حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم . ردوهم الى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة (١٩٨) » ، وانتقد الآباء الذين يرسلون أبناءهم الى المدارس الأجنبية وناشد ولاة الأمور بفتح المدارس بقوله : « أفلا يحسن فى أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوربية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوربا (١٩٩) » ثم ناشد أبناء وطنه بتوحيد كلمتهم وخدمة وطنهم فقال : « جاهدوا أنفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوربا وفتنها ، واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لأميرها والمحافظة على حقوقها (٢٠٠) » .

---

(١٩٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق : ص ٧٨

(١٩٧) نفسه :

(١٩٨) نفسه :

(١٩٩) نفسه :

(٢٠٠) نفسه : ص ٨٠

تحدث النـــديم عن محاولات الاحتـــلال التفرقة بين السوريين الموجودين بمصر وبين المصريين[٢٠١] ودعا الى اجتماع الكلمة والائتلاف فقال : « ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هـــذه الهمم فى حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لصدتنا المعـــالى ووقفت أوربا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال[٢٠٢] » .

كما قال : « اذا شددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتركية أمكننا أن نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم وان بقينا على هـــذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعـــد فريق حق لأوربا أن تطردنا من بلادنا الى رءوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى وتصدق فى قولها لم كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا[٢٠٣] » .

هكذا عرض النديم آراءه فى هـــذا المقال بطريقة واقعية وجريئة، واقعية لأنها عبرت عن سوء أحوال البلاد وما ألم بها فى ظل الاحتلال ، وجريئة حيث أن النديم لم يخش أحدا حيث تكلم بصراحة ، وعبر عما سمعه وشاهده بنفسه فى أسلوب متأجج بالحرص على الوطن والحماسة له ، وكان حديثه بلغة عربية فصيحة لأن الموضوعات التى طرحهـــا فى مقاله كانت تتميز بالنوع الجدى الذى لا تلائمه الا اللغـــة الفصحى كما تتطرق الى موضوعات متعددة فعرضها بطريقة موضوعية فخـــرج المقال متماسكا ومعبرا عما يجيش فى نفوس أبناء وطنه حيث كان صدى لمـــا يعانيه الشعب من آلام ، وصدى لمـــا يحدث فى البلاد من أزمات فأثبت النـــديم أنه يحمل بين جنبيه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشل .

والى جانب ما كتبه النديم من مقالات فى الأستاذ فقد أفســـح

---

(٢٠١) التفاصيل انظر : الفصل الثامن .
(٢٠٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٨١
(٢٠٣) نفسه : ص ٨٢ — ٨٣ .

المجال للكثير من كتاب وشعراء تلك الفترة بالكتابة فى مجلته مما أشاع نهضة كبرى فى الأوساط الأوربية تسببت عن اثارة جماهيرية كبيرة(٢٠٤) .

ولما أحس كرومر بخطورة مقالات الأستاذ رأى ضرورة اسكات صاحبها حتى لا تحدث ثورة أخرى فى البلاد (٢٠٥) ، فخرج آخر عدد من الأستاذ فى ١٨٩٣/٦/١٣ وهو العدد الثانى والأربعين وانتهت بذلك حياة هذه الصحيفة (٢٠٦) كما أرسل صاحبها الى منفاه « بيافا » .

العمل المسرحى :

عرف النديم فن التمثيل بأنه « فن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل اليه طباعهم (٢٠٧) » وقد أرجع هذا الفن الى العرب منذ القدم ثم نقله عنهم الأوربيون عند مخالطتهم لهم فى الأندلس والشام (٢٠٨) » .

والجدير بالذكر أن العرب لم يعرفوا فن المسرح والتمثيل منذ

---

(204) Gamal M. Ahmed : Op. Cit. P. 19.

(٢٠٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٨ — ٣٠

(٢٠٦) للتفاصيل : انظر الفصل الخامس .

(٢٠٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٦٣
فى حين يذكر مصطفى كامل أنه « يغرس فى القلوب محبه الوطن .. وبالجملة فهو مثل الصحافة والخطابة آلة من اقوى آلات التقدم والحياة » .
اللواء : العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠

(٢٠٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣
علما بأن الغرب أخذ هذا الفن عن اليونان كما ان « المسرح الأوربى تأثر فى القرن الثامن عشر بالفن الصينى فأخذ عنه النوع الغنائى التمثيلى المعروف بالأوبريت فلولا الصين ما استطاع هذا الفن ان يبلغ ما بلغنه فى أوربا .
جورج يعقوب : اثر الشرق فى الغرب خاصة فى العصور الوسطى — ترجمة د. فؤاد حسنين على . القاهرة — مطبعة مصر ١٩٤٦ ، ص ٨٨

القدم كما يذكر النديم ، وربما يقصد بذلك المنشدين والمغنيين أو رواية ابن دانيال الموصلى المسماه «طيف الخيال » التى هى من قبيل ما يسميه المصريون « خيال الظل (٢٠٩) » والسوريون « كراكوز » وليست من قبيل التمثيل (٢١٠) والذى يؤكد ذلك أن رواية « ابن دانيال الموصلى » بها الكثير من المجون والخلاعة والألفاظ البذيئة (٢١١) والنديم يذكر أن الأوربيين هذبوا هذا الفن بعد أن أخذوه من العرب بقوله : « ولكنهم هذبوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التى لها وقع فى التهذيب والتأديب .. وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصورة (٢١٢) » .

وعموما فان نظرية النديم فى تاريخ الحضارة الأوربية هى النظرية التقليدية التى تعيد كل شىء الى أصول عربية ، واعتبار الشرق معلم أوربا (٢١٣) واليه يرجع الفضل فى نهضتها فى حين أن فن التمثيل يعتبر جديدا على الحياة المصرية ، فلم نتوارثه عن الفراعنة ولا عن العرب بل أن مجتمعنا المصرى لم يعرف الأدب المسرحى الا بعد أن اتصلت مصر بوسائل الغرب الحضارية اتصالا وثيقا (٢١٤) .

---

(٢٠٩) لمزيد من التفاصيل انظر احمد تيمور : خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب . القاهرة — لجنة نشر المؤلفات التيمورية .

(٢١٠) جرجى زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ص ١٥٢

(٢١١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثالث ، ص ١٢١ .

(٢١٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٣

(٢١٣) كان لرفاعة الطهطاوى قصب السبق فى هذا المضمار حيث قال عن مصر : « واما امتيازها بعد زمن الفتوح وانفرادها بكمال المعارف فهو فى غاية الوضوح فكما كانت فى القديم محط رحال العلماء فلا زالت فى الحديث عدد علمائها كعدد نجوم السماء » .
انظر : أنوار الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل . القاهرة ١٢٨٥ هـ ، ص ١٨

(٢١٤) يوسف عبد العزيز : المسرح الاجتماعى فى مصر — رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ ص ١٦٢ .

ذكر النديم أن الأوربيين بعد أن هذبوا هذا الفن المسرحي نقله عنهم بعض الشرقيين فقال · « وقد أخذه الآن بصورته الأخيرة جماعة من الشرقيين منهم من أحسنه ، ومنهم من بقى تحت التمرين ، فكان من المحسنين الفريق (الجوق) الشرقي المكون من المجيد الماهر الشيخ سلامة حجازى (٢١٥) ومعه المحسن أحمد أفندى أبو العدل والمتقن حسين أفندى الانبابى وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات (٢١٦) » .

ومع أن النديم لم يكن يجيد أى لغة أجنبية حتى يستطيع بها الاطلاع على نصوص المسرحيات الأوربية فانه استطاع أن يكتسب قدرا من الثقافة المسرحية عن طريق مشاهداته لمسرحيات « يعقوب صنوع (٢١٧) » الذى ظل مسرحه « يعمل سنتين عرض فيهما على

= فى حين يذكر الدكتور لويس عوض أن « طقوس العبادة فى مصر القديمة كان يصاحبها التمثيل » .

انظر : دراسات فى ادبنا الحديث (المسرح — الشعر — القصة) القاهرة . دار المعرفة ١٩٦٠ ، ص ١٢

(٢١٥) قرظ مصطفى كامل ايضا الشيخ سلامه حجازى على صفحات جريدة اللواء .

انظر : اللواء . العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التمثيل » .

والجدير بالذكر ان الشيخ سلامه حجازى اهتم بالمسرحيات الغنائية وحرص على ان تكون بلغة عربية سليمة حتى وصل به الأمر أن جاء بمعلم للغة العربية فى فرقته لكى يتولى تلقين الألفاظ للمثلين بلسان عربى لا يشوبه أى لحن .

د. فؤاد رشيد : تاريخ المسرح العربى . القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٦

(٢١٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٤ .

(٢١٧) اول من اوجد فكرة المسرح العربى فى مصر الحديثة ، وهى فكرة لم يسبقه اليها احد من المصريين أو الشاميين الذين نزحوا الى مصر واتخذوا من التمثيل حرفة ومهنة .

د. ابراهيم عبده : أبو نظارة امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر .

خشبته اثنين وثلاثين تمثيلية من تأليفه .. الى جانب كثير من التمثيليات التى ترجمت عن الفرنسية (٢١٨) » كما تأثر أيضا بالمسرح عن طريق الفرق المسرحية التى وفدت من الشام الى مصر وخصوصا فرقة سليم النقاش وأديب اسحق التى مثلت العديد من المسرحيات على « مسرح زيزينيا (٢١٩) » ، كتب النديم روايتين قدمهما للمسرح وهما « رواية الوطن وطالع التوفيق (٢٢٠) » . و « النعمان » وقد قال عنهما . ألفت رواية الوطن وبينت فيها ما ظهر وما بطن ، مما هو جار فى البلاد من الظلم والفساد . ثم ألفت رواية النعمان وملأتها بالبديع والبيان ، وبينت فيها فضل العرب وما أتوه من العجب (٢٢١) » .

ولم يوجد بين أيدينا من هاتين المسرحيتين سوى فقرات من رواية الوطن وهى منشورة ضمن منتخبات عبد الله النديم التى جمعها شقيقه عبد الفتاح النديم تحت عنوان : « سلافة النديم (٢٢٢) » وقد كتب النديم هذه الرواية بالعامية والفصحى معا حيث جعل كل شخصية تتحدث باللغة التى تناسبها ، وكان الهدف منها هو حث أبناء الوطن على النهوض من وهدة الحضيض الى أوج التقدم (٢٢٣) ورسم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقده الاستبداد ارادته وأماتت المصائب المتراكمة احساسه فصور الوطنى بشخصية رمزية تنادى بالتعاون بين

---

(٢١٨) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٢٧

(٢١٩) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ١٥٤

(٢٢٠) د. نفوسه زكريا : المرجع السابق الذكر ص ١٠٨ — ١٠٩
عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٣٣ — ٦٣

(٢٢١) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٠ — ٥١

(٢٢٢) سلافة النديم : الجزء الثانى ، ص ٣٣ — ٦٣

(٢٢٣) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليه ١٨٨١ ، ص ١١٣ مقال للشيخ حمزة فتح الله عن رواية الوطن وطالع التوفيق .

جميع المصريين كما اختار شخوصا من سكان القرى وبعضها الآخر من سكان المدن ومنها من هو من فلاحي الأرض أو الصيادين أو الجهلة(٢٢٤) مثل أبو دعموم وأبو الزلفى والحاج حسين وأبو العلا والسيد على والسيد ابراهيم والحاج رزيجه وأبو رجب وعزت أفندى ومظهر وبدر وعامر وسلمى ودعدومى والطيئة والنابغة والعرب •

وكان الشكل الحوارى لهذه الرواية عبارة عن الدعوة لتطوير المجتمع وما يسوده من أخلاق وعادات (٢٢٥) فصور النديم الظلم الواقع على الفقراء وانتقد أسلوب رجال الحكومة فى جمع الأموال ، وانتشار الرشوة بينهم وأوضح للفقراء بأن الاصلاح لا يكون الا بالاتحاد وانشاء الكتاتيب ليتعلم أولادهم فتنتشر المعارف وتعرفه الحقوق ، وانتقد ما يردده البعض من أنه لا يذهب الى المدارس الا الأولاد المصابون بعاهة فى أبصارهم أو فقدوا أحد أطرافهم حتى يرتزقوا من قراءة القرآن على الأضرحة وفى المقابر كما طالب النديم الفقراء بالمساهمة فى انشاء الجمعيات ، وذكرهم بأنهم أصل كل شىء ، وصور الأغنياء بالبخلاء الذين لا يعرفون حق الوطن كما صور رجال الحكومة بالمفسدين وامتدح الخديو فى نهاية الرواية ووضع الأمل على على يديه للاكثار من انشاء المدارس (٢٢٦) ومع أن هذه الرواية تنقصها الحبكة الفنية فانه يمكن القول بأن النديم اتخذ من المسرح وسيلة حاول أن يوصل من خلالها الى الشعب رسالته ويلقنه عن طريقها بالمبادىء الوطنية والاجتماعية (٢٢٧) وتبدأ الرواية بحوار يدور بين

---

(٢٢٤) دكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر . القاهرة — مكتبة الآداب ١٩٥٦ ، ج ١ ص ٢٢٥

(٢٢٥) يوسف عبد العزيز : المسرح الاجتماعى بمصر ، ص ٢٣٧ — رسالة ماجستير غير منشورة . مكتبة جامعة القاهرة .

(٢٢٦) سلافة النديم ، ج ٢ ص ٣٣ — ٦٦ تحت عنوان : « شذرة من رواية الوطن وهى رواية تشخيصية الغرض منها الحث على التعاون » .

(٢٢٧) نجيب توفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٥ ، ويتضح من موضوعات المسرحية ان النديم اختارها من مأساة الشعب المصرى .

رجلين يشكوان سوء الحال على النحو التالى :

أبو دعموم : كانت فين دى الغيبة •

أبو الزلفى : فى جهنم الحمرة •

أبو دعموم : ليه من غير شر ما انت بخير •

أبو الزلفى : ما بار علينا ما بخير ولا ••

أبو دعموم : ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه •

أبو الزلفى : يبقى ما انت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينـــا بالصرم وحاكم الخط مشرمطنـــا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حديد ولا ايه •

أبو دعموم : يادم يلهفك ياخى يبقى ما ترميش للكلب منهم بريزية وتخلص •

أبو الزلفى : عوار يحول عينـــك هى كام بريزية دا اللى بيطلبوه الصبح ما بيطلبهشى المغرب (٢٢٨) •

ومن النص المسرحى لهذه الرواية يتضح أن النديم أنطق شخوص مسرحيته بما يتناسب مع الطبقة التى ينتمون اليها فتحـــدث الفـــلاح بلهجة أهل الريف « يبقى ما انت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم •••• » •

والصياد يستعمل لهجة أهل السواحل « هى كام بريزية » وأجرى على لسان المتعلم لغة فصحى قريبة من العامية « تعلمت شيئا كثير » كما جعل حديث الشباب من المتفرنجين بلغة عربية ممتزجة بلغة أجنبية « بنجور يا مسيو مظهر » و « بنجور عليك يا منشير عزت » ثم جعل

---

(٢٢٨) عن نص المسرحية ، انظر سلافة النديم ، جـ ٢ ص ٣٣ — ٣٤

الوطن يتحدث بلغة عربية فصحى كما خص سكان البادية بالشعر العربى الفصيح .

وبذلك استطاع النديم أن يحقق نوعا من الواقعية فى نصه المسرحى وقد مثل تلاميذ النديم تحت اشرافه هذه الرواية على مسرح زيزينيا أكبر مسارح الاسكندرية فى ذاك الوقت فى حضور الخديو توفيق وكبار رجال الدولة (٢٢٩) فكان لها فى النفوس أثر كبير بعد أن نبهت الأذهان الى العيوب الاجتماعية والسياسية فى المجتمع المصرى (٢٣٠) وما يتحمله الأهالى من المظالم والمغارم .

ومع أن النديم قد مدح فيها الخديو فى النهاية الا أنها كانت تبرز الظلم الواقع على كواهل الناس وتحارب الدكتاتورية والحكم المستبد والاستسلام للأجنبى المسيطر على الأجهزة الحكومية (٢٣١) .

وبما أن الكتابة للمسرح تحتاج الى خبرة ودراية لا تتوازن لغير المنقطع لهذا الفن يدرسه ويروض نفسه عليه فان للنديم العذر فى عدم اجادته فيما كتبه للمسرح فروايته مزدحمة بالكثير من الشخصيات وقارئها لا يعرف متى دخلت هذه الشخصيات الى المسرح ومتى خرجت ومع ذلك فان استعماله للسخرية اللاذعة بقصد علاج النقائص الاجتماعية ومدى انتشار الرشوة بين رجال الحكومة كان له أكبر الأثر فى النفوس (٢٣٢) .

---

(٢٢٩) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٥

(٢٣٠) عبد الفتاح النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٣٢ ، التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١

(٢٣١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، ص ٨٠

(٢٣٢) محمد عبد الوهاب صقر وفوزى شاهين : عبد الله النديم ، ص ١٩٧

ويذكر البعض أن مسرحيات النـديم جاءت فى صـورة عظـات وخطب ، « وكان من الأجدر لمؤلفى هـذه الفترة أن يتذكروا أن وظيفة المسرح هى الترفيه عن النفس قبل كل شىء أما الخطب الرنانه والعظات القيمه فمجالها المنابر ودور العبادة (٢٣٣) » .

ولكننا نرى أن الظروف التى مرت بها البـلاد فى تلك الفترة جعلت من المسرح صدى للأحداث القائمة ، وحتمت على رجل مثل النـديم أن يساير هذه الأحداث بل يطوع مسرحه لخدمة الحركة الوطنية مع التركيز على القاعدة الشعبية .

وهكذا استعمل النـديم كافة الوسائل لتنبيه أبناء وطنه ، وانقاذهم مما ترددوا فيه ، وكان المسرح ضمن وسائله وكانت مسرحيتـه « الوطن وطالع التوفيق » صـدى قويا وصادقا لمـا ألم بالمجتمـع المصرى من مساوىء اجتماعية وسياسية .

ومما سبق يتضح أن النديم قد تأثر بالنهضة المسرحيـة التى بدأها يعقوب صنوع ثم نقل خبرته الى الجيل الجديد الذى حمل الراية بعـد انتكاسة الثورة العرابية والمتمثل فى مصطفى كامل (٢٣٤) .

---

(٢٣٣) يوسف عبد العزيز : رسالة المـاجستير السـابقة الذكر ، ص ٢٤١

(٢٣٤) اخذ مصطفى كامل عن النديم فكرة تاليف الروايات المسرحية فكتب رواية عن فتح الأندلس ، وقد نشرت المؤيد فى عـدد ١٨ ديسمبر ١٨٩٣ مقتطفات منها .

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :

على فهمى كامل : مصـطفى كامـل ، فى ٣٤ ربيعـا ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ — ١٦٦

وفاة النـــديم :

تختلف الآراء فى تحديد يوم وفاة النـــديم فيذكر محمــد فريد أن النديم توفى فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦ [٢٣٥] بينما يتضح من وثيقة بشأن أعلام وفاته أنه توفى بالآستانة فى مساء ليلة العـــاشر من أكتوبر ١٨٩٦ [٢٣٦] وينفى صحة هذين التاريخين افادة من « جناب قبو كتخـــدا الحضرة الخديوية بالآستانة » أن النديم توفى فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ونحن نتفق مع هـــذه الافادة لأنها واردة من الآستانة وهى المكان الذى توفى به النديم ، كما أنه يوجد بسركى المعاش الخاص بالنديم تأشيرة بأنه صرف معاش شهر سبتمبر ١٨٩٦ فى العاشر من أكتوبر ١٨٩٦ [٢٣٧] مما ينفى أنه مات فى هـــذا اليوم [٢٣٨] ، كما أن هذا التاريخ هو الذى سارت عليه المكاتبات الرسمية بعد ذلك بخصوص اشهار الوراثة الذى يخص ورثة عبد اللـــه النديم [٢٣٩] .

والجدير بالذكر أن النديم لم يترك أولادا حيث ماتوا جميعا فى

---

(٢٣٥) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد — القسم الأول . الجزء الخامس ، كراسة رقم ١٨

(٢٣٦) دار المحفوظات العمومية بالقلعة . ملف معاش عبد الله نديم دولاب رقم ٢٩ عين ١ محفظة ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠ وثيقة رقم ٣٧٧ بشأن اعلام وفاة عبد اللـــه نديم .

ويتضح أنه لم يتفق أحد ممن كتبوا عن النديم على تحديد تاريخ وفاته فتذكر جريدة الأهرام بمناسبة مرور ٥٣ سنة على وفاة النـــديم أنه توفى فى ٢٣ ابريل ١٨٩٦

أنظر : الأهرام : العدد ٢٨٦٦ فى ٢٤ أبريل ١٩٤٩ تحت عنـــوان : « السيد عبد الله نديم — مرور ٥٣ سنة على وفاته » .

(٢٣٧) دار المحفوظات العمومية : ملف معاش عبد اللـــه نديم — سركى نمرة ٤٩ جزء ٨ سجل عمومى رقم ٢٣٤٥ معـــاش ضمن نوع ٩ بمقتضى قرار مجلس النظار رقم ١٥ يونيه ١٨٩٣

(٢٣٨) ربما يكون النديم قد مات بعد صرف المعاش فى نفس اليوم ولكننا نرجح أن وفاته كانت فى ١٣ اكتوبر استنادا على افادة قبو كتخـــدا الحضرة الخديوية بالآستانة .

(٢٣٩) دار المحفـــوظات العمومية . ملف معـــاش عبد اللـــه نديم دولاب ٢٩ عين ١ محفظة ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠ .

طفولتهم[٢٤٠] . لقد مات النديم « فى نحو الثانية والخمسين من عمره، وليس هذا بالعمر الطويل ، ولكنه عمر عريض فطالما غذى الناس بقلمه وهيجهم بأفكاره ، وأضحكهم وأبكاهم ، وحير رجال الشرطة وأقلق بال رجال السياسة ، ونازل خصومه من رجال الصحافة فنال منهم أكثر مما نالوا منه ؛ ولم يهدأ له لسان ولا قلم حيث حل .. حتى هدأه الموت الذى يهدأ كل ثائر [٢٤١] » .

أحتفل بجنازة النديم رسميا فى الآستانة بأمر من السلطان حيث سارت أمام نعشه فرقتان من الجيش وفرقة من الشرطة وجبار رجال الدولة وعلماؤها يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد الظافر شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية فى دار الخلافة ومن أشد المقربين الى السلطان [٢٤٢] وكثيرون غيرهم فساروا به حيث دفن فى مقبرة يحى أفندى فى باشكطاش [٢٤٣] بعيدا عن الأهل والوطن الذى عاش من أجله ، وقاسى الكثير فى سبيله ، وكان العزاء لروحه يوم أن مات أنها سلمت راية الكفاح الى الجيل الجديد — وعلى رأسه مصطفى كامل . ليواصل الجهاد ويقود المرحلة التالية من مراحل الحركة الوطنية فى سبيل الاستقلال والحرية [٢٤٤] .

---

(٢٤٠) رزق النديم « بمحمد وعثمان والياس وفاطمة وعائشة وسكينه وخديجه ثم استودع هياكلهم التراب كما رزق بحفصة وريا فى الاختفاء ودرجتا ايضا » كان ويكون ، جـ ١ ص ١٦

وايضا احمد امين : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، ويؤكد ذلك الاقرار الذى كتبه اخوه بالمحكمة الشرعية بالاسكندرية على نفسه فى ١٨ يوليه سنة ١٨٩٧

انظر : ملف معاش النديم السابق الذكر .

(٢٤١) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٥

(٢٤٢) احد كبار الكتاب فى الأستانة : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى ، ص ٦

(٢٤٣) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٧ ، اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٢٤٤) د. على الحديدى : المرجع السابق ، ص ٣٩٢

الخاتمة

بعد ان قدمنا هذه الدراسة التى اكدت انه ما يزال فى تاريخنا الحديث والمعاصر الكثير من الشخصيات التى كان لها ادوار كبيرة فى حياة البلاد السياسية والاجتماعية ولم تأخذ الاهتمام الكافى من البحث والاستقصاء سنعرض لاهم ما توصلنا اليه فى هـذا البحث .

١ ـ ان انضمام النديم للعرابيين لم يكن محببا اليه فى أول الأمر لأنه من تلاميذ الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالاصلاح لذلك كان يتأفف سرا من وقوعه فى تلك الورطة ولكنه بعد أن اندمج بهم وعرف خططهم وافكارهم اصبح من اشد المخلصين لهم ، وكان اول مدنى استطاع أن يشق طريقه وسط العرابيين ويحول حركتهم الى ثورة شعبية بكل ما تحمل هـذه الكلمة من معنى بعد أن كانت هذه الحركة انقلابا عسكريا هدفه المحدد مساواة ابناء الفلاحين مع الجراكسة فى الترقيات بالجيش .

٢ ـ ان جذور مظاهرة عابدين نبتت من المنشور الذى وزعه النديم على الأهالى ، ويتضح ذلك من ان النديم قبل المظاهرة طلب من الشعب ان ينيب (عرابى) عنه فى نقطتين أساسيتين هما :

(أ) المطالبة باسقاط نظارة رياض .

(ب) انشاء مجلس للنواب .

وهذان المطلبان كانا ضمن الطلبات التى قدمها عرابى للخديو أثناء المظاهرة ، كما يتضح أن « عرابى » لم يقم بمظاهرة عابدين الا بعد الحصول على التوكيلات التى جمعها له النديم من الشعب فاصبح نائبا من الأمة فى المطالبة بحقوقها .

٣ — ان للنديم دورا كبيرا فى مظاهرة عابدين حيث قام بحفظ قلوب الرجال من الزيغ والارتجاف (١) .

٤ — ان النديم شجع بعد مظاهرة عابدين على تأسيس جمعية الشبان السياسية بالاسكندرية لتكون ركيزة شعبية تستند عليها الثورة .

٥ — ان النديم — اثناء المعارك بين العرابيين والانجليز — حاول فى كتاباته وخطبه تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة فذكر أن الحرب بين المصريين والغزاة ، وليست بين مسلمين ومسيحيين حتى يقطع على الانجليز طريق اتخاذ الدين وسيلة للتفرقة بين أبناء الوطن .

٦ — بالرجوع الى « محافظ مجلس الوزراء — نظارة الداخلية » اتضح من التقرير المقدم من وكيل نظارة الداخلية الى رئيس مجلس النظار اسماء القرى والكفور التى اختبأ فيها النديم واسماء من تستروا عليه وآووه من الوطنيين طوال الفترة التى اختفى فيها عن عيون السلطة ، كما اتضح ايضا أن النديم لم ينكر اسماء من آووه — كما ذكر الذين كتبوا عن ذلك من قبل — وان كان انكر انهم يعرفون حقيقته .

٧ — استغل النديم حساسية الشعب من ناحية الدين فاستخدم الأزهر منبرا من منابر الثورة فكان يتوجه اليه كلما تنفجر الأزمات ويخطب فى رجاله مشعلا حماستهم دون المساس بالوحدة الوطنية حتى وصل الأمر بأن افتى بعض المشايخ بتكفير الخديو .

٨ — ان النديم امتاز بالوفاء للثورة حتى بعد فشلها فكان الوحيد بين العرابيين الذى استمر فى جهاده ونضاله عن مصر فى عهد الاحتلال .

٩ — ان النديم كان صانعا للزعامات فهو صاحب التأثير الاول فى تكوين مصطفى كامل الصحافى والخطابى والسياسى وأن جريدته « الأستاذ »

---

(١) مخطوط كشف الستار ، ص ١١٦

كانت الأستاذ لمصطفى كامل حيث تعلم منها الاتجاه والنغمة ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى افتتاحية العدد الأول من مجلة المدرسة بانه انشأ هــذه الجريدة « لتكون مركزا لجمع دور فرائد الأستاذ (٢) » ولم يقتصر اثر النديم على تكوين مصطفى كامل الصحافى بل ان بعض عناوين المقالات التى كتبها النديم اقتبسها مصطفى كامل فى مقالات كتبها على صفحات اللواء مثل « متي يستقيم الظل والعود أعوج » و « الحقوق المقدسة » .

١٠ — أن الكثير من افكار النديم السياسية والاجتماعية لم يكن قد كشف عنها من قبل وبالتالى فقد تناولناها بالدراسة والتحليل حيث كانت هـذه الأفكار سابقة لأفكار أبنـاء وطنه ، وكانت جديدة عليهم لم يسمعوا عنها من قبل حيث نبه أفكارهم الى موضوعات جديدة ايقظ بها الراى العام بعد فترة رقاد فتحدث عن مفهوم القوميه ومبدأ مصر للمصريين ، واهمية الوحدة الوطنية وفكرة الجامعة الشرقيــة واهميــة الديمقراطية كاساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له وتكلم عن الأحزاب واهمية الراى العام وفكرة الجمهورية ، وقد استطاع أن ينشر هذه الأفكار والآراء فى اكبر عدد ممكن من أبناء وطنه حيث أوتى من الفصاحة واللباقة ما مكنه من استيعاب آراء استاذه الأفغانى فى الاصلاح المنشود ثم الاختلاف معه فى كثير من المواقف وتبريره لهذا الاختلاف ثم تبسيطه لهــذه الآراء والأفكار عن الاصلاح المنشود وتوصيلها الى العامة : الفلاح فى حقلــه والتلميذ فى مدرسته والصانع فى محل عمله وبذلك اسهم فى تكوين راى عام — وان كان محدودا — يتطلع الى الاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

١١ — أن النديم كان أول من أعطى لمفهوم الديمقراطية بعدا اجتماعيا فكان أول مصرى يكشف عن الجانب الاجتماعى لمفهوم الديمقراطية .

١٢ — انالنديم وضع اسسا وافكارا جديدة لأحوال الصناعة والصناع قبــل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر فقد طالب بانشاء

---

(٢) المدرسة : المقال السابق الذكر .

الشركات الوطنية لاحياء الصناعات المصرية وتشجيعها كما طالب بتنظيم احوال العمال ، وعقد جمعية لكل طائفة وانشاء بنك قومى لمساعدتهم وتقديم السلف اللازمة لهم ، وشراء الآلات الحديثة ومقاطعة المصنوعات الأجنبية مع انه لم يعترض على الاقتباس من الغرب بل شجع على ذلك .

١٣ — ان النديم طالب بتعميم التعليم بين طبقات الشعب ، وعدم قصره على طبقة دون اخرى « لأننا اذا اقللنا من المدارس أو قصرنا التعليم على أفراد معينين أو طبقة دون اخرى فقد رجعنا بالمدنية القهقرى » كما انه شجع على انشاء الجمعيات الخيرية لتعليم اليتامى وابناء الفقراء وبدأ بنفسه فقام بتأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية بالاسكندرية ومن نص قانون هذه الجمعية يتضح لنا ان اسمها تغير الى « الجمعية الخيرية المصرية » وان الهدف منها هو انشاء المدارس لتعليم البنين والبنات وانشاء المستشفيات لعلاج المرضى ، ومع ذلك فقد استطاع النديم تحويل منبر الجمعية الى منبر سياسى وضح فيه للشعب الظلم الذى يحيق به والحقوق التى يجب ان يتمسك بها كما أن دعوته لانشاء الجمعيات قد نجحت اذ تسابق ابناء الوطن على انشاء الجميعات اقتداءا بجمعيته فتكونت الجمعية الخيرية القبطية كما تكونت جمعيات شبراخيت والاخلاص بميت غمر والصنائع والفنون الخيرية بالمنصورة والتوفيق الخيرى بالقاهرة والجمعية الخيرية القبطية بالفيوم .

١٤ — ان المبارزة الفكرية بين النديم وابى الهدى الصيادى استعمل فيها الطرفان الأسلوب الذى خرج عن ادب المناظرة حيث كان النديم فى كتابه « المسامير » للصيادى كيلا فاق ما يعرفه فن الهجاء ثم رد الصيادى فى كتابه « صوت الهزار ونعيق العذار » بالدفاع عن نفسه ولم يتطرق اسلوبه الى مهاجمة النديم فحسب بل الى مهاجمة مصر واهلها .

١٥ — لقد كانت شخصية النديم مختلفة تماما عن كافة الشخصيات الاصلاحية فى تلك الفترة فقد غير عقلية ابناء وطنه اكثر من كثيرين ممن كانوا يكتبون فى ذلك الوقت كما أن ظروف حياته أعطت لكتاباته لونا محببا لدى الناس فأثر فيهم تأثيرا قويا وفعالا دون ان يتملق احدا ، وكان فى

عرضه لمشاكل الشعب يشارك فى البحث عن طرق العلاج ولكن على هيئة افكار عامة وليست بعمق المتخصص .

١٦ — رغم انه لم يتفق احد ممن كتبوا عن النديم على تحديد تاريخ وفاته فقد اتضح لنا بعد الاطلاع على افادة « قبو كتخدا » الحضرة الخديوية بالآستانة والموجودة بملف عبد الله النديم المحفوظ بدار المحفوظات العمومية بالقلعة انه توفى فى ١٣ اكتوبر ١٨٩٦ .

— ان اهم ما فى النديم هو شعبيته وقوة تأثيره ورغبته الشديدة الى الاجتماع بمواطنيه ، فهو رجل خالط الشعب بجميع طبقاته حيث انبعث من غمار عامة الشعب وعانى وذاق ما يعانيه افراده من فقر وحرمان فالتأم شقاؤه بشقاء أمته فكانت كلماته تعبيرا حيا عما يدور بخلد الشعب ثم ارتفع الى مصاف القادة فلم يفتنه المجد بل عمل على رفع مستوى شعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى والعمل على تعليمه ، فكان من أعلم الناس بمحاسن هذا المجتمع وعيوبه لذلك كانت آراؤه فى روحها وجوهرها تعبيرا عما يجيش فى صدور ابناء وطنه من أحاسيس الألم والأسى كما كان أول كاتب مصرى يعالج مشكلة القومية المصرية بأسلوب شعبى فهو أول من سهل على الشعب استيعاب المفاهيم القومية التى كان ادراكها قاصرا على المثقفين والاستقراطيين (٣) ، وكان حركة لا تهدأ وكان رجلا من رجال العمل ورجال القلم والقرطاس (٤) ، ذكى القلب شديد العارضة ، ذرب اللسان سريع الخاطر حاضر البديهة ظريف المحاضرة ، حلو الشمائل ، وكان كذلك جريئا ، سريع الغضب صعب الرضا (٥) عاش حياته يتأمل افراح وطنه ويعانى اتراحه فترجم عما يجول بخاطر شعبه .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة ان « التاريخ يؤاخذ الناس كلا على قدر منزلته وموهبته ؛ فقد خص الله النديم بطائفة من هذه المواهب كان يستطيع بها أن يقيم من أود الثورة وان يلطف من حدة الثوار وأن يقود

---

(٣) دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٣٣

(٤) عباس العقاد : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٤

(٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨

السفينة الى بر الأمان ، ولكنه لم يرد ولو اراد لتولى لسانه الاقتناع (٦)» ولكننا نرى ان طبيعة النديم الثورية ولهجته الخطابية كانت فى حاجة الى من يلطف حدتها فبالرغم من ان النديم شخصية ثورية اصلاحية فانه ايضا كان مندفعا ومتسرعا ويخرج فى بعض الأحيان عن جادة الحق والانصاف (٧) فيذكر صابونجى فى رسالة له الى بلنت ان النديم حينما يجد نفسه مهزوما فى مناظرة يغضب بشدة وينتقل الى التعصب الدينى (٨) كما ذكر يعقوب صنوع انه كان فى بعض الأحيان يقلب المليح قبيحا (٩) لذلك نصحه بأن يكون بصيرا بالعواقب حكيما معتدلا (١٠) .

ان أبرز ما فى النديم هو ذلك النشاط الروحى الزاخر ، وتلك العزيمة التى لا تكل عن العمل يوما حتى وافته المنية فكان بوقا عظيما للشعب دائم التفكير فى اصلاح احواله ، عمل من اجله اكثر مما عمل لنفسه ولأسرته ، وبوقا عظيما للجند وبوقا عظيما للثورة (١١) افنى نفسه وحسه فيها ووهب حياته لهـا وحارب الطغيان فى الداخل وناهض المستعمر الذى وفد من الخارج حتى بالغ البعض فى وصفه بانه كان « نادرة عصره واعجوبة دهره (١٢) » وانه « ليس فى طلائع نهضتنا مثالا آخر من هذا الطراز يضارع عبد الله النديم (١٣) كما قيل عنه انه أذكى ناقد لأوربا فى مصر (١٤) وانه صحفى القرن التاسع عشر بلا منازع (١٥) .

(٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٧) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء . باريس فى ٩ يونيه ١٨٨٢ .
ويذكر شبلى شميل : ان النديم هو الذى اوقع زعماء الثورة فى الضعف لانه كان يعرف كيف يموه على العقول .
الأخبار : العدد ١٨١ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٧ .

(8) Blunt : op. cit. p. 545.

(٩) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء . باريس فى ٩ يونيو ١٨٨٢

(١٠) يعقوب صنوع : ابو نظارة زرقاء . باريس فى ٦ أكتوبر ١٨٨٢

(١١) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ، جـ ٢

(١٢) أحمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ٣

(١٣) عباس العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم ، ص ٧١

(14) Gamal. M. Ahmed. op. cit. p. 68.

(١٥) د. ابراهيم عبده : قصة الصحافة العربية فى مصر ، ص ٧٧